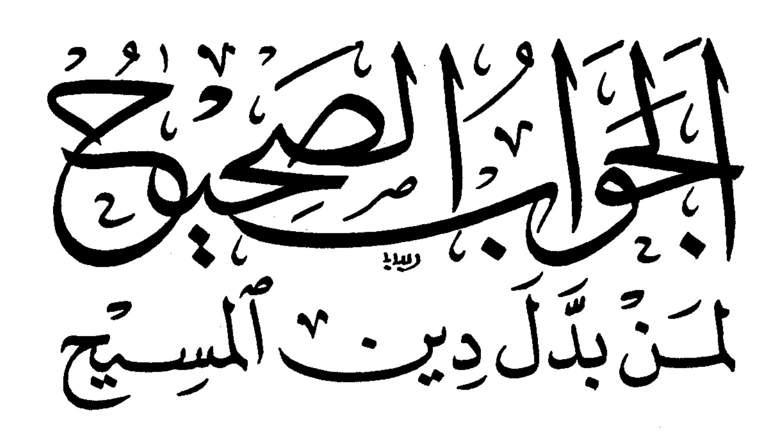


الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح

لشيخ الإسلام أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم

ابن تيمية الحراني

المتوفى سنة ٧٢٨ هـ

تحقيق وتعليق

د. علي بن حسن بن ناصر

د. عبد العزيز بن ابراهيم العسكر

د. حمدان بن محمد الحمدان

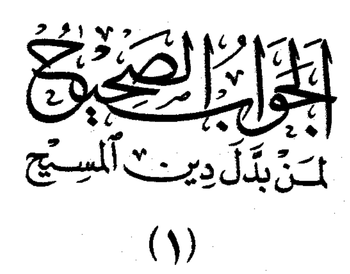
المجلد الأول



دار العاصمة

للنشر والتوزيع




الجواب الصحيح
لمن بدل دين المسيح
(١)

الطبعة الثانية
١٤١٩هـ - ١٩٩٩م

دار العاصمة
المملكة العربية السعودية
الرياض - ص ب ٤٢٥٠٧ - الرمز البريدي ١١٥٥١
هاتف ٤٩١٥١٥٤ - ٤٩٣٣٣١٨ - فاكس ٤٩١٥١٥٤

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم المرسلين: وبعد:

فقد منَّ الله تعالى بإتمام تحقيق هذا السفر الضخم «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» لمؤلفه شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، رحمه الله. وتمَّ تحقيقه بفضل الله على هيئة ثلاث أطروحات للدكتوراه من قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بكلية أصول الدين بالرياض. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. وقد أتم الباحثون رسائلهم، وتمت مناقشتها جميعاً. وحصل الباحثون على درجة الدكتوراة بمرتبة الشرف الأولى.

ورغبة في إخراج هذا الجهد العلمي المبارك للناس، اتفق الباحثون على طبعه بالتحقيق فقط دون الدراسة وذلك تخفيفاً لحجمه حيث بلغ حجمه بالدراسة والتحقيق للرسائل الثلاث ستة مجلدات.

ولكن للفائدة تم تقديم تمهيدٍ مختصرٍ بين يدي الكتاب يشتمل على أربع فقرات هي:

(أ) ترجمة موجزة للمؤلف.

(ب) سبب تأليف الكتاب.

(ج) عرض مجمل لمحتوى الكتاب.

(ح) وصف النسخ المخطوطة وخطوات تحقيق الكتاب.

ولا شك أن هذا الكتاب قد ظهر بحمد الله تعالى في صورة جيدة من التحقيق والضبط وخدمة النص إلى درجة كبيرة تجعل القارىء يحس بالفرق الشاسع بين الكتاب في طبعته القديمة المتداولة، وطبعته الحالية بعد التحقيق.

وقد مر هذا العمل بمراحل من العمل والجد والمثابرة قدمها الباحثون طيلة سنوات إعداد رسائلهم على مدى ثلاثة أعوام لكل منهم. كان للمشرف على الجميع الأستاذ الدكتور عبد السلام محمد عبده، فضل كبير في ذلك بعد الله تعالى.

ولا نملك بعد هذا سوى الدعاء إلى الله تعالى أن يجزي الأستاذ المشرف كل خير، ويجزي خيراً كل من أسهم في هذا العمل العلمي العظيم، بجهدٍ وتوجيه في كلية أصول الدين، ممثلةً بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة. كما نخص بالشكر أصحاب الفضيلة الأساتذة الذين شرفونا بمناقشة البحوث وتفضلوا بتوجيه الباحثين.

ونأمل أن نكون بإخراج هذا الكتاب للناس قد قدمنا خدمة للإسلام والمسلمين. والله حسبنا ونعم الوكيل وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المحققون:

د. علي بن حسن بن ناصر،

د. عبد العزيز بن إبراهيم العسكر،

د. حمدان بن محمد الحمدان

القسم الأول
مختصر الدراسة

* ترجمة موجزة للشيخ المؤلف.
* وفاته وشيء من ثناء الناس له.
* سبب تأليف الكتاب.
* عرض مجمل لمحتوى الكتاب.
* وصف النسخ المخطوطة وخطوات تحقيق الكتاب.



ترجمة موجزة للشيخ المؤلف

*** اسمه ونسبه:**

هو تقي الدين، أبو العباس، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن الخضر بن محمد بن تيمية الحراني ثم الدمشقي، الإمام الفقيه، المجتهد المحدث، الحافظ المفسر، الأصولي الزاهد الناقد، نادرة العصر، ذو التصانيف والذكاء والحافظة المفرطة، شيخ الإسلام وعلم الأعلام.

والده: هو العالم المفتي شهاب الدين عبد الحليم.

وجده: هو الإمام شيخ الإسلام مجد الدين أبو البركات مؤلف كتاب (الأحكام).

وتيمية: لقب جده الأعلى. أما سبب هذا اللقب فقد نقل ابن عبد الهادي، عن ابن النجار قال: «ذكر لنا أن جده محمداً كانت أمه تسمى (تيمية) وكانت واعظة، فنسب إليها، وعرف بها»[1]، قلت: وهذا أمر مألوف جداً، وخاصة عندما تدعو الحاجة إلى ذلك. من تشابه الأسماء وتشابك الأعلام، فإن الناس يكونون في أمس الحاجة إلى ما يُقَرِّب الشخص إلى أذهانهم فتتصوره بسرعة، وتأمن من اختلاطه بغيره، وأبرز شاهد على ذلك محمد ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، حيث يسمى: محمد بن الحنفية.

أما أرومة الشيخ فهي عربية نِمْرية، كما نقل ذلك الشيخ زهير الشاويش عن

---

(١) العقود الدّرية، في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية: ص ٢، للشيخ محمد بن أحمد بن عبد الهادي ـ ٧٤٤هـ ت: محمد حامد الفقي، مطبعة حجازي بالقاهرة ١٣٥٦هـ = ١٩٣٨م.

شيخه محمد بن مانع، قوله: ... إنه عربي نُميري، وذلك مذكور في مصورة (شرح بديعة البيان) لابن ناصر الدين، وبخطه عند ترجمة جده في الصفحة (٤١٠) وعند ترجمته في الصفحة (٤٢٤)[١].

* مولده ونشأته:

ولد ــ رحمه الله ــ بحران، يوم الاثنين، العاشر، وقيل: الثاني عشر، من شهر ربيع الأول سنة ٦٦١هـ وبعد ست سنين اضطرت عائلته إلى الرحيل عن حران، بسبب جور التتار، وكاد العدو أن يدركهم، لولا لطف الله بهم واستغاثتهم به ــ سبحانه ــ وقد كانوا يحملون كتبهم على عجلة لعدم وجود الدواب[٢]، ثم قدموا دمشق سنة ٦٦٧هـ .

وقد نشأ في جو من الصفاء والطهارة والعفاف والتنسك، وفي اقتصاد في الملبس والمأكل، وكان يحضر المدارس والمحافل في صغره، ويناظر ويفحم الكبار ويأتي بما يتحير معه أعيان البلد في العلم، فأفتى وله ١٩ سنة أو أقل، وبدأ في الكتابة والتأليف من ذلك الحين، ثم مات والده، وكان من كبار الحنابلة وأئمتهم، فدرَّس بعده بوظائفه وله ٢١ سنة، واشتهر أمره وذاع صيته في العالم. ثم انتهت إليه الإمامة في العلم والعمل، والزهد والورع، والشجاعة والكرم، والتواضع والحلم، والإنابة والجلالة والمهابة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وسائر أنواع الجهاد، مع الصدق والعفة والصيانة، وحسن القصد والإخلاص، والابتهال إلى الله وكثرة الخوف منه والمراقبة له، وشدة التمسك بالأثر، والدعاء إلى الله وحسن الأخلاق، ونفع الناس والإحسان إليهم، والصبر على من آذاه، والصفح عنه، والدعاء له، واجتمع له سائر أنواع الخير.

---

(١) شرح حديث النزول، ترجمة المؤلف لزهير الشاويش: ص ٦، هامش ١، ط ٣، المكتب الإسلامي، دمشق ١٣٨١هـ = ١٩٦١م.

(٢) لم يثنهم جو الرعب والخوف عن حمل الكتب على عربة تدفع باليد!

* شيوخه وتلامذته :

سمع من الشيخ زين الدين أحمد بن عبد الدائم بن نعمة المقدسي.
وسمع من ابن أبـي اليسر.
والكمال بن عبد.
والشيخ شمس الدين الحنبلي.
والقاضي شمس الدين بن عطاء الحنفي.
والشيخ جمال الدين بن الصيرفي.
ومجد الدين بن عساكر.
والنجيب بن المقداد.
وابن أبـي الخير.
وابن علان.
وأبـي بكر الهروي.
والكمال عبد الرحيم.
وفخر الدين بن البخاري.
وابن شيبان.
والشرف بن القواس.
وزينب بنت مكي.
وغيرهم كثير، ينوفون على مائتي شيخ، منهم ابن عبد القوي.

أما تلاميذه فمنهم:
محمد بن أبـي بكر بن قيم الجوزية.
ومحمد بن شاكر الكُتْبـي.
ومحمد بن أحمد الذهبـي.
ومحمد بن أحمد بن عبد الهادي.
وإسماعيل بن عمر بن كثير.
وعمر بن علي البزار.

وأحمد بن الحسين بن عبد الله بن قدامة.

وسليمان بن عبد القوي الطوفي الصرصري البغدادي.

وعمر بن مظفر الوردي المصري الحلبي.

وعمر بن سعد الله الحراني.

ومحمد بن مفلح المقدسي.

ومحمد بن المنجا التنوخي الدمشقي. وغيرهم.

*** جهاده ومناقبه:**

العلم وراثة النبوة، والنبوة وحي وعمل لإنفاذ هذا الوحي وتطبيقه، ولكن العلماء ــ أحياناً ــ يحسن مَنْ حولهم بأنهم ملكوا العلم، فمتى شاءوا سمحوا له بالتأثير في سلوكهم وسلوك غيرهم، أو حجبوه وحبسوه داخل صدورهم وقراطيسهم، فهؤلاء يزيد حظهم من إرث النبوة ويقل بمقدار استفادتهم وإفادتهم من علمهم أو عدمها. وهناك قلة من العلماء الربانيين هم الذين ملكهم العلم فلم يُبقِ لهم من أهوائهم ورغباتهم شيئاً، فكانوا ــ بحق ــ وارثي نبوة، وحملة رسالة، وهذا ما ينطبق على الشيخ المترجَم، حيث لم يترك طريقاً ينفع أمة الإسلام إلاّ سلكه، ولم يدع ضرراً واقعاً تعاني منه، أو محتملاً يهددها، إلاَّ بذل قصارى جهده، ونهاية قوتة في مقاومته ودفعه، فلقد نفع أمته بالعلم، وفي مقدمته علوم الوحي حيث تفقَّه وتعلَّم وأتقن، ثم نفعها بالتعليم ونشر الفقه بمعناه الشامل بين المسلمين بل وغيرهم، كما قال ابن الزملكاني: «كان إذا سئل عن فن من العلم ظن الرائي والسامع أنه لا يعرف غير ذلك الفن، وحكم أن أحداً لا يعرف مثله...»[1].

ثم تصدى لأهل الضلال والانحراف من المسلمين وغيرهم، فأخذ يكشف زيفهم، ويرد باطلهم، ويهتك أستارهم، ولا يخاف في الله لومة لائم. بل إنه لم يكتفِ بالقول والكتابة والمناظرة فحسب وإنما حمل السلاح ــ بنفسه ــ لقتالهم، ومقارعتهم بالسيف، كما فعل مع الكسروانيين (النصيرية) وذلك في شمالي الشام.

---

(١) العقود الدرية: ص ٧.

وكان متواضعاً للناس، باذلاً نفسه لهم، لا يزيده علمه إلاَّ تواضعاً واستصغاراً لنفسه ووقوفاً إلى جانب الضعفاء والمساكين، من طلبة العلم ومن عامة المسلمين، وكان قدوة لهم في علمه وعمله وجهاده.

يقول الذهبي: «وأطلق عبارات أحجم عنها الأولون والآخرون وهابوا، وجسر ــ هو ــ عليها، حتى قام عليه خلق من علماء مصر والشام قياماً لا مزيد عليه، وبدَّعوه وناظروه وكابروه، وهو ثابت لا يداهن ولا يحابي، بل يقول الحق المر الذي أداه إليه اجتهاده، وحدة ذهنه، وسعة دائرته في السنن والأقوال، مع ما اشتهر عنه من الورع، وكمال الفكرة، وسرعة الإدراك، والخوف من الله، والتعظيم لحرمات الله، فجرى بينه وبينهم حملات حربية، ووقائع شامية ومصرية، وكم من نوبة رموه عن قوس واحدة فينجيه الله».

ويعلل الذهبي سر قوته وسبب صموده وثباته بقوله: «فإنه دائم الابتهال، كثير الاستغاثة، قوي التوكل ثابت الجأش، له أوراد وأذكار يُدْمِنُها بكيفية وَجَعِيَّة»[1].

ثم يذكر أن مقابل هؤلاء الذين ناصبوه وآذوه جمهور عريض من أنصاره ومحبيه فيقول: «وله من الطرف الآخر محبون من العلماء والصلحاء، ومن الجند والأمراء، ومن التجار والكبراء، وسائر العامة تحبه، لأنه منتصب لنفعهم ليلاً ونهاراً، بلسانه وقلمه»[2].

ثم ذكر جهاده بنفسه وعلمه ولسانه، عندما واجه الملك (غازان) المغولي، واجتمع به مرتين، وكذلك ما فعله مع (قطلوشاه) و(ببولاي)، وأن (قبجق) كان يتعجب من جرأته على المغول.

ثم ذكر ما فعله سنة ٧٠٠هـ لما أراد التتار غزو دمشق، حيث انطلق من دمشق إلى مصر في سبعة أيام على البريد، حيث اجتمع بالملك الناصر وأركان الدولة فاستصرخ بهم، وحضَّهم على الجهاد، وتلا عليهم الآيات والأحاديث،

---

(١) أي أنه يكون في حالة حزن وتضرع وتذلل.

(٢) العقود الدرية: ص ١١٧ ــ ١١٨.

وأخبرهم بما أعد الله للمجاهدين من الثواب، فاستفاقوا، وقويت هممهم. فكان ذلك من أهم الأسباب في حماية دمشق من إفساد المغول ودمارهم، حيث انتصر عليهم المسلمون وقهروهم في معركة (شقحب) سنة ٧٠٢هـ[١] .

* آثاره العلمية :

لقد كان شيخ الإسلام ــ رحمه الله ــ غزير الإنتاج وافر العطاء في شتى صنوف المعرفة، المتعلقة مباشرة أو غير مباشرة بعلوم الوحي، والتي كانت إما مؤلفات مستقلة، أو دفاعاً وحماية لعقيدة الإسلام وملته، أو أجوبة على مسائل تورد إليه.

وقد قُدرت أعماله الكاملة في التأليف من ثلاثمائة مجلد إلى خمسمائة مجلد، وقد ذكر ابن شاكر كثيراً من هذه الكتب مرتبة حسب موضوعها، من كتب التفسير إلى كتب الأصول، إلى كتب أصول الفقه ثم الكتب الشتى في أنواع شتى، ومن المناسب هنا أن نورد ما ذكره من كتب الأصول (أي العقيدة) حيث ذكر ابن شاكر:

١ ــ الاعتراضات المصرية على الفتوى الحموية. أربع مجلدات.
٢ ــ ما أملاه في الجُبّ، رداً على تأسيس التقديس.
٣ ــ شرح أول المُحَصّل. مجلد.
٤ ــ شرح بضع عشرة مسألة من الأربعين للفخر الرازي.
٥ ــ درء تعارض العقل والنقل. أربع مجلدات.
٦ ــ جواب ما أورده كمال الدين ابن الشربيني. مجلد.
٧ ــ الجواب الصحيح، رد على النصارى، ثلاث مجلدات.
٨ ــ منهاج الاستقامة.
٩ ــ شرح عقيدة الأصفهاني. مجلد.

---

(١) انظر رسالة الشيخ ــ يرحمه الله ــ في هذا الشأن والتي أوردها بطولها ابن عبد الهادي، من ص ١٢٠ إلى ١٧٥ من العقود الدرية.

١٠ ـ شرح أول كتاب الغزنوي في أصول الدين. مجلد.
١١ ـ الرد على المنطق. مجلد.
١٢ ـ رد آخر لطيف.
١٣ ـ الرد على الفلاسفة. أربع مجلدات.
١٤ ـ قاعدة في القضايا الوهمية.
١٥ ـ قاعدة في تناهي ما لا يتناهى.
١٦ ـ جواب الرسالة الصفدية.
١٧ ـ جواب في نقض قول الفلاسفة: أن معجزات الأنبياء ـ عليهم السلام ـ قوى نفسانية. مجلد كبير.
١٨ ـ إثبات المعاد والرد على ابن سينا.
١٩ ـ شرح رسالة ابن عبدوس في كلام الإمام أحمد في الأصول.
٢٠ ـ ثبوت النبوات عقلاً ونقلاً والمعجزات والكرامات. مجلدان.
٢١ ـ قاعدة في الكليات. مجلد لطيف.
٢٢ ـ الرسالة القبرصية.
٢٣ ـ رسالة إلى أهل طبرستان وجيلان في خلق الروح والنور.
٢٤ ـ الرسالة البعلبكية.
٢٥ ـ الرسالة الأزهرية.
٢٦ ـ القادرية.
٢٧ ـ البغدادية.
٢٨ ـ أجوبة الشكل والنقط.
٢٩ ـ إبطال الكلام النفساني (أبطله من نحو ثمانين وجهاً).
٣٠ ـ جواب من حلف بالطلاق الثلاث أن القرآن حرف وصوت.
٣١ ـ إثبات الصفات والعلو والاستواء. مجلدان.
٣٢ ـ المراكشية.
٣٣ ـ صفات الكمال والضابط فيها.
٣٤ ـ جواب في الاستواء، وإبطال تأويله بالاستيلاء.

٣٥ ـ جواب من قال: لا يمكن الجمع بين إثبات الصفات على ظاهرها مع نفي التشبيه.
٣٦ ـ أجوبة كون العرش والسمٰوات كُرِّيَّة، وسبب قصد القلوب جهة العلو.
٣٧ ـ جواب كون الشيء في جهة العلو، مع أنه ليس بجوهر أو عرض معقول أو مستحيل.
٣٨ ـ جواب: هل الاستواء والنزول حقيقة؟ وهل لازم المذهب مذهب، سماه الأربلية.
٣٩ ـ مسألة النزول، واختلاف وقته باختلاف البلدان والمطالع. مجلد لطيف.
٤٠ ـ شرح حديث النزول. مجلد كبير.
٤١ ـ بيان حل إشكال ابن حزم الوارد على الحديث.
٤٢ ـ قاعدة في قرب الرب من عابديه وداعيه. مجلد.
٤٣ ـ الكلام على نقض المرشدة.
٤٤ ـ المسائل الاسكندرية في الرد على الاتحادية والحلولية.
٤٥ ـ ما تضمنه فصوص الحكم.
٤٦ ـ جواب في لقاء الله.
٤٧ ـ جواب رؤية النساء ربهم في الجنة.
٤٨ ـ الرسالة المدنية في إثبات الصفات النقلية.
٤٩ ـ الهلاوونية.
٥٠ ـ جواب ورد على لسان ملك التتار. مجلد.
٥١ ـ قواعد في إثبات القدر، والرد على القدرية والجبرية. مجلد.
٥٢ ـ رد على الروافض في الإمامة: علي (ابن مطهر).
٥٣ ـ جواب في حسن إرادة الله ـ تعالى ـ لخلق الخلق، وإنشاء الأنام لعلة أم لغير علة؟
٥٤ ـ شرح حديث: «. . . فحج آدم موسى».
٥٥ ـ تنبيه الرجل الفاضل على تمويه المجادل. مجلد.
٥٦ ـ تناسي الشدائد، في اختلاف العقائد. مجلد.

٥٧ ـ كتاب الإيمان. مجلد.
٥٨ ـ شرح حديث جبريل في حديث الإيمان والإسلام. مجلد.
٥٩ ـ عصمة الأنبياء ـ عليهم السلام ـ فيما يبلغونه.
٦٠ ـ مسألة في العقل والروح.
٦١ ـ مسألة في المقربين: هل يسألهم منكر ونكير.
٦٢ ـ مسألة: هل يعذب الجسد على الروح في القبر.
٦٣ ـ الرد على أهل الكسروان. مجلدان.
٦٤ ـ في فضل أبي بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ على غيرهما.
٦٥ ـ قاعدة في فضل معاوية، وفي فضل ابنه يزيد: لا يسب.
٦٦ ـ في تفضيل صالحي الناس على سائر الأجناس.
٦٧ ـ مختصر في كفر النصيرية.
٦٨ ـ في جواز قتال الرافضة (كراسة).
٦٩ ـ في بقاء الجنة والنار وفي فنائهما، رد على السبكي[1].

وأخيراً هذا نموذج من رواية شيخ الإسلام للحديث:

قال الذهبي: «أخبرنا أحمد بن عبد الحليم الحافظ غير مرة، ومحمد بن

---

(١) فوات الوفيات: ١/٧٦ ـ ٧٧.

* ذكر زهير الشاويش أن في رسالة ابن القيم ما يقرب من ثلاثمائة وخمسين كتاباً ورسالة وقاعدة، ثم ظهر أن لشيخ الإسلام كتباً ورسائل لم يرد لها ذكر في رسالة ابن القيم (مؤلفات شيخ الإسلام). انظر ترجمة شيخ الإسلام: ص ٢٨، هامش ١، لمحمد كرد علي، تعليق: زهير الشاويش.

* نقل المنجد عن الصفدي في كتابه المخطوط (أعيان العصر) قوله: «وضَيَّع الزمان في رده على النصارى والرافضة، ومن عاند الدين أو ناقضه، ولو تصدى لشرح البخاري أو لتفسير القرآن العظيم لقلد أعناق أهل العلم بدر كلامه النظيم». ويمكن أن يقال للصفدي: لعل عذر الشيخ في ذلك وأكرم به من عذر، أنه كان رجل علم ودعوة وهداية، ولم تكن الناحية العلمية (الأكاديمية) هي الغالبة، إذاً لفعل هذا وأكثر. انظر شيخ الإسلام للمنجد: ص ٤٩.

أحمد بن عثمان، وابن فرح، وابن أبـي الفتح وخلق.

قالوا: أنا[1] أحمد بن عبد الدائم.

أنا عبد المنعم بن كليب.

(ح)[2] وأنبأنا أحمد بن سلامة.

عن ابن كليب.

أنا علي بن بيان.

أنا محمد بن محمد.

أنا إسماعيل بن الصفار.

ثنا[3] الحسن بن عرفة.

ثنا خلف بن خليفة.

عن حميد الأعرج.

عن عبد الله بن الحارث.

عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قـال: قال لي رسـول الله ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ: «إنك لتنظر إلى الطير في الجنة فتنتهبه[4]، فيخر بين يديك مشوياً»[5].

---

(١) أنا: تعني عند المحدثين أخبرنا. تدريب الراوي: ٢/٨٧.

(٢) هذا الرمز (ح) يستعمل في تحويل الإسناد. المصدر السابق: ٢/٨٨.

(٣) ثنا: رمز لكلمة حدثنا. المصدر السابق: ٢/٨٧.

(٤) هكذا (تنتهبه) من النهب وهو الغنيمة، أو من الانتهاب: وهو أن يأخذهـا من شاء. مختـار: ص ٦٨١.

(٥) تذكرة الحفاظ: ٤/١٤٩٧ (١١٧٥).

الصفحة الأخيرة من رسالة كلها بخط «ابن تيمية» محفوظة في مخطوطات الشيخ عبد القادر المغربي، في دمشق.

(نموذج من خط الشيخ المؤلف ــ رحمه الله ــ نقلاً عن الأعلام للزركلي: ١/١٤٣)

وفاته وشيء من ثناء الناس عليه

نقل ابن كثير عن علم الدين البرزالي قوله في تاريخه: «وفي ليلة الاثنين، العشرين من ذي القعدة (أي في سنة ثمان وعشرين وسبعمائة هجرية)، توفي الشيخ... أحمد... ابن تيمية الحراني ثم الدمشقي، بقلعة دمشق، بالقاعة التي كان محبوساً بها، وحضر جمع كثير إلى القلعة، وأُذن لهم في الدخول عليه، ... فلما فُرغ من غسله أُخرج، ثم اجتمع الخلق بالقلعة والطريق إلى الجامع، وامتلأ الجامع ــ أيضاً ــ وصحنه والكلاسة، وباب البريد وباب الساعات إلى باب اللبادين والغوارة، وحضرت الجنازة الساعة الرابعة من النهار أو نحو ذلك، ووضعت في الجامع، والجند قد احتاطوا بها يحفظونها من الناس من شدة الزحام، وصلّى عليه أولاً بالقلعة، تقدم في الصلاة عليه أولاً الشيخ محمد بن تمام، ثم صُلي عليه بالجامع الأموي عقيب صلاة الظهر، وقد تضاعف اجتماع الناس، على ما تقدم ذكره، ثم تزايد الجمع إلى أن ضاقت الرحاب والأزقة والأسواق بأهلها ومن فيها، ثم حُمل بعد أن صُلي عليه على الرؤوس والأصابع، وخرج النعش به من باب البريد واشتد الزحام، وعلت الأصوات بالبكاء والنحيب، والترحم عليه والثناء، والدعاء له، وألقى الناس على نعشه، مناديلهم وعمائهم وثيابهم[1]. وذهبت النعال

---

(١) الظاهر أن هذا العمل لأجل التبرك بملامسة المنديل أو العمامة أو الثوب للنعش، وهذا أمر خاص برسول الله ــ صلّى الله عليه وسلم ــ أعني التبرك بآثاره الطاهرة، أما غيره ــ عليه السلام ــ فلا ينبغي التبرك بشيء من ذلك منهم، حيث أنه مخالف لهدي الصحابة ــ رضي الله عنهم ــ حيث لم يؤثر عنهم أنهم تبركوا بأحد غيره ــ عليه السلام ــ فلم يتبركوا بأبي بكر ولا بعمر ولا عثمان ولا علي ولا العباس ولا غيرهم، ولو كان مشروعاً لما أهملوه.
راجع التوصل إلى حقيقة التوسل المشروع والممنوع: ص ١٩٨ ــ ٣٤٢، لمحمد نسيب الرفاعي، ط ٣، دار لبنان، بيروت ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م.

من أرجل الناس وقباقيبهم، ومناديل وعمائم لا يلتفتون إليها لشغلهم بالنظر إلى الجنازة، وصار النعش على الرؤوس، تارة يتقدم، وتارة يتأخر، وتارة يقف حتى تمر الناس، وخرج الناس من الجامع من أبوابه كلها، وهي شديدة الزحام، كل باب أشد زحمة من الآخر، ثم خرج الناس من أبواب البلد جميعها من شدة الزحام فيها... وعظم الأمر بسوق الخيل وتضاعف وكثر الناس، ووضعت الجنازة هناك، وتقدم للصلاة عليه أخوه (زين الدين، عبد الرحمن)، فلما قضيت الصلاة حمل إلى مقبرة الصوفية، فدفن إلى جانب أخيه (شرف الدين، عبد الله) ـ رحمهما الله تعالى ـ وكان دفنه قبل العصر بيسير...»[1].

وقد قُدر الذين حضروا جنازته بأنهم أكثر من خمسمائة ألف (نصف مليون) وقيل: لم يُسمع في جنازة بمثل هذا الجمع إلاَّ في جنازة الإمام أحمد بن حنبل[2].

أما ثناء الناس عليه فإنني هنا أكتفي بأربعة من الأبيات الستة التي قالها فيه أبو حيان ـ صاحب تفسير البحر المحيط، ـ رحمه الله تعالى ـ عندما التقى به، والتي قالها على البديهة، وذكر ابن رجب قولهم: إن أبا حيان لم يقل أبياتاً خيراً منها ولا أفحل[3]:

لما أتانا تقي الدين لاح لنا	داعٍ إلى الله فرد ماله وَزَر
علي محياه من سيما الألى صحبوا	خير البرية نور دونه القمر
حَبْرٌ تسربل منه دهره حِبَراً	بَحْرٌ تقاذف من أمواجه الدرر

(١) البداية والنهاية: ١٣٥/٤، ١٣٦. وقد ذكر ابن كثير هنا نقلاً عن البرزالي أنه لم يتخلف عن جنازة شيخ الإسلام سوى ثلاثة هم: ابن جملة، والصدر، والقفجاري، وذلك خوفاً على أنفسهم من الهلاك لمعرفة الناس بمعاداتهم له ـ رحمهم الله جميعاً ـ.

(٢) الشهادة الزكية: ص ٦٦.

(٣) ذيل طبقات الحنابلة: ٣٩٢/٢، لعبد الرحمن بن أحمد البغدادي الحنبلي ٧٩٥هـ، مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة، ١٣٧٢هـ.

قام ابن تيمية في نصر شرعتنا   مقام سيد تَيْمٍ[1] إذ عصت مضر[2]

هذا وإن قبره معروف المكان، إلى يومنا هذا، وبجواره صاحبه الحافظ المِزّي، مؤلف (تهذيب الكمال) وذلك في ساحة كلية الطب، بجامعة دمشق داخل سياج من حديد يحيط بالقبرين، وقد كتب اسم كل واحد منهما على شاخص قبره[3].

وقد ذكر ابن ناصر الدين الدمشقي في كتابه (الرد الوافر) سبعة وثمانين عالماً أثنوا على شيخ الإسلام، وأضفوا عليه الألقاب الفخمة، ونعتوه بالأوصاف الجميلة، والخلال الكريمة، أولهم ابن سيد الناس[4]، وآخرهم الرحبي[5]، وذلك مما

---

(١) سيد تيم: هو أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه وأرضاه ـ.

(٢) الأبيات من بحر البسيط، من شعر أبي حيان: ص ٤٤٧. ت: د. أحمد مطلوب وزميلته، مطبعة العاني، بغداد ١٣٨٦هـ = ١٩٦٦م.

* وقد ذكر محقق كتاب الشهادة الزكية: ص ٦٤، هامش ١، أن الشيخ مرعي أورد فصلاً كبيراً في كتابه الكواكب الدرية (المخطوط): من ص ٣٥ إلى ٤٩ أ، وفيه أحد عشر قصيدة من القصائد الطوال، وانظر ما أورده الشيخ ابن عبد الهادي من الأشعار والقصائد في رثاء الشيخ، في كتابه العقود الدرية: ص ٣٧٣، وما بعدها.

(٣) انظر الكتاب الطريف: العلماء العزاب: ص ١٠٠، هامش ١، للشيخ عبد الفتاح أبي غدة، ط ٢، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م، ولعل هذا من إكرام الله لهذين الرجلين ببقاء قبريهما محترمين معلومين بعد ما يقارب الثمانية قرون، مثلما أن قبر شيخ الإسلام مجدد القرن الثاني عشر الإمام محمد بن عبد الوهاب التميمي ـ ١٢٠٦هـ موجود معروف بمقبرة قريوة بالدرعية. ـ رحمه الله ـ ويستطيع من أراد زيارته أن يتعرف عليه عن طريق أعيان بلدة الدرعية.

(٤) ابن سيد الناس: هو محمد بن محمد بن محمد، الشيخ الإمام العالم الحافظ المحدث. فتح الدين اليعمري، له كتاب: (عيون الأثر، في فنون المغازي والشمائل والسير)، توفي سنة ٧٣٤هـ، فوات الوفيات: ٣/٢٨٧ ـ ٢٩٢، دار صادر، بيروت.

(٥) هو أبو بكر بن قاسم بن أبي بكر الكناني، الشيخ العالم المحدث زين الدين، توفي سنة ٧٤٩هـ، ذيل تذكرة الحفاظ: ص ١٢٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

سمعه من كلامهم، أو نقل إليه، أو وجده بخطوطهم.

كما أورد الشيخ مرعي الكرمي في كتابه (الشهادة الزكية، في ثناء الأئمة على ابن تيمية) سبعة عشر عالماً أثنوا على شيخ الإسلام، وقدروه قدره، آخرهم الشيخ قاسم بن قلطوبغا بن عبد الله. المصري الحنفي[1].

---

(۱) الشيخ قاسم: هو الزين، وربما لقب الشرف، أبو العدل السودوني، ولد سنة ۸۰۲هـ بالقاهرة، وأخذ الكثير من العلوم عن كثيرين وأقبل على التأليف وأكثر منه، له كتاب (شرح منظومة ابن الجزري) و(إتحاف الأحياء بما فات من تخريج الإحياء)، مات سنة ۸۷۹هـ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: ٦/١٨٤ ـ ١٩٠، لمحمد السخاوي: ص ۹۰۲هـ، دار مكتبة الحياة، بيروت.

* يراجع في ترجمة شيخ الإسلام المصادر التالية:

١ ـ العقود الدرية، من مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية، لمحمد بن عبد الهادي: ص ٧٤٤هـ.

٢ ـ البداية والنهاية لابن كثير: ١٤/١٣٥ وما بعدها.

٣ ـ الكواكب الدرية، في مناقب المجتهد ابن تيمية، لمرعي بن يوسف الحنبلي ـ ١٠٣٣هـ، طبع مع الرد الوافر في مصر سنة ١٣٢٩هـ، ومنه نسخة خطية في لاندبيرج برقم (٢٤٣)[1].

٤ ـ ذيل طبقات الحنابلة: ٢/٣٨٧ ـ ٤٠٨، لعبد الرحمن بن أحمد الحنبلي ٧٩٥هـ ت: حامد الفقي، مطبعة السنّة المحمدية بالقاهرة ١٣٧٢هـ..

٥ ـ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: ١/١٥٤ ـ ١٧٠، لأحمد بن حجر العسقلاني ـ ٨٥٢هـ ت: محمد جاد الحق، دار الكتب الحديثة، القاهرة.

٦ ـ تاريخ ابن الوردي المسمى (تتمة المختصر في أخبار البشر): ٢/٤٠٦ ـ ٤١٣، المطبعة الحيدرية بالنجف ١٩٦٩م.

٧ ـ الوافي بالوفيات: ٧/١٥ ـ ٣٣، للصفدي. نشر هلموت ريتر، ط ٢، ١٣٨١هـ.

٨ ـ دول الإسلام للذهبي: ٢/١٨٠، دائرة المعارف العثمانية بالهند ١٣٦٥هـ.

٩ ـ بيان زَغَل العلم والطلب للذهبي: ص ١٧ ـ ١٨، نشر القدسي، دمشق ١٣٤٧هـ. =

....

(۱) ذكر ذلك الأستاذ: نجم عبد الرحمن خلف، في فهرس مراجع تحقيقه لكتاب الشهادة الزكية: ١٠٢.

. . . .

=

١٠ ـ النصيحة الذهبية، بذيل بيان زغل العلم والطلب.

١١ ـ ذيل العبر: ص ١٥٧ ـ ١٥٨، سلسلة التراث العربي، الكويت.

١٢ ـ تذكرة الحفاظ للذهبي: ٤/١٤٩٦.

١٣ ـ معجم الشيوخ للذهبي.

١٤ ـ فوات الوفيات، لابن شاكر: ٧/١٥ ـ ٣٣.

١٥ ـ نهاية الأدب للنويري.

١٦ ـ مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، لأحمد بن فضل الله العمري.

١٧ ـ القول الجلي في ترجمة الشيخ ابن تيمية الحنبلي، لصفي الدين الحنفي البخاري.

١٨ ـ السلوك للمقريزي: ٢/٢٧٣ و ٣٠٤.

١٩ ـ مرآة الجنان لليافعي: ٤/٢٧٧، ٢٧٨.

٢٠ ـ أعيان العصر للصفدي (مخطوط) وهو موجود في (أمانة خزينة برقم ١٢١٤) بتركيا[١].

٢١ ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: ٩/٢٧١، لابن تغري بردي ـ ٨٧٤هـ مصورة عن طبعة دار الكتب، المؤسسة المصرية، القاهرة.

٢٢ ـ محنة شيخ الإسلام: ص ٣ ـ ٣٣، ضمن مجموعة علمية لشيخ الإسلام نفسه ـ ت: حامد الفقي، مطبعة السنَّة المحمدية، القاهرة ١٣٧٢هـ = ١٩٥٣م.

٢٣ ـ الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية، لعمر بن علي البزار ـ ٧٤٩هـ، ت: زهير الشاويش، ط ٢، المكتب الإسلامي، بيروت ـ دمشق ١٣٩٦هـ.

٢٤ ـ الأعلام العلية (طبعة أخرى) ت: الشيخ إسماعيل الأنصاري، مطابع القصيم ١٣٩٠هـ.

٢٥ ـ الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية، للشيخ مرعي الكرمي الحنبلي (مؤلف الكواكب الدرية) ـ ١٠٣٣هـ، ت: نجم عبد الرحمن خلف، ط ٢، مؤسسة الرسالة ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م.

٢٦ ـ الرد الوافر، على من زعم بأن من سمى ابن تيمية (شيخ الإسلام) كافر، لمحمد بن أبي بكر بن ناصر الدين الدمشقي ـ ٨٤٢هـ، ت: زهير الشاويش، ط ١، المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ دمشق ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م.

=

. . . .

(١) ذكر ذلك المنجد في كتابه (شيخ الإسلام. . .) ص ٥١، ط ١، دار الكتاب الجديد، بيروت.

٢٧ ـ درة الأسلاك في دولة الأتراك (مخطوط)[1].
٢٨ ـ طبقات المفسرين: ص ٤٥، للداودي ـ ٩٤٥هـ مكتبة وهبة، القاهرة.
٢٩ ـ شذرات الذهب: ٦/٨٠ ـ ٨٢.
٣٠ ـ المنهل الصافي: ص ٣٣٦، لابن تغري بردي.
٣١ ـ الدارس: ١/٧٥ ـ ٧٧، للنعيمي.
٣٢ ـ أسماء مؤلفات ابن تيمية لابن القيم.
٣٣ ـ الزيارات للعدوي.
٣٤ ـ البدر الطالع: ١/٦٣، للشوكاني.
٣٥ ـ طبقات الحفاظ: ص ٥٢٠ ـ ٥٢١ (١١٤٢) للسيوطي ـ ٩١١هـ، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م.
٣٦ ـ المعين في طبقات المحدثين: ص ٢٣٧ للذهبي ـ ٧٤٨هـ، ت: د. همام سعيد، دار الفرقان، ط ١، الأردن، عمان ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م.
٣٧ ـ محنة شيخ الإسلام للذهبي.
٣٨ ـ المنهج الأحمد للعليمي.
٣٩ ـ كشف الظنون، عن أسامي الكتب والفنون: ١/١٣٥.
٤٠ ـ إيضاح المكنون: ١/٢٣ ـ ٢٥؛ و٢/٥٨؛ و١٥٨٧.
٤١ ـ الحمية الإسلامية في مذهب ابن تيمية، للشيخ يوسف بن محمد السرمري.
٤٢ ـ جلاء العينين في محاكمة الأحمدين للسيد نعمان خير الدين الشهير بابن الألوسي البغدادي ـ ١٣١٧هـ (ابن الألوسي المفسر صاحب روح المعاني)، دار الكتب العلمية، بيروت.
٤٣ ـ البدر الطالع: ١/٦٣ ـ ٧٣، للشوكاني.
٤٤ ـ الإعلان بالتوبيخ، لمن ذم التاريخ: ص ٤٧٨، ٤٧٩، عبد الرحمن السخاوي ـ ٩٠٢هـ، مطبعة الترقي، دمشق، ١٣٤٩هـ.

أما الكتب والرسائل المتأخرة التي ترجمت لشيخ الإسلام أو ضمت شيئاً منها فأُورد منها ما يلي:

(١) وهو موجود بمكتبة أحمد الثالث بإستانبول برقم ٣١١. وهو بخط مؤلفه: ابن حبيب. ذكره المنجد في كتابه (شيخ الإسلام...).

. . . .

=

١ ـ ابن تيمية: حياته وعصره، آراؤه وفقهه لمحمد أبي زهرة ـ ١٤٠٠هـ تقريباً، ط ١، دار الفكر العربي.
٢ ـ شيخ الإسلام ابن تيمية: سيرته وأخباره عند المؤرخين. د. صلاح الدين المنجد، ط ١، دار الكتاب الجديد، بيروت.
٣ ـ حياة شيخ الإسلام ابن تيمية للشيخ محمد بهجت البيطار، ط ٢، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت.
٤ ـ الإمام ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل، لمحمد السيد الجلينـد، دار الكتب الحديثة، القاهرة.
٥ ـ شيخ الإسلام ابن تيمية إمام السيف والقلم، لسعد صادق محمد، دار اللواء بالرياض، ط ١، ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م.
٦ ـ إشارات لطيفة لابن تيمية، لمحمد العبدة، ط ١، دار الثقافة للجميع، دمشق ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م.
٧ ـ الأعلام للزركلي: ١/١٤٤، ط ٥، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٠م.
٨ ـ العلماء العزاب: ص ٩٩ ـ ١١٢، لعبد الفتاح أبي غدة، ط ٢، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب ـ بيروت ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م.
٩ ـ معجم المؤلفين: ١/٢٦١، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
١٠ ـ نوابع الفكر الإسلامي، لأنور الجندي: ص ٣٠٩ ـ ٣٥٦، ط ١، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٧٢م.
١١ ـ المجددون في الإسلام: ص ٢٦٢ ـ ٢٦٦، لعبد المتعال الصعيدي.
١٢ ـ ابن تيمية، د. محمد يوسف موسى، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة ١٩٧٧م.
١٣ ـ منادمة الماضي، لأحمد رمزي.
١٤ ـ بيني وبين الشيخ حامد الفقي، لأحمد محمد شاكر، دار المعارف بمصر ١٣٧٤هـ = ١٩٥٥م.
١٥ ـ ابن تيمية بطل الإصلاح الديني، لمحمود مهدي الإستانبولي، دار الخياط للطباعة والنشر، دمشق.
١٦ ـ مقدمة د. محمد رشاد سالم لمنهاج السنّة النبوية. طبع سنة ١٣٨٢هـ.
١٧ ـ الإمام ابن تيمية، لعبد السلام هاشم حافظ، ط ١، شركة مصطفى الحلبي بمصر، ١٣٨٩هـ = ١٩٦٩م[1].

=

. . . .

(١) ذكر حافظ في كتابه هذا: ص ١٧٠، أن ابن خلكان ممن ترجم لابن تيمية وهو وَهْم من الكاتب،

= ۱۸ ــ ترجمة شيخ الإسلام لمحمد كرد علي، ط ۲، المكتب الإسلامي دمشق ١٣٩١هـ وهي مُسْتَلَّة من كتابه: كنوز الأجداد.

۱۹ ــ ابن تيمية وفكره السياسي لقمر الدين خان، ترجمة وتعليق د. أحمد البغدادي، ط ١، مكتبة الفلاح، الكويت ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م.

۲۰ ــ ابن تيمية والتصوف، د. مصطفى حلمي، دار الدعوة، الإسكندرية.

۲۱ ــ نظريات شيخ الإسلام ابن تيمية في السياسة والاجتماع، للمستشرق الفرنسي هنري لاووست، ترجمة محمد عبد العظيم علي، تقديم وتعليق د. مصطفى حلمي، دار الأنصار، القاهرة.

۲۲ ــ ابن القيم من آثاره العلمية، لأحمد البقري: ١١٥ ــ ١٥٨ مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ١٣٩٧هـ = ١٩٧٧م.

۲۳ ــ ابن تيمية، لعبد العزيز المراغي، دار إحياء الكتب العربية.

٢٤ ــ ابن تيمية السلفي، لمحمد خليل هراس، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م.

٢٥ ــ ابن تيمية وجهوده في التفسير، لإبراهيم بركة، ط ١، المكتب الإسلامي، دمشق ــ بيروت ١٤٠٥هـ = ١٩٨٤م.

٢٦ ــ ابن تيمية المفترى عليه، لسليم الهلالي، ط ١، المكتبة الإسلامية، عمان، ١٤٠٥هـ.

۲۷ ــ العقل ومجاله عند ابن تيمية، لمحمد دكروري.

۲۸ ــ الدولة عند ابن تيمية، لمحمد المبارك.

۲۹ ــ ابن تيمية: المصلح الاجتماعي، لأحمد الغسيري.

۳۰ ــ منطق ابن تيمية ومنهجه الفكري، لمحمد حسني الزين.

۳۱ ــ النشأة العلمية عند ابن تيمية، لهنري لاووست.

۳۲ ــ معجم طبقات الحفاظ والمفسرين... : ص ٥٣ و ٢١٢، لعبد العزيز السيروان، ط ١، عالم الكتب، بيروت ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م. =

حيث أن ابن خلكان قد توفي سنة ٦٨١هـ، أي أن ابن تيمية كان سِنّه آنذاك ٢٠ سنة فقط، وليس عند ابن خلكان إلَّا ترجمة محمد بن الخضر، جد شيخ الإسلام الأعلى، انظر وفيات الأعيان ٤: ٣٨٦ ــ ٣٨٨.

= ٣٣ ـ عقود الجوهر: ص ١٦٦ ـ ١٨٠، للعظم.

٣٤ ـ ناحية من حياة شيخ الإسلام ابن تيمية، لإبراهيم الغياني.

٣٥ ـ صلح الإخوان، من أهل الإيمان، لداود النقشبندي[1].

بالإضافة إلى عشرات أو مئات الدراسات والمقالات التي صدرت وتصدر من حين لآخر عن شيخ الإسلام ابن تيمية.

• • •

(١) لا ندعي الاطلاع على كل ما ذُكر، من الكتب القديمة والمحدثة المذكورة هنا، وما لم نطلع عليه التقطنا اسمه من كتاب المنجد: ابن تيمية: سيرته وأخباره عند المؤرخين، أو من قائمة مراجع ترجمة كحالة في معجم المؤلفين لشيخ الإسلام، أو من كتاب عبد السلام حافظ: ابن تيمية. أو من نوابغ الفكر الإسلامي، لأنور الجندي، وهي محاولة إحصائية.

سبب تأليف الكتاب

*** السبب المباشر:**

لقد نص الشيخ ــ رحمه الله ــ على سبب مباشر لتأليف هذا الكتاب، وذكر فيه أنه جواب على كتاب ورد من قبرص فيه الاحتجاج لدين النصارى بما يحتج به علماء دينهم من الحجج السمعية والعقلية.

قال الإمام ــ رحمه الله ــ : «فاقتضى أن نذكر من الجواب ما يحصل به فصل الخطاب، وبيان الخطأ من الصواب؛ لينتفع بذلك أولوا الألباب، ويظهر ما بعث الله به رسله من الميزان والكتاب»[1].

قلت: حاولنا البحث جاهدين عن نص الرسالة، فظفرنا ببعضها، ولم نظفر بها كاملة وقد وجدناها ضمن مخطوطات مكتبة المتحف القبطي في كنيسة ماري[2] جرجس بمصر القديمة بالقاهرة برقم (٩٥) والرقم العام (١٢٥٤).

وهذه النسخة الوحيدة الناقصة بها رطوبات وفيها خرم، حتى أن بعض الصفحات غير واضحة على الإطلاق، والموجود منها يقع في ثلاث عشرة ورقة «أي ست وعشرين صفحة» من القطع الصغير وعدد مسطرتها (١٦) سطراً بخط معتاد، وسأصور نموذجاً منها وأرفقه بالكتاب.

وعندما تتبعت النص الذي كان يورده الشيخ ابن تيمية وقارنته بهذه الرسالة

---

(١) انظر: ١/١٩، من أصل الكتاب المطبوع (ط المدني).

(٢) ذكر الدكتور رؤوف حبيب مدير المتحف القبطي سابقاً أنها بنيت في القرن السابع الميلادي حوالي عام (٦٨٤)م بواسطة أحد أثرياء القبط، ثم ذكر وصفاً عنها كاملاً في كتابه الموجز التاريخي عن الكنائس القبطية القديمة بالقاهرة ص ٣٩ ــ ٤٢.

وجدت فيها اختلافاً في الألفاظ، فلعل النسخة التي وردت للشيخ نسخة أخرى، أو لعل الشيخ ذكرها بمعناها، وليس بين النصين اختلاف من حيث المحتوى والمضمون.

والنص الموجود من رسالة النصراني ينتهي رد الشيخ عليه بانتهاء صفحة ٢٠٢ من الجزء الثالث من الكتاب المطبوع، ط (المدني).

والنص من الرسالة يوافق آخره (ص ١٣٩) من الجزء المطبوع، حيث كان آخر الموضوعات اعتراض النصراني على المسلمين بإثباتهم الصفات لله عز وجل، ليجعل من ذلك دليلاً على صحة معتقداتهم في الأقانيم الثلاثة، وانتفاء التجسيم كما انتفى مع وجود الصفات التي يثبتها المسلمون، وقد ناقش الشيخ هذه الدعوى، وأجاب عليها بخمسة عشر وجهاً في ثلاث وستين صفحة.

والكاتب هو بولص الراهب أسقف صيدا الأنطاكي، الذي ولد في أنطاكية، وصار أحد الرهبان فيها، واشتهر بذلك، وكان هذا في حوالي القرن الثاني عشر الميلادي، وفي أخريات حياته عيِّن أسقفاً لصيدا، وقد كان منتمياً للكنيسة الملكية، وكتب عدة رسائل في الدفاع عن عقيدته، وقد ذكر الدكتور مزّمل صديقي[1] أن بولص خوري ــ أحد نصارى لبنان ــ حقق ونشر كثيراً من أعماله ومن بينها هذا الخطاب[2]، ثم ذكر أنه ينسب إليه أربع وعشرون رسالة لكن خوري يعتقد أن خمساً منها فقط هي من عمله.

---

(١) ذكر ذلك في رسالته التي كتبها لنيل درجة الدكتوراة من جامعة هارفارد بأمريكا بعنوان «موقف الإسلام من المسيحية في القرون الوسطى: دراسة تحليلية لآراء الإمام ابن تيمية في المسيحية ص ١٣٥ قدمها سنة ١٩٧٨م، وقد طلبنا منه بالمراسلة نسخة فأرسل لنا جزاه الله خيراً صورة منها، ثم ترجمنا بعض ما ورد فيها، وأفادنا بهذه المعلومة الطيبة عن بولص الأنطاكي نقلاً عن بولص خوري.

(٢) لم نستطع إلى الآن الحصول عليه بتحقيق بولص خوري على الرغم من محاولة ذلك ولكن لبنان في هذا الزمن تعيش فترة حالكة، ومجابهات بالأسلحة بين المسلمين والنصارى وسائر الفرق والأحزاب وكل ذلك تخطّى حدود المواجهة الفكرية والنظرية، وهذا يجعلنا نعي =

وقد اشتملت هذه الرسالة على اعتراضات ودعاوى ضد الإسلام والقرآن الكريم، ونبينا محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ، وهي محاولة من هذا النصراني لحصر رسالة محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وقصرها على العرب وحدهم، ويستشهد لذلك بآيات من القرآن الكريم.

وقد استهل بولص رسالته بالحديث عن نفسه، وذكر أنه قد سافر كثيراً إلى بلاد الفرنجة وروما، وتنقل في أراضي الإمبراطورية البيزنطية، ولأنه صاحب مرتبة عالية (أسقف) فقد تمكَّن من مقابلة رؤساء وعلماء تلك البلاد، ومفاوضتهم، ثم ذكر أنه ألَّف هذه الرسالة بناء على طلب من أحد أصدقائه، وعلى كثرة الأسئلة التي تتردد في الوسط الذي كان يعيشه عن عدم إيمان النصارى بمحمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وغير ذلك.

لذا فقد ركَّز في أول الرسالة على هذه القضية وهي حصر الرسالة بالعرب وحشد لها الأدلة من القرآن الكريم، تاركاً النصوص الأخرى الكثيرة التي تصرح بعموم رسالة محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ، ثم عقب ببيان أن القرآن نفسه مدح المسيح ــ عليه السلام ــ وأمه، والإنجيل، والحواريين، ليأخذ من ذلك دليلاً على صحة ما هم عليه، وأن ذلك المدح مدح لهم ولما هم عليه، وبالتالي فهم على حق ــ بزعمه ــ ولا حاجة في نظره إلى رسالة الإسلام.

ثم هو يزعم أنه ليس من عدل الله أن يطالبهم باتباع إنسان لم يأت إليهم، وأنه لا حاجة لهم باتباع رسول وهم مستغنون بمن أتوا قبله إليهم.

وقد تطرق إلى معتقدات النصارى الرئيسة، فبين أن التثليث، وتناسخ

= حقيقة الأمور، وأنها ليست مجرد كلام، واختلاف في وجهات النظر، وإنما هي حرب عقيدة ومواجهة، وأحقاد دفينة يكنُّها أهل الكتاب: من اليهود والنصارى للمسلمين، والأمر بحاجة إلى مضاعفة الجهود ليحكم دين الإسلام: دين العدل والرحمة والرأفة على جميع البلاد فيعيش الكل في أمن وطمأنينة وسلام كما حصل في القرون الأولى من تاريخ الإسلام والمسلمين.

الأرواح، واتحاد روح القدس مع الصفة البشرية في شخص عيسى ـ عليه السلام ـ كل هذه المعتقدات لا تعارض عقيدة التوحيد في الإسلام، وأن كتب الأنبياء المتقدمين تشهد لما هم عليه من الأقانيم والتثليث والاتحاد، وغير ذلك، وأنه يجب التمسك به، وأن ما هم عليه ثابت بالعقل والشرع، متفق مع الأصول، وأن ما عندهم مما يوهم التعدد كألفاظ الأقانيم إنما هي من جنس ما عند المسلمين من النصوص التي يظهر فيها التشبيه والتجسيم، وأن المسيح ـ عليه السلام ـ جاء بعد موسى ـ عليه السلام ـ بغاية الكمال فلا حاجة إلى شرع آخر. إلى آخر ما جاء في الرسالة، وهذا أهم ما ورد فيها.

*** سبب آخر:**

وعندما تكلم الشيخ محمد أبو زهرة عن الجواب الصحيح في معرض الحديث عن كتب الإمام أضاف سبباً آخر لم ينص عليه المؤلف، وإنما هو استنباط من أبي زهرة ـ رحمه الله ـ نوافقه عليه وهو «رغبة الشيخ في إعلان الإسلام بين النصارى، وبيان حقائقه مقارناً بما عندهم، ليتبين لهم الحق، وبيان حقيقة السيد المسيح ـ عليه السلام ـ ودعوته»(١).

قلت: يؤكد هذه اللفتة الواعية ما عرف عن شيخ الإسلام، وما اشتهر به من الدعوة إلى الله، فهو إمام السيف والقلم، وباعث العزائم والهمم، وداعية الإصلاح والتوجيه، لم يأل جهداً في دعوة الناس على اختلاف مللهم، وتباين سبلهم، وتعدد مشاربهم إلى دين الإسلام، الدين الخالص، والمنهج القويم، وصدق الله العظيم إذ يقول في محكم كتابه:

﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾(٢).

ولقد كان هناك احتكاك بين المسلمين والنصارى، وتحريضات سياسية،

---

(١) انظر كتابه القيم ابن تيمية: حياته وعصره: ص ٥١٥، (ط مطابع الدجوى ـ القاهرة).
(٢) سورة الرعد: الآية ١٩.

وصراع فكري، كل هذه عوامل جعلت الشيخ يجاهد بالقلم والبيان، كما جاهد بالسيف والسنان، ليوضح ما التبس، ويقيم ما اعوج، وينقض الدعاوى الباطلة، وينشر دين الإسلام بين الناس فينعم الجميع بعدله، ويستقر الكل تحت سماحته وفضله.

ولقد أسلم على يديه نفر من أهل الكتاب كما ذكر المترجمون له كالبزار وابن كثير، فقد ذكر البزار[1] ـ رحمه الله ـ وهو من تلاميذه «أن الشيخ ـ رضي الله عنه ـ في حال صغره كان إذا أراد المضي إلى المكتب يعترضه يهودي كان منزله بطريقه بمسائل يسأله عنها لما كان يلوح عليه من الذكاء والفطنة، وكان يجيبه عنها سريعاً حتى تعجب منه، ثم إنه صار كلما اجتاز به يخبره بأشياء مما يدل على بطلان ما هو عليه فلم يلبث أن أسلم وحسن إسلامه...»[2].

وذكر ابن كثير أن ديان اليهودي بدمشق (بهاء الدين عبد السيد بن المهذب الطبيب) قد أسلم مع جماعة كبيرة من أهله وأصحابه على يديه سنة ٧٠١هـ»[3].

وقد كان ابن تيمية يفهم الكثير من اللغة العبرية، وسمع التوراة التي بين

---

(١) هو سراج الدين، أبو حفص، عمر بن علي بن موسى البزار، فقيه محدث حافظ، ولد سنة ٦٨٨هـ تقريباً في بغداد، ورحل إلى دمشق والتقى بالإمام ابن تيمية ثم رجع إلى بغداد، ثم تردد على دمشق مرات كثيرة، له مؤلفات متعددة، ذكر المحقق الشيخ زهير الشاويش أنه لم يعثر له حتى الآن على شيء منها سوى رسالته هذه، مات البزار ـ رحمه الله ـ سنة ٧٤٩هـ في رحلته إلى الحج بالطاعون الذي أفنى الكثير من الناس.
انظر مقدمة الأعلام العلية للبزار بتحقيق الشيخ زهير الشاويش: ص ١٢، ١٣، وانظر ترجمة للبزار في الرد الوافر على من زعم بأن من سمّى ابن تيمية شيخ الإسلام كافر لابن ناصر الدين الدمشقي: ص ١٩٥، رقم (٧٥)، بتحقيق زهير الشاويش (ط المكتب الإسلامي)، وذيل طبقات الحنابلة لابن رجب: ٤/٤٤٤ (٥٤٥) (دار المعرفة)، وشذرات الذهب: ٦/١٦٣؛ ومعجم المؤلفين، لعمر كحالة: ٧/٣٠٢.

(٢) انظر الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية: ص ١٩.

(٣) انظر البداية والنهاية: ١٤/١٩، ٧٥.

أيديهم كما كان يعرف اللغة التركية[1].

وهـذه الأمور كلهـا توضـح لنا مـدى اهتمـام ابن تيميـة ـ رحمـه الله ـ بنشـر الإسلام، وحرصـه على دعوة النـاس إليه، ودفـاعه عنـه بما آتـاه الله من علم غزيـر وغيرة على الدين دفعته ليبين أصول الشرائع الربانيـة والكتب المنزلـة، وأنها واحـدة كما ذكر في هذا الكتاب الجواب الصحيح بقوله: «فهـذا دين الأوَّلين والآخرين من الأنبيـاء وأتباعهم هـو دين الإسلام، وهـو عبادة الله وحـده لا شريـك لـه، وعبـادتـه ـ تعـالى ـ في كل زمـان ومكان بـطاعة رسله ـ عليهم السـلام ـ، ثم قال: «ومن فرَّق بين رسله فآمن ببعض وكفر ببعض كان كافراً»[2].

● ● ●

---

(١) انظر نقض المنطق، لابن تيمية: ص ٩٣؛ ومجموع الرسائل الكبرى: ١/١٢٤.

(٢) انظر الجواب الصحيح: ١/١٢، ١٣، (ط المدني).

عرض مجمل لمحتوى الكتاب

بدأ المؤلف ــ رحمه الله ــ كتابه بمقدمة علمية ضافية بيَّن فيها هيمنة القرآن العظيم على ما سبقه من الكتب المنزلة، وتصديقه لما فيها من الأخبار الصحيحة، وتقريره لأصول الدين، وشرائعه الجامعة التي اتفقت عليها الرسل كالوصايا المذكورة في آخر سورة الأنعام، وأول سورة الأعراف، وسورة سبحان.

ثم بيَّن اختصاص محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ بشريعة هي أفضل شرعة، وأكمل منهاج، واختصاص أمته بأن جعلها خير أمة، وخصها بالوسطية في كل أمر.

ثم أشار إلى أن دين الأنبياء واحد هو الإسلام، وبيَّن أنهم متفقون في أصل الإيمان، وإن اختلفت شرائعهم، ثم قال ــ رحمه الله ــ : ومن فرق بينهم فآمن بالبعض ولم يؤمن بالجميع فهو كافر.

وبعد هذا ذكر السبب الباعث له على تأليف الكتاب، وأنه جاء رداً على كتاب ورد من قبرص فيه الاحتجاج لدين النصارى بما يحتج به علماء دينهم قديماً وحديثاً من الحجج السمعية والعقلية.

وبعد ذلك بيَّن ــ رحمه الله ــ الطريقة التي أقام عليها مناقشته للنصارى، وأنه سلك معهم مسلك أتباع الأنبياء القائم على أمرين: العدل، والعلم.

وبعد المقدمة تناول الشبه التي أوردها الكاتب النصراني بالمناقشة والرد، مبيناً قبل المناقشة أن مدارها على ستة أمور:

الأول: دعواهم أن محمداً ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ لم يبعث إليهم، بل إلى أهل الجاهلية من العرب، ودعواهم أن في القرآن ما يدل على ذلك، والعقل يدل على ذلك.

الثاني: دعواهم أن محمداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أثنى في القرآن على دينهم الذي هم عليه، ومدحه بما أوجب لهم أن يثبتوا عليه.

الثالث: دعواهم أن نبوات الأنبياء المتقدمين كالتوراة والزبور والإنجيل وغير ذلك من النبوات تشهد لدينهم الذي هم عليه من الأقانيم، والتثليث، والاتحاد، وغير ذلك بأنه حق وصوابٌ فيجب التمسك به.

الرابع: تقرير ذلك بالمعقول، وأن ما هم عليه ثابت بالنظر المعقول، والشرع المنقول موافق للأصول.

الخامس: دعواهم أنهم موحِّدون، والاعتذار عما يقولونه من ألفاظ يظهر منها تعدد الآلهة كألفاظ الأقانيم، فإن ذلك من جنس ما عند المسلمين ـ في زعمهم ـ من النصوص التي يظهر منها التشبيه والتجسيم.

السادس: أن المسيح ـ عليه السلام ـ جاء بعد موسى ـ عليه السلام ـ بغاية الكمال فلا حاجة بعد النهاية إلى شرع يزيد على الغاية بل يكون ما بعد ذلك شرعاً غير مقبول.

وقد فنَّد ـ رحمه الله ـ في القسم الأول من الكتاب الدعوى الأولى، وبيَّن أنها على وجهين:

ـ إما أن يقولوا: ـ يعني الرسول ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لم يدَّعِ أنه رسول إلى الجميع، وإنما أمته ادعوا ذلك.

ـ وإما أن يقولوا: أنه ادعى ذلك وهو كاذب في هذه الدعوى.

فهنا وجهان للقضية ذكر بعد ذلك أن رسالتهم تتضمن الأول.

وقد ختم المناقشة بتقرير أصلٍ مهم وهو: عدم جواز احتجاجهم بكلمة واحدة مما جاء به محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ؛ لأنه إن كان صادقاً في كل ما يخبر به فقد جاء بما يخالف دينهم، وإن كذبوه ولو في كلمةٍ واحدة كانوا مكذبين له في قوله أنه رسول الله.

وقد بيَّن أن هذا إلزام واضح لعقلائهم. أما جهالهم الذين يزعمون أن

الرسول ﷺ رسول غضب فرسالته كونية وليست دينية فقد فنَّد دعواهم وبيَّن أنهم أعظم كفراً ممن سبق، وقد جعل من هذا الاختلاف بينهم دليلاً على تفرقهم، وهذا التفرق هو الاختلاف المذموم الذي ذكره الله تعالى بقوله:

﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ [سورة هود: الآية ١١٩].

وبهذا الاختلاف يتبيَّن مدى تناقض الكفار في شأن الأنبياء.

ثم ساق الأدلة على عموم رسالة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ من واقع التاريخ الذي يُعدّ سجلاً حافلاً لأعمال الرسل والأنبياء عليهم السلام، وهي معلومة حتى عند مؤرِّخي النصارى كابن البطريق وغيره.

ورد زعمهم بأن القرآن نزل باللسان العربي وحده، فهو على ذلك خاص بالعرب وبهذا يصلون إلى مطلبهم وهو حصر رسالة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بالعرب وحدهم، وقد فنَّد هذه الدعوى من وجوه كثيرة بيَّن فيها أن سائر الكتب كذلك كانت بلسان واحد؛ لأن قوم النبي هم المخاطبون أولاً، ثم هم مكلفون بعد ذلك بالتبليغ، وذكر أن أَلْسنة الحواريين أتباع المسيح عليه السلام كانت عبرية كلسانه، ثم إنه أرسلهم إلى الأمم يخاطبونهم، ويترجمون لهم ما قاله المسيح ـ عليه السلام ـ .

وقد زعموا في رسالتهم أن القرآن متناقض إذ فيه ما يقتضي عموم الرسالة وفيه ما يقتضي خصوصها، فأبطل هذا الزعم الفاسد، وبيَّن أن في الكتب السابقة مما يظن أنه متعارض أضعاف ما في القرآن، وأقرب إلى التناقض، فإذا كانت متفقة فكيف القرآن الذي هو أفضل الكتب؟ أليس أولى بالاتفاق؟!

ثم بيَّن أنهم يتمسكون بالمتشابه، ويتركون المحكم، وذكر أنه إذا كان ما جاء به الرسول ﷺ متناقضاً لم يكن ـ والحالة هذه ـ رسول الله؛ لأن ما جاء به من عند الله لا يكون متناقضاً، وحينئذٍ فإذا كان متناقضاً لم يجز لهم الاحتجاج بشيءٍ منه؛ لأنه ليس من عند الله، وإن لم يكن متناقضاً ثبت أنه من عند الله وأنه ورد فيه ما يدل على العموم، وأنه رسول إليهم، وهذا هو الحق.

ثم دفع ـ رحمه الله ـ الوهم الوارد على بعض الآيات والأحاديث التي فيها خصوصية، وناقش القوم في مسائل عديدة متعلقة بهذه المسألة: منها نفيهم البشارة بمحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في الكتب السابقة، وقد أصَّل لهذه المسألة في القسم الأول إلَّا أنه توسع فيها في القسم الأخير من الكتاب، ورد عليهم تمثيلهم القرآن بالوثيقة التي كتب في ظهرها الوفاء، وبيَّن أن هذا تمثيل باطل، وناقش دعواهم بأن اللاهوت قد اتحد بالناسوت عيسى ـ عليه السلام ـ بوجوه أربعة، ذكر منها أن مصير الشيئين شيئاً واحداً مع بقائهما على حالهما بدون الاستحالة، والاختلاط ممتنع في صريح العقل، وإنما المعقول مع الاتحاد أن يستحيلا، ويختلطا كالماء مع الخمر واللبن.

ثم نقض زعمهم بأن الحواريين المترجمين للإنجيل معصومون عن الخطأ بوجوه ثلاثة ذكر منها أن الحواريين رسل المسيح وليسوا رسل الله، والعصمة لرسل الله فقط.

وقد جاء في رسالتهم دعواهم بأنه لا حاجة لهم إلى نبي؛ لأنه قد أتاهم رسل من قبله خاطبوهم بألسنتهم، وسلموا لهم التوراة والإنجيل فأبطل هذه الدعوى بسبعة وجوه ذكر في مستهلها أن مجيء رسول قبله لا يمنع مجيء رسولٍ ثانٍ، فلم يمنع مجيءُ موسى مجيءَ عيسى بعده، وهكذا مضى رحمه الله في حججٍ قوية كل وجهٍ منها كافٍ لدحض زعمهم.

وزعموا في الرسالة أن من لازم عدل الله أن لا يطلبهم باتباع إنسان لم يأتِ إليهم، ولا وقفوا له على كتاب بلسانهم، فدحض هذه الفرية بوجوهٍ أربعة بيَّن فيها أنه لا يجوز أن يقول هذا من كتب هذا الكتاب؛ لأنهم يفهمونه ويقرأونه وإلَّا فكيف كتبوا هذه الاعتراضات.

وعندما فسروا قوله تعالى: ﴿فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾، تفسيراً يوافق مذهبهم الفاسد نقض عليهم ذلك بكلام رصين مبني على قواعد ثابتة، وأسس متينة.

ثم سردوا آيات أخرى وفسروها بما يوافق هواهم فأبطل عليهم ذلك، وقد جاء في رسالتهم الاحتجاج بأن القرآن مدحهم في قوله تعالى:

﴿ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ ﴾ [سورة آل عمران: الآية ١١٣].

فبيَّن ـ رحمه الله ـ أن الثناء هنا على من آمن منهم، وذكر لذلك شواهد من القرآن والسنَّة.

وزعموا أن القرآن عظم صوامعهم، وإنجيلهم في قوله تعالى:

﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴾ [سورة الحج: الآية ٤٠].

وقوله تعالى:

﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ ﴾ [سورة آل عمران: الآيتان ٣، ٤].

وعظَّم القرآن الحواريين في آية من سورة الصف فنقض هذه المزاعم، وبيَّن أن المراد بالصوامع والبيع قبل أن يبعث الله محمداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فكان فيها من يتبع دين المسيح الذي لم يبدل، وهكذا في التوراة والإنجيل، وأن التعظيم لها قبل أن يعبثوا بها ويحرفوها.

وقد أثبت المؤلف ـ رحمه الله ـ من خلال الرد على هذه الدعاوى أن ما ورد من مدح لموسى ـ عليه السلام ـ وللتوراة ليس مدحاً لليهود الذين كذبوا المسيح ومحمداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، ولا مدح فيه لدين اليهود المبدل، وهذا يتفق فيه النصارى مع المسلمين، فكذلك ما ورد من مدح المسيح والإنجيل ليس فيه مدح للنصارى الذين كذبوا محمداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وبدلوا أحكام التوراة والإنجيل، وهذا يتفق فيه اليهود مع المسلمين، ويلزم من كل ما ورد اتفاق المسلمين واليهود والنصارى على أنه ليس فيما ذكر في القرآن من ذكر التوراة والإنجيل، وموسى وعيسى مدح لأهل الكتاب.

وقد أتبع الرد على هذه المسائل بفصلٍ بيَّن فيه سبب ضلال النصارى وأمثالهم من أهل البدع في المسلمين، وحددها بثلاثة أمور رئيسة:

الأول: تمسكهم بالألفاظ المتشابهة المجملة المشكلة.

الثاني: اعتمادهم على خوارق وأحوال شيطانية ظنوها آيات.

الثالث: اعتمادهم على أخبار منقولة إليهم ظنوها صدقاً وهي كذب.

ثم عقد ـ رحمه الله ـ فصلاً بيَّن فيه معنى تصديق القرآن لما سبقه من الكتب، وعقد بعده فصلاً متمماً له بيَّن فيه وقوع التبديل في ألفاظ الكتب السابقة، وانقطاع سند التوراة بعد خراب بيت المقدس، وانقطاع سند الإنجيل باعتراف النصارى بأنهم هم الكاتبون له، وليس عيسى ـ عليه السلام ـ هو الكاتب له. ثم أثبت الاختلاف والاضطراب في كتبهم، ورد بعد ذلك دعواهم بأن المسلمين يقولون: إن التحريف وقع بعد مبعث محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، وقد بيَّن أنهم بنوا كلامهم على أصلين فاسدين:

أحدهما: أن الرسول أثبت ما معهم، ونفى عن كتبهم التي بأيديهم التهم والتبديل.

الثاني: ظنهم أن المسلمين يقولون أن هذه الكتب حرَّفت ألفاظ جميع النسخ الموجودة منها بعد مبعث محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ .

قال: وهذا مما لا يقوله المسلمون، وقد بيَّن أن هناك بعض الألفاظ الصحيحة في كتبهم من حكم الله لتكون شاهداً وحجة عليهم، ومثل بقضية الرجم للزاني المحصن.

وفي القسم الثاني من الكتاب تتمة للرد على زعمهم بأنه لم يطرأ على كتبهم تحريف ولا تغيير فهي بهذا كالقرآن، ولو عُقِل أن يدب التبديل إلى القرآن الكريم، فإنه يمكن أن يحصل في كتبهم، وهذا قياس منهم فاسد أبطله المؤلف رحمه الله ببيان أن المسلمين رزقهم الله العلم والبصيرة، وطرق المعارف الصحيحة، فعندهم الإسناد الذي لا يوجد عند غيرهم من الأمم، وبهذا حفظ الله لهم دينهم وسلم من التحريف.

وأبطل احتجاجهم على سلامة كتبهم من التحريف بكونها كتبت باثنين

وسبعين لساناً، وبيَّن أن هذا أحرى لوقوع التبديل فيها، فمن الذي يستطيع الحكم عليها بالسلامة من التحريف والتبديل مع انتشارها وجهل الناس بنسخها.

وبيَّن أن من الفوارق بين القرآن الكريم وكتب اليهود والنصارى أن القرآن محفوظ في الصدور، ويحفظه بعض صبيان المسلمين، ولو أراد شخص تحريفه لاكتشف بسهولة من غير رجوع إلى المصاحف في حين أن ذلك لا ينكشف في التوراة والإنجيل إلاَّ بالرجوع إلى المنسوخ منها في كتب وقد تكون هي الأخرى مغيَّرة ومبدَّلة.

واستمر رحمه الله في تأييد اتجاهه لإبطال قياس كتبهم على القرآن الكريم في خمسة فصول كان آخرها كلامه عن ثبوت الاختلاف والتغيير في نسخ أهل الكتاب، ثم عاد مرة أخرى لينقض دعواهم أن القرآن أقرهم على ما هم عليه من دين، وقرابين، وطقوس مستشهدين ببعض الآيات في ذلك. وقد جاء الرد عليها مرة أخرى لكونها وردت في الرسالة مرة ثانية، وقد جعل من ذلك إلزاماً لهم بأخذ القرآن كله لكونهم يحتجون ببعضه فهم إن قالوا بصحتها لزمهم أخذ ما في القرآن من آيات أخرى، وإن طعنوا في شيء منها فلا دليل لهم في بقيتها وهكذا.

ثم ناقش زعمهم الباطل بأنه لا تجوز محاجتهم إلاَّ بالتي هي أحسن، وأن اليهود هم الذين يجادلون بغير ذلك؛ لأنهم ظالمون كما ذكر القرآن الكريم، واحتجوا بقوله تعالى:

﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ﴾
[سورة العنكبوت: الآية ٤٦].

وقد بيَّن ــ رحمه الله ــ وجوب محاجة الظالمين من مشركين وأهل كتاب وبيَّن خطأ الاستدلال ببعض الدليل دون بعض.

ثم بيَّن أن الإسلام هو نفس الدعوة التي دعا إليها الأنبياء جميعاً، وأن المسلمين مأمورون ببيانه لتقوم به الحجة على المخالف، ثم نقض دعوى النصارى بأن المراد بالذين ظلموا المذكورين في آية العنكبوت هم اليهود فقط ووضح أن

النصارى فيهم ظلم كذلك، وساق في فصول متتالية كلاماً عظيماً حول هـذه القضية مقـرراً تطرف الـطائفتين، فاليهـود فرطـوا، والنصـارى غلوا على حين أن المسلمين توسطوا، وهم أمة وسط في كل الأمور في التوحيد، والأنبياء، والشرائع.

وعنـدما أعـادوا استدلالهم ببعض نصـوص القـرآن على مـدح مـا هم عليـه، وذكـروا أن القرآن سـوّى بين الأديان، وأن قـرابينهم قد مـدحت على ألسنة الأنبيـاء السابقين، ونقلوا عن أشعيا، ودانيال، وميخا، وعاموص نصوصاً يبـرّرون بها قـولهم هذا، عندما ذكروا ذلك أبطل الشيخ ــ رحمه الله ــ مزاعمهم وتصدّى لتلك النقـول بالتحليل والدراسة التي خرج منها بإبطال استدلالهم بها.

وقد بيَّن ــ رحمه الله ــ أنه يلزمهم لصحة الاستدلال أربعُ مقدمات مهمة:

الأولى: ثبوت نبوة هؤلاء الأشخاص.

الثانية: العلم بلفظ المتكلم.

الثالثة: العلم بصحة الترجمة.

الرابعة: أن يُعلم هل ما ذكروه يدل على ما قصده هؤلاء.

وقد بيَّن أن ما في تلك النقول لا يزيد عن كونـه إخباراً بمجيء المسيح عليه السلام، وهذا أمر لا نزاع فيه بين النصارى والمسلمين.

وفي فصول ثلاثة متتابعة بعدما سبق أبطل الشيخ رحمه الله ما زعموه في بداية الرسالة من أن رسالة محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ خاصة بالعـرب، وقد أضـافوا فـرية قبيحـة مضمـونهـا أن محمـداً ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ متشكـك في أمـره، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى:

﴿ وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾ [سورة سبأ: الآية ٢٤].

وقوله تعالى:

﴿ وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ ﴾ [سورة الأحقاف: الآية ٩].

فرد هذه الفِرية القبيحة وأوضح الحق في هذه النصوص، ودفع الباطـل الذي جاؤا به.

وعندما أرادوا وضع تفسير مقبول في زعمهم للتثليث القبيح الذي هو دينهم ليخففوا بذلك من شناعته وبعده عن الحق، فنَّد المؤلف تفسيرهم وزعمهم الباطل باثني عشر وجهاً أوضح فيها أنهم لا يؤيدون التثليث بالعقل؛ لأنهم يعرفون نفوره منه، لكنهم يزعمون أن الكتب الإلّهية جاءت به.

وزعموا أيضاً أن الله تعالى سمّى لاهوته بهذا التثليث، ونقلوا نصوصاً زعموا أنها أدلة لهم على الأقانيم، واستدلوا بآية من القرآن الكريم فدحض جميع ما ذكروه بالنقل والعقل في فصول متعددة من هذا الكتاب النفيس.

ثم تحدث ــ رحمه الله ــ عن تناقضهم في عقيدة إيمانهم بقولهم: «نؤمن برب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد إلّه حق من إلّه حق من جوهر أبيه مساوٍ للأب في الجوهر».

وناقشهم في ذلك مناقشة قوية مستفيضة مدعومة بالأدلة النقلية، والحجج العقلية وكل ذلك في فصول متتابعة أظهر فيها طول باعه، وقوة حجته مما قطع معه كل حجة لمخاصم، وأوضح مدى التشابه بين عقائد أهل الباطل من النصارى واليهود وأهل البدع والضلالات المنتسبين للإسلام.

وعندما حاول بولص في رسالته أن يثبت أن لديه أدلة على ما يزعمه من معتقدات في التثليث والمسيح من الكتب التي بأيدي اليهود وإن كفروا بالمسيح رد الشيخ رحمه الله بأن كفر اليهود بالمسيح معروف لا يحتاج إلى دليل، ولكنه شبيه بكفر النصارى بمحمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ تماماً، فكل فريق أسوأ حالاً من الآخر، وهكذا في فصول متتالية يناقش المؤلف ما ورد في رسالة بولص من الاستدلال بما في الكتب السابقة، وخصوصاً قضية التثليث التي تكرر ذكرها، والاستدلال عليها في هذا الجزء من الكتاب، وكذلك قضية الأقانيم وظهور اللاهوت في عيسى بن مريم عليه السلام.

وعندما فسَّروا تجسّم كلمة الله في المسيح، وزعموا أن هذا اتحاد بريء من الاختلاط، أو التغير أو الاستحالة ناقشهم المؤلف بتسعة عشر وجهاً بيَّن فيها تناقضهم، وفساد قولهم، وأنه لا يوجد معهم منقول صحيح ولا معقول صريح.

وفيما بقي من فصول هـذا القسم يبيِّن تناقض النصـارى في عقيدة إيمـانهم، ويستـدل بأقـوال من أسلم منهم كالحسن بن أيـوب ــ رحمه الله ــ حيث كتب كتـاباً لأخيه علي بن أيوب يبيِّن فيـه سبب إسلامـه، ويوضـح فيه اختـلاف دين النصارى، وتناقض عقائدهم ليجعل من هذا حجة على بطلان ما هم عليه ما دام قـد جاء ذلـك من رجل خبير بما يعتقدونه، ثم يستشهد بما كتبه سعيد بن البطريق من كبار مؤرِّخي النصارى (بطرك الإسكندرية في عصـره)، في تأريخـه المعروف بنـظم الجوهـر عن مجامع النصارى التي تبين مدى اختلافهم، ولعن بعضهم بعضاً، وأن غـالب آرائهم يخضع للسلطان والهوى، وإن كان ابن البطريق يـريد أن يـرد على النسطوريـة التي خالفت عقيدته لأنه من الملكانية.

ثم لم يـدع ابن تيميـة ــ رحمـه الله ــ قـول ابن البــطريق، وعقيـدة فـرقتـه الملكانية؛ بل رد ذلك، وناقشهم مناقشة قوية بيَّن فيها أن قول الملكية أشـد بطلانـاً من قول النسطورية، وأعظم كفراً وتناقضاً.

وقد خرج الشيخ ــ رحمه الله ــ من كلام ابن البطريق بفائدة مهمـة، وهي أن أول ملك أظهر دين النصارى هو قسطنطين بعد المسيح بحوالي ثلاثمائة سنة وبذلك اختلط دينهم بالأوهام والخرافات، وضـرب لذلـك مثلاً بقصـة تعظيم الصليب حيث رأى قسطنطين في نومه صورة صليب من الكواكب، وكذلك ما فعله أحد بـطاركتهم في كنيسة المشركين بالإسكندرية التي فيها صنم باسم (ميكائيـل) فجعلها النصـارى كنيسة باسم ميكائيل الملك وهكذا.

وفي آخر هذا الجزء من الكتاب يحاول الكاتب أن يلبِّس بقوله أن قـولهم في آب، وابن، وروح قـدس مثل مـا عند المسلمين من عقيـدة في صفات الله تعـالى، وأنـه إذا كان قـول النصارى المشـار إليه فيـه تعـدد، فقـول المسلمين في الصفـات يقتضي التشبيه والتجسيم.

وقد توسع المؤلف ــ رحمه الله ــ في الجواب عن هذا القول الباطل وامتد به الحـديث عدة فصـول تعرض فيهـا إلى مذاهب المسلمين في الصفـات، والمذهب الموافق للدليل والذي عليه أهـل السنَّة والجمـاعة من الإيمـان بصفات الله من غيـر

تشبيه ولا تعطيل، وهو في هذا يدعم ما يذهب إليه بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ثم يسوق أقوال أهل العلم في تفسير هذه النصوص ليوضح لكل ذي لب أن مسائل العقيدة عند المسلمين ليست وليدة آراء مجامع، ولا قرارات كنائس، ولا وجهات نظر لبعض الناس دون بعض وهو مع هذا يربط الكلام بالرد على تفاسير النصارى للألفاظ التي وردت في النصوص من القرآن الكريم أو التوراة أو الإنجيل.

وفي القسم الثالث من هذا الكتاب النفيس عقد المؤلف فصلاً يعد آخر حلقة في سلسلة قضية التعدد، والتثليث التي حللها تحليلاً دقيقاً، واستعرض جميع جزئياتها، وآخر هذه الأجزاء هو موضوع الجوهر، والعرض وإطلاقهما، واستخدامهما في مسائل الألوهية عند الفلاسفة، وأهل الكتاب، وعلماء المسلمين وعلاقتها بالذات، والصفات.

فقد نقل الواسطة بين شيخ الإسلام، والنصارى تسميتهم الباري ــ تعالى ــ بالجوهر، فناقش الشيخ هذه المسألة من وجوهٍ بيَّن فيها أن هذه التسمية من قبل النصارى هي أقل المآخذ خطورة في عقيدتهم، وأنها جاءتهم من قبل الفلاسفة، وأما اللغة العربية فليست هذه التسمية أصلية فيها.

ثم بيَّن موقف الرسل عليهم السلام، وأتباعهم من ذلك فقال ــ رحمه الله ــ : «إن نفس اسم الله يتضمن ذاته المقدسة المتصفة بصفاته سبحانه، وليست صفاته خارجة عن مسمى اسم، ولا زائدة على مسمى اسمه».

ثم كشف الشيخ وهْماً يقع فيه أولئك، وهو أنهم قدروا ذاتاً مجردة عن الصفات مع أن هذا التقدير خيالي فقط، ولا يمكن أن يوجد في الواقع، والمناقشة إذا لم تكن ذهنية عينية فإنها تؤدي إلى الشطط والضلال.

ثم بيَّن عدم تصريح الرسل بهذه التسمية فكان ينبغي لهم إن كانوا متَّبِعين للرسل ألا يخترعوا شيئاً في عقيدتهم من تلقاء أنفسهم.

ثم ذكر الشيخ أن عمدتهم في إطلاق الجوهر هو زعمهم أن هناك نوعين من الجواهر: جوهراً لطيفاً، وجوهراً كثيفاً. مع أنهم لم يثبتوا ذلك بالدليل، ثم جزم بأنهم لن يجدوا دليلاً لو أرادوا ذلك، ثم ناقشهم في تمثيلهم بجوهر الضوء، وأمثاله

وأنه مثال محتمل لأكثر من معنى، وكل معنى له حكم مستقل فلا حاجة لهم فيه.

ثم أوضح ــ رحمه الله ــ التناقض بين عباراتهم التي تقرر أن الموجود إما جوهر وإما عَرَض، وأن الجوهر هو القائم بذاته، والعرض هو القائم بغيره، وبين إقرارهم بأنه تعالى موجود حي ناطق له حياة، ونطق؛ لأن الحياة والنطق لا يقومان بأنفسهما؛ بل بغيرهما ثم تظهر ثمرة هذا البحث الدقيق في هذا الفصل عندما تطبق نتائجه على قضية الابن (المؤله) عندهم، فإن كان ــ في نظرهم ــ جوهراً فيكون هناك جوهر الآب، وجوهر الابن، وهذا يبطل قولهم: «إنه إله واحد، وأنه أحَدَي الذات، ثلاثي الصفات، وأنه واحد بالجوهر ثلاثة بالأقنوم...».

وإن قالوا بأنه عَرَضٌ فقد صرَّحوا بأن الرب جوهر تقوم به الأعراض مع أنهم قد أنكروا هذا في كلامهم، وقالوا: «هو جوهر لا تقوم به الأعراض».

ثم عقد فصلاً هاماً وموسعاً بشأن مقالة النصارى بعدم ضرورة وجود هذا الدين ــ الإسلام ــ وهو يناقش جزءاً من كتاب النصارى ــ أهل قبرص ــ فأجاب عليهم باثني عشر وجهاً بيَّن فيها ضعف رأيهم، وسقوطه بشأن تقسيم الشرائع إلى شريعتين: شريعة عدل، وشريعة فضل، وأفاد رحمه الله بأن الشرائع ثلاث: شريعة عدل فقط، وشريعة فضل فقط، وشريعة تجمع العدل والفضل وهي الشريعة الكاملة، واتخذ من سورة البقرة أمثلة على ما يقول.

ثم أوضح وجوهاً من عدم الكمال في التوراة والإنجيل بالنسبة للإسلام، ومع هذا فلم يتبعوا لا التوراة ولا الإنجيل؛ بل أحدثوا شريعة خارجة عنهما، يغلب عليها الطابع البشري التأليفي، وحوَّلوها إلى ما يشبه الوثنية كنصب الصور، وتعظيمها والتماثيل ونحو ذلك، وقرر كذلك أنه لو افترض أن شريعة الكتابين كافية فإنما يكون ذلك لو كانت محفوظة، وهذا غير ما هو حاصل، وبيَّن أيضاً غلبة الشدة على شريعة التوراة، وغلبة اللين على شريعة الإنجيل، وأما شريعة القرآن فجاءت معتدلة جامعة بين هذا وهذا، وختم الفصل بقول بعضهم: بعث موسى بالجلال، وبعث عيسى بالجمال، وبعث محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ بالكمال.

وعندما أوردوا أدلة ينسبونها إلى الأنبياء بيَّن الشيخ من وجوه عدة أن

احتجاجهم بتلك المنقولات ليس لهم فيه حجة، ففي هؤلاء من لم تثبت نبوته أو لم يثبت نسبة هذا الكلام المنقول إليه، ولا بد من التسليم بنبوة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قبل التسليم بنبوة غيره. . . إلخ ما قال.

ثم عقد فصلاً أثبت فيه الفضل والكمال لرسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ولشريعته وأمته، وبيَّن أنه لا يمكن أن يحتجوا بشيء من كلام محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أو غيره من الأنبياء على ما يخالف دين المسلمين من دينهم؛ لأنه لا يمكن أن يقوم على الباطل دليل صحيح، وأما ما وقع على خلاف ما جاء به محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فهو إما منسوخ، أو مما حرفوا معناه وتأويله، وإن كان المحرف بلفظه قليلاً، وهذا التحريف واقع إما عمداً، وإما بسبب الترجمة أو في التفسير والشرح أو التأويل، ويمتنع قطعاً أن يخبر نبي بشيء، ويخبر محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ بنقيضه.

وقد انتقل بعد ذلك إلى قضية كبيرة هي قضية البشارات، حيث أن من النصارى من يجحد بشارات النبوات بمحمد ويثبتها للمسيح فقط. وعلى هذا فقد قرروا أن من لم تبشر به النبوات فليس بنبي، وقد ناقش هذه الفكرة، وحللها، واستدل بالأدلة الكثيرة العقلية والنقلية من القرآن والسنَّة والنصوص الكتابية والآثار المتعددة على إثبات بشارة الأنبياء والكتب السابقة بمحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فقد سرد مجموعة من الحجج المنطقية القوية وحشداً كبيراً من النصوص الكتابية، وشرحها وبيَّن اتفاقها مع واقع الرسول ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وواقع الإسلام.

فقد أورد بشارات من العهد القديم، من مزامير داود ومن نبوة أشعيا ومن نبوة دانيال، ثم من العهد الجديد، من سفر يوحنا، ومن سفر متى، ومن كلام شمعون ومن كلام المسيح ـ عليه السلام ـ ، ثم أخذ في شرح عبارات مختارة من هذه النقول، ثم أردف ذلك بنصوص وأمثلة من أخبار القرآن الكريم الغيبية، واستحالة معرفة غير رسول بها، وامتناع حصوله عليها من مصدر غير إخبار الله ـ سبحانه ـ وذلك من خمسة أوجه. وقد مرَّ في أثناء ذلك بما يزعمه الفلاسفة بشأن النبوة فدحضه وأبطله، وكذلك بمزاعم المشركين حيال النبوة ـ أيضاً ـ فردها رداً منطقياً ونقلياً.

ثم أنشأ فصلاً واسعاً أثبت فيه اعتراف المشركين وأهل الكتاب في قرارة نفوسهم بنبوة محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ، وإن أنكروها أو أنكرها بعضهم بلسانه، بالإضافة إلى الأدلة الواقعية الكثيرة التي تؤيد ذلك.

ثم انتقل إلى الحديث المباشر عن آيات النبوة ودلائلها بحديث شامل، ودراسة عامة، في فصول متتابعة، بيَّن في أولها وضوح دلائل النبوة وتنوعها وكثرتها، ثم تناول تسمية الدلائل بالمعجزات، وكذلك الكرامات وعالجها وتوصل إلى نتيجة واضحة بشأن ذلك، ثم اتبع ذلك بمبحث في إعجاز القرآن من أكثر ــ إن لم يكن من جميع ــ جوانبه، وبعده تحدث عن علامات النبوة في سيرته ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ : في أخلاقه وأقواله وأفعاله وشريعته، وقرر أن أمته من آياته، وعِلْم أمته ودينهم من آياته ــ أيضاً ــ ، وإن كرامات صالحي أمته من آياته ــ كذلك .

وبعد هذا عقد فصلاً أورد فيه مجموعة كبيرة من النصوص التي تتحدث عن صفاته الخَلْقِيَّةِ والخُلُقِيَّةِ والمعيشية والاجتماعية ودلالتها على نبوته ورسالته. ثم كتب فصلاً في إثباته ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ لليوم الآخر والمعاد، وأن ذلك من دلائل نبوته، حيث أن الإيمان به هو الثمرة العملية للإيمان بالله ــ تعالى ــ وبالإيمان بالله وبالمعاد يستقيم المرء على شرع الله ــ تعالى ــ وتقبل نفسه على عبادته والتقرب إليه، ويتم بذلك صلاح الحال والمآل.

ثم بيَّن الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ أن من ادَّعى النبوة لا يخلو من أحد ثلاثة أمور:

الأول: إما أن يكون نبياً صادقاً مرسلاً من الله كما أخبر عن نفسه.

الثاني: وإما أن يكون ملكاً عادلاً وضع ناموساً سياسياً وقانوناً عدلياً ينتفع به الخلق.

الثالث: وإما أن يكون رجلاً كاذباً فاجراً أفاكاً أثيماً يتعهد الكذب والظلم أو يتكلم بلا علم.

وبعد مناقشتها يتضح للمرء ــ وضوح الشمس في رائعة النهار ــ صدقه وأهليته ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ للنبوة والرسالة.

وفي فصول تالية تحدث عن قصة الفيل ودلالتها على النبوة، وعن حراسة السماء إبان البعثة. وذكر السبب في ابتدائه بذكر نصوص من القرآن في مجال آيات النبوة (لأن من أهل الكتاب من يقول: «لا نصدق إلاَّ بما في القرآن كما في التوراة والإنجيل»).

وفي فصل بعده قرر أن آياته ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ قد استوعبت جميع أنواع الآيات الفعلية والخبرية، وأورد لذلك طائفة كبيرة جداً من نصوص السنَّة النبوية. واتبعه بفصل آخر في آياته ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ المعلقة بالقدرة والفعل والتأثير، وقسمها إلى ستة أنواع:

الأول: ما كان في العالم العلوي كانشقاق القمر وحراسة السماء بالشهب.

والثاني: آيات الجو كاستسقائه ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ واسصحائه.

والثالث: آثاره في الأشجار والخشب.

والرابع: تكثير الماء والطعام والثمار ببركته فوق العادة.

والخامس: تأثيره في الأحجار وتصرفه فيها وتسخيرها له.

والسادس: تأييد الله له بملائكته.

ثم كتب فصلاً يشرح فيه: كيف أن هذه الأخبار التي أوردها في أنواع الآيات الستة تفيد العلم، وفيه تحقيق رائع لهذا الأمر الهام، وتجلية لمعالمه وأسسه. وذلك من طرق ستة هي: التواتر العام والتواتر الخاص والتواتر المعنوي، وشهادة الجماهير الكثيرة للآيات، وسماعهم لنقلها، وإقرارهم للناقل، وعدم الإنكار، وتواتر ما فيه كفاية من هذه الآيات عند كل صنف من العلماء، كعلماء التفسير والحديث والفقه وعلماء الأصول والكلام وغيرهم. والطريق السادس: اهتمام العلماء بذلك الأمر وتصنيف المصنفات المجردة فضلاً عما ضمنوه في مصنفاتهم ولم يجردوه.

وقـرر في فصل تـالٍ عدم اختصـاص آيات النبـي ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ بزمن حياته فقط، بل هي في زمنـه وقبل مـولده وبعـد مماتـه، فضلاً عن أن تختص بحال دعوى النبـوة أو حال التحـدي ـ كما ظنـه بعض أهل الكـلام، ثم ذكر أن من آيات الأنبياء إهلاك الله لمكذبيهم، ونصره للمؤمنين بهم. وقد فصل القول في ذلك ودلل وأكثر من الشواهد وإيراد الاحتمالات وردها.

ثم انتقـل إلى ذكر نـوعي الأدلة، وأثبت أن أدلـة الأنبياء هي من جنس الأدلـة التي تدل على العلم بالمدلول عليه، مع الحـرص على الرغبـة فيه أو الـرهبة منـه، وليست من النـوع الـذي يـدل على مجـرد العلم بـالمـدلـول عليـه. ثم اتبـع ذلـك بالحديث عن مسألة طلب آية ثانية وثالثة على نبوة النبـي، وقـرر أنه لا يجب إجـابة الطالب لآية ثانية ثم بيَّن أنه قد يكون من الحكمة تتـابع الآيـات كما هـو الحال في نبوة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ نظراً لعموم دعوته وشمولها، وقد عرض الشيخ ـ رحمه الله ـ إلى أن هناك نـوعاً من الآيـات توجب عـذاب الاستئصال، كمـا كان الكفار يقترحون على الأنبياء آيـات غير التي جـاءوا بها، فتـارة يجيبهم الله إلى ذلك لما فيه من المصلحة والحكمة، وتارة لا يجيبهم لما في ذلـك من المضرة والمفسـدة عند جمهور أهل الملل من المسلمين وغيرهم ممن يعلل أفعاله ـ تعـالى ـ ، وممن لا يعللهابـرد الأمر إلى محض المشيئة.

وفي آخر فصلين من الكتاب تحدث في أولهما عن طبيعة الخبر حديثاً موسعاً مدعماً بالأدلة الشرعية، والقواعد الأصولية، حـديث العالم المتبحـر الجامـع لأنواع الفنون والعلوم، وهذا ما فعله في الفصل الثاني في حديثه عن طبيعة المخبر وصفاته وأحـواله، وأحكـام العلم بصفات هـذا المخبر، وكيفيـات هـذا العلم وبعض الآراء الكلامية، وأنواع الناس في الحاجة إلى معرفة النبـي المعين وبذلك ختم الكتاب.

● ● ●

وصف النسخ المخطوطة
وخطوات تحقيق الكتاب

* أولاً ــ مخطوطات الكتاب ونسخه:

لم يتوفر للكتاب كله نسخٌ كاملة سوى نسخة دار الكتب المصرية (٥)، المطبوعة.

ولقد يسر الله تبارك وتعالى، لنا الحصول على أربع نسخ مخطوطة للكتاب، منها ما هو كامل، ومنها ما يكمل بعضه بعضاً، وهي كما يلي:

النسخة الأولى ــ ورمزها (أ):

وهي نسخة (طبقبوسراي) من مكتبة أحمد الثالث بإستانبول بتركيا، برقم (٢٨٧)، وهي أقدم نسخة حصلنا عليها، وقد كتبت على أول ورقة منها عبارة تملك هذا نصها: (انتقل بالبيع الشرعي إلى أحمد بن محمد بن زيد على يد شمس الدين اللولوي، وعلى يد ولده، في أوائل شعبان سنة إحدى وستين وثمان مائة).

وهذا يدل على أنها قريبة جداً من عصر المؤلف.

وهي تمثل نصف الكتاب تماماً، فعدد أوراقها يمثل ٣٩٢ ورقة، أي ٧٨٤ صفحة، وقد كتبت بقلم معتاد واضح، وفي الصفحة ٢٣ سطراً. وقد رمزنا لها بحرف (أ).

٢ ــ النسخة الثانية ــ ورمزها (س):

وهي مصورة عن نسخة بالمكتبة السليمانية (كتبخانة ياني جامع)، أي مكتبة الجامع الجديد، بإستانبول، برقم ٧٣٢، وفي آخرها ذكر أن تاريخ نسخها في رجب سنة ١٠٩٤هـ، بدون ذكر اسم الناسخ.

وعدد أوراقها ٣٢١ ورقة، وهي تمثل نصف الكتاب تماماً مثل نسخة طبقبوسراي، أي تساوي ٦٤٢ صفحة تقريباً، وهي قريبة الشبه في خطها المعتاد بالنسخة (أ)، إلاَّ أن أسطرها أقل بـ ٢٥ فقط. ولا تخلو من بعض السقط والأخطاء الإملائية، بعكس النسخة السابقة.

٣ ـ النسخة الثالثة ـ ورمزها (هـ):

وهي نسخة أحضرناها من مكتبة جامعة ليدن بهولندا، وهي برقم ٤٠، وهي في ١٨٢ ورقة، أي ٣٦٤ صفحة تقريباً، وهي تعد تكملة لنسخة طبقبوسراي، لأنها تبدأ حيث انتهت تلك، وكذلك على أول ورقة منها كتب (الجزء الثاني من الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح...)، وعليها نفس التملك الذي على نسخة طبقبوسراي (انتقل بالبيع الشرعي إلى أحمد بن محمد بن زيد، على يد شمس الدين اللولوي... في أوائل شعبان سنة إحدى وستين وثمانمائة). ولذلك اعتبرناها نسخة واحدة، لتقارب القلم الذي كتبتا به وتساوي الأسطر، وتاريخ نسخها سنة ٧٣٠هـ مذكور في آخرها، ولم يذكر اسم الناسخ، ولكنها ـ كما في آخرها ـ قوبلت على أصل صحيح بخط المؤلف.

٤ ـ النسخة الرابعة: ورمزها (ك):

وهي نسخة مصورة عن نسخة بدار الكتب المصرية بالقاهرة برقم ٣٧٨، وقد كتبت بخط نسخي مختلف في بعض الصفحات، وتاريخ نسخها متأخر، حيث كتب في آخرها (آخر الجواب الصحيح... بقلم الحاج علي اللبدي الحنبلي، وذلك ليلة الأربعاء غرة ربيع الأول المبارك من شهور سنة ألف ومائتين وواحد وثمانين من الهجرة النبوية.

وهي نسخة كاملة لهذا الكتاب، وعدد صفحاتها ٨٣٢ صفحة، وفي كل صفحة من ٣١ إلى ٣٤ سطراً.

وهذه النسخة كثيرة الأخطاء، مختلفة الخطوط، فيها بعض خروم وسقط يصل إلى أكثر من صفحة أحياناً، وهي غالباً ما تتفق مع المطبوعة في أخطائها.

٥ ـ النسخة المطبوعة ـ ورمزها (ط):
وهي طبعة المدني، ذات الأربعة أجزاء في مجلدين، وطبعت عام ١٩٦١م وقد سبقتها طبعة النيل سنة ١٩٠٥م بمصر بمعرفة الشيخ فرج الله زكي الكردي، والشيخ مصطفى القباني الدمشقي، ولم يكن لها ـ أي طبعة النيل ـ مقدمة ولا عليها أي تعليق وإنما وضعوا لها خاتمة تقارب صفحة، ذكروا أنه لا يوجد لها مخطوطة كاملة في أي قطر من الأقطار، إنما هم طبعوها على أجزاء متفرقة عند بعض أعيان مصر وبغداد.

أما طبعة المدني، فإنها مطابقة لطبعة الكردي، إلَّا أن المدني جعل لها مقدمة تكلم فيها عن أهمية الكتاب وموضوعاته باختصار، ولم يشر إلى المخطوطة أو النسخة التي طبع عليها، وهذا ما يجعلنا نرجح أنه اعتمد على طبعة الكردي السابقة.

وقد زاد المدني أيضاً بجعل عناوين لبعض الفصول، وليته لم يفعل، إذ أنه زاد الكتاب غموضاً، حيث أن العناوين ليست مطابقة لما تحتها، لأنه يأخذ أول كلمة في الفصل فيجعلها عنواناً له وهكذا.

ثم لا نعلم على أي أساس اعتمد المدني والكردي من قبله في تقسيم الكتاب إلى أربعة أجزاء، إذ أن جميع المخطوطات التي أحضرناها لم تُقسَّم أبداً.

ويلاحظ على المطبوعة أنها كثيرة الأخطاء، حتى في الآيات القرآنية، وفيها سقط يصل إلى السطر أحياناً، وفيها أغلاط طباعية كثيرة، علاوة على عدم تخريج الأحاديث والآثار ونحوها.

بقي أن نذكِّر القرّاء الكرام أن الجزء الأول من الكتاب تمَّت مقابلته على ثلاث نسخ مخطوطة هي: (أ) طبقبوسراي و (س) السليمانية و (ك) دار الكتب المصرية، إضافة إلى المطبوعة (ط).

والجزء الثاني تمَّت مقابلته على أربع نسخ مخطوطة هي الثلاث السابقة ومخطوطة جامعة ليدن بهولنده (هـ)، إضافة إلى المطبوعة.

وأما الجزء الثالث والأخير، فإنه تمَّت مقابلته على نسختين مخطوطتين هما (هـ) ليدن و (ك) دار الكتب، إضافة إلى المطبوعة.

وسبب هـذا التفاوت كـون نسختي تركيـا (أ) و (س) أخذتـا نصف الكتاب وتوقفتا في منتصف الجزء الثاني تقريباً، ثم بدأت نسخة جـامعة ليـدن (هـ). ولهذا صارت النسخ الكاملة ثلاث المطبوعة، ونسخة دار الكتب، ونسختـا تركيـا + نسخة ليدن، وبالله التوفيق.

* ثانياً ــ خطوات التحقيق:

(أ) تحقيق النص:

اخترنـا طريقـة انتخاب النص، وتبيَّن لنـا بعد المقـابلة أن هنـاك فـروقـاً بين النسخ، وعندما تختلف النسخ نثبت ما نراه صواباً ونشير في الهامش إلى الفروق.

وكذلك إذا حصل اختلاف بين النسخ في التقديم والتأخير نثبت ما نراه مناسباً للسيـاق، ونشير إلى المـرجوح في الهـامش، وإذا سقطت جملة أو كلمـة من بعض النسخ نضعها بين نجمتين ونضع لها رقماً، ثم نشير إلى سقوطها من النسخ الأخرى في الهـامش، وذلك إذا تبين ضـرورتها، أو وجـود فائـدة بإضـافتها بشـرط مناسبتهـا للسياق، أما إذا كـانت زائدة فـإننا نشيـر إليها في الهـامش، ونبين أنها زائـدة، وإذا اجتمعت النسخ على خطأ نحوي فإننا نصححه ونشيـر إليه في الهـامش، أما الخـطأ في الآيـات فإننـا نصححه بـدون إشارة في أغلب الأحيـان، وإذا سقطت كلمـة من جميع النسخ، ورأينا أن الكلام لا يستقيم بدونها فإننا نثبتها بين قوسين.

(ب) رقَّمنا الآيات وأشرنا إلى سورها، وخـرَّجنا الأحـاديث والآثار واجتهـدنا في تخريج الأحاديث والآثار التي يـوردها المؤلف من عـدة أماكن قـدر استطاعتنـا، ونعترف بأنـه مَرّ بنـا نصوص، وأقـوال ــ قليلة ولله الحمد ــ لم نجـد مراجعهـا على الرغم من البحث الطويـل والاستعانـة بالمتخصصين في بعض الأحيـان، ومع ذلـك لم نوفق إليها، إما لأن مصادرها مفقودة، وإما لعدم استطاعتنا، وقصر باعنا، وحسبنا أننا بذلنا الجهد في سبيل ذلك.

(ج) أشرنا إلى مواضع النصوص التي نقلها المؤلف من كتب العهـد القديم والجديد، وبسبب اختلاف الترجمات للتوراة والإنجيل، ووجود التنـاقض بينها فـإنه

يوجد فروق بين النسخ التي نقل منها الشيخ ابن تيمية ـ رحمه الله ـ وبين ما في أيدي الناس اليوم، كما هو معلوم عند أهل الاختصاص، كذلك فقد أبقينا على النص الذي ساقه المؤلف، وذكرنا النص الذي وجدناه قريباً منه بلفظ في الهامش.

أما إذا كان بعينه، فإننا نكتفي بذكر رقم الإصحاح ومكانه.

(ح) وضعنا عناوين جانبية لفصول الكتاب لتسهل مطالعته، وقد يورد المؤلف كلمة (فصل) بين كلام في موضع واحد، فنبقي على الكلمة لضرورة المحافظة على النص، ولا نضع عنواناً جديداً.

(هـ) ترجمنا للأعلام، وأحلنا على مصادر الترجمة، وعندما يتكرر العلم فإننا نكتفي بالإشارة إلى أنها سبقت ترجمته، بدون تحديد المكان لأن فهرس الأعلام هو الكاشف لمكانه، وقد وضعنا فيه رقم الصفحة التي وردت فيها ترجمته بين قوسين، وأشرنا إلى ذلك، ثم عرفنا بالفرق، واجتهدنا في الإحالة على مواضعها من كتب الفرق، ثم عرفنا بالأماكن والغزوات والقبائل والأمم، وكذلك أشرنا إلى مواضع الأبيات الشعرية قدر استطاعتنا. والله أعلم، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

• • •





لشيخ الإسلام أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم
ابن تيمية الحراني
المتوفى سنة ٧٢٨ هـ

تحقيق وتعليق

د. علي بن حسن بن ناصر

د. عبد العزيز بن ابراهيم العسكر   د. حمدان بن محمد الحمدان

المجلد الأول



بسم الله الرحمن الرحيم

لاإلـه إلّا الله محمد رسول الله، الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين.

مقدمة الكتاب

و[1] ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾[2].

و[3] ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ . . . ﴾[4].

والله أكبر[5]، الله أكبر، لا إلـه إلّا الله، و[6]الله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد، الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسبحان الله بكرة وأصيلاً.

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا

(١) في ط: (الحمد لله)، بدون واو.
(٢) سورة الأنعام: الآية ١.
(٣) في ط: (الحمد لله)، بدون واو.
(٤) سورة الإسراء: الآية ١١١.
(٥) في ط زيادة (وكبره تكبيراً)، قبل والله أكبر.
(٦) سقطت الواو من ط، ك.

لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَآئِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ ﴾[1].

و ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴾[2].

و ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[3].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الحي القيوم، الذي لا تأخذه سنة ولا نوم:

﴿ ... لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾[4] [5].

الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، الأول الآخر الظاهر الباطن الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز

(١) سورة الكهف: الآيات ١ ــ ٥.
(٢) سورة سبأ: الآيتان ١، ٢.
(٣) سورة فاطر: الآية ١، ٢.
(٤) سقطت لفظة: (العلي) من نسخة ك.
(٥) سورة البقرة: الآية ٢٥٥.

الجبار المتكبر الخالق البارىء المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً، أرسله بالحق بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، أرسله إلى جميع الثقلين: الجن والإنس، عربهم وعجمهم، أميهم وكتابيهم، وأنزل عليه:

﴿... أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَـٰبًا مُّتَشَـٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾(١).

كتاب أنزله ليخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم ويهديهم:

﴿... إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝١ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ ...﴾(٢).

* هداهم به إلى صراط مستقيم، صراط الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض *(٣)، وهو صراط الذين(٤) أنعم الله عليهم من

---

(١) سورة الزمر: الآية ٢٣.

(٢) سورة إبراهيم: الآية ١، ٢.

(٣) ما بين النجمتين ساقط من ك، ط.

(٤) في أ، س: (وهو الصراط المستقيم الذي)، وما أثبتناه من ك، ط أولى مع سياق الكلام.

(٥) في ك، ط جاءت الجملة هكذا: (وهو الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم...) إلخ الجملة، وسقطت منهما جملة: (هداهم به إلى صراط مستقيم...) إلخ.

النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وهو دين الله الذي بعث به الرسل قبله.

كما قال ــ تعالى ــ :

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ . . . ﴾[1] الآية.

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴾[2].

وقال[3] في الآية الأخرى: ﴿ . . . وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾[4].

﴿ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾[5].

وقال ــ تعالى ــ :

---

(١) سورة الشورى: الآية ١٣.

(٢) سورة المؤمنون: الآيتان ٥١، ٥٢.

(٣) في نسخة ك بإسقاط قال، وفي ط (كما) بدل (و).

(٤) سورة الأنبياء: الآية ٩٢ ــ هكذا ذكرت آية الأنبياء بين آيتي (المؤمنون) ونص آيتي الأنبياء هو: ﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون. وتقطعوا أمرهم بينهم كل إلينا راجعون﴾ ٩١، ٩٢.

(٥) سورة المؤمنون: الآية ٥٣.

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾[1].

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾[2].

أنزل عليه الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه فصدق[3] كتابه ما بين يديه من كتب السماء، وأمر بالإيمان بجميع الأنبياء، كما قال ــ تعالى ــ :

﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[4](*).

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ٢٥.

(٢) سورة النحل: ٣٦.

(٣) في ط (فمصدق).

(٤) سورة البقرة: الآيتان ١٣٦، ١٣٧.

(*) الأسباط: هم ولد يعقوب ــ عليه السلام ــ، وهم اثنا عشر ولداً. ولد لكل واحد منهم أمة من الناس، واحدهم سبط والسبط في بني إسرائيل بمنزلة القبيلة في ولد إسماعيل، وسموا الأسباط من السبط وهو التتابع، فهم جماعة متتابعون. وقيل: أصله من السبط بالتحريك وهو الشجر. أي هم في الكثرة بمنزلة الشجر، الواحدة سبطه.

والأسباط هم: رأوبين، وشمعون، ولاوي، ويهوذا، ويساكر، وزبولون، إخوة أشقاء، ويوسف، وبنيامين شقيقان. ودان، ونفتالي شقيقان، وجاد وأشير شقيقان.
انظر: سفر التكوين: الإصحاح: ٢٩ فقرة ٣١ ــ ٣٥. =

وهيمن على[1] ما بين يديه من الكتاب، وذلك يعم[2] الكتب كلها، شاهداً وحاكماً ومؤتمناً، يشهد[3] بمثل ما فيها من الأخبار الصادقة.

وقرر ما في الكتاب الأول[4] من أصول الدين وشرائعه الجامعة، التي اتفقت عليها الرسل: كالوصايا المذكورة في آخر الأنعام، وأول[5] الأعراف، وسورة سبحان، ونحوها من السور المكية.

قال ـ تعالى ـ:

﴿ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا ۖ فَإِن شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ ۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ

= وانظر في تفسير الأسباط: تفسير الإمام الطبري ١/٤٤٢، ٤٤٣ (المجلد الأول) ط دار الفكر؛ وتفسير القرطبي ٢/١٤١ (المجلد الأول) [البقرة: ١٣٦]، وتفسير ابن كثير ١/١٨٧؛ والبداية والنهاية ١/١٩٥، وتاريخ الطبري ١/٣١٧؛ وقصص الأنبياء، لعبد الوهاب النجار ص ١٢٠؛ والقاموس المحيط؛ باب الطاء، فصل السين ٢/٣٦٢؛ والمصباح المنير ١/٣٥٩.

(١) في أ، س (عليه) وصوابه ما أثبتاه من ك، ط.
والقرآن مصدق لما بين يديه من الكتاب، ومهيمن عليه كما قال ـ تعالى ـ في [سورة المائدة: ٤٨]: **وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه...** الآية، والخطاب لمحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ومعنى الكتاب الثانية جنس الكتاب. والمهيمن: الشاهد، وقيل: الحافظ، وقيل: المصدق، وقيل: الغالب المرتفع، وقيل: الأمين، وقيل: المؤتمن. قاله ابن عباس.
وقال ابن جبير: القرآن مؤتمن على ما قبله من الكتب، وهذه الأقوال كلها متقاربة.
قال المفسِّرون: والمعنى أن القرآن صار شاهداً بصحة الكتب المنزلة ومقرراً لما فيها مما لم ينسخ. وناسخاً لما خالفه منها، ورقيباً عليها، وحافظاً لما فيها من أصول الشرائع، وغالباً لها لكونه المرجع في المحكم منها والمنسوخ. ومؤتمناً عليها لكونه مشتملاً على ما هو معمول به منها وما هو متروك.
انظر تفسير ابن جرير الطبري ٦/١٦٢ ـ ١٧٣ مجلد (٤)، وتفسير القرطبي ٦/٢٠٩ (المجلد الثالث)، وابن كثير ٢/٦٥، وفتح القدير ٢/٤٧ ـ ٤٨.

(٢) في س (نعم).
(٣) في ط (شهد)، وفي ك (فشهد).
(٤) في ط (الكتب المتقدمة).
(٥) في ط زيادة (سورة).

وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾ ۞ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۖ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾(١).

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ۗ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾(٢).

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ

---

(١) سورة الأنعام: الآيات ١٥٠ ــ ١٥٣.

(٢) سورة الأعراف: الآيات ٢٩ ــ ٣٢.

ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴾[1].

فدين الأنبياء والمرسلين دين واحد، وإن كان لكل من التوراة والإنجيل والقرآن[2] شرعة ومنهاج[3]، ولهذا قال ـ صلَّى الله عليه

(١) سورة الإسراء: الآيات ٢٣ ـ ٣٩.

(٢) سقطت (والقرآن) من ط.

(٣) في ط، س (منهاجاً)، وهو خطأ، صوابه ما أثبتناه من أ، ك.

وسلَّم ــ في الحديث المتفق على صحته عن أبي هريرة، عن النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ : «إنّا معاشر[1] الأنبياء ديننا واحد، وإن أَوْلى الناس بابن مريم لأَنا[2]، إنه ليس بيني وبينه نبي»[3].

فدين المرسلين يخالف دين المشركين المبتدعين، الذين فرَّقوا دينهم وكانوا شِيَعاً.

---

(١) في ط (معشر).

(٢) في ط، ك بدل جملة (وإن أولى الناس بابن مريم لأنا) وأنا أولى الناس بابن مريم، وفي ط (لأنه) بدل (إنه).

(٣) الحديث ورد في صحيح البخاري هكذا عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ قال قال رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ : «أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الدنيا والآخرة والأنبياء أخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد». ورواه من حديث أبي هريرة أيضاً بلفظ مقارب في الأنبياء/ باب واذكر في الكتاب مريم ٤/١٤٢، وأخرجه مسلم بنحوه في الفضائل، باب فضائل عيسى ــ عليه السلام ــ صحيح مسلم بشرح النووي ١٥/١١٩ (مجلد ٨)، ورواه أبو داود في السنة، باب التخيير بين الأنبياء ٥/٥٥ (٤٦٧٥)، ورواه أحمد في المسند ٢٥/٣١٩، ٤٣٧. وفيه زيادة (وأنه نازل فإذا رأيتموه فاعرفوه فإنه رجل مربوع إلى الحمرة والبياض. . .) الحديث، ورواه في ٢/٤٦٣، ٤٥١، وأخرجه الحاكم في المستدرك بنحوه/ كتاب التاريخ/ باب ذكر عيسى بن مريم ٢/٥٩٢.
قال النووي ــ رحمه الله ــ : «أولاد العلات بفتح العين المهملة وتشديد اللام ــ هم الأخوة لأب من أمهات شتى ــ قال جمهور العلماء معنى الحديث أصل إيمانهم واحد، وشرائعهم مختلفة، وأنهم متفقون في أصول التوحيد. وأما فروع الشرائع فوقع فيها الاختلاف.
وانظر فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر ٦/٣٥٤، حيث قال: «العلات الضرائر، وأصله أن من تزوج امرأة ثم تزوج أخرى فإنه عل منها. والعلل الشرب بعد الشرب».

قال ـ تعالى ـ :

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾(١).

و(٢)قال ـ تعالى ـ :

﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾(٣).

وقال ـ تعالى ـ :

﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾(٤).

وقد خص الله ـ تبارك وتعالى(٥) ـ محمداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ

---

(١) سورة الروم: الآيات ٣٠ ـ ٣٢.

(٢) سقطت الواو من ط.

(٣) سورة المؤمنون: الآيات ٥٠ ـ ٥٣، وفي ط، ك زيادة: وقال في الآية الأخرى ﴿فاعبدون﴾ وهي إشارة إلى آية الأنبياء ٩٢.

(٤) سورة الشورى: الآية ١٣.

(٥) سقطت (تبارك) من ك، ط.

بخصائص ميزه[1] بهـا على جميع الأنبيـاء والمرسلين، وجعـل له شـرعة ومنهاجاً، أفضل شرعة وأكمل منهاج[2].

كما جعل أمته خير أمـة أخرجت للنـاس، فهم يوفـون سبعين أمة هم خيرها وأكـرمها على الله[3] من جميـع الأجناس، هـداهم الله بكتابـه ورسـوله لمـا اختلفوا فيـه من الحق قبلهم، وجعلهم وسطاً عـدلاً خياراً، فهم وسط في تـوحيد الله وأسمـائه وصفـاته، وفي الإيمـان برسله وكتبـه وشرائع دينه من الأمر والنهي والحلال والحرام.

فأمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر، وأحـل لهم الطيبـات وحرم عليهم الخبائث لم يحرم عليهم شيئاً من الطيبات كما حـرم على اليهود، ولـم يحل لهم شيئاً من الخبائث[4] كما استحلتها النصارى، ولـم يضيق عليهم بـاب الطهـارة والنجاسـة كما ضيق على اليهـود، ولـم يرفـع عنهم طهـارة الحدث والخبث كمـا رفعته النصـارى، فلا يـوجبون الـطهارة من الجنابة، ولا الوضوء للصلاة، ولا اجتناب النجاسة في الصلاة، بل يعد كثير من عبادهم مباشرة[5] النجاسات من أنواع القرب والطاعـات، حتى يقال في فضائل الراهـب: «له أربعون سنة ما مس الماء»[6]، ولهـذا تركـوا الختان

(١) في ط، زيادة لفظة الجلالة (الله).

(٢) في ط، ك زيادة لفظة (مبين).

(٣) سيأتي تخريج الحديث، وبيان المراد به.

(٤) في س (ولم يحل لهم من الخبائث شيئاً).

(٥) في أ، س (مباشرات)، وفي ط (مباشر)، وماأثبتناه من ك.

(٦) ذكر الدكتور رؤوف حبيب أحد كتاب النصارى في كتابه تاريخ الرهبنة والـديريـه في مصر ص ٣٩ (ط العالم العربـي بالقاهرة)، ذكر هذا الكـاتب في معرض حـديثه عن القديس أنطونيوس أنه «لم يغتسل طوال حياته الرهبانية أبداً، كما أنه لم يدهن جسده بالزيت، وكان رداؤه عبارة عن فروة غير مدبوغة يلبسها مقلوبة لكي يقع شعـرها على جسده إمعاناً في تعذيب نفسه بخشونتها. . .» إلخ. ما ذكر، وقد ذكر أمـوراً كثيرة في =

مع أنه شرع[1] إبراهيم الخليل ـ عليه السلام[2] ـ وأتباعه[3].

واليهود إذا حاضت عندهم[4] المرأة، لا يؤاكلونها ولا يشاربونها، ولا يقعدون معها في بيت واحد، والنصارى لا يحرمون وطء الحائض[5].

وكان اليهود لا يرون إزالة النجاسة، بل إذا أصاب[6] ثوب أحدهم[7] قرضه بالمقراض والنصارى ليس عندهم شيء نجس يحرم أكله أو تحرم الصلاة معه.

= هذا الشأن وهو يسوقها في معرض الثناء والمدح للرهبان والراهبات فتأمل في هؤلاء القوم كيف لعبت الشياطين بعقولهم فنسأل الله العفو والعافية ونعوذ به من الخذلان والضلال.

(١) في أ (شرع المؤمن إبراهيم).

(٢) في ط (عليه الصلاة والسلام).

(٣) جاء في صحيح مسلم في كتاب الفضائل، باب من فضائل إبراهيم الخليل ٤/١٨٣٩ (١٥١) عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «اختتن إبراهيم. النبي ـ عليه السلام ـ، وهو ابن ثمانين سنة، بالقدوم». ورواه أحمد في المسند ٢/٣٢٢. والقدوم، بالتخفيف: آلة النجار، وبالتشديد: مكان بالشام. والأكثرون على التخفيف والله أعلم.

(٤) في ط تقديم وتأخير في الجملة، وفي س (وأتباعه اليهود).

(٥) جاء في صحيح مسلم عن أنس ـ رضي الله عنه ـ أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم، لم يؤاكلوها ولم يجامعوهن في البيوت. فسأل أصحاب النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فأنزل الله تعالى ـ: **﴿ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض﴾** إلى آخر الآية [البقرة: ٢٢٢]، فقال رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «اصنعوا كل شيء إلا النكاح» وذكر تمام الحديث، في كتاب الحيض، باب الاضطجاع مع الحائض في لحاف واحد ١/٢٤٦ (١٦).

ورواه الترمذي في التفسير ٥/٢١٤ (٢٩٧٧)، وقال حديث حسن صحيح.

ورواه أحمد في المسند ٣/٢٤٦؛ وابن ماجه في كتاب الطهارة ١/٢١١ (٦٤٤).

(٦) هكذا في جميع النسخ (أصاب).

(٧) في ط (أحد منهم).

ولـذلك[1] المسلمـون وسط في الشـريعـة؛ فلم يجحـدوا شـرعـه الناسخ لأجل شرعه المنسوخ كما فعلت اليهود، ولا غيروا شيئاً من شرعه المحكم، ولا ابتدعوا شرعاً لم يأذن به الله كما فعلت النصارى، ولا غلوا في الأنبيـاء والصالحين[2] كغلو النصـارى، ولا بخسوهم حقـوقهم كفعل اليهـود، ولا جعلوا الخالق ــ سبحـانه[3] ــ متصفـاً بخصـائص المخلوق ونقائصه ومعايبه: من الفقر والبخل والعجـز كفعل اليهـود، ولا المخلوق متصفاً بخصـائص الخـالق ــ سبحـانـه ــ ، التي ليس كمثله فيهـا شيء كفعل النصارى، ولم يستكبروا عن عبادته كفعل اليهود ولا أشركوا بعبادته أحداً كفعل النصارى.

وأهـل السنة والجمـاعة في الإسـلام ــ كـأهـل الإسـلام في أهـل الملل، فهم وسط في باب صفات الله ــ عز وجل ــ ، بين أهـل الجحد والتعطيل، وبين أهل التشبيه والتمثيل ــ يصفون الله بما وصف به نفسه، وبمـا وصفه[4] بـه رسله، من غير تعـطيل ولا تمثيـل، إثباتـاً[5] لصفـات الكمـال، وتنزيهـاً[6] له عن أن يكـون له فيهـا أنداد وأمثـال،[7] إثبات بـلا تمثيل، وتنزيه بلا تعطيل.

كما قال ــ تعالى ــ : ﴿ . . . لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ . . . ﴾[8].

رد [9] على الممثلة: ﴿ . . . وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ . . . ﴾[10].

---

(١) في ط، ك (وكذلك).
(٢) (والصالحين) ساقطة من س.
(٣) في ط زيادة (وتعالى).
(٤) في ط (وصفته).
(٥) في أ، س، ك (إثبات)، والأصح ما أثبتناه من ط.
(٦) في أ، س، ك (تنزيه)، والأصح ما أثبتناه من ط.
(٧) في س (أنداداً وأمثالاً) وهو خطأ.
(٨) سورة الشورى: الآية ١١.
(٩) في ط (وهو رد).
(١٠) سورة الشورى: الآية ١١.

رد على المعطلة[1].

---

(١) **المعطلة**: هم كل من نفي صفات الله ـ تعالى ـ من الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم وقالوا عن نصوص الصفات: بأنها ألفاظ لا تعقل معانيها، وبنوا ذلك على أصلين فاسدين:

أحدهما: أن هذه النصوص من المتشابه.

الثاني: أن للمتشابه تأويلاً لا يعلمه إلا الله.

وقد أطلق عليهم ابن القيم (أهل التجهيل) وألزمهم في معرض الرد عليهم بأنهم يجهِّلون السابقين الأولين من الصحابة والتابعين، بل يلزم على قولهم إن الرسول ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ كان يتكلم بذلك ولا يعلم معناه. ثم ألزمهم بالتناقض فيما اعتقدوه.

وانظر تفصيل الرد عليهم ومناقشتهم في كتاب (مختصر الصواعق المرسلة)، للموصلي ١/٨٢؛ وجامع الرسائل، لابن تيمية ص ١٥٣؛ ولوامع الأنوار البهية ١/١٢٨(بحث طويل ومفيد)؛ ومعارج القبول ١/٣١٨.

والممثلة: هم الذين شبهوا صفات الخالق ـ تعالى ـ بصفات المخلوق. وفهموا من نصوص الصفات مثل ما للمخلوق، وظنوا أن لا حقيقة لها إلاَّ ذلك، قال الإسفراييني: «وجملة المشبهة صنفان: صنف منهم يشبه ذاته بغيره من الذوات، وصنف منهم يشبه صفاته بصفات أغياره». ثم بين أن أول من أفرط في التشبيه من هذه الأمة السبأية أتباع عبد الله بن سبأ، وأولى فرق الشيعة، ثم بيان بن سمعان، والمغيرة بن سعيد العجلي، وأبي منصور العجلي، وأبو الخطاب الأسدي، وهشام بن الحكم الرافضي، وهشام بن سالم الجواليقي وهذان قالا: بأن الله ـ تعالى ـ على صورة إنسان وغير ذلك من خصائص البشر ـ تعالى الله عما يقوله الظالمون علواً كبيراً، وكذلك زرارة بن أعين ويونس القمي، وداود الجواربي من المشبهة، وأقوالهم مفصلة في كتب الفرق.

انظر: التبصير في الدين، للإسفراييني ص ٧٠ ـ ٧١؛ والملل والنحل، للشهرستاني ١/١٠٥؛ واعتقادات فرق المسلمين والمشركين، للرازي ص ٦٣ ـ ٦٦؛ والفرق بين الفرق، للبغدادي ص ٢٢٥؛ ولوامع الأنوار البهية للسفاريني ١/٩١ (وهو يقسمهم إلى ثلاث فرق ـ مشبهة غلاة الشيعة، ومشبهة الحشوية، والكرامية).

وانظر نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، للدكتور النشار ١/٢٨٥؛ ورسائل في العقيدة، للشيخ محمد بن عثيمين، وضح فيها معاني التحريف، والتعطيل والتكييف؛ والتمثيل والتشبيه ص ٥٤ ـ ٥٦.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾[1].

فالصمد: السيد المستوجب لصفات الكمال، والأحد الذي ليس له كفو ولا مثال. وهم وسط في باب أفعال الله ـ عز وجل ـ، بين المعتزلة[2] المكذبين للقدر[3]، والجبرية[4] النافين لحكمة الله ورحمته

---

(١) سورة الإخلاص كلها.

(٢) **المعتزلة**: إحدى الفرق الكبار التي ينطوي تحتها عدة فرق أوصلها بعض كتاب الفرق إلى عشرين فرقة، ومن أبرزها: الواصلية، والعمروية، والهذيلية، والنظامية، والجبائية، والجاحظية وسموا معتزلة ـ على الأرجح ـ لأن أولهم (واصل بن عطاء) ٨١ ـ ١٣١هـ خالف الإمام الحسن البصري في حكم مرتكب الكبيرة، وقرر بأنه في الدنيا في منزلة بين منزلتين ـ لا مؤمن ولا كافر ـ وفي الآخرة في النار من الخالدين فيها إن مات بدون توبة ـ ولذلك هم وعيدية في هذا لكنهم يقولون هو في عذاب دون عذاب الكفار وقد اعتزل واصل مجلس الحسن فسمي هو وأتباعه بالمعتزلة.
ولهم أصول خمسة ـ العدل، والتوحيد، والوعيد، والمنزلة بين منزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وتفصيلها في كتبهم، وكتب الفرق معروف.
والمعتزلة ينكرون رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة، وشفاعة النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لأهل الكبائر من أمته، وكثيراً من قضايا الغيب كعذاب القبر ونعيمه، ولهم خبط عظيم في باب القدر ويقولون: القرآن مخلوق، مع وضوح النصوص، وكثرتها. وصحتها.
انظر: شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبد الجبار المعتزلي ص ٢٠١، ٣٠١، ٣٢٣، ٧٤٥؛ ومقالات الإسلاميين، للأشعري ١/٢٩٨؛ والملل والنحل ١/٤٣؛ والتبصير في الدين، للإسفراييني ص ٣٧؛ واعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي ص ٣٨؛ والفرق بين الفرق ص ١١٤؛ والتنبيه والرد للملطي ص ١٣٧؛ ومجموع الفتاوى ٦/٥٥، ١٣/٣٨٦؛ ولوامع الأنوار البهية ١/٧٦؛ ونشأة الفكر الفلسفي ١/٣٧٣.

(٣) في ط، ك (بالقدر).

(٤) الجبرية: الجبر في اصطلاح المتكلمين: نفي الفعل حقيقة عن الإنسان وإضافته =

وعدله، والمعارضين بالقدر أمر الله ونهيه وثوابه وعقابه.

وفي باب الوعد[1] والوعيد، بين الوعيدية[2] الذين يقولـون بتخليد

= إلى الله، والجبرية يـزعمون أن الله يجبـر العبد على فعـل المعاصي وأن العبـد ليس قـادراً على فعلها، وهم: متـوسطة: يسنـدون الفعل إلى الله، ويثبتـون للعبد كسبـاً. وخالصة: لا تثبت للعبد شيئاً؛ كالجهمية أصحاب الجهم بن صفوان. قـالوا لا قـدرة للعبد أصلاً، والله ـ سبحانه ـ لا يعلم الشيء قبل وقوعه، وعلمه ـ تعالى ـ حادث لا في محـل، ووافقوا المعتـزلة في نفي الـرؤية، وخلق الكـلام، وإيجاب المعـرفـة بالعقل.

انظر: مقالات الإسلاميين ١/٢١٣، ٣٣٨؛ والتبصيـر للإسفراييني ص ٦٣؛ والملل والنحـل ١/٨٥؛ والفـرق بين الفـرق ص ٢٠٢، ٢١١؛ واعتقـادات فـرق المسلمين والمشركين ص ٦٨؛ وأصول الـدين ص ١٣٥؛ والفصل ٤/٢٠٤؛ ولـوامع الأنـوار البهيـة ١/٩٠؛ ومعـارج القبـول، للشيـخ حـافظ الحكمي ١/٣٣٧؛ ونشـأة الفكـر الفلسفي في الإسلام ١/٣٤٣؛ والمعتزلة لزهدي جار الله (الكتاب كله في المعتزلة) وكاتبه يميـل لأفكارهم وهـو معاصـر، وانظر كتـاب الإمام أحمـد بن حنبل الـرد على الزنادقة والجهمية.

(١) سقطت الواو من نسخة ط.

(٢) **الوعيدية**: مصطلح يطلق على الخوارج، والمعتزلة؛ لقولهم بتخليد عصاة المسلمين في النار، وقد عرف القاضي عبد الجبار في كتـابه شـرح الأصول الخمسـة ص ١٢٤ الوعد، والوعيد، وانتهى به القول إلى أنه ـ تعالى ـ وعد المطيعين بالثواب، وتوعد العصـاة بالعقـاب، وأنه يفعـل ما وعـد به وتـوعد عليـه، لا محالـة، ولا يجـوز عليـه التخلف والكذب.

قلت: هذا يمثل مذهب المعتزلة في هذه المسألة، وهي مسألة غلط فيها المبتدعـة، وهم فيها على طرفي نقيض كما ذكر شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ وأهل السنة وسط فيها؛ كما أنهم وسط في غيرها، هداهم الله لما اختلف فيه من الحق بإذنه والله يهـدي من يشاء إلى صراط مستقيم، ومذهب أهل السنة أن مرتكب المعـاصي ـ التي لا توجب كفـراً غير مخلد في النـار، وأمره إلى الله، وهـو تحت مشيئتـه: إن شـاء عفـا عنـه، وأدخله الجنة من أول وهلة برحمتـه، وفضله، وإن شاء أخـذه بقدر ذنبـه الذي مـات مصراً عليه كما ورد في الأحاديث الصحيحة، وليس هذا موضع بسط هذه المسألة.

فـانظر مجمـوع الفتاوي ٧/٥٠١، ٦٧٠ ـ ٦٧٦؛ وكتـاب التوحيـد وإثبـات صفـات =

عصـاة المسلمين في النـار، وبين المـرجئة[1] الـذين يجحـدون بعض الوعيد، وما فضل الله به الأبرار على الفجار.

وهم وسط في أصحـاب رسـول الله ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ، بين الغـالي في بعضهم، الـذي يقـول[2] بـإلهيـةٍ أو نبـوةٍ أو عصمـة[3]؛ والجافي فيهم[4]: الذي يكفر بعضهم أو يفسقه. وهم خيار هذه الأمة.

= الـرب، لابن خزيمـة ص ٣٢٧؛ ولوامـع الأنوار البهيـة ١/٣٢٧؛ ومعـارج القبـول، للشيخ حافظ الحكمي ٢/٣٢١.

(١) المرجئة: الإرجاء لغة: التـأخير، وسمـو مرجئـة؛ لأنهم يؤخرون العمـل من الإيمان على معنى أنهم يقولون: لا تضر مع الإيمان معصية، كما لا تنفع الطاعة مـع الكفر، والمرجئة ثلاثة أصنـاف: منهم من يقول الإيمـان مجرد مـا في القلب، ثم من هؤلاء من يـدخل فيـه أعمال القلوب، وهم أكثـر فرق المـرجئـة ومنهم من لا يـدخلهـا في الإيمان كجهم ومن تبعه كالصالحي وغيره، والصنف الثاني: من يقول بأن الإيمان مجرد قـول اللسان، وهم الكـرامية، ومن تبعهم. والصنف الثـالث: من يقول بـأن الإيمان تصديق القلب، وقول اللسان، وهذا هو المشهور عن أهل الفقه والعبادة منهم.
وهم على هـذه الأقسام فـرق كثيرة من أشهـرها الجهميـة، والكراميـة، واليـونسيـة، والغسانية، والتومنية، والمريسية.
انظر: الملل والنحل ١/١٣٩؛ والتبصير في الدين، للإسفراييني ص ٥٩؛ ومقـالات الإسـلاميين ١/٢١٣؛ والفصل ٤/٢٠٤؛ والفـرق بين الفرق ص ٢٠٢؛ واعتقـادات فرق المسلمين والمشركين ص ٧٠؛ والإيمـان لابن تيمية ص ١٨٤؛ ولوامع الأنـوار البهية ١/٨٩؛ وتاريخ المذاهب الإسلامية ١/١٣٣؛ والبرهان في معرفة عقائد أهـل الأديان (رسالة ماجستير) ص ١٥١، ٤٣١.

(٢) في ط (يقول فيه).

(٣) هم غـلاة الشيعة، وتفصيـل أقوالهم في كتب الفـرق التي ذكرنـاها آنفـاً في مواضـع مختلفة منها.

(٤) هم الذين خرجوا على الإمام علي ـ رضي الله عنه ـ بعد مسـألة التحكيم وانحـازوا إلى حروراء، وولوا عليهم عبد الله بن وهب الراسبـي، وتبـرأوا من علي، ومعاويـة، والحكمين ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ وقد كفر كتاب الفرق بعض فرقهم، ووردت الإشـارة إلى خروجهم في صحيـح البخاري ٤/١٠٨ (كتـاب الأنبياء، بـاب قول الله =

والله ــ سبحانه[1] ــ أرسل محمداً ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ للناس رحمة، وأنعم به نعمة يا لها من نعمة.

قال ــ تعالى ــ : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[2].

وقال ــ تعالى ــ : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا﴾[3].

وهم الذين لم يؤمنوا بمحمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ؛ فإرساله أعظم نعمة أنعم الله بها على عباده. يجمع[4] الله لأمته بخاتم المرسلين[5] وإمام المتقين وسيد ولد آدم أجمعين ما فرَّقه في غيرهم من الفضائل. وزادهم من فضله أنواع الفواضل، بل أتاهم كِفْلين[6] من رحمته، كما قال ــ تعالى ــ :

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ

= ــ تعالى ــ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً...).
وانظر: الملل والنحل ١/١٥٧؛ مقالات الإسلاميين ١/٢٠٤؛ والفرق بين الفرق ص ٧٣ والتبصير في الدين ص ٢٦؛ ومجموع الفتاوي ١٣/٣٢، ٣/٢٧٩؛ والفصل، لابن حزم ٤/١٨٨.

(١) في ط زيادة (وتعالى).
(٢) سورة الأنبياء: الآية ١٠٧.
(٣) سورة إبراهيم: الآية ٢٨ تمامها: ﴿وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارْ﴾.
(٤) في ط، ك (فجمع).
(٥) في ط (النبيين).
(٦) كفلين: نصيبين، وحظّين، وضعفين.
انظر تفسير غريب القرآن، لابن قتيبة ص ٤٥٥؛ وتفسير الطبري ٢٧/١٣٨ (مجلد ٩)؛ وابن كثير ٤/٣١٧؛ والنسفي ٥/١٩٥.

ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾[١].

وفي الصحيحين عن ابن عمر، وأبي موسى، عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أنه قال: «إنما أجلكم في أجل من خلا من الأمم ما بين صلاة العصر إلى مغرب الشمس، وإنما مثلكم ومثل اليهود والنصارى كرجل استعمل عمالاً فقال: من يعمل لي إلى نصف النهار على قيراط قيراط؟

فعملت اليهود إلى نصف النهار[٢]، ثم قال: من يعمل لي من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراط؟.

فعملت النصارى من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراط، ثم قال: من يعمل من صلاة العصر إلى مغرب الشمس على قيراطين قيراطين؟.

ألا فأنتم الذين يعملون[٣] من صلاة العصر إلى مغرب الشمس، ألا لكم الأجر مرتين.

فغضبت اليهود والنصارى وقالوا: نحن أكثر عملاً وأقل عطاء!

---

(١) سورة الحديد: الآية ٢٨، ٢٩.

(٢) في ط، ك زيادة جملة (على قيراط قيراط) بعد الجملة إلى نصف النهار الثانية والقيراط: أصله قراط، لكنه أبدل من أحد المضعفين ياء للتخفيف.
قال في المصباح المنير ٢/٦٨٣: «قال بعض الحساب: القيراط في لغة اليونان: حبة خرنوب، وهو نصف دانق، والدرهم عندهم اثنتا عشرة حبة والحُسَّاب يُقسِّمون الأشياء أربعة وعشرين قيراطاً؛ لأنه أول عدد له ثمن وربع، ونصف، وثلث صحيحات من غير كسر».
وانظر القاموس المحيط، باب الطاء، فصل القاف ٢/٣٧٩.

(٣) في ط، ك (تعملون) بالمثناة الفوقية.

فقال الله ـ تعالى ـ فهل ظلمتكم من حقكم شيئاً؟ قالوا: «لا. قال الله ـ تعالى ـ: فإنه[1] فضلي أعطيه من شئت»[2].

أما بعد: فإن الله ـ تبارك وتعالى ـ جعل محمداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ خاتم النبيين، وأكمل له ولأمته الدين، وبعثه على حين فترة من الرسل وظهور الكفر وانطماس السبل، فأحيا به ما درس من معالم الإيمان، وقمع به أهل الشرك[3] من عباد[4] الأوثان والنيران والصلبان، وأذل به كفار أهل الكتاب أهل الشك[5] والأرتياب، وأقام به منار دينه الذي ارتضاه، وشاد به ذكر من اجتباه من عباده واصطفاه، وأظهر به ما كان مخفياً عند أهل الكتاب، وأبان به ما عدلوا فيه عن منهج الصواب، وحقق به صدق التوراة والزبور والإنجيل، وأماط به عنها ما ليس بحقها من باطل التحريف والتبديل.

---

(١) في س (فان).

(٢) رواه البخاري من حديث ابن عمر في عدة مواضع: مواقيت الصلاة/ باب من أدرك ركعة من العصر قبل الغروب ١/١٣٩؛ وفي كتاب الإجارة، باب الإجارة إلى نصف النهار؛ وباب الإجارة إلى صلاة العصر ٣/٤٩؛ وفي كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل ٤/١٤٥؛ وفي كتاب فضائل القرآن، باب فضل القرآن على سائر الكلام ٦/١٠٧؛ ورواه من حديث أبي موسى بلفظ مقارب في كتاب الإجارة، باب الإجارة من العصر إلى الليل ٣/٥٠؛ ورواه الترمذي من حديث ابن عمر في كتاب الأمثال، باب ما جاء في مثل ابن آدم وأجله وأمله ٥/١٥٣، ثم قال هذا حديث حسن صحيح، ورواه أحمد في مسند ابن عمر بألفاظ متقاربة ٢/٦، ١١١، ١٢١، ١٢٩؛ وأورده السيوطي في الجامع الصغير ١/٣٩٢ (٢٥٦٨).
ولم أجده في صحيح مسلم.

(٣) في ط زيادة لفظة (الكفر) بعد (الشرك).

(٤) في ط (عبدة).

(٥) في ط (الشرك).

وكان من سنة الله ـ تبارك وتعالى ـ مواترة الرسل وتعميم الخلق بهم، بحيث يبعث في كل أمة رسولاً ليقيم هداه وحجته[1]، كما قال ـ تعالى ـ :

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ . . . ﴾[2].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾[3].

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا . . . ﴾[4].

وقال ـ تعالى ـ[5] :

﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا (١٦٣) وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا (١٦٤) رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾.

ولما أهبط آدم[7] إلى الأرض قال ـ تعالى ـ :

---

(١) في أ، س، ك (ليعم هداه حجته) والعبارة مضطربة ولذلك صححناها من ط.

(٢) سورة النحل: الآية ٣٦.

(٣) سورة فاطر: الآية ٢٤.

(٤) سورة المؤمنون: الآية ٤٤.

(٥) سقطت لفظة (تعالى) من ط.

(٦) سورة النساء: الآيات ١٦٣ ـ ١٦٥.

(٧) سقطت (إلى) من أ، ومن س وزدناها من ط.

﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًاۢ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ (١).

وقال ـ تعالى ـ عن أهل النار:

﴿ ... كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ (٢).

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ ... وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ (٣).

وقال ـ تعالى ـ:

﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَاۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾ ﴾ (٤).

● ● ●

---

(١) سورة طه: الآيات ١٢٣ ـ ١٢٧ وفي ط زيادة آية البقرة قبل هذه الآيات وهي قوله ـ تعالى ـ: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنْ تبعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِم وَلَا هُمْ يَحْزَنُونْ﴾ [البقرة: ٣٨].

(٢) سورة الملك: الآيات ٨ ـ ١٠.

(٣) سورة الإسراء: الآية ١٥.

(٤) سورة الأنعام: الآيتان ١٣٠، ١٣١.

فصل[1]

وكان دينه الذي ارتضاه الله لنفسه هو دين الإسلام: الذي بعث الله به الأولين والآخرين من الرسل، ولا يقبل من أحد ديناً غيره: لا من الأولين، ولا من الآخرين.

دِينُ الأنبياء واحد: هو الإسلام

وهو دين الأنبياء، وأتباعهم؛ كما أخبر الله[2] ـ تعالى ـ بذلك عن نوح ومن بعده إلى الحواريين.

قال ـ تعالى ـ:

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[3].

وقال ـ تعالى ـ عن إبراهيم:

﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[4].

---

(١) في أ (مطلب) وليست في س، ك.

(٢) سقطت (تعالى) من أ، ك، ط.

(٣) سورة يونس: الآيتان ٧١، ٧٢.

(٤) سورة البقرة: الآيات ١٣٠ ـ ١٣٢.

وقال ـ تعالى ـ عن يوسف الصديق:

﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[1].

وقال ـ تعالى ـ عن موسى أنه قال:

﴿ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴾[2].

وأخبر ـ تعالى ـ عن السحرة، أنهم قالوا لفرعون[3]:

﴿ ... وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾[4].

وقال ـ تعالى ـ عن بلقيس[5] ملكة اليمن:

---

(١) سورة يوسف: الآية ١٠١.

(٢) سورة يونس: الآية ٨٤.

(٣) هو الوليد بن مصعب. (فرعون موسى). قيل أنه من العمالقة، وقيل: هو فرعون يوسف، وعمر إلى أيام موسى. وقيل: هو من القبط، وقد ادعى الربوبية، كما نص على ذلك القرآن: ﴿قَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَىٰ﴾. وقد كان له دولة عظيمة، وكان وزيره هامان. قتل الأطفال الذكور من بني إسرائيل عندما أخبر بظهور موسى ـ ونجا الله موسى ـ عليه السلام ـ بأن التقطته آسية امرأة فرعون. وحمته منه. هلك فرعون بالغرق كما ورد في القرآن الكريم بعد ملك طويل.
انظر: البداية والنهاية ٢٦٨/١؛ وتاريخ ابن جرير ٤٠٥/١ فما بعدها؛ وتتمة المختصر، لابن الوردي ٧٨/١.

(٤) سورة الأعراف: الآية ١٢٦.

(٥) بلقيس بنت الهدهاد بن شرحبيل، من حمير. ملكة سبأ، يمانية، من أهل مأرب، تولت الملك بعد أبيها، وقيل بعد رجل عم به الفساد؛ قتلته، ثم ملكوها بعده. أسلمت في نهاية أمرها، بعد خطاب النبي سليمان ـ عليه السلام ـ الذي ورد ذكره في سورة النمل. وقد قيل أنه تزوجها ولبثت عنده، وقيل بل أمرها على ملك اليمن. والله أعلم. =

﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[1].

وقال ــ تعالى ــ عن أنبياء بني إسرائيل:

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا . . . ﴾[2].

وقال ــ تعالى ــ عن المسيح:

﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[3].

وقال ــ تعالى ــ:

﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾[4].

فهذا دين الأولين والآخرين من الأنبياء وأتباعهم هو دين الإسلام، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، وعبادته ــ تعالى ــ في كل زمان ومكان، بطاعة رسله ــ عليهم السلام ــ.

فلا يكون عابداً له من عبده بخلاف ما جاءت به رسله: كالذين قال[5] فيهم:

= راجع: تاريخ الطبري ١/٤٨٩؛ والبداية والنهاية ٢/٢١ ــ ٢٤؛ وتفسير القرطبي ١٣/١٨٢ (مجلد ٧)؛ والأعلام، للزركلي ٢/٧٣.

(١) سورة النمل: الآية ٤٤.

(٢) سورة المائدة: الآية ٤٤.

(٣) سورة آل عمران: ٥٢. وفي ط، ك زيادة آية (٥٣) من آل عمران.

(٤) سورة المائدة: الآية ١١١.

(٥) في ط زيادة لفظ (تعالى).

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾[1] .

فلا يكون مؤمناً به إلا من عبده بطاعة رسله، ولا يكون مؤمناً به ولا عابداً له إلا من آمن بجميع رسله وأطاع من أرسل إليه، فيطاع[2] كل رسول إلى أن يأتي الذي بعده، فتكون الطاعة للرسول الثاني.

قال[3] ـ تعالى ـ :

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ . . .﴾[4] .

حُكْمُ مَنْ فَرَّقَ بين الرُّسُل ـ عليهم السلام

ومن فرق بين رسله فآمن ببعض وكفر ببعض كان كافراً كما قال ـ تعالى ـ [5] :

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ .

فلما كان محمد ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ خاتم النبيين، ولم يكن بعده رسول ولا من يجدِّد الدين، لم يزل الله ـ سبحانه (وتعالى)[6] ـ

---

(١) سورة الشورى: الآية ٢١.
(٢) في ك (ليطاع).
(٣) في ط زيادة جملة (ومن يطع الرسول فقد أطاع الله).
(٤) سورة النساء: الآية ٦٤.
(٥) في سورة النساء: الآيات ١٥٠ ـ ١٥٢.
(٦) سقطت (وتعالى) من أ، ك.

يقيم لتجديد الدين من الأسباب ما يكون مقتضياً لظهوره؛ كما وعد به في الكتاب؛ فيظهر به محاسن الإيمان ومحامده، ويعرف به مساوىء الكفر ومفاسده.

من أسباب ظهور الإيمان: أولاً ـ ظهور المعارضين للحق

ومن أعظم أسباب ظهور الإيمان والدين، وبيان حقيقة أنباء المرسلين، ظهور المعارضين لهم من أهل الإفك المبين.

كما قال ـ تعالى ـ:

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾(1).

وقال ـ تعالى ـ:

﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾(2).

وذلك أن الحق ـ إذا جحد وعورض بالشبهات ـ أقام الله ـ تعالى ـ له مما يحق به الحق ويبطل به الباطل من الآيات البينات(3)

---

(1) سورة الأنعام: الآيات ١١٢ ـ ١١٥.

(2) سورة الفرقان: الآيات ٢٧ ـ ٣١.

(3) في ط (والبينات).

بما يظهره من أدلة الحق وبراهينه الواضحة، وفساد ما عارضه من الحجج الداحضة.

فالقرآن لما كذب به المشركون، واجتهدوا على أبطاله بكل طريق ـ مع أنه تحداهم بالإتيان بمثله، ثم بالإتيان بعشر سور، ثم بالإتيان بسورة واحدة ـ كان ذلك مما دل ذوي الألباب على عجزهم عن المعارضة مع شدة الاجتهاد وقوة الأسباب، ولو اتبعوه ـ من غير معارضة وإصرار[1] على التبطيل ـ لم يظهر عجزهم عن معارضته التي بها يتم الدليل.

وكذلك السحرة لما عارضوا موسى ـ عليه[2] السلام ـ وأبطل الله ما جاؤا به، كان ذلك مما بين الله ـ تبارك وتعالى ـ به صدق ما جاء به موسى ـ عليه السلام ـ وهذا من الفروق بين آيات الأنبياء وبراهينهم التي تسمى بالمعجزات، وبين ما قد يشتبه بها من خوارق السحرة وما للشيطان من التصرفات، فإن بين هذين فروقاً متعددة، منها ما ذكره الله ـ تعالى ـ في قوله:

﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾[3].

ومنها ما بينه في آيات التحدي، من أن آيات الأنبياء ـ عليهم السلام ـ لا يمكن أن تعارض بالمثل فضلاً عن الأقوى، ولا يمكن أحداً إبطالها، بخلاف خوارق السحرة والشياطين؛ فإنه يمكن معارضتها بمثلها، وأقوى منها، ويمكن إبطالها.

---

(١) في أ، س، ك، (وصد).

(٢) في س (عليه الصلاة والسلام).

(٣) سورة الشعراء: الآيتان ٢٢١، ٢٢٢.

ثانياً ـ معارضة أعداء الحق بدعاويهم الكاذبة

وكذلك سائر أعداء الأنبياء من المجرمين شياطين الإنس والجن: الذين يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ـ إذا أظهروا من حججهم ما يحتجون به على دينهم المخالف لدين الرسول، ويموهون في ذلك بما يلفقونه من منقول ومعقول ـ كان ذلك من أسباب ظهور الإيمان الذي وعد[1] بظهوره على الدين كله؛ بالبيان والحجة والبرهان، ثم بالسيف واليد والسنان[2].

قال الله ـ تعالى ـ:

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾[3].

وذلك بما يقيمه الله ـ تبارك وتعالى ـ من الآيات والدلائل التي يطهر بها الحق من الباطل، والخالي من العاطل، والهدى من الضلال، والصدق من المحال، والغي من الرشاد، والصلاح من الفساد، والخطأ من السداد، وهذا كالمحنة للرجال التي تميز بين الخبيث والطيب[4]، قال ـ تعالى ـ:

﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ﴾[5].

---

(١) تفردت نسخة ط بزيادة (الله تعالى) بعد وعد.

(٢) في ك (واللسان) والصواب ما أثبتناه من باقي النسخ.

(٣) سورة الحديد: الآية ٢٥.

(٤) في س (بين الطيب والخبيث).

(٥) سورة آل عمران: الآية ١٧٩.

وقال ــ تعالى ــ :

﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٣ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسۡبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾(١).

والفتنة هي الامتحان والاختبار، كما قال موسى ــ عليه السلام ــ (٢):

﴿. . . إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهۡدِي مَن تَشَآءُۖ . . .﴾(٣).

أي امتحانك واختبارك، تضل بها من خالف الرسل، وتهدي بها من اتبعهم.

والفتنة للإنسان كفتنة الذهب إذا أدخل كير الامتحان، فإنها تميز جيده من رديئه؛ فالحق كالذهب الخالص، كلما امتحن ازداد جودة، والباطل كالمغشوش المضيء(٤)، إذا امتحن ظهر فساده.

فالدين الحق كلما نظر فيه الناظر، وناظر عنه المناظر، ظهرت له البراهين، وقوي به اليقين، وازداد به إيمان المؤمنين، وأشرق نوره في صدور العالمين.

والدين الباطل إذا جادل عنه المجادل، ورام أن يقيم عوده المائل، أقام الله ــ تبارك(٥) وتعالى ــ من يقذف بالحق على الباطل

---

(١) سورة العنكبوت: الآيات ١ ــ ٤.

(٢) في ط (عليه الصلاة والسلام) والأولى أن يكون النص هكذا (كما قال الله ــ تعالى ــ فيما أخبره به عن موسى).

(٣) سورة الأعراف: الآية ١٥٥.

(٤) في ط، ك (المغشي) وسقطت من (س).

(٥) سقطت (تبارك) من س.

فيدمغه فإذا هو زاهق، وتبين[1] أن صاحبه الأحمق[2] كاذب مائق[3].
وظهر فيه ــ من القبح والفساد،والحلول [4] والاتحاد[5]،والتناقض

---

(١) في ط (ويبين) بالتحتية المثناة.

(٢) سقطت (الأحمق) من أ، س.

(٣) في س (مائل) قال في القاموس المحيط ٣/٢٨٤ (فصل الميم، مادة القاف) مائق «الحمق في غباوة، يقال: أحمق مائق، جمعه موقى كسكرى، وماق مواقة ومؤوقاً وموقاً بضمهما حمق».

(٤) الحلول: يقسم الجرجاني في كتابه التعريفات الحلول إلى قسمين:
الحلول السرياني: عبارة عن اتحاد الجسمين بحيث يكون الإشارة إلى أحدهما إشارة إلى الآخر كحلول ماء الورد في الورد فيسمى الساري حالاً، والمسري محلاً
والحلول الجواري: عبارة عن كون أحد الجسمين ظرفاً للآخر كحلول الماء في الكوز.
والعقيدة الحلولية من أبرز عقائد غلاة الصوفية، وغلاة الشيعة، وهي مكتسبة من النصارى الذين قالوا بحلول الله ــ سبحانه وتعالى ــ في جسد المسيح، وقد ذكر البغدادي في كتابه الفرق بين الفرق أن الحلولية في الجملة عشر فرق كانت في دولة الإسلام وغرض جميعها القصد إلى إفساد القول بتوحيد الصانع، ثم عد من فرق الحلولية السبئية والبيانية، والخطابية، والنميرية، والجناحية وهؤلاء من غلاة الروافض، والحلاجية، والمقنعية، والرزامية، والعذافرة، وهؤلاء من غلاة الصوفية.

انظر التعريفات، للجرجاني ص ٩٨؛ والفرق بين الفرق ص ٢٥٤ ــ ٢٦٦؛ ودائرة معارف القرن العشرين ٣/٤٧٩، ١٠/٣٥١؛ والتصوف بين الحق والخلق ص ٦١؛ ودائرة معارف الإسلامية (مادة الحلول) ٨/٥٥، ٥٦.

(٥) الاتحاد: هو عقيدة وحدة الوجود، وهي من أبرز عقائد غلاة الصوفية ويختلفون في تصويرها إلى فريقين: فريق يرى الله روحاً ويرى العالم جسماً لذلك الروح، فالله هو كل شيء، وفريق يرى جميع الموجودات لا حقيقة لوجودها غير وجود الله فكل شيء هو الله. ــ تعالى الله عن قولهم ــ وهذه النظرية اصطنعها كثير من أقطاب الصوفية منهم ابن الفارض الذي يقول:

وفي الصحو بعد المحو لم أك غيرها وذاتي بذاتي إذ تجلت تحلت
وما زلت إياها وإياي لم تزل ولا فرق بل ذاتي لذاتي أحبت =

والإلحاد[1]، والكفر والضلال، والجهل والمحال ـ ما يظهر به لعموم الرجال، أن أهله من أضل الضلال، حتى يظهر فيه من الفساد ما لم يكن يعرفه أكثر العباد، ويتنبه بذلك[2] من سنة الرقاد، من كان لا يميز[3] الغي من الرشاد، ويحيى بالعلم والإيمان من كان ميت القلب لا يعرف معروف الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، ولا ينكر منكر المغضوب عليهم والضالين، فإن ما ذم الله به اليهود والنصارى في كتابه ـ مثل تكذيب الحق المخالف للهوى، والاستكبار عن قبوله، وحسد أهله، والبغي عليهم، واتباع سبيل الغي، والبخل والجبن وقسوة القلوب[4]، ووصف الله ـ سبحانه[5] وتعالى ـ بمثل عيوب المخلوقين ونقائصهم، وجحد ما وصف به نفسه من صفات

= ومنهم ابن عربي يقول:

العبد رب والرب عبد ... يا ليت شعري من المكلف

إن قلت عبد فذاك ربي ... أو قلت رب أنَّى يكلف

انظر: التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، للدكتور زكي مبارك ١/١٣٣؛ والتعريفات، للجرجاني ص ٦؛ والتصوف بين الحق والخلق لمحمد فهر شقفة ص ٦٤؛ والمؤامرة على الإسلام لأنور الجندي ص ٤٩.

(١) الإلحاد: هو الكفر بالله والميل عن طريق أهل الإيمان والرشد، وظهور التكذيب بالبعث والجنة والنار، وتكريس الحياة كلها للدنيا فقط. وهو اليوم ظاهرة عالمية تحدث الأستاذ عبد الرحمن عبد الخالق عن أسبابها وآثارها وطرق علاجها في كتاب جيد مختصر يقع في ٤٤ صفحة بعنوان: (الإلحاد: أسباب هذه الظاهرة وطرق علاجها)، وانظر التعريف السابق فيه ص ٦؛ وانظر كتاب الأدلة القواطع والبراهين في أبطال أصول الملحدين، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ص ٧٢ وغيرها.

(٢) في ط زيادة جملة (من كان غافلاً).

(٣) في ك زيادة (بين) بعد يميز.

(٤) في ك (القلب).

(٥) سقطت (سبحانه) من ك.

الكمال المختصة به، التي لا يماثله فيها مخلوق، وبمثل الغلو في الأنبياء والصالحين، والإشراك في العبادة لرب العالمين، والقول بالحلول والاتحاد الذي يجعل العبد المخلوق هو رب العباد[1]، والخروج في أعمال الدين عن شرائع الأنبياء والمرسلين، والعمل بمجرد هوى القلب وذوقه ووجده في الدين، من غير اتباع العلم الذي أنزله الله في كتابه المبين، واتخاذ أكابر العلماء والعباد أرباباً يتبعون فيما يبتدعونه من الدين المخالف للأنبياء ـ عليهم السلام ـ كما قال ـ تعالى ـ :

﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾[2].

ومخالفة صريح المعقول وصحيح[3] المنقول، بما يظن أنه من التنزلات[4] الإلهية والفتوحات القدسية، مع كونه من وساوس[5] اللعين، حتى يكون صاحبها ممن قال الله فيه:

﴿ وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾[6].

وقال ـ تعالى ـ[7].

﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا

---

(١) في ط (العالمين) بدل العباد.

(٢) سورة التوبة: الآية ٣١.

(٣) في ط (وصريح)، والأصح ما أثبتناه من النسخ الثلاث.

(٤) في أ (المتنزلات). وفي ك (المنزلات)، وما أثبتناه من س، ط.

(٥) في أ (وسايس)، وفي ط (وساويس)، وصححناه من س، ك.

(٦) سورة الملك: الآية ١٠.

(٧) في ط (وقال تعالى فيه).

وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ . . . ﴾[1].

إلى غير ذلك من أنواع البدع والضلالات التي ذم الله بها أهل الكتابين ــ فإنها مما حذر الله منه هذه الأمة الأخيار، وجعل ما حل بها[2] عبرة لأولي الأبصار.

ثالثاً ــ التحذير من اتباع بدع اليهود والنصارى

وقد أخبر النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ أنه لا بد من وقوعها في بعض هذه الأمة، وإن كان قد أخبر ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ أنه لا يزال في أمته أمَّة قائمة على الحق، لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة، وأن أمته لا تجتمع على ضلالة، ولا يغلبها من سواها من الأمم، بل لا تزال منصورة متبعة لنبيها المهدي المنصور[3].

لكن[4] لا بد أن يكون فيها من يتتبع[5] سنن اليهود والنصارى والروم والمجوس، كما في الصحيحين عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه[6] ــ، عن النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ أنه قال: «لتتبعن سنن

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٧٩.
(٢) في ط (بهما)، وفي ك (باهلها).
(٣) حديث: «لا تزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك». أخرجه البخاري من حديث معاوية والمغيرة بن شعبة في المناقب ١٨٧/٤ و١٤٩/٨، ١٨٩/٨؛ ورواه مسلم من حديث جابر في الإيمان ١٣٧/١ بنحوه وفي الإمارة من حديث ثوبان ١٥٢٣/٣؛ ورواه أبو داود من حديث ثوبان بنحوه في الفتن ٤٥٢/٤ والترمذي من حديث معاوية بن قرة عن أبيه في الفتن ٤٨٥/٤؛ وابن ماجه من حديث ثوبان في الفتن ١٣٠٤/٢ وأحمد في مسند أبي هريرة بمعناه ٣٢١/٢ وفي ٩٣/٤ برواية معاوية؛ وابن حبان من حديث أبي هريرة بلفظ آخر ص ٤٥٨ (١٨٥١).
(٤) في ط (ولكن).
(٥) في ط، ك، (يتبع).
(٦) سقطت جملة ــ رضي الله عنه ــ من نسخة ط.

من كـان[1] قبلكم حذو القـذة بالقـذة حتى لـو دخلوا في[2] جحـر ضب لدخلتموه»، قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: «فمن؟»[3].

وفي الصحيحين أيضاً، عن أبـي سعيد ــ رضي الله عنـه ــ، عن النبـي ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ أنه قـال: «لتأخـذ[4] أمتي مأخـذ الأمم قبلها شبراً بشبر وذراعاً بذراع»، قالوا يا رسـول الله، فارس والـروم قال: «فمن الناس إلا أولئك»[5].

---

(١) سقطت (كان) من س.

(٢) سقطت (في) من ك.

(٣) رواه البخاري في كتاب الاعتصام بالسنة/ باب قول النبـي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ «لتتبعن سنن من كان قبلكم»، وليس فيه «حذو القذة بالقذة» وإنما مكانها «شبراً شبراً وذراعاً بذراع»، ١٥١/٨، وروى حديثاً قبله عن أبـي هـريرة بلفظ «لا تقـوم الساعـة حتى تأخذ أمتي. . . وذكره وفيه كفارس والروم؟ فقال من الناس إلا أولئك؟».
وأخـرجه ابن مـاجـه في الفتن/ بـاب افتـراق الاسم ١٣٢٢/٢ (٣٩٩٤)، وقـال في الـزوائد إسنـاده صحيح، رجـاله ثقـات. ورواه أحمد من حـديث أبـي هريـرة بنحوه ٣٢٥/٢، ٣٢٧. ورواه ابن أبـي عـاصم في السنة ٣٦/١ (٧٢) بسنـد حسن رجالـه رجال الشيخين كما قال المحقق لكنهما لم يحتجا بمحمد بن عمر أحد رجـال السند وهو حسن الحديث، وجاء في موارد الظمآن من حديث أبـي واقد الليثي وفيـه «إنكم ستركبون سنن من قبلكم» باب في افتراق الأمـم حديث رقم (١٨٣٥) ص ٤٥٤.
ولم أقف على الحديث برواية أبـي هريرة في صحيح مسلم وإنما هو فيـه من حديث أبـي سعيد الخدري وسيـأتي تخريجـه فلعل شيـخ الإسلام ابن تيميـة أراد بقولـه في الصحيحن أصل الحديث ومعناه. والله أعلم.

(٤) في ط، ك (لتأخذن).

(٥) أخـرجه البخـاري من حـديث أبـي سعيـد بلفظ «لتتبعن سنن من قبلكم شبـراً شبـراً وذراعـاً بـذراع حتى لـو سلكـوا جحـر ضب لسلكتمـوه قلنـا يـا رسـول الله اليهـود والنصارى؟ قال: فمن؟» أخـرجه في كتـاب الأنبياء/ بـاب ما ذكـر عن بني إسرائيـل ١٤٤/٤ وفي البخاري حديث أبـي هريرة الأول ولفظه أقرب وسبق تخريجه.
وأخـرجه مسلم من حـديث أبـي سعيد بـاللفظ الـذي ورد في البخـاري/ في كتـاب العلم/ باب اتباع سنن اليهود والنصارى ٢٠٥٤/٤ (٢٦٦٩). =

وفي المظهرين للإسلام منافقون، والمنافقون في الدرك الأسفل من النار، تحت اليهود والنصارى؛ فلهذا كان ما ذم الله به اليهود والنصارى قد يوجد في المنافقين المنتسبين للإسلام[1]: الذين يظهرون الإيمان بجميع ما جاء به[2] الرسول، ويبطنون خلاف ذلك: كالملاحدة الباطنية[3] فضلاً عمن يظهر الإلحاد منهم.

= ورواه أحمد من حديث أبي سعيد أيضاً ٣/٨٤، ٨٩ بنحوه. ورواه ابن أبي عاصم في السنة ١/٣٧ من طريقين عن أبي سعيد رقم ٧٤، ٧٥ بإسناد صحيح.

(١) في ك (إلى الإسلام).

(٢) سقطت (به) من ط.

(٣) في ط (والباطنية) زيادة (واو).

والباطنية: لقب اصطلاحي يندرج تحته عدة فرق من فرق الشيعة الغلاة، يجمعهم القول بتأويل النص الظاهر بالمعنى الباطن، وهو مذهب ظاهره الرفض، وباطنه الكفر المحض، ومفتتحه حصر مدارك العلوم في قول الإمام المعصوم. ويجمع هذا اللقب: القرامطة، والخرمية، والبابكية، والإسماعيلية، والسبعية، والمحمرة، والتعليمية. ولكل اسم سبب تسمية كما ذكر علماء الفرق. ومذهبهم في الإلهيات القول بإلهية اثنين الأول علة والثاني معلول، وفي النبوات يزعمون بأن النبي شخص فاضت عليه من الإله السابق قوة قدسية بواسطة الإله التالي وهو قريب من مذهب الفلاسفة، وفي الإمامة يعتقدون أنه لا بد لكل عصر من إمام يرجع إليه في تفسير الظاهر بالباطن. ولهم منهج يسلكونه في دعوتهم الغير مبني على مراحل تسمى ــ عندهم ــ: ١ ــ التفرس والخداع ٢ ــ التأنيس ٣ ــ التشكيك ٤ ــ التعليق ٥ ــ الربط ٦ ــ التدليس ٧ ــ التأسيس ٨ ــ الخلع ٩ ــ الانسلاخ وهذه آخر المراحل.

راجع: فضائح الباطنية للغزالي ص ٨؛ والفصل لابن حزم ٢/١١٦؛ والملل والنحل ٢/٥؛ والفرق بين الفرق ص ٢٨١؛ وبيان مذهب الباطنية وبطلانه؛ وقواعد عقائد آل محمد (الباطنية) ص ٧٧، وكلا الكتابين للفقيه المؤرخ اليمني محمد بن الحسن الديلمي؛ وكتاب مشكاة الأنوار الهادمة لقواعد الباطنية الأشرار؛ وكتاب الإفحام لأفئدة الباطنية الطغام، وكلا الكتابين ليحيى بن حمزة العلوي؛ وتلبيس إبليس لابن الجوزي ص ١٠٢؛ والمؤامرة على الإسلام ص ٨٩، وقد ناقش الإمام =

ويوجد بعض[1] ذلك في أهل البدع، ممن هو مقر بعموم رسالة النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ باطناً وظاهراً، لكن اشتبه عليه بعض ما اشتبه على هؤلاء، فاتبع المتشابه وترك المحكم، كالخوارج وغيرهم من أهل الأهواء.

وللنصارى ـ في صفات الله ـ سبحانه وتعالى ـ، واتحاده بالمخلوقات ضلال شاركهم فيه كثير من هؤلاء، بل من الملاحدة من هو أعظم ضلالاً من النصارى.

والحلول والاتحاد نوعان: عام، وخاص.

فالعام: كالذين يقولون إن الله بذاته حال في كل مكان، أو أن وجوده عين وجود المخلوقات.

والخاص: كالذين يقولون بالحلول والاتحاد في بعض أهل البيت، كعلي، وغيره، مثل النصيرية[2] وأمثالهم، أو بعض من ينتسب

= ابن تيمية في مجموع الفتاوي ١٤/٣٦١ آراء الباطنية، وركز على جانب الإلحاد عند هذه الفرقة، وبين أنهم انسلخوا من مبادىء الإسلام جملة وتفصيلاً يقول ـ رحمه الله ـ «مذهب الملاحدة الباطنية مأخوذ من قول المجوس بالأصلين، ومن قول فلاسفة اليونان بالعقول والنفوس. . .» إلخ. ما ذكر.

(١) في س (في بعض).

(٢) النصيرية: أصح الأقوال في نسبتها أنها تنسب إلى محمد بن نصير النميري العابدي. وهو من فقهاء الشيعة، ومن أعيان البصرة، وقد أعلن عن نفسه عام ٢٤٥هـ. بابا للإمام العاشر (علي التقي).

وهي فرقة: شيعية، غالية، متطرفة، وطائفة ملحدة تهدم الإسلام، وتقتل أبناء المسلمين، وتذيقهم صنوف العذاب والبلاء ولها وجود قوي في هذا الزمن. وقد أكدّت فرنسا الصليبية على لقبهم «العلوية» وأظهرته عندما أقامت لهم دولة عام ١٩٢٠م. ووافق هذا هوى في نفوسهم جميعاً، فعن طريقه يحققون آمالهم، وبه يخفون مقاصدهم السيئة، ومعتقداتهم الباطلة، التي من أهمها: =

إلى أهل البيت، كالحاكم[1]، وغيره، مثل الدرزية[2] وأمثالهم،

= قولهم بإلهية علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ واستحلالهم الخمر، وإنكار البعث، والجنة والنار، وقولهم بقدم العالم، وتناسخ الأرواح، والصلاة عندهم عبارة عن خمسة أسماء علي، والحسن، والحسين، ومحسن، وفاطمة ويترحمون على ابن ملجم؛ لأنه خلص ـ في زعمهم ـ روح اللاهوت من الناسوت ويشاركون في أعياد النصارى، كعيد الميلاد، وعيد الصليب، وذلك راجع إلى معايشتهم لهم وحبهم ومعاونتهم. ويقيمون عيد الفرس الشيعة وهو النيروز عيد الربيع. ومن أشهر رجالهم في هذا العصر سلمان المرشد، الذي ادعى الربوبية وأعدم شنقاً عام ١٩٥٠م. في دمشق.

راجع: مقالات الإسلاميين ٨٦/١؛ والفرق بين الفرق ص ٢٥٢؛ والملل والنحل ٢٤/٢ ـ ٢٥؛ والفصل لابن حزم ١٨٨/٤؛ ومختصر الفتاوي المصرية ص ٤٣٧، فيه رسالة شيخ الإسلام ابن تيمية جواباً على سائل سأل عنهم، وكتاب الجذور التاريخية للنصيرية العلوية للحسيني عبد الله، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ص ٥٠٩.

(١) الحاكم: منصور بن نزار العبيدي الفاطمي. الحاكم بأمر الله، ثالث خلفاء الفاطميين بمصر والسادس منهم ممن ولي من أجداده المغرب، تولى سنة ٣٨٦هـ. عني بالفلسفة، والنجوم، وأعلنت الدعوة إلى تأليهه سنة ٤٠٧هـ. بإشارة الداعية الفارسي حمزة بن علي. ولما قتل سنة ٤١١هـ. أعلن حمزة أنه غاب ليظهر مرة ثانية، والإسماعيلية والدروز يعتقدون ذلك. كان الحاكم شيطاناً مريداً خبيث النفس، متلون الاعتقاد كما ذكر الذهبي. وذكر ابن خلكان أنه كان سفاكاً للدماء قتل عدداً كثيراً من أماثل دولته.

انظر: وفيات الأعيان ٢٩٢/٥(٧٤٢)؛ والعبر ١٠٤/٣ ـ ١٠٦؛ وشذرات الذهب ١٩٢/٣ ـ ١٩٥؛ والنجوم الزاهرة ١٧٦/٤؛ والأعلام ٣٠٥/٧.

(٢) الدرزية: فرقة غالية من فرق الإسماعيلية من غلاة الشيعة. ظهرت في بداية القرن الخامس الهجري في مصر في عهد الدولة الفاطمية، واتسمت بطابع الباطنية. وهم ينتسبون إلى رجلين أحدهما: من الدعاة إلى تأليه الحاكم وهو محمد بن إسماعيل تشتكين الدَّرَزي، والآخر منصور أنوشتكين الدُّرْزي، أحد قواد الحاكم وصلتهم بالأخير أقوى، ويتجمعون اليوم في سوريا، ولبنان، وفلسطين والمغرب العربي. وعقيدتهم مستمدة من عقيدة الإسماعيلية، وقد بنى الجميع عقيدتهم على أمرين: ظاهر، وباطن. وما من شيء ـ عندهم ـ إلاّ وله باطن هو المقصود. فيتأولون =

أو بعض من يعتقد فيه المشيخة، كالحلاجية[1] وأمثالهم.

فمن قال: إن الله ــ سبحانه وتعالى ــ حل أو[2] اتحد بأحد من الصحابة، أو القرابة أو المشايخ، فهو من هذا الوجه أكفر من النصارى الذين قالوا بالاتحاد، والحلول في المسيح؛ فإن المسيح ــ عليه السلام ــ أفضل من هؤلاء كلهم.

= الصلاة بأنها الاتجاه القلبي للإمام فقط، والصيام عدم إفشاء أسرار الدعوة، والحج زيارة الإمام، وهكذا... في سائر الفرائض والواجبات، وأمور الغيب.
راجع في هذه الطائفة، الكتب التالية: طائفة الدروز، محمد كامل حسين؛ والدروز، لمحمد علي الزعبي؛ والحركات السرية في تاريخ الإسلام؛ لمحمد عبد الله عنان؛ والفرق بين الفرق ص ٢٨١ حديث عن الباطنية كلهم؛ والتبصير في الدين ص ٨٣؛ ولوامع الأنوار البهية للسفاريني ١/٨٣ ومشكاة الأنوار ص ٦٥ فما بعدها. والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ص ٢٢١.

(١) الحلاجية: نسبة إلى شيخهم، أبي مغيث الحسين بن منصور الحلاج. من أهل البيضاء، وهي بلدة بفارس. نشأ بواسط العراق، وانتقل إلى البصرة. ادعى حلول الإلهية فيه فقبض عليه المقتدر العباسي، ثم قتله بفتوى الفقهاء على ذلك سنة ٣٠٩. وادعى أصحابه أنه لم يقتل، وإنما ألقي شبهه على عدو له. وقد وصف بأنه كان محتالاً، يتعاطى مذاهب الصوفية، ويدعي كل علم، كما وصفه ابن النديم في الفهرست، وقال عنه بأنه يظهر مذاهب الشيعة للملوك ومذاهب الصوفية للعامة، ولا علم له بالقرآن وعلومه، والفقه، والحديث، والشعر، وعلوم العرب، ثم ذكر له تصانيف غريبة في الأسماء والأوضاع.
انظر ترجمته في الفهرست لابن النديم ص ٢٦٩ ــ ٢٧٢؛ ووفيات الأعيان ٢/١٤٠ ــ ١٤٤؛ والبداية والنهاية ١١/١٣٢؛ وميزان الاعتدال ١/٥٤٨، وفيه قال: «ما روى ــ ولله الحمد ــ شيئاً من العلم... انسلخ من الدين، وتعلم السحر، وأراهم المخاريق».
وانظر: الأعلام للزركلي ٢/٢٦٠؛ والتصوف بين الحق والخلق ص ٦١؛ وهذه هي الصوفية ص ٤٩.

(٢) في س (واتحد).

ومن قال بالحلول والاتحاد العام فضلاله أعم من ضلال النصارى، وكذلك من قال بقدم أرواح بني آدم، أو أعمالهم، أو كلامهم، أو أصواتهم، أو مداد[1] مصاحفهم، أو نحو ذلك، ففي قوله شعبة من قول النصارى.

فبمعرفة[2] حقيقة دين النصارى وبطلانه، يعرف به[3] بطلان ما يشبه أقوالهم، من أقوال أهل الإلحاد والبدع.

فإذا جاء نور الإيمان والقرآن أزهق الله به ما خالفه، كما قال ــ تعالى ــ :

﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾[4].

وأبان الله ــ سبحانه[5] وتعالى ــ من فضائل الحق ومحاسنه ما كان به محقوقاً.

سبب تأليف الكتاب

وكان من أسباب نصر الدين وظهوره، أن كتاباً ورد من قبرص فيه الاحتجاج لدين النصارى، بما يحتج به علماء دينهم وفضلاء ملتهم قديماً وحديثاً، من الحجج السمعية والعقلية، فاقتضى ذلك أن[6] نذكر من الجواب ما يحصل به فصل الخطاب، وبيان الخطأ من الصواب؛ لينتفع بذلك أولو[7] الألباب، ويظهر ما بعث الله به رسله من الميزان والكتاب.

---

(١) في س (مزاد) وهو تصحيف ظاهر.
(٢) في س (ومعرفة)، وفي ك (فمعرفة).
(٣) سقطت (به) من ط.
(٤) سورة الإسراء: الآية ٨١.
(٥) في ك (تبارك) بدل (سبحانه).
(٦) في أ، س (واقتضى) وسقطت (ذلك) من ط.
(٧) في أ، س (أولي).

وأنا أذكر ما ذكروه بألفاظهم بأعيانها فصلاً فصلاً، وأتبع كل فصل بما يناسبه من الجواب فرعاً وأصلاً، وعقداً وحلاً.

وما ذكروه في هذا الكتاب[1] هو عمدتهم[2] التي يعتمد عليها علماؤهم في مثل هذا الزمان، وقبل هذا الزمان، وإن كان قد يزيد بعضهم على بعض، بحسب الأحوال؛ فإن هذه الرسالة وجدناهم يعتمدون عليها قبل ذلك، ويتناقلها[3] علماؤهم بينهم، والنسخ بها موجودة قديمة، وهي مضافة إلى «بولص»[4] الراهب أسقف[5]

---

(١) في س الزمان بدل الكتاب.

(٢) سقطت جملة هو عمدتهم إلى قوله وقبل هذا الزمان من نسخة س.
وفي ك (فهو عمدتهم).

(٣) في س (وتتناقلها) بالمثناة الفوقية. وفي ك (وتناقلها).

(٤) بولص الراهب أسقف صيدا الأنطاكي، عاش في حوالي القرن الثاني عشر الميلادي، وولد في أنطاكية، وعاش كراهب فيها واشتهر بذلك، وفي أخريات أيام حياته عين أسقفاً لصيدا، وقد كان منتمياً للكنيسة الملكية، وكتب عدة رسائل في الدفاع عن عقيدته، وقد ذكر الدكتور مزمل صديقي أنه بولص خوري ـ أحد نصارى لبنان ـ حقق ونشر كثيراً من رسائله ومن بينها هذه الرسالة، وذكر أنه ينسب إليه أربع وعشرون رسالة، لكن خوري يعتقد أن خمساً منها فقط هي من أعماله.
وبولص هذا ليس صاحب الرسائل المشهور في كتب النصارى وهو شاول اليهودي الذي دخل في النصرانية فأفسدها، لأن المشهور متقدم على الإسلام بعدة قرون، وصاحب هذه الرسالة يسوق للدعاوي التي أوردها آيات من القرآن الكريم.
انظر: موقف الإسلام من المسيحية في القرون الوسطى دراسة تحليلية لآراء الإمام ابن تيمية في المسيحية رسالة دكتوراة بالانجليزية، للدكتور مزمل صديقي من جامعة هارفارد بأمريكا.

(٥) **الأسقف**: الدرجة العليا في الكهنوت، وهو كاهن ذو درجة ورتبة أولى موكول إليه كما للكاهن أن يقدم القرابين، وهو ـ في الكنيسة ـ نائب المسيح فله حق الرياسة على الكهنة الذين هم تحت رياسته، وسيأتي زيادة إيضاح للدرجات الأخرى في الكهنوت عند النصارى، وانظر تفصيل ذلك وبيان درجات الكهنوت في كتاب أسرار =

صيدا[1] الأنطاكي[2]، كتبها إلى بعض أصدقائه، وله مصنفات في نصر النصرانية، وذكر أنه لما سافر إلى بلاد الروم[3]، والقسطنطينية[4] وبلاد الملافطة[5] وبعض أعمال الافرنج

= الكنيسة السبعة ص ١٨٤ تأليف الأرشيد ياكون حبيب جرجس (ط) ٦ نشر مكتبة المحبة بالقاهرة، وكنز النفائس في اتحاد الكنائس ص ١٩١وقد ذكر أنه يختلف من كنيسة إلى كنيسة.

(١) صيدا: بالفتح، ثم السكون، والدال المهملة، والمد، وأهله يقصرونه مدينة على ساحل البحر الأبيض المتوسط، شرقي صور بينهما ستة فراسخ، وهي اليوم إحدى مدن لبنان في الجنوب منه. انظر: مراصد الاطلاع ٢/٨٩٥، ومعجم البلدان ٣/٤٣٨.

(٢) الأنطاكي نسبة إلى أنطاكية، وأنطاكية: بالفتح، ثم السكون، والياء مخففة مدينة هي قصبة العواصم من الثغور الشامية، بينها وبين حلب يوم وليلة وبها كانت مملكة الروم.
انظر معجم البلدان ١/٢٦٦ ـ ٢٧٠؛ ومراصد الاطلاع ١/١٢٤ ـ ١٢٥؛ والمسالك والممالك للاصطخري ص ٤٦.

(٣) الروم: جيل معروف، كالعرب، والفرس، والزنج وغيرهم. من ولد روم بن عيصو بن إسحاق، غلب اسم أبيهم عليهم فصار كالاسم للقبيلة، كانت لهم بلاد واسعة تضاف إليهم، فيقال: بلاد الروم، ومشارق بلادهم، وشمالهم الترك والروس والخزر. وجنوبهم: الشام والاسكندرية. وغربهم: البحر والأندلس وكانت أنطاكية دار ملكهم إلى أن نفاهم المسلمون إلى أقصى بلادهم.
انظر: تهذيب الأسماء واللغات للنووي ٣/١٣٠، ومراصد الاطلاع ٢/٦٤٢.

(٤) القسطنطينية. ويقال قسطنطينية بإسقاط ياء النسبة. كان اسمها بزنطية. فنزلها قسطنطين الأكبر، وبنى عليها سوراً، وسماها باسمه. واسمها الآن. كما يقول صفي الدين البغدادي أسطنبول. قلت: وهي إحدى مدن تركيا اليوم، وكانت عاصمة الدولة العثمانية بعد أن انتقلت عاصمتهم من بورصة إلى اسطنبول.
انظر معجم البلدان ٤/٣٤٧؛ ومراصد الاطلاع ٣/١٠٩٢؛ والمسالك والممالك للاصطخري ص ٥٠.

(٥) بلاد الملافطة: هكذا في جميع النسخ، وجاءت في نص الرسالة في موضعين ص ١، ص ٢ (بلاد الملاطفة) بتقديم الطاء المهملة على الفاء، ولم أقف لها على ذكر فيما اطلعت عليه من مراجع الأماكن، والأنساب.

ورومية[1]، واجتمع بأجلاء أهل تلك الناحية، وفاوض أفاضلهم وعلماءهم، وقد عظم هذه الرسالة، وسماها: «الكتاب المنطيقي الدولة خاني[2] المبرهن عن الاعتقاد الصحيح والرأي المستقيم».

مجمل ما جاء برسالة بولس من دعاوى

ومضمون ذلك ستة فصول:

الفصل الأول: دعواهم أن محمداً ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ لم يبعث إليهم بل إلى أهل الجاهلية من العرب ودعواهم أن في القرآن ما يدل على ذلك، والعقل يدل على ذلك.

الفصل الثاني: دعواهم أن محمداً ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ أثنى في القرآن على دينهم الذي هم عليه، ومدحه بما أوجب لهم أن يثبتوا عليه.

الفصل الثالث: دعواهم أن نبوات الأنبياء المتقدمين، كالتوراة والزبور والإنجيل[3]، وغير ذلك من

---

(١) رومية: مخففة الياء. وهي ببلاد الروم، مدينة رياستهم وعلمهم قديماً من عجائب الدنيا بناء وسعة وكثرة خلق، وهناك رومية أخرى، بلد بالمدائن خرب.
انظر مراصد الاطلاع ٢/٦٤٢؛ والروض المعطار ص ٢٧٤؛ وفتح الباري لابن حجر ١/٤٠؛ ومعجم البلدان ٣/١٠٠؛ والمسلك والممالك للاصطخري ص ٥١.

(٢) خان كلمة فارسية تعني زعيم القوم الكبير وملكهم المقدم فيهم، والكتاب منسوب إليه على سبيل التعظيم له.

(٣) التوراة أنزل على موسى ــ عليه السلام ــ، والزبور على داود ــ عليه السلام ــ، والإنجيل على عيسى ــ عليه السلام ــ.
وسيأتي توضيح للتحريف الذي طرأ على هذه الكتب، وبيان لانقطاع أسانيدها، في نهاية الجزء الأول من هذا الكتاب، وفي الجزء الثاني، لكنه يحسن الإشارة هنا إلى أن الموجود اليوم يتكوَّن من: العهد القديم، والعهد الجديد.
أما العهد القديم ــ وهو التوراة ــ فينقسم إلى ثلاثة أقسام:
١ ــ التوراة ــ وهي الأسفار الخمسة. التكوين، والخروج، واللاويين، والعدد، والتثنية. =

النبوات[1]، تشهد لدينهم الـذي هم عليه من: الأقانيم[2]، ــــــــ

---

٢ ــ أسفار الأنبياء المتقدمين. يشوع، قضاة، صموئيل... إلخ.
٣ ــ الكتابات: وهي ثلاثة أقسام:
(أ) المزامير ــ الزبور، الأمثال.
(ب) المجلات الخمس ــ نشيد الإنشاد، الجامعة.... إلخ.
(ج) الكتب ــ دانيـال، عـزرا، نحميـا، أخبـار الأيـام الأول، الثـاني... إلـخ.
والمجموع تسعة وثلاثون سفراً (وهذه كلها ــ العهد القديم).
والعهد الجديد ــ يطلق على مجموعة: الإنجيل وهي: كلمة يونانيـة تعني الحلوان، وهو ما تعطيه من أتاك ببشرى، ثم أريـد بالكلمـة البشرى عينهـا، ويتكون من سبعـة وعشرين سفراً. وينقسم إلى ثلاثة أقسام:
١ ــ قسم الأسفـار التاريخيـة ــ الأناجيـل الأربعة: متى، مرقص، لوقـا، يـوحنـا، وأعمال الرسـل التي كتبها لـوقا، وتحـوي قصصاً تـاريخية لحيـاة عيسى ومعجزاتـه، وأعمال الرسل لحياة معلمي المسيحية.
٢ ــ الأسفار التعليمية. وتشمل إحدى وعشرين رسالة، كتب منها بولس أربعة عشـر رسالة، وثلاث ليوحنا، وثنتان لبطرس، وواحدة ليعقوب، وواحدة ليهوذا.
٣ ــ رؤيـا يوحنـا اللاهـوتي، وتسمى رؤيا لأنهـا أشبـه بـالأحـلام، ولكنـه رآهـا في اليقظة، وتتحدث عن المسيح بعد رفعه، وهي أوهام وأساطير.
ويـذكر المؤرخـون أن هناك أنـاجيل أخـرى مثـل إنجيـل عيسى، وإنجيـل السبعين، وإنجيل برنابا، والتـذكرة. ولكن مصيـرها حـدده مجمع ــ نيقيـة ــ الذي رفض كـل إنجيل لا يقر بألوهية المسيح، وأثبت الأناجيل التي تقول بألوهيته.
راجـع فهـرس الكتـاب المقـدس ص ١٣٦٠، طبعـة دار حلمي ــ نشـر دار الكتـاب المقدس بالقاهرة. والبداية والنهاية ١/٢٨٥؛ ٢/١١، ٤٦، ١٠٠، ١٤٩؛ ٦/٦٠، ١٨١، والمسيحية للدكتور شلبـي ص ٢٠١؛ واليهودية ص ٢٣٤ ــ ٢٧١؛ وقـاموس الكتاب المقدس ص ٧٦٣.

(١) في ط (يشهد) بالمثناة التحتية.
(٢) الأقانيم: جمع أقنوم وهي كلمة سريانية. معناها شخص أساسي، أو شخص رئيس، وهي قريبة من الكلمة اليونانية ــ Nomos ــ ومعناها: قانون، ولذا فضلت الكنائس الشرقية استعمال لفظ أقنوم على لفظ شخص؛ لأن المقصود في التثليث بالأقنوم كيان ذاتي أو في الذات.
=

والتثليث[1]، والاتحاد[2]، وغير ذلك، بأنه حق وصواب فيجب التمسك به، ولا يجوز العدول عنه، إذا[3] لم يعارضه شرع يرفعه ولا عقل يدفعه.

والفصل الرابع: فيه تقرير ذلك بالمعقول، وأن ما هم عليه من التثليث ثابت بالنظر المعقول، والشرع المنقول، موافق للأصول[4].

والفصل[5] الخامس: دعواهم أنهم موحدون، والاعتذار عما يقولونه من ألفاظ يظهر[6] منها تعدد الآلهة، كألفاظ الأقانيم، فإن[7] ذلك من جنس ما عند المسلمين من النصوص التي يظهر منها التشبيه والتجسيم[8].

= انظر أقانيم النصارى ـ د. أحمد السقا ص ٩. نقلاً عن كتاب دراسات في الكتاب المقدس. وكتاب بين المسيحية والإسلام لأبي عبيدة الخزرجي بتحقيق د. محمد شامة ص ٧٥ في الهامش.

(١) التثليث: هو اعتقاد النصارى أن الله ـ سبحانه وتعالى عما يقولون ـ مثلث الأقانيم واحد الجوهر، وقد ناقشهم الشيخ في هذه العقيدة، وبيَّن بطلانها في كثير من موضوعات هذا الكتاب، والتثليث ليس خاصاً بالنصارى، فإن بعض الأديان القديمة فيها تثليث خاص بها.
وانظر كلاماً مفصلاً عن التثليث في دائرة معارف القرن العشرين لمحمد فريد وجدي ٢/ ٧٥٩ ـ ٧٦١ مادة ثلث.

(٢) سبق توضيح الاتحاد.

(٣) في أ، س: (إذ)، وما أثبتناه من ك، ط .

(٤) في س (الأصول).

(٥) سقطت (والفصل) من أ.

(٦) في ط (يظهرا)، وهو خطأ.

(٧) في ك، ط (بأن) وهو خطأ، صوابه ما أثبتناه من أ، س.

(٨) التشبيه والتجسيم من الألفاظ المجملة، والموهمة التي تحتمل حقاً وباطلاً، وقد دخلها الاشتراك بسبب اختلاف اصطلاحات المتكلمين وغيرهم، وكل طائفة تعني بهذه الأسماء ما لا يعنيه غيرهم. فمثلاً نفاة الصفات يعنون بالتشبيه والتجسيم =

والفصل[1] السادس: أن المسيح ـ عليه السلام ـ جاء بعد موسى ـ عليه السلام ـ بغاية الكمال، فلا حاجة ـ بعد النهاية ـ إلى شرع يزيد[2] على الغاية، بل يكون ما بعد ذلك شرعاً غير مقبول.

نهج المؤلف في ردِّ دعاويهم الباطلة

ونحن ـ ولله الحمد والمنَّة ـ نبيِّن أن كل ما احتجوا به من حجة سمعية: من القرآن، أو من الكتب المتقدمة على القرآن، أو عقلية، فلا حجة لهم في شيء منها، بل الكتب كلها مع[3] القرآن، والعقل حجة عليهم، لا لهم، بل عامة ما يحتجون به من نصوص الأنبياء، ومن المعقول فهو نفسه حجة عليهم، ويظهر منه فساد قولهم، مع ما يفسده من سائر النصوص النبوية، والموازين التي هي مقاييس عقلية.

وهكذا يوجد[4] عامة ما يحتج به أهل البدع من كتب الله ـ عز وجل ـ ففي تلك النصوص ما يتبين[5] أنه لا حجة لهم فيها، بل

= إثباتها، فمن أثبت الصفات لله ـ تعالى ـ فهو ـ عندهم ـ مشبه مجسم، ولفظ التجسيم لم يوجد في كلام السلف لا نفياً ولا إثباتاً، وهو يحتمل حقاً وباطلاً، فإذا أطلق فإنه يجب الاستفصال من قائله، فإن أراد به حقاً قبل، وإن أراد به باطلاً رد.

وأما التشبيه فيقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «نعم موجود في كلام بعضهم، وتفسيره معه، ـ كما قد كتبناه عنهم ـ، وأنهم أرادوا بالتشبيه تمثيل الله بخلقه، دون نفي الصفات التي في القرآن والحديث...».

انظر نقض المنطق لابن تيمية ص ١٢٣ ـ ١٢٥.

(١) في س، ط (والفصل).
(٢) في ط (مزيد).
(٣) في س (من) بدل (مع).
(٤) سقطت (يوجد) من ك.
(٥) في س (نبين)، وفي ك (يبين)، وفي ط (تبين).

هي بعينها حجة عليهم، كما ذكر أمثال ذلك في الرد على أهل البدع والأهواء، وغيرهم من أهل القبلة.

وإنما عامة ما عند القوم ألفاظ متشابهة، تمسكوا بما[1] ظنوها تدل عليه، وعدلوا عن الألفاظ المحكمة الصريحة المبينة، مع ما يقترن بذلك من الأهواء.

وهذه حال[2] أهل الباطل، كما قال ـ تعالى ـ فيهم:

﴿... إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾[3].

فهم في جهل وظلم، كما قال ـ تعالى ـ:

﴿... وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾﴾[4].

فالمؤمنون الذين تاب الله عليهم من الجهل والظلم هم[5] أتباع الأنبياء ـ عليهم السلام[6] ـ، فإن الأنبياء[7] بعثوا بالعلم والعدل، كما قال ـ تعالى ـ:

﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[8].

---

(1) في ك، ط (بها).
(2) في ك، ط زيادة لفظة (جميع) بعد (حال).
(3) سورة النجم: الآية ٢٣.
(4) سورة الأحزاب: الآية ٧٢ ـ ٧٣.
(5) في س (هو) وهو خطأ.
(6) في س (عليهم الصلاة والسلام).
(7) في ك: زيادة جملة (الذين تاب الله عليهم) بعد لفظة الأنبياء، وهي زائدة لا محل لها.
(8) سورة النجم: الآيات ١ ـ ٤.

فبيَّن ـ سبحانه وتعالى ـ أنه ليس ضالاً جاهلاً، ولا غاوياً متبعاً هواه[1]، ولا ينطق عن هواه، إنما نطقه وحي أوحاه الله ـ سبحانه[2] وتعالى ـ .

وقال ـ تعالى[3] ـ :

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾[4].

فالهدى يتضمن العلم النافع، ودين الحق يتضمن العمل الصالح، ومبناه على العدل، كما قال[5] ـ تعالى ـ :

﴿. . . وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ . . .﴾[6].

وأصل العدل: العدل[7] في حق الله ـ تعالى ـ : وهو[8] عبادته[9] وحده لا شريك له؛ فإن الشرك ظلم عظيم كما قال لقمان لابنه:

﴿يَـٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[10].

---

(1) في ك (فلا ينطق).

(2) سقطت (سبحانه) من س.

(3) في س (وقال سبحانه وتعالى).

(4) سورة الفتح: الآية ٢٨.

(5) في س (كما قال الله تعالى).

(6) سورة الحديد: الآية ٢٥، وقد وردت في ك، ط من أولها ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ. . .﴾ الآية.

(7) سقطت (العدل) من ك، ط.

(8) سقطت (الواو) من ك، ط.

(9) في ط (عبادة الله).

(10) سورة لقمان: الآية ١٣.

وفي الصحيحين: عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ، لما نزلت:

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ . . .﴾ الآية.

شقَّ ذلك على أصحاب رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: وقالوا: أينا لم يظلم نفسه؟ فقال رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «ليس هو كما تظنون، إنما هو الشرك. ألم تسمعوا إلى قول العبد الصالح: إن الشرك لظلم عظيم؟»[1].

ولما كان[2] أتباع الأنبياء هم أهل العلم والعدل، كان كلام أهل الإسلام والسنَّة مع الكفار وأهل البدع بالعلم والعدل، لا بالظن وما تهوى الأنفس؛ ولهذا قال النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «القضاة ثلاثة: قاضيان في النار، وقاضٍ في الجنة. رجل علم الحق وقضى به فهو في الجنة، ورجل علم الحق وقضى بخلافه فهو في النار، ورجل قضى

---

(١) أخرجه البخاري بلفظ مقارب في كتاب الإيمان/ باب ظلم دون ظلم ١/١٣ ـ ١٤ وهو في فتح الباري ١/٨١؛ ٨/٢٢٠، وأخرجه مسلم (شرح النووي) باللفظ الذي ذكره الشيخ باب صدق الإيمان وإخلاصه ٢/١٤٣ (المجلد الأول)، ط دار الفكر، وقال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ: «فهاتان الروايتان إحداهما تبين الأخرى».
وأخرجه أبو عوانة في مسنده من ثلاث طرق/ باب أن الكافر لا يبطل معروفه في كفره إذا أسلم وكان على ذلك وإن الشرك يسمى ظلماً ١/٧٣ ـ ٧٤، ط دار المعارف العثمانية بحيدر آباد ١٣٦٢هـ.
وأخرجه ابن جرير الطبري ـ رحمه الله ـ في تفسير آية: **﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم...﴾** [سورة الأنعام: الآية ٨٢]، من حديث عبد الله بن مسعود، ج ٧، ص ١٦٨ (المجلد الخامس) طبعة دار الفكر.

(٢) سقط من نسخة (ك) من قوله: (**إن الشرك لظلم عظيم**... ص ١٤ سطر ٩ إلى قوله وكفر النصارى بتكذيب محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ)، ولقد نبه على هذا السقط في هامش النسخة المذكورة، وذكر أن النقص أكثر من خمسين سطراً.

للناس على جهل فهو في النار»[1]. رواه أبو داود وغيره.

فإذا كان من يقضي بين الناس في الأموال والدماء والأعراض ـ إذا لم يكن عالماً عادلاً ـ كان في النار، فكيف بمن يحكم في الملل والأديان، وأصول الإيمان، والمعارف الإلهية، والمعالم الكلية، بلا علم، ولا عدل؟ كحال أهل البدع والأهواء، الذين يتمسكون بالمتشابه[2] المشكوك، ويدعون المحكم[3] الصريح من نصوص

(١) رواه أبو داود في سننه من حديث ابن بريدة عن أبيه/ كتاب الأقضية/ باب في القاضي يخطىء ٤/٥ (٣٥٧٣)، ثم قال أبو داود ـ رحمه الله ـ : وهذا أصح شيء فيه يعني حديث ابن بريدة. وأخرجه الترمذي في الأحكام/ باب ما جاء عن الرسول ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ في القاضي ٦١٣/٣ بلفظ مقارب. وأخرجه ابن ماجه في الأحكام باب الحاكم يجتهد فيصيب الحق ٧٧٦/٢ (٢٣١٥). وأخرجه الحاكم في الأحكام ٤/٩٠، وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وله شاهد بإسناد صحيح على شرط مسلم وذكره وقال ابن حجر في تلخيص الحبير ٤ / ١٨٥ (٢٠٨) رواه أصحاب السنن والحاكم والبيهقي من حديث بريدة ثم ذكر أنه قد جمع طرقه في جزء مفرد، وذكره محمد بن السيد درويش الحوت في حسن الأثر ص ٥٤٠.

(٢) المتشابه. من حيث معناه العام هو: تماثل الكلام، وتناسبه، بحيث يصدق بعضه بعضاً، وقد وصف الله القرآن كله بأنه متشابه على هذا المعنى. فقال ـ تعالى ـ : ﴿الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً...﴾ الآية ٢٣ من سورة الزمر. فالقرآن كله متشابه، أي: يشبه بعضه بعضاً، في الكمال، والجودة، ويصدق بعضه بعضاً في المعنى، ويماثله، وهذا هو التشابه العام.

(٣) والمحكم هو: إتقان الكلام؛ بتمييز الصدق من الكذب في أخباره، والرشد من الغي في أوامره. والمحكم منه ما كان كذلك، وقد وصف الله القرآن كله بأنه محكم على هذا المعنى. فقال ـ تعالى ـ : ﴿آلر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُه ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيْرٍ﴾ [هود: ١].

فهو محكم؛ أي: كلام متقن فصيح، يميز بين الحق والباطل، والصدق والكذب.

وهذا هو الإحكام العام.

أما من حيث المعنى الخاص:

فالمحكم: ما عرف المراد منه. =

الأنبيـاء، ويتمسكون بـالقدر المشتـرك المتشـابـه في المقـاييس والآراء، ويعـرضون عمـا بينهما[1] من الفـروق المانعـة من الإلحـاق والاستـواء، كحـال الكفـار وسـائـر أهـل البـدع والأهـواء، الـذين يمثِّلون المخلوق بالخالق، والخالق بالمخلوق، ويضربون لله المثل[2] بالقول الهزء[3].

ما كَفَرَتْ به النَّصارى

وذلك أن دين النصارى الباطل إنمـا هو دين مبتـدع، ابتدعـوه بعد المسيـح ـ عليه السـلام ـ، وغيروا بـه دين المسيـح، فضـل منهم من عدل عن شريعة المسيح إلى ما ابتدعوه.

= والمتشابه: ما استأثر الله بعلمه. والمحكم: ما لا يحتمل إلَّا وجهاً واحداً.
والمتشـابه: مـا احتمل أوجهـاً. والمحكم: ما استقـل بنفسه، ولم يحتـج إلى بيان.
والمتشابه: ما لا يستقل بنفسـه؛ ويحتاج إلى بيـان يرده إلى غيـره. ومثلوا للمحكم: بناسخ القرآن، وحلاله، وحرامه، وحدوده، وفرائضه، ووعده، ووعيده.
ومثلوا للمتشابه: بمنسوخه، وكيفيات أسماء الله وصفاته.
انظر: الإكليل في المتشابه والتأويل لابن تيميـة ضمن (مجموعـة الرسـائل الكبـرى) ٢/٧ ـ ٩، والقائد إلى تصحيـح العقائـد للمعلمي ص ١٦١، والرسـالة التـدمـرية لابن تيمية ص ٦٣ ـ ٧٠؛ ومباحث في علوم القرآن للشيخ مناع القطان ص ٢١٥.

(١) في ط (بينها).
(٢) في ط (مثل).
(٣) لله ـ سبحانه ـ المثل الأعلى، كما قال في كتابه العزيز: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ مَثَـلُ السَّـوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَـلُ الأَعْلَىٰ﴾ [النحـل: ٦٠]، وقـال: ﴿وَلَـهُ الْمَثَـلُ الأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الروم: ٢٧].
قـال ابن أبـي العز في شـرح العقيدة الـطحاويـة: «فجعل ـ سبحـانه ـ مثـل السـوء المتضمن للعيوب والنقائص وسلب الكمال ـ لأعدائـه المشركين، وأوثـانهم، وأخبر أن المثـل الأعلى ـ المتضمن لإثبـات الكمـال كله ـ لله وحـده، فمن سلب صفـة الكمال عن الله ـ تعالى ـ فقد جعل له مثل السوء، ونفى عنه ما وصف به نفسـه من المثل الأعلى...».
انظر ص ٨٥ (بتحقيق شعيب الأرنؤوط) ط ١٤٠١هـ، نشر مكتبة دار البيان بدمشق.

ثم لما بعث الله[1] محمداً ــ صلَّى الله عليه وسلَّم[2] ــ كفروا به، فصار كفرهم وضلالهم من هذين الوجهين: تبديل دين الرسول الأول، وتكذيب الرسول الثاني.

كما كان كفر اليهود بتبديلهم أحكام التوراة قبل مبعث المسيح، ثم تكذيبهم المسيح ــ عليه السلام ــ.

ونبيِّن ــ إن شاء الله[3] ــ أن ما عليه النصارى من التثليث والاتحاد، لم يدل عليه شيء من كتب الله: لا الإنجيل، ولا غيره، بل دلت على نقيض ذلك، ولا دل على ذلك عقل؛ بل العقل الصريح، مع نصوص الأنبياء، تدل على نقيض ذلك، بل وكذلك عامة شرائع دينهم محدثة مبتدعة، لم يشرعها المسيح ــ عليه السلام ــ.

ثم التكذيب لمحمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم[4] ــ هو كفرهم[5] المعلوم لكل مسلم، مثل كفر اليهود بالمسيح ــ عليه السلام ــ وأبلغ.

وهم يبالغون في تكفير اليهود بأعظم مما يستحقه اليهود من التكفير؛ إذ كان اليهود يزعمون أن المسيح ساحر كذاب، بل يقولون: إنه ولد غية[6]؛ كما أخبر الله[7] عنهم بقوله[8]:

---

(١) في ط (الله تعالى).

(٢) في ط (عليه أفضل الصلاة والسلام).

(٣) في ط زيادة (تعالى).

(٤) في ط زيادة (تعالى) بعد لفظ الجلالة.

(٥) في النسخ عدا ط لفظة (مثل) بعد (كفرهم) وهي زائدة.

(٦) في ط (بقية)، وما أثبتناه من باقي النسخ أولى. قال في القاموس ٤/٣٧٢ باب الواو والياء: «ولد غَيَّة، ويكسر زنية».
وانظر المصباح المنير ٢/٦٢٦.

(٧) في ط (الله تعالى).

(٨) في ط (بقوله سبحانه).

﴿ . . . وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴾[1].

والنصارى يدعون أن الله الذي خلق الأولين والآخرين، وأنه ديان يوم الدين، فكانت الأمتان فيه على غاية التناقض[2] والتعادي[3] والتقابل[4]؛ ولهذا كل أمة تذم الأخرى بأكثر مما[5] تستحقه، كما قال[6] ـ تعالى ـ:

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾[7].

ذكر محمد بن إسحاق[8]، عن محمد بن أبي ـــــــــــ

---

(1) سورة النساء الآية ١٥٦.

(2) التناقض: الأمران المتناقضان هما: الأمران اللذان لا يجتمعان في شيء واحد، في وقت واحد، ولا يرتفعان عن ذلك الشيء. مثل الوجود والعدم.
انظر: كتاب المنطق والفكر الإنساني للدكتور عبد السلام محمد عبده من ص ٨٤ ـ ص ٨٩، وكتاب المنطق لمحمد رضا المظفر من ص ٥١ ـ ص ٥٢.

(3) في ط (التعادل) وهو خطأ.

(4) التقابل: الأمران المتقابلان هما: الأمران المتواجهان. والتقابل صور متعددة منها: التناقض، والتضاد، وغير ذلك.
النظر: المنطق والفكر الإنساني من ص ٨٤ ـ ص ٨٩. وكتاب المنطق.لابن تيمية من ص ٥١ ـ ٥٣.

(5) في س (ما).

(6) في س، ط (كما قال الله تعالى).

(7) سورة البقرة: الآية ١١٣.

(8) محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي، مولاهم، المدني، نزيل العراق، إمام المغازي، صدوق يدلس، من تصانيفه «السيرة النبوية» مطبوعة هذبها ابن هشام، ومن الأصل أجزاء مخطوطة في خزانة القرويين كما أفاد بذلك الزركلي =

محمد[1] مولى زيد بن ثابت[2].

عن عكرمة[3]، أو سعيد بن جبير[4]، عن ابن عباس[5]

= ـ رحمه الله ـ ومن تصانيفه كتاب «الخلفاء»، وكتاب «المبدأ». مات سنة ١٥١هـ.
انظر: تهذيب التهذيب ٣٨/٩ ـ ٤٦؛ وميزان الاعتدال ٤٦٨/٣؛ وتذكرة الحفاظ ١٧٢/١ والأعلام للزركلي ٢٨/٦.

(١) ستأتي ترجمته.

(٢) زيد بن ثابت بن الضحاك الأنصاري الخزرجي، أبو خارجة، ولد سنة ١١ قبل الهجرة في المدينة، ونشأ بمكة، صحابي جليل، من أكابرهم، وكان كاتب وحي النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، وهاجر مع النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وهو ابن ١١ سنة وتعلَّم، وتفقه في الدين، فكان رأساً في المدينة في القضاء، والفتوى والفرائض، مات ـ رحمه الله ـ سنة ٤٥هـ.
انظر الإصابة: ٥٤٣/١ (٢٨٨٠)؛ والبداية والنهاية ٢٩/٨؛ وطبقات ابن سعد ٣٥٨/٢؛ والأعلام ٥٧/٣.

(٣) عكرمة بن عبد الله البربري، المدني، مولى ابن عباس، تابعي ثقة ثبت، عالم بالتفسير والمغازي، طاف البلدان، وروى عنه زهاء ثلاثمائة رجل منهم أكثر من سبعين تابعياً مات ـ رحمه الله ـ سنة ١٠٧هـ. وقيل بعد ذلك.
انظر تهذيب التهذيب ٢٦٣/٧؛ وتقريبه ٣٠/٢؛ والبداية والنهاية ٢٤٤/٩ ـ ٢٥٠؛ وخلاصة تهذيب الكمال للخزرجي ص ٢٢٩؛ والأعلام ٢٤٤/٤.

(٤) سعيد بن جبير، الأسدي بالولاء، الكوفي ولد سنة ٤٥هـ، تابعي، ثقة ثبت فقيه، كان حبشي الأصل أخذ العلم عن ابن عباس وغيره، قتل بين يدي الحجاج سنة ٩٥هـ. ـ رحمه الله تعالى ـ.
انظر: تهذيب التهذيب ١١/٤؛ وتقريبه ٢٩٢/١؛ وطبقات ابن سعد ١٧٨/٦؛ والبداية والنهاية ٩٨/٩؛ والأعلام ٩٣/٣.

(٥) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي.
ولد سنة ٣ قبل الهجرة، وهو حبر الأمة وترجمان القرآن، صحابي جليل، لازم الرسول ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، وشهد مع علي الجمل وصفين، وكف بصره في آخر عمره، وسكن الطائف، وتوفى بها سنة ٨٦هـ. له في الصحيحين وغيرهما ١٦٦٠ حديثاً. وجمع له بعض أهل العلم تفسيراً سماه «تنوير المقباس في تفسير ابن عباس» مطبوع. =

ـ رضي الله عنهما[1] ـ أنه قال[2] لما قدم وفد نجران[3] من النصارى على رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم[4] ـ أتتهم أحبار يهود، فتنازعوا عند رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم[5] ـ فقال رافع بن حريملة[6]: ما أنتم على شيء، وكفر بعيسى والإنجيل جميعاً، فقال رجل من أهل نجران من النصارى لليهود: ما أنتم على شيء، وجحد نبوة[7] موسى وكفر بالتوراة، فأنزل الله[8] ذلك في قولهما:

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ . . . ﴾[9].

= انظر: الإصابة ٣٢٢/٢ (٤٧٨١؛ والاستيعاب (هامش الإصابة) ٣٤٢/٢؛ والطبقات الكبرى لابن سعد ٣٦٥/٢؛ والبداية والنهاية ٢٩٥/٨ ـ ٣٠٧؛ والأعلام ٩٥/٤.

(١) في ط (عنه).

(٢) سقطت (قال) من ط.

(٣) نجران: بالفتح، ثم السكون، وآخره نون، وهو في عدة مواضع والمقصود بها نجران الواقعة في الجنوب الشرقي من الجزيرة العربية، وهي إحدى مدن المملكة العربية السعودية، وبها كان خبر الأخدود.
انظر معجم البلدان ٢٦٦/٥ ـ ٢٧١؛ ومراصد الأطلاع ١٣٥٩/٣؛ والمسالك والممالك للإصطخري ص ٢٦ (ط دار القلم بالقاهرة).

(٤) في ط زيادة (تعالى) بعد لفظ الجلالة.

(٥) في ط زيادة (تعالى) بعد لفظ الجلالة.

(٦) في جميع النسخ (ربيع بن حرملة) وصححته من تفسير ابن جرير، ولم أقف له على ترجمة.

(٧) في ط (بنبوة).

(٨) في ط زيادة (تعالى) بعد لفظ الجلالة.

(٩) أخرجها الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره بسنده، قال: حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة ـ يعني الأبرش ـ وحدثنا أبو كريب، قال: ثنا يونس بن بكير قالا جميعاً: حدثنا محمد بن إسحاق، قال: حدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، =

قال كل يتلو في كتابه تصديق ما كفر[1]: أي تكفر[2] اليهود بعيسى، وعندهم التوراة فيها ما أخذ الله[3] عليهم على لسان موسى بالتصديق بعيسى ــ عليه السلام ــ، وفي الإنجيل بإجابة عيسى بتصديق موسى[4]، وبما جاء به من التوراة من عند الله[5] وكل يكفر بما في يدي صاحبه.

قال قتادة: «وقالت اليهود: ليست النصارى على شيء»، قال: بلى، قد كان أوائل النصارى على شيء ولكنهم ابتدعوا وتفرقوا.

= قال: حدثني سعيد بن جبير أو عكرمة، عن ابن عباس وذكره باللفظ الذي أشار إليه المؤلف.

انظر تفسير ابن جرير عند آية ١١٣: البقرة ١/٣٩٤، قلت: وفي السند سلمة بن الفضل الأبرش، قال ابن حجر في تقريب التهذيب ١/٣١٨: صدوق كثير الخطأ ووردت ترجمته في ميزان الاعتدال ٢/١٩٢.

وفيه محمد بن أبي محمد الأنصاري مولى زيد بن ثابت مدني، روى عن سعيد بن جبير وعكرمة وعنه ابن إسحاق، قال الحافظ ابن حجر: «مجهول من السادسة تفرد عنه ابن إسحاق»، تقريب التهذيب ٢/٢٠٥ (٦٧٩)؛ وانظر ترجمته في التهذيب ٩/٤٣٣؛ وميزان الاعتدال ٤/٢٦ (٨١٢٩)، وقال عنه: لا يُعرف.

وقد ذكر الواحدي هذه القصة في أسباب النزول ص ٢٤ عند قوله تعالى: **﴿وقالت اليهود ليست النصارى على شيء﴾**، وذكرها السيوطي في لباب النقول ص ١٦، وعزاها لابن أبي حاتم. وانظر تفسير ابن كثير ١/١٥٥؛ وفتح القدير للشوكاني ١/١٣٠.

أما قصة وفد نجران، فهي صحيحة مشهورة وسيأتي تخريجها في موضعه ــ إن شاء الله ــ والآية ١١٣ من سورة البقرة.

(١) في ط زيادة (به).

(٢) في ط (تفكير).

(٣) في ط زيادة (تعالى).

(٤) في ط (عليه السلام).

(٥) في ط (من الله تعالى)، وفي س (من الله).

«وقالت النصارى: ليست اليهود على شيء»، قال: بلى، قد كانت[1] أوائل اليهود على شيء ولكنهم ابتدعوا وتفرقوا»[2].

تكفير كلّ من الفريقين للآخر

فاليهود كذبوا بدين النصارى، وقالوا: ليسوا على شيء، والنصارى كذبوا بجميع ما تميز[3] به اليهود عنهم، حتى في شرائع التوراة التي لم ينسخها المسيح، بل أمرهم بالعمل بها، وكذبوا[4] بكثير من الذين تميزوا به عنهم، حتى كذبوا بما جاء به عيسى ـ عليه السلام ـ، من الحق.

لكن النصارى ـ وإن بالغوا في تكفير اليهود ومعاداتهم على[5] الحد الواجب عما ابتدعوه من الغلو والضلال ـ فلا ريب أن اليهود لما كذبوا المسيح صاروا كفاراً، كما قال[6] ـ تعالى ـ للمسيح:

﴿... إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا ...﴾[7].

وقال ـ تعالى ـ:

﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾[8].

---

(١) في س، ط (كان).
(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره ٣٩٥/١ مجلد (١) عند آية ١١٣ من سورة البقرة بسند رجاله ثقات.
(٣) في ط (يتميز).
(٤) في ط (واليهود كذبوا).
(٥) في ط عن وكررت لفظة الحد.
(٦) في س، ط (كما قال الله تعالى).
(٧) سورة آل عمران: الآية ٥٥.
(٨) سورة الصف: الآية ١٤.

وكفر النصارى ــ بتكذيب محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ، وبمخالفة المسلمين ــ أعظم من كفر اليهود بمجرد تكذيب المسيح ؛ فإن المسيح لم ينسخ من شرع التوراة إلا قليلاً، وسائر شرعه إحالة على التوراة، ولكن عامة دين النصارى أحدثوه بعد المسيح. فلم يكن في مجرد تكذيب اليهود له ــ من مخالفة شرع الله ــ ، الذي جاء بكتاب مستقل من عند الله، لم يحل شيئاً[1] من شرعه على شرع غيره.

قال الله[2] ــ تعالى ــ :

﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[3].

والقرآن أصل كالتوراة، وإن كان أعظم منها، ولهذا[4] علماء النصارى يقرنون بين موسى ومحمد ــ صلَّى الله عليه[5] وسلَّم ــ كما قال النجاشي[6] ملك النصارى لما سمع القرآن: «إن هذا والذي جاء به

---

(١) في ك، ط شيء.

(٢) سقط لفظ الجلالة من ك، ط.

(٣) سورة العنكبوت: الآية ٥١.

(٤) في ك، ط، (ولهذا كان).

(٥) في ك، ط (عليهما).

(٦) النجاشي بفتح النون على المشهور وقيل تكسر وبتشديد آخره وهو: أصحمة بن أبحر ملك الحبشة واسمه بالعربية عطية والنجاشي لقب له؛ أسلم على عهد النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ولم يهاجر إليه وكان رِدْءاً للمسلمين نافعاً وقصته مشهورة في إحسانه إلى المهاجرين إليه من المسلمين وعندما توفي صلَّى عليه النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ونفر من الصحابة صلاة الغائب.
انظر ترجمته في الإصابة ١/١١٧؛ ومسلم بشرح النووي ٧/٢٢ (مجلد ٤)؛ والفتح الرباني ٢٢/٤٤٨؛ والبداية والنهاية ٣/٧٨.

موسى ليخرج من مشكاة واحدة»[1].

وكذلك قال ورقة بن نوفل[2]، وهو من أحبار نصارى العرب[3]، لما سمع كلام النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فقال له[4] أنه يأتيك الناموس[5] الذي يأتي موسى، يا ليتني فيها جذعاً[6] حين يخرجك

---

(١) هذا قطعة من الحديث الطويل الذي رواه الإمام أحمد في مسند أم سلمة زوج النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ١/٢٠١، ٢٠٣، ٥/٢٩٠ ـ ٢٩٣ وأخرجه ابن هشام في السيرة النبوية ١/٢٩٠ وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/٢٤، ٢٧ وقال رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير ابن إسحاق وقد صرح بالسماع.

(٢) ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزي. من قريش: حكيم جاهلي، اعتزل الأوثان قبل الإسلام، وامتنع من أكل ذبائحها وتنصر، وقرأ كتب الأديان، وهو ابن عم خديجة أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ أدرك أوائل عصر النبوة، ولم يدرك الدعوة، وقد ورد ما يدل على ذلك في صحيح البخاري في الحديث الذي ساقه المؤلف. وسيأتي تخريجه. مات ورقة سنة ١٢ قبل الهجرة.
انظر الإصابة للحافظ ابن حجر ٣/٥٩٧ (٩١٣٣)؛ والبداية والنهاية لابن كثير في مواضع مختلفة في ٢/٢٣٩؛ ٣/٣ ـ ١٦؛ ٣/١٧؛ والأعلام للزركلي ٨/١١٤، ١١٥.

(٣) الأحبار: جمع حبر بكسر الحاء المهملة، والفتح لغة فيه، والحبر العالم.
انظر المصباح المنير ١/١٦١؛ والقاموس المحيط ٢/٢؛ وتفسير غريب الحديث لابن حجر ص ٦٢.

(٤) سقطت لفظة (له) من ك، ط.

(٥) الناموس: صاحب السر. وقيل صاحب سر الخير والجاسوس صاحب سر الشر قال ابن حجر: «والأول الصحيح الذي عليه الجمهور... ثم قال والمراد بالناموس هنا جبريل ـ عليه السلام ـ» ا هـ.
انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري: ١/٢٤/ باب بدء الوحي. والروض الأنف للسهيلي ١/٢٧٣ ط دار المعرفة بيروت.

(٦) جذعاً: بالنصب على أنه خبر كان المقدرة قاله الخطابي وهو مذهب الكوفيين وقيل النصب على الحال والجذع هو: الصغير من البهائم، كأنه عني أن يكون عند ظهور الدعاء إلى الإسلام شاباً؛ ليكون أمكن لنصره. =

قـومـك، فقـال النبـي ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ : «أو مخـــرجي هم؟» قال: نعم، لم يأت أحد بمثل ما أتيت به إلا عودي، وإن يدركني يـومك أنصرك نصراً مؤزراً[1].

ولهـذا يقرن ـ سبحـانه[2] ـ بين التـوراة والقرآن في مثـل قولـه: (فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتي مثل ما أوتي موسى أو لم يكفـروا بما أوتي موسى من قبل قالوا سحران[3] تظاهرا...)، ويعني التوراة والقـرآن، وفي القـراءة الأخـرى: «قـالــوا سـاحــران»، أي: محمـد

= انظر فتح الباري ١/ ٢٥، باب بدء الوحي؛ وتفسير غريب الحديث ص ٥٣ وكلاهما (لابن حجـر). وقـد وجـه ابن حجـر ـ رحمـه الله ـ سبب ذكـره مـوسى دون عيسى بقوله: «لأنه كتاب موسى ـ عليه السلام ـ مشتمل على أكثر الأحكام بخلاف عيسى وكذلك النبـي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أو لأن موسى بعث بالنقمة على فرعون ومن معه بخلاف عيسى وكذلك وقعت النقمة على يدي النبـي ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ بفـرعـون هـذه الأمـة وهـو أبـو جهـل بن هشـام وذكـر غـيـر ذلـك انـظـر الـفـتـح ١/ ٢٤ ـ ٢٥.

(١) هذا قطعة من حديث طويل ورد في صحيـح البخاري من روايـة عائشـة ـ رضي الله عنهـا ـ كتاب بـدء الوحي ١/ ٣؛ وورد في كتـاب التعبيـر ٨/ ٦٧ من روايـة عـائشـة أيضـاً؛ ورواه مسلم في الإيمان بـاب بـدء الـوحي ١/ ١٣٩ ـ ١٤٢ (٢٥٢)؛ وانـظر سيرة ابن هشام ١/ ١٧٥؛ والوفا بأحوال المصـطفى ١/ ١٦٣؛ ودلائل النبـوة للبيهقي ١/ ٤٠٤ فقد وردت فيها هذه القصة بألفاظ متقاربة.

(٢) في ك، ط (سبحانه وتعالى).

(٣) في س (ساحران) صـوابه (سحـران) وهو تصحيف لأنـه أشار بعـد ذلك إلى القـراءة الثانية وورد ذكرها في نسخة (س).
جـاء في التبصرة في القـراءات السبع لمكي بن أبـي طـالـب: «قرأ الكـوفيون «قـالوا سحران»، على أنه تثنية سحر، وقرأ الباقون «ساحران» على أنه تثنية ساحر».
انـظر ص ٤٥٧؛ وانظر النشـر ٢/ ٣٤١، ٣٤٢؛ وفتـح القـديـر للشـوكـاني ٤/ ١٧٧ والتيسيـر في القراءات السبـع لأبـي عمرو الـداني ص ١٧٢؛ والغايـة في القـراءات العشر للنيسابوري ص ٢٣١.

وموسى[1].

﴿وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ۝٤٨ قُلْ فَأْتُواْ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[2].

فلم ينزل كتاب من عند الله أهدى من التوراة والقرآن.

ثم قال ـ تعالى ـ:

﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥٠﴾[3].

وهؤلاء النصارى، ذكر كاتب كتابهم في كتابه: أنه لما سأله سائل[4] أن يفحص له فحصاً بيناً عما يعتقده النصارى المسيحيون المختلفة ألسنتهم، المتفرقة في أربع زوايا العالم، من المشرق إلى المغرب، ومن الجنوب إلى الشمال، والقاطنون بجزائر البحر[5]، والمقيمون بالبر المتصل إلى مغيب الشمس، وإن[6] الأسقف

---

(١) في ط (موسى ومحمد صلّى الله عليهما وسلّم) وفي ك (موسى ومحمد).

(٢) سورة القصص: الآية ٤٨، ٤٩.

(٣) سورة القصص: الآية ٥٠.

(٤) سقطت (سائل) من ط.

(٥) ذكر الاصطخري في المسالك والممالك ص ٥١ أنه يوجد في بحر الروم (الأبيض المتوسط الآن) جزائر صغار، وكبار، وجبال. قال فأما المعمور بالناس فهي صقلية، وهي أكبرها، وأقريطش، وقبرص، وجبل القلال، فأما صقلية فهي قريبة من الافرنجة وأقريطش، دونها، وسكانها جميعاً مسلمون، وبين أظهرهم نبذ من النصارى، وقبرص أهلها نصارى... وقد فتحها معاوية صلحاً، وهادن أهلها، وهم نصارى من الروم.

انظر المسالك والممالك ص ٥١ بتصرف.

(٦) في ط، ك (فان).

دميان[1] الملك[2] الرومي اجتمع بمن اجتمع به من أجلائهم ورؤسائهم[3]، وفاوض من فاوض من أفاضلهم وعلمائهم، فيما[4] علمه من رأى القوم الذين رآهم بجزائر البحر قبل دخوله إلى قبرص[5]، وخاطبهم في دينهم وما يعتقدونه ويحتجون به عن أنفسهم، قال الكاتب على لسان الأسقف: إنهم يقولون[6]: إنا سمعنا أن قد ظهر إنسان من العرب اسمه محمد، يقول[7]: إنه رسول الله، وأتى بكتاب فذكر أنه منزل عليه من الله، فلم نزل إلى أن حصل الكتاب عندنا، قال: فقلت لهم: إذا كنتم قد سمعتم بهذا الكتاب وهذا الإنسان، واجتهدتم على تحصيل هذا الكتاب الذي أتى به عندكم، فلأي حال لم تتبعوه، ولا سيما وفي[8] الكتاب يقول:

شبهات النَّصارى على دعواهم خصوصيَّة رسالة محمَّد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالعرب

---

(١) في ك، ط (ديان)، وقد جاء في كتاب تاريخ الأمة القبطية للكاتبة أ.ل. بتشر الانجليزية أن هناك رجلاً يدعى (دميان) كان بطريركاً، وعين في صومعة في دير وادي النطرون. انظر ٢/٩٥ ـ ٩٦، ولكن هذا لا يعني أنه الذي نص عليه المؤلف لأنه ذكر أنه من ملوك الروم، ولم أقف عليه فيما اطلعت عليه من المراجع التي تتحدث عن ملوك الرومان حتى أجزم به.

(٢) في أ، س (المللي).

(٣) في أ، س (ورشاهم) وهو تصحيف ظاهر.

(٤) في ك (ميها).

(٥) قبرص: جزيرة كبيرة من جزر شرق البحر المتوسط، وهي الثالثة في المساحة والثانية في القيمة التاريخية والاقتصادية لها في التاريخ ذكر واسع كذكر صقلية.
انظر: دائرة معارف القرن العشرين ٧/٦٠٣ (فيه حديث واسع عنها)؛ وانظر معجم البلدان ٤/٣٠٥؛ ومراصد الاطلاع ٣/١٠٦٣؛ والمسالك والممالك للاصطخري ص ٥١ (ط دار القلم بالقاهرة).

(٦) سقطت جملة (انهم يقولون) من س.

(٧) في ك، ط (ويقول).

(٨) في ك، ط (وفي هذا الكتاب).

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾.[1]

أجابوا قائلين: لأحوال شتى. قال: فقلت: وما هي؟ قالوا: منها أن الكتاب عربي وليس بلساننا، حسب ما جاء فيه يقول:

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا... ﴾[2].

وقال: ﴿... بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴾[3].

وقال في سورة الشعراء:

﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴾[4].

وقال في سورة البقرة:

﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴾[5].

وقال في سورة آل عمران:

﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ﴾[6].

وقال ــ تعالى ــ في سورة القصص:

﴿... لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾[7].

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٨٥.
(٢) سورة يوسف: الآية ٢.
(٣) سورة الشعراء: الآية ١٩٥.
(٤) سورة الشعراء: الآية ١٩٨، ١٩٩.
(٥) سورة البقرة: الآية ١٥١.
(٦) سورة آل عمران: الآية ١٦٤.
(٧) سورة القصص: الآية ٤٦.

وقال في سورة السجدة:

﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾[1].

وقال في سورة يس:

﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴾[2].

قالوا: فلما رأينا هذا علمنا أنه لم يأت إلينا، بل إلى جاهلية العرب، الذين قال:[3] إنه لم يأتهم رسول ولا نذير من قبله، وإنه لا يلزمنا اتباعه، لأننا نحن قد أتانا رسل من قبله: خاطبونا بألسنتا، وأنذرونا بديننا الذي نحن متمسكون به يومنا هذا، وسلموا إلينا التوراة والإنجيل بلغاتنا[4]، على ما يشهد لهم هذا الكتاب الذي أتى به هذا الرجل، حيث يقول في سورة إبراهيم:

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ . . . ﴾[5].

وقال في سورة النحل:

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا ﴾[6].

وقال في سورة الروم:

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ . . . ﴾[7].

---

(١) سورة السجدة الآية ٣ وقد سقطت آية السجدة من ك، ط وما أثبتناه من أ، س.

(٢) سورة يس: الآية ٦.

(٣) في ك، ط قالوا والصواب ما أثبتناه من أ، س والمقصود الذين قال الله أنه لم يأتهم رسول ولا نذير. . .

(٤) في ط بلغتنا وقد تفردت بذلك عن باقي النسخ.

(٥) سورة إبراهيم: الآية ٤.

(٦) سورة النحل: الآية ٣٦.

(٧) سورة الروم: الآية ٤٧.

فقد صح في[1] هذا الكتاب أنه لم يأت إلا إلى الجاهلية من العرب، وأما قوله:

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[2].

فيريد بحسب مقتضى العدل قومه الذين أتاهم بلغتهم، لا غيرهم ممن لم يأتهم بما جاء فيه[3].

ونعلم أن الله عدل، وليس من عدله أن يطالب يوم القيامة أمة باتباع إنسان لم يأت إليهم، ولا وقفوا له على كتاب بلسانهم، ولا من جهة داع من قبله[4].

هذه[5] ألفاظهم بأعيانها في الفصل الأول، وهذا الفصل لم يتعرضوا فيه لا لتصديقه ولا لتكذيبه، بل زعموا أن[6] في نفس هذا الكتاب أنه لم يقل: إنه مرسل إليهم، بل إلى جاهلية العرب، وإن العقل أيضاً يمنع أن يرسل إليهم.

فنحن نبدأ بالجواب عن[7] هذا، ونبين أنه ـ صلَّى الله عليه

---

(١) في أ، س (أن) وماأثبتناه من ك، ط هو الصواب.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٨٥.

(٣) من أول كلام النصراني إلى هذا الموضع يوافق من أول الرسالة المخطوطة التي عندنا (برقم ١٢٥٤) من المتحف القبطي إلى ورقة رقم (٣) مع اختلاف يسير في الألفاظ.

(٤) هذه الجملة من قوله (ونعلم أن الله عدل) إلى آخرها، وقعت في المخطوط في ورقة رقم (٧)، أي سبقها كلام آخر جاء عند الشيخ متأخراً.

(٥) في ك، ط (وهذه).

(٦) في ك، ط (أنه).

(٧) في ك، ط (على) بدل (عن).

الرّدعلى شبهة النّصارى في خصوصيّة رسالة محمَّد ـ صلى الله عليه وسلم ـ

وسلَّم ـ أخبر أنه مرسل إليهم وإلى جميع الأنس والجن، وأنه لم يقل قط: أنه لم يرسل إليهم، ولا في كتابه ما يدل على ذلك.

وأن ما احتجوا به[١] من الآيات التي غلطوا في معرفة معناها، فتركوا النصوص الكثيرة الصريحة في كتابه، التي تبين أنه مرسل إليهم، من جنس ما فعلوه في التوراة والإنجيل والزبور. وكلام الأنبياء، حيث تركوا النصوص الكثيرة الصريحة، وتمسكوا بقليل من المتشابه الذي لم يفهموا معناه.

ومعلوم أن الكلام في صدق مدعي الرسالة وكذبه، متقدم على الكلام في عموم رسالته وخصوصها، وإن كان قد يعلم أحدهما قبل الآخر، لكن هؤلاء القوم ادعوا خصوص رسالته، وذكروا أن القرآن يدل على ذلك، فنجيب عما ذكروه على حسب ترتيبهم فصلاً فصلاً، فنقول وبالله التوفيق:

الكلام[٢] فيمن خاطب الخلق بأنه رسول الله إليهم، كما فعل محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، وغيره ممن قال: أنه رسول الله كإبراهيم، وموسى، ونحوهما من الرسل[٣]، الصادقين ـ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وآل كل من الصالحين ـ، وكمسيلمة الكذاب[٤]

---

(١) سقطت (به) من ك.

(٢) في هامش نسخة (أ) كلام زائد هذا نصه: «مطلب: الجواب عما ذكروه على حسب ترتيبهم فصلاً فصلاً، ومن الله الهداية والإعانة بفضله».

(٣) في ك، ط (الأنبياء).

(٤) مسيلمة الكذاب: هو مسيلمة بن ثمامة الحنفي، الوائلي، أبو ثمامة، متنبىء كذاب من المعمرين، ولد ونشأ باليمامة بوادي حنيفة، في نجد. عرف برحمان اليمامة، ارتد قبل موت النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ولحق الرسول بالرفيق الأعلى قبل القضاء على فتنته. ثم تولى أبو بكر قتال المرتدين، وقتل هذا الخبيث سنة ١٢هـ. =

والأسود العنسي[1]، ونحوهما، من المتنبئين الكذابين[2]، ينبني على أصلين:

أحدهما: أن نعرف[3] ما يقوله في خبره وأمره، فنعرف[4] ما يخبر به ويأمر به، وهل قال: إنه رسول الله إلى جميع الناس؟ أو قال: إنه لم يرسل إلا إلى طائفة معينة، لا إلى غيرها؟.

والثاني: أن يعرف[5] هل هو صادق أو كاذب؟.

وبهذين الأصلين يتم الإيمان المفصل، وهو معرفة صدق الرسول، ومعرفة ما جاء به.

وأما الإيمان المجمل، فيحصل بالأول: وهو معرفة صدقه فيما جاء به، كإيماننا بالرسل المتقدمة، وقد نعلم[6] صدقه أو كذبه.

= في المعركة التي دارت بين الصحابة والمرتدين.
انظر: سيرة ابن هشام ٤/١٨٢؛ وفتوح البلدان ٩٧/١٠٣؛ والطبري ٣/٢٨١ ــ ٣٠١؛ وابن الوردي ١/٢١٦؛ والبداية والنهاية ٦/٣٢٣؛ وشذرات الذهب ١/٢٣.

(١) هو عيهلة بن كعب بن عوف العنسي، المذحجي، ذو الخمار، متنبىء مشعوذ، من أهل اليمن، كان جباراً، أسلم لما أسلمت اليمن، وارتد في أيام النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وكان أول مرتد في الإسلام، وادعى النبوة، وأرى قومه أعاجيب استهواهم بها. ولم يلبث إلا أربعة أشهر ثم وثب عليه فيروز الديلمي ومعه معاونوه فقتلوه، وذلك قبل وفاة النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ بشهر واحد فقط.
راجع: تاريخ الطبري ٣/٢٢٧ ــ ٢٤٠؛ وفتوح البلدان ص ١١٣؛ وابن الوردي ١/٢١٣؛ والبداية والنهاية ٦/٣١٠؛ وفتح الباري ٨/٧٢ ــ ٧٣؛ والأعلام ٥/١١١.

(٢) في ك، ط (الكاذبين).

(٣) في ك، ط (يعرف بالمثناة التحتية).

(٤) في ك، ط (يعرف بالمثناة التحتية).

(٥) في ك، ط (نعرف) بالنون.

(٦) في ك، ط بالياء المثناة التحتية.

وهؤلاء بدأوا في كتابهم هذا بما[1] ذكره الرسول، مما زعموا أنه حجة لهم على عدم وجوب اتباعه، وعلى مدح دينهم الذي هم اليوم عليه، بعد النسخ والتبديل، ثم ذكروا حججاً مستقلة على صحة دينهم، ثم ذكروا ما يقدح فيه وفي دينه، فلهذا قدمنا الجواب عما احتجوا به من القرآن، كما قدموه في كتابهم.

● ● ●

(١) في س، ك (ما).

فصل[1]

ودلائل صدق النبي الصادق، وكذب المتنبي الكذاب[2] كثيرة جداً، فإن من ادعى النبوة ــ وكان صادقاً[3] ــ فهو من أفضل خلق الله[4]، وأكملهم في العلم[5] والدين، فإنه لا أحد أفضل من رسل الله وأنبيائه، ــ صلوات الله عليهم وسلامه[6] ــ ، وإن كان بعضهم أفضل من بعض، كما قال ــ تعالى ــ :

﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾[7].

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾[8].

وإن كان المدعي للنبوة كاذباً فهو من أكفر خلق الله، وشرهم، كما قال ــ تعالى ــ :

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾[9].

---

(١) سقطت كلمة (فصل) من ك.

(٢) في ط (الكاذب).

(٣) في س (صادق) وهو خطأ.

(٤) في ط زيادة (تعالى) بعد لفظ الجلالة.

(٥) في ك (العدل) بدل (العلم).

(٦) في س تقديم وتأخير يسير.

(٧) سورة البقرة: ص ٢٥٣.

(٨) سورة الإسراء: الآية ٥٥.

(٩) سورة الأنعام: الآية ٩٣.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[1].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾[2].

فالكذب أصل للشر، وأعظمه الكذب على الله ـ عز وجل ـ ، والصدق أصل للخير، وأعظمه الصدق على الله ـ تبارك وتعالى ـ .

وفي الصحيحين: عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ ، عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أنه قال:

«عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً»[3].

---

(١) سورة الزمر: الآيات ٣٢ ـ ٣٤.

(٢) سورة الزمر: الآية ٦٠.

(٣) أخرجه البخاري في الأدب، باب «قول الله ـ تعالى ـ ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ ٧/٩٥، ورواه مسلم في البر والصلة والآداب، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله ٤/٢٠١٣ (١٠٥)، ورواه أبو داوود في الأدب/ باب التشديد في الكذب ٥/٢٦٤؛ والترمذي في البر والصلة/ باب ما جاء في الصدق والكذب ٤/٣٤٧ وقال عنه حديث حسن صحيح، وابن ماجه بلفظ مقارب في =

ولما كان هذا من أعلى الدرجات، وهذا في أسفل الدركات، كان بينهما من الفروق والدلائل والبراهين، التي تدل على صدق أحدهما وكذب الآخر ـ ما يظهر لكل من عرف حالهما. ولهذا كانت دلائل الأنبياء وأعلامهم الدالة على صدقهم كثيرة متنوعة، كما أن دلائل كذب المتنبئين كثيرة متنوعة، كما قد[1] بسط في موضع آخر.

• • •

= المقدمة ١/١٨، ومالك في الموطأ/ باب ما جاء في الصدق والكذب ٢/٢٥٤، وأحمد في مسند ابن مسعود بلفظ مقارب ١/٣٨٤، ٤٠٥.

(١) سقطت (قد) من أ، وقد بسط المؤلف ـ رحمه الله ـ الكلام على هذا في كتابه الذي ألفه بعنوان (النبوات)، كما تحدث في أماكن متفرقة من هذا الكتاب عن بعض دلائل النبوة وأعلامها، وفي الجزء الرابع من هذا الكتاب مباحث مهمة حول هذا الموضوع.

فصل

توضيح الدّعوى والردّ عليها

إذا عرف هذا، فهؤلاء القوم ــ في هذا المقام ــ ادعوا أن محمداً ــ صلّى الله عليه وسلّم ــ لم يرسل إليهم، بل إلى أهل الجاهلية من العرب، فهذه الدعوى على وجهين:

إما أن يقولوا: إنه بنفسه لم يدع أنه أرسل إليهم، ولكن أمته ادعوا له ذلك.

وإما أن يقولوا: إنه ادعى أنه أرسل إليهم، وهو كاذب في هذه الدعوى وكلامهم في صدر هذا الكتاب يقتضي الوجه الأول.

وفي آخره قد يقال: أنهم[1] أشاروا إلى الوجه الثاني، لكنهم في الحقيقة لم ينكروا رسالته إلى العرب، وإنما أنكروا رسالته إليهم.

وأما رسالته إلى العرب فلم يصرحوا بتصديقه فيها ولا بتكذيبه، * وإن كان ظاهر لفظهم يقتضي الإقرار برسالته إلى العرب[2] * بل صدقوا بما وافق قولهم، وكذبوا بما خالف قولهم.

ونحن نبين أنه لا يصح احتجاجهم بشيء مما جاء به النبي ــ صلّى الله عليه وسلّم ــ ثم نتكلم على الوجهين جميعاً، ونبين أنه لا يصح احتجاجهم بشيء من القرآن على صحة دينهم، بوجه من

---

(١) في ط (أنهم قد).

(٢) سقط ما بين النجمتين من أ، س، ك وزدناه من ط.

الوجوه، ونبين أن القرآن لا حجة فيه لهم، ولا فيه تناقض.

وكذلك كتب الأنبياء المتقدمين، التي يحتجون بها، هي حجة عليهم، ليس في شيء منها حجة لهم، ولو لم يبعث محمدٌ[1] ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، فكيف والكتاب الذي جاء به محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ موافق لسائر كلام الأنبياء ـ عليهم السلام ـ في إبطال دينهم، وقولهم في التثليث. والاتحاد، وغير ذلك، مع العقل الصريح.

فهم احتجوا في كتابهم هذا بالقرآن وبما جاءت به الأنبياء، قبل محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، مع العقل.

ونحن نبين أنه لا حجة لهم فيما جاء به محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ولا فيما جاءت به الأنبياء قبله، ولا في العقل، بل ما جاء به محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وما جاءت به الأنبياء قبله، مع صريح العقل، كلها براهين قطعية على فساد دينهم، ولكن نذكر قبل ذلك: أن احتجاجهم بما جاء عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لا يصح بوجه من الوجوه، وأنه لا يجوز أن يحتج بمجرد المنقول عن محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ من يكذبه في كلمة واحدة مما جاء به.

وكذلك[2] سائر الأنبياء ـ عليهم السلام ـ ، بخلاف الاحتجاج بكلام غير الأنبياء؛ فإن ذلك يمكن موافقة بعضه دون بعض، وأما ما أخبرت به الأنبياء ـ عليهم السلام ـ ، أو من قال: إنه نبي،

---

(١) في جميع النسخ عدا ط (محمداً).

(٢) في س، ط (وكذلك كلام سائر. . .).

فلا يمكن الاحتجاج ببعضه دون بعض، سواء[1] قدر صدقهم أو كذبهم.

فيقال لهم: على كل تقدير، سواء[1] أقروا بنبوته إلى العرب أو غيرهم[2]، أو كذبوه في قوله: إنه رسول الله[3] أو سكتوا عن هذا وهذا، أو صدقوه في البعض دون البعض.

إن احتجاجكم[4] على صحة ما تخالفون[5] فيه المسلمين[6]، مما جاء به محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، لا يصح بوجه من الوجوه. فاحتجاجكم على أنه لم يرسل إليكم، أو على صحة دينكم بشيء من القرآن، حجة داحضة، على كل تقدير.

مع أنّا سنبيِّن، ـ إن شاء الله تعالى ـ، أن الكتب الإلٓهية كلها، مع المعقول لا حجة لكم في[7] شيء منها، بل كلها حجة عليكم.

وهذا بخلاف المسلمين، فإنه يصح احتجاجهم على أهل الكتاب: اليهود والنصارى، بما جاءت به الأنبياء قبل محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، وأهل الكتاب لا يصح احتجاجهم بما جاء به محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، وذلك أن المسلمين مقرون بنبوة موسى، وعيسى، وداود، وسليمان، وغيرهم من الأنبياء ـ عليهم السلام ـ، وعندهم يجب الإيمان بكل كتاب أنزله الله، وبكل نبي أرسله الله، وهذا أصل دين المسلمين؛ فمن كفر بنبي واحد، أو كتاب واحد، فهو ـ عندهم ـ كافر، بل من سب[8] نبياً من الأنبياء فهو ـ عندهم ـ كافر

---

(١) في ط (سواء إن أقروا).
(٢) في ط (أو إلى غيرهم).
(٣) في ط (رسول الله مطلقاً).
(٤) في س، ك، ط (احتجاجهم).
(٥) في س، ك، ط (يخالفون) بالمثناة التحتية.
(٦) في ط (المسلمون) وهو خطأ.
(٧) سقطت (في) من ط.
(٨) في ك، ط (يسب) بالمثناة التحتية.

مباح الدم، كما قال ـ تعالى ـ :

﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ (١٣٦) فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾[1] .

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾[2] .

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾[3] .

والكتاب اسم جنس لكل كتاب أنزله الله، يتناول التوراة والإنجيل، كما يتناول القرآن، كقوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ ﴾[4] .

وقوله ـ تعالى[5] ـ :

﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ . . . ﴾[6] .

---

(١) سورة البقرة: الآيتان ١٣٦، ١٣٧ .
(٢) سورة البقرة: الآية ٢٨٥ .
(٣) سورة البقرة: الآية ١٧٧ .
(٤) سورة الشورى: الآية ١٥ .
(٥) سقطت (تعالى) من س، ك .
(٦) سورة البقرة: الآية ٢٨٥ .

وفي القراءة الأخرى: «وكتابه»، كقوله ــ تعالى ــ :

﴿ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ . . . ﴾[1].

وقوله ــ تعالى ــ :

﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[2].

فذكر أن هذا الكتاب الذي أنزل عليه هدى للمتقين، الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة، والذين يؤمنون بما أنزل إليه وما أنزل من قبله وبالآخرة هم يوقنون، ثم أخبر[3] أن هؤلاء هم المفلحون، فحصر الفلاح في هؤلاء، فلا يكون مفلحاً إلَّا من كان من هؤلاء.

وقوله ــ تعالى ــ :

﴿ . . . وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ . . . ﴾.

هو صفة للمذكورين ليس هؤلاء صنفاً[4] آخر؛ فإن عطف الشيء على الشيء قد يكون لتغاير الصفات وإن كانت الذات واحدة، هذا هو الصحيح هنا، وإن كان قد قيل: إن الصنف الثاني مؤمنو أهل الكتاب،

---

(١) سورة الشورى: الآية ١٥.

(٢) سورة البقرة: الآيات ١ ــ ٥.

(٣) في ط (ثم أخبر تعالى).

(٤) في س، ك (صنف).

والأول هم المسلمون، فهذا ضعيف(١). وأفسد منه، قول هؤلاء

---

(١) للعلماء في ذلك ثلاثة أقوال:
الأول: أن هذه الآيات الأربع وصف لجميع المؤمنين، الذين تلك صفاتهم، من العرب، والعجم، وأهل الكتابين. وقد عزاه ابن جرير في تفسيره إلى مجاهد، والربيع بن أنس.
وهذا هو الذي رجحه ابن تيمية، وابن كثير، والشوكاني.
قال الشوكاني ــ رحمه الله ــ: «والحق أن هذه الآية: ﴿**وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ**...﴾ الآية في المؤمنين كالتي قبلها، وليس مجرد ذكر الإيمان بما أنزل إلى النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وما أنزل إلى من قبله بمقتضى لجعل ذلك وصفاً لمؤمني أهل الكتاب. ولم يأتِ ما يوجب المخالفة لهذا، ولا في النظم القرآني ما يقتضي ذلك، وقد ثبت الثناء على من جمع بين الأمرين، من المؤمنين في غير آية. فمن ذلك قوله ــ تعالى ــ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ**...﴾ الآية ثم ساق غيرها من الآيات. في تفسيره فتح القدير ١/٣٧.
الثاني: أن الآيتين: الأولى، والثامنة، في مؤمني العرب خاصة، دون غيرهم. والثالثة، والرابعة، في مؤمني أهل الكتاب. وكل صنف غير الآخر. فالمؤمنون بالغيب، نوع غير النوع المصدق بالكتابين. وقد عزا ابن جرير هذا القول إلى السدي في تفسيره، ونقله السدي عن: ابن عباس، وابن مسعود، وأناس من الصحابة.
ثم انتصر لهذا القول ابن جرير ــ رحمه الله ــ وذكر أن هذا عنده أولى الأقوال بالصواب، وأشبهها بتأويل الكتاب. وعلل بأنه قد صير الكفار بعد ذلك جنسين كافراً مختوماً على قلبه؛ ومنافقاً، مرائياً بإظهار الإيمان، وإبطان النفاق. فكذلك صير المؤمنين، في أول السورة صنفين. جاء هذا في تفسيره ١/٧٩، وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره ١/٤٣ رداً على هذا: «هذه مناسبة بين الآيات، لا تستقيم شاهداً قوياً له ــ رحمه الله ــ على ما ذكر».
الثالث: أنها نزلت هذه الآيات الأربع: في مؤمني أهل الكتاب خاصة، لإيمانهم بالقرآن، عند إخبار الله فيه بالغيوب التي كانوا يخفونها بينهم. ذكره ابن جرير في ١/٧٩ بدون أن يعزوه إلى أحد.
قلت وأحسن هذه الأقوال: القول الأول المتضمن أن هذه الآيات وصف لجميع =

النصارى: إن الكتاب المراد به الإنجيل، كما سيأتي الكلام على ذلك، ـ إن شاء الله تعالى ـ .

والعطف لتغاير الصفات كقوله ـ تعالى ـ :

﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ﴾[1].

وهو ـ سبحانه ـ الذي خلق فسوى، والذي قدر فهدى، والذي أخرج المرعى، فجعله غثاء أحوى.

وقوله ـ تعالى ـ :

﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ﴾[2].

إلى آخر الآيات.

وكذلك قوله:

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ . . .﴾[3].

= المؤمنين وأن آية ﴿والذين يؤمنون. . .﴾ معطوفة على التي قبلها؛ صفة للمتقين بعد صفة والعطف لتغاير الصفات، كما استشهد لذلك ابن تيمية بآيات كثيرة من القرآن على هذا النحو. والله أعلم.

وانظر بالإضافة لما سبق أسباب النزول للواحدي ص ١٣ ولباب النقول للسيوطي ص ٧؛ وتفسير القرطبي ١/ ١٨٠؛ وتفسير النسفي ١٢/١.

(١) سورة الأعلى: الآيات ١ ـ ٥.

(٢) سورة المؤمنون: الآية ١ ـ ٥.

(٣) سورة البقرة: الآية ٤.

هم الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون، وهم الذين على هدى من ربهم، وهم المفلحون.

ولكن فصَّل إيمانهم بعد أن أجمله؛ لئلا يظن ظان أن مجرد دعوى الإيمان بالغيب ينفع، وإن لم يؤمن بما أنزل إلى محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، وما أنزل إلى من قبله: فلو قال أحد من الناس: أنا أؤمن بالغيب، وهو مع ذلك لا يؤمن ببعض ما أنزل على محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، أو ببعض ما أنزل على من قبله لم يكن مؤمناً، حتى يؤمن بجميع ما أنزل إليه، وما أنزل إلى من قبله. ولو كانوا صنفاً آخر لكان المفلحون قسمين: قسماً يؤمنون بالغيب، ولا يؤمنون بما أنزل إليه وما أنزل إلى من قبله، وقسماً يؤمنون بما أنزل إليه وما أنزل إلى من قبله، ولا يؤمنون بالغيب وهذا باطل عند جميع الأمم: المؤمنين، واليهود، والنصارى؛ فإن الإيمان بما أنزل إليه وإلى من قبله، يتضمن الإيمان بالغيب، والإيمان بالغيب لا يتم إلَّا بالإيمان[1] بجميع ما أنزله الله ـ تبارك وتعالى ـ.

ما يثبت به ـ متى ثَبَت ـ الاحتجاج على المسلمين

والمسلمون لا يستجيز أحد منهم التكذيب بشيء مما أنزل على من[2] قبل محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، لكن الاحتجاج بذلك عليهم يحتاج إلى ثلاث مقدمات:

إحداها[3]: ثبوت ذلك عن الأنبياء ـ عليهم السلام ـ.

والثانية[4]: صحة الترجمة إلى اللسان العربي، أو اللسان الذي

---

(١) في س، ك (إلَّا بأن يؤمن) بدل (إلَّا بالإيمان).

(٢) في ط (من كان قبل).

(٣) في أ، س، ط (أحدها).

(٤) في أ، س، (والثاني).

يخاطب به، كالرومي، والسرياني، فإن لسان موسى وداود، والمسيح، وغيرهم، من أنبياء بني إسرائيل، كانت عبرانية[1]: ومن قال إن لسان المسيح كان سريانياً أو رومياً فقط غلط.

والثالثة[2]: تفسير ذلك الكلام، ومعرفة معناه.

فلهذا كان المسلمون لا يردون شيئاً من الحجج بتكذيب أحد من الأنبياء في شيء قاله، ولكن قد يكذبون الناقل عنهم، أو يفسرون المنقول عنهم بما أرادوه أو[3] بمعنى آخر، على وجه الغلط.

وإن كان بعض المسلمين قد يغلط في تكذيب بعض النقل، أو تأويل بعض المنقول عنهم، فهو كما يغلط من يغلط منهم، ومن سائر أهل الملل، في التكذيب على وجه الغلط ببعض ما ينقل عمن يقر بنبوته، أو في تأويل المنقول عنه.

وهذا بخلاف تكذيب نفس النبي، فإنه كفر صريح[4] بخلاف أهل الكتاب، فإنه لا يتم مرادهم إلّا بتكذيبهم ببعض ما أنزل الله، ومتى كذب بكلمة واحدة مما أخبر به من قال: إنه رسول الله، بطل احتجاجه بسائر كلامه، فكانت حجتهم التي يحتجون بها داحضة؛ وذلك أن الذي يقول: إنه رسول الله، إما أن يكون صادقاً في قوله: إني رسول الله، وفي جميع ما يخبر به عن الله، وإما أن يكون كاذباً، ولو في كلمة واحدة عن الله.

فإن كان صادقاً في ذلك، امتنع أن يكذب على الله في شيء مما يبلغه عن الله؛ فإن من كذب على الله، ولو في كلمة واحدة، كان ممن

---

(١) في ط (كان عبرانياً).

(٢) في أ، س، (والثالث).

(٣) سقطت (أو) من ط.

(٤) في س، ك زيادة: (به).

افترى على الله الكذب، ولم يكن رسولاً من رسل الله، ومن افترى على الله الكذب تبين أنه من المتنبئين الكذابين.

ومثل هذا لا يجوز أن يحتج بخبره عن الله؛ فإنه قد علم أن الله لم يرسله، وإذا قال هو قولاً، وكان صدقاً، كان كما يقوله غيره * يقبل لا *[1] لأنه بلغه عن الله، ولا لأنه رسول عن الله، بل كما يقبل من المشركين وسائر الكفار ما يقولونه من الحق؛ فإن عباد الأوثان، إذا قالوا عن الله ما هو حق مثل إقرار مشركي العرب بأن الله خلق السموات والأرض لم نكذبهم في ذلك، وإن كانوا كفاراً. وكذلك إذا قال الكافر: إن الله حي قادر خالق، لم نكذبه في هذا القول.

فمن كذب على الله في كلمة واحدة، قال: إن الله أنزلها عليه، ولم يكن الله أنزلها عليه، فهو من الكذابين، الذين لا يجوز أن يحتج بشيء من أقوالهم، التي يقولون: إنهم يبلغونها عن الله ـ تبارك وتعالى ـ ، وما قالوه غير ذلك فهم فيه كسائر الناس، بل كأمثالهم من الكذابين إن عرف صحة ذلك القول من جهة غيرهم قُبِل؛ لقيام الدليل على صحته، لا لكونهم قالوه، وإن لم يعرف صحته من جهة غيرهم، لم يكن في قولهم له مع ثبوت كذبهم على الله حجة.

وحينئذٍ، فهؤلاء إن أقروا برسالة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، وأنه صادق فيما بلغه عن الله من الكتاب والحكمة، وجب عليهم الإيمان بكل ما ثبت عنه من الكتاب والحكمة، كما يجب الإيمان بكل ما جاءت به الرسل.

وإن كذبوه في كلمة واحدة، أو شكوا في صدقه فيها، امتنع مع

---

(١) ما بين النجمتين انفردت به ط عن سائر النسخ.

ذلك أن يقروا بأنه رسول الله. وإذا لم يقروا بأنه رسول الله، كان احتجاجهم بما قاله[1]، كاحتجاجهم بسائر ما يقوله من ليس من الأنبياء، بل من الكذابين، أو من المشكوك في صدقهم.

ومعلوم أن من عرف كذبه على الله فيما يقول: إنه يبلغه عن الله، أو شك في صدقه. لا[2] يعلم أنه رسول الله ولا أنه صادق في كل ما يقوله ويبلغه عن الله. وإذا لم يعلم ذلك منه، لم يعرف أن الله أنزل إليه شيئاً، بل إذا عرف كذبه، عرف أن الله لم ينزل إليه شيئاً، ولا أرسله، كما عرف كذب مسيلمة الكذاب[3]، والأسود العنسي[4]، وطليحة الأسدي[5][6]، وكما عرف كذب ماني[7] وأمثاله

---

(١) في س (بما قالوه له) وفي الهامش (بما قالوه هم).

(٢) في س، ك، ط (لم).

(٣) سبقت ترجمته.

(٤) سبقت ترجمته.

(٥) طليحة بن خويلد الأسدي، من أسد خزيمة، كان شجاعاً، فصيحاً، قدم على النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ في وفد بني أسد سنة ٩هـ. ولما رجعوا ارتد طليحة، وادَّعى النبوة في عهد الرسول ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ وكثر أتباعه بعد وفاة الرسول من قبائل أسد، وغطفان، وطيء. سير إليه أبو بكر جيشاً بقيادة خالد فانهزم طليحة ثم فر إلى الشام ثم أسلم، ووفد على عمر فبايعه في المدينة، وخرج إلى العراق فحسن بلاؤه في الفتوح واستشهد بنهاوند سنة ٢١هـ.
راجع: الإصابة ٢/٢٢٦ (٤٢٩٠)؛ والبداية والنهاية ٦/٣١١؛ وتهذيب الأسماء واللغات ١/٢٥٤؛ والأعلام للزركلي ٣/٢٣٠.

(٦) في س، ك (وغيرهم).

(٧) ماني بن فاتك الحكيم، ثنوي تنسب إليه طائفة المانوية، زعم أن للعالم صانعين أحدهما فاعل الخير وهو نور، والثاني فاعل الشر وهو ظلمة، وهما قديمان، لم يزلا، ولن يزالا، وهما مختلفان في النفس والصورة، متضادان في الفعل والتدبير، وقد ظهر ماني في زمان شابور بن أزدشير، وذلك بعد عيسى ـ عليه السلام ـ وقد تبعه خلق كثير من المجوس، وادعوا له النبوة. قتل زمان سابور بن بهرام.
راجع: الملل والنحل ١/٢٤٤؛ والفرق بين الفرق ٢٧١؛ وابن الوردي ١/٦١؛ وتاريخ اليعقوبي ١/١٥٨ ـ ١٥٩.

وغيـرهم[1] من المتنبئين الكذابين.

وإذا شك في صدقه في كلمة واحـدة، بل جـوز أن يكون كـذبها عمداً أو خطأ، لم يجز تصديقه مع ذلك، في سائر ما يبلغه عن الله؛ لأن تصـديقه فيمـا يخبـر بـه عن الله، إنمـا يكـون إذا كـان رسـولاً صـادقـاً، لا يكذب عمداً ولا خطأ؛ فإن كـل من أرسله الله لا بد أن يكـون صادقـاً في كل ما يبلغه عن الله، لا يكذب فيه عمداً ولا خطأ.

صدق الرسول وعصمته من الكـذب

وهذا أمر اتفق عليه الناس كلهم: المسلمـون واليهود، والنصـارى وغيـرهم، اتفقوا على أن الـرسول لا بـد أن يكون صـادقاً معصـوماً فيمـا يبلغه عن الله، لا يكذب على الله خـطأ ولا عمداً؛ فـإن مقصود الـرسالـة لا يحصل[2] بدون ذلك، كما قال موسى ـ عليهم السلام ـ لفرعون:

﴿ ... يَـٰفِرۡعَوۡنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَـٰلَمِينَ ۝١٠٤ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ ... ﴾[3].

وفي القراءة المشهورة: يخبر أنه جدير وحرى وثابت ومستقـر على أن لا يقـول[4] على الله إلاَّ الحق، وعلى القـراءة الأخـرى: أخبـر أنـه واجب عليه أن لا يقول على الله إلاَّ الحق[5].

---

(١) سقطت (وغيرهم) من ط وقدمت في س. (٢) سورة الأعراف: الآيتان ١٠٤ ـ ١٠٥.

(٣) في ط بالمثناة التحتية. (٤) في س، ك (أقول).

(٥) انظر التبصرة لمكي بن أبـي طالب ص ٣٤٢؛ والنشر في القـراءات العشر ٢/٢٧٠، والقـراءة المشهورة هي قـراءة الجمهور عـدا نافـع. وقراءة الجمهـور وهي المشهورة (حقيق على) بألف في اللفظ في كلمة على، والمعنى كما ذكر الشيـخ أي: جديـر، وحري وثابت ومستقر على أن لا يقول على الله إلاَّ الحق، وقراءة نافع بتشديـد الياء في (علي) والمعنى أنه واجب عليه... إلخ. وانظر فتح القدير للشوكاني ٢/٢٣١؛ والغاية في القراءات العشر للنيسابوري ص ١٥٦.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴾[1].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِنْ يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ ... ﴾[2].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ ۙ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾[3].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ ۙ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ﴾[4] الآية.

وهذا لبسطه موضع آخر[5].

وإنما المقصود هنا: أن احتجاجهم بكلمة واحدة مما جاء به

---

(١) سورة الحاقة: الآيات ٤٤ ـ ٤٧.

(٢) سورة الشورى: الآية ٢٤.

(٣) سورة النحل: الآيتان ١٠١، ١٠٢.

(٤) سورة يونس: ص ١٥.

(٥) في س، ك، وهذا بسطه في موضع آخر.

وقد بسط الكلام على هذا في كتابه النبوات. انظر ص ١٦٦، ١٦٧ وفي مجموع الفتاوى ١/٢٨٩ ـ ٢٩٢؛ و ٤/١٦٨، ١٦٩؛ وتحدث في هذا الكتاب بالتفصيل عن دلائل صدق النبي محمد ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ في الجزء الرابع منه.

محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، لا يصح بوجه من الوجوه؛ فإنه إن كان رسولاً صادقاً في كل ما يخبر به عن الله ـ عز وجل ـ ، فقد علم كل واحد[1] أنه جاء بما يخالف دين النصارى، فيلزم إذا كان رسولاً صادقاً أن يكون دين النصارى باطلاً: وإن قالوا في كلمة واحدة مما جاء به أنها باطلة، لزم أن لا[2] يكون عندهم رسولاً صادقاً مبلغاً عن الله، وحينئذٍ فسواء قالوا: هو ملك عادل، أو هو عالم من العلماء، أو هو رجل صالح من الصالحين، أو جعلوه قديساً عظيماً من أعظم القديسين[3] فمهما عظموه به، ومدحوه به، لما رأوه من محاسنه الباهرة، وفضائله الظاهرة، وشريعته الطاهرة، متى كذبوه في كلمة واحدة مما جاء به، أو شكوا فيها، كانوا مكذبين له في قوله: إنه رسول الله، وأنه بلغ هذا القرآن عن الله، ومن كان كاذباً في قوله: إنه رسول الله، لم يكن من الأنبياء والمرسلين، ومن لم يكن منهم لم يكن قوله حجة البتة[4]، لكن له أسوة أمثاله.

فإن عرف صحة ما يقوله بدليل منفصل، قُبِل القول؛ لأنه عرف صدقه من غير جهته، لا لأنه قاله، وإن لم يعرف صحة القول لم يقبل.

فتبيَّن أنه[5] ـ إن لم يقر المقر لمن ذكر أنه رسول الله بأنه صادق في كل ما يبلغه عن الله، معصوم عن استقرار الكذب، خطأ أو[6] عمداً ـ لم يصح احتجاجهم بقوله.

---

(١) في س، كل (أحد).

(٢) في ط (لزم أن يكون) وقد انفردت بإسقاط لا النافية عن سائر النسخ.

(٣) في جميع النسخ عدا ط (القداديس).

(٤) سقطت (البتة) من أ.

(٥) في هامش أ (مطلب فتبين أنه إن لم يقر).

(٦) في س، ك (وعمدا).

وهذا الأصل يبطل قول عقلاء أهل الكتاب[1]، وهو لقول جهالهم أعظم إبطالاً، فإن كثيراً من عقلاء أهل الكتاب، وأكثرهم[2]، يعظمون محمداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، لما دعا إليه من توحيد الله ـ تعالى ـ، ولما نهى عنه من عبادة الأوثان، ولما صدق التوراة والإنجيل والمرسلين قبله، ولما ظهر من عظمة القرآن الذي جاء به، ومحاسن الشريعة التي جاء بها، وفضائل أمته التي آمنت به، ولما ظهر عنه وعنهم من الآيات والبراهين والمعجزات والكرامات. لكن يقولون ـ مع ذلك ـ : إنه بعث إلى غيرنا، وإنه[3] ملك عادل له سياسة عادلة، وإنه[4] ـ مع ذلك ـ حصل علوماً من علوم أهل الكتاب، وغيرهم، ووضع لهم ناموساً بعلمه، ورتَّبه[5]، كما وضع أكابرهم لهم القوانين والنواميس التي بأيديهم.

ومهما قالوه من هذا فإنهم لا يصيرون به مؤمنين به ولا يسوغ لهم بمجرد ذلك الاحتجاج بشيء مما قاله؛ لأنه قد عرف بالنقل المتواتر، الذي يعلمه جميع الأمم من جميع الطوائف أنه قال: إنه رسول الله إلى جميع الناس، وأن الله أنزل عليه القرآن، فإن كان صادقاً في ذلك فمن كذبه في كلمة واحدة فقد كذب رسول الله، ومن كذب رسول الله فهو كافر، وإن لم يكن صادقاً في ذلك لم يكن رسولاً لله، بل كان كاذباً ومن كان كاذباً على الله، يقول: الله[6] أرسلني بذلك، ولم يرسله به لا يجوز أن يحتج بشيء من أقواله.

---

(١) في هامش أ تعليق مقابل هذه الجملة نصه (قف على قول عقلاء أهل الكتاب).
(٢) في س، ك، ط (أو أكثرهم).
(٣) في س، ك، ط (أو أنه).
(٤) في س، ك، (أو أنه).
(٥) في جميع النسخ عدا ط (ودينه).
(٦) في س، ك (يقول إن الله).

الردّ على أهل الكتاب في قولهم: بالإرسال الكوني

وأما من كان من جهلاء[1] أهل الكتاب، الذين يقولون: أنه كان ملكاً مسلطاً عليهم، وأنه رسول غضب أرسله الله إرسالاً كونياً، لينتقم به منهم، كما أرسل بختنصر[2] وسنحاريب[3] على بني إسرائيل، وكما أرسل جنكس خان[4]، وغيره من الملوك الكافرين والظالمين، مما

---

(١) في ط (جهال)، وفي هامش أ تعليق هذا نصه «قف على مكان من كان جاهلاً من أهل الكتاب، وقولهم في النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ وأنه رسول كوني لا ديني».

(٢) بختنصر: من ملوك الفرس ببابل. قيل كان مستقلاً بنفسه، وقيل: كان نائباً للفرس ثم استقل بالملك بعد موت لهراسف، وملك الفرس سبعاً وخمسين سنة، كان بدايتها سنة ٧٧٩ لوفاة موسى، وقد سالمه العرب فأحسن إليهم. أما بنو إسرائيل فقد صالحوه، لكنهم غدروا به فقاتلهم حتى أبادهم، وخرب بيت المقدس، وأحرقه، ولجأ من بقي منهم إلى فرعون مصر في عهده فاتبعهم، وقاتل فرعون وأتباعه حتى قتله وصلبه، وحاز ذخائر مصر وسبي القبط وغيرهم.
راجع: تاريخ الطبري ١/٥٣٨، وتتمة المختصر لابن الوردي ١/٦٠، ٤٤، ٤٥؛ والبداية والنهاية ١/٥٣٨، ٢/٣٤؛ وتفسير الطبري ١٥/٢٢ (مجلد٤)؛ وسفر عزرا الإصحاح الأول/ فقرة ٧؛ وسفر دانيال الإصحاح الأول/ الفقرة ١ ـ ٧.

(٣) سنحاريب: ملك من ملوك بابل. اتجه بجيشه لغزو ملك بني إسرائيل «حزقيا» ببلاد بيت المقدس فنصر الله حزقيا الذي كان سامعاً مطيعاً للنبي «أشعيا» وقد أسر سنحاريب، ثم أطلق فرجع إلى بلاده، ثم مات بعد سبع سنين. وقيل قتله ابنان من أولاده في نينوى ثم هربا إلى جبال الموصل، ثم إلى القدس فآمنا بحزقيا.
راجع: تاريخ الطبري ١/٥٣٢ ـ ٥٣٥؛ والبداية والنهاية ٢/٣٢ ـ ٣٣؛ وتتمة المختصر لابن الوردي ١/٤٣.

(٤) جنكس خان: هو الجبار المغولي، والطاغية التتري المشهور وهو ابن «ياسو كاي بها درخان المغول»، ولد سنة ١١٦٢م في القرن السادس الهجري عندما كان أبوه يحارب أحد الرؤساء واسمه «تموجين» فانتصر عليه فسمى ولده بهذا الاسم تذكاراً لذلك النصر، ثم سمي بعد ذلك «جنكز خان» ويعني هذا «سلطان الأقوياء»، استولى على جميع بلاد التتر والصين وعدة ولايات. وأولاده هم الذين استولوا على =

ينتقم[1] به ممن عصاه، فهؤلاء أعظم تكذيباً له، وكفرا به، من أولئك؛ فإن هؤلاء الملوك لم يقل أحد منهم: إن الله أنزل عليه كتاباً، ولا أن هذا الكلام الذي أبلغه إليكم هو كلام الله، ولا أن الله أمركم أن تصدقوني فيما أخبرتكم به، وتطيعوني فيما أمرتكم به، ومن لم يصدقني باطناً وظاهراً، فإن الله يعذبه في الدنيا والآخرة، بل هؤلاء أرسلهم إرسالاً كونياً قدره وقضاه كما يرسل الريح بالعذاب، وكما يرسل الشياطين. قال[2] ـ تعالى ـ :

﴿أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾[3].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ۝٤ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾[4].

وهذا بخلاف قوله:

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ . . .﴾[5].

وقوله ـ تعالى ـ :

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾[6].

= بغداد، وخربوا البلاد، وقتلوا العباد، وامتد ملكه من البحر الأسود إلى بحر الصين، مات هذا الطاغية سنة ١٢٢٧م في الصين.

راجع: دائرة المعارف للبستاني ٦/٥٥٠ (باب الجيم) ط مؤسسة مطبوعاتي إسماعيليان.

(١) في ط (مما ينتقم الله به) بزيادة لفظ الجلالة.

(٢) في ط (زيادة لفظ الجلالة بعد قال).

(٣) سورة مريم: الآية ٨٣.

(٤) سورة الإسراء: الآيتان ٤، ٥.

(٥) سورة نوح: الآية ١.

(٦) سورة المزمل: الآية ١٥.

وقوله ـ تعالى ـ :

﴿ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ . . . ﴾[1] .

فإن هذا يعني به الإرسال الديني، الذي يحبه[2] ـ تعالى ـ ويرضاه، الذي هدى به من اتبعهم، وأدخله في رحمته، وعاقب من عصاهم، وجعله من المستوجبين للعذاب وهو الإرسال الذي أوجب الله به طاعة من أرسله، كما قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ . . . ﴾[3] .

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ . . . ﴾[4] .

وهذه الرسالة التي أقام بها[5] الحجة على الخلق، كما قال ـ تعالى ـ :

﴿ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ . . . ﴾[6] .

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ ﴾[7] .

---

(١) سورة النساء: الآيات ١٦٣ ـ ١٦٥ .
(٢) في س (يحبه الله تعالى).
(٣) سورة النساء: الآية ٦٤ .
(٤) سورة النساء: الآية ٨٠ .
(٥) في ط (أقام الله بها).
(٦) سورة النساء: الآية ١٦٥ .
(٧) سورة الحج: الآية ٧٥ .

وهذا كما اصطفى روح القدس جبريل ـ عليه السلام ـ، لنزوله بالقرآن على من اصطفاه من البشر، وهو محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ.

قال ـ تعالى ـ:

﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

وقال ـ تعالى ـ:

﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾[2].

وقال ـ تعالى ـ:

﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[3].

فأخبر أنه نزل به جبريل، وسماه الروح الأمين، وسماه روح القدس، وقد ذكره أيضاً في قوله:

﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾[4].

ثم قال:

﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ

---

(١) سورة البقرة: الآية ٩٧.

(٢) سورة الشعراء: الآيات ١٩٢ ـ ١٩٥.

(٣) سورة النحل: الآيتان ١٠١، ١٠٢.

(٤) سورة التكوير: الآيات ١٩ ـ ٢١.

بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾(١) .

فهذا الرسول جبريل ــ عليه السلام ــ . وقال ــ تعالى ــ :

﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴾(٢) .

فهذا الرسول محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ .

وأما الإرسال الكوني الذي قدره وقضاه مثل إرسال الرياح وإرسال الشياطين، فذلك نوع آخر. قال ــ تعالى ــ :

﴿ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾(٣) .

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ . . . ﴾(٤) .

والله ــ تعالى ــ له الخلق والأمر فلفظ الإرسال، والبعث، والإرادة، والأمر، والأذن، والكتاب، والتحريم، والقضاء، والكلام ينقسم إلى: خلقي، وأمري، وكوني، وديني، وقد ذكرنا الإرسال.

وأما البعث، فقال ــ تعالى ــ :

﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾(٥) .

---

(١) سورة التكوير: الآيات ٢٢ ــ ٢٩.
(٢) سورة الحاقة: الآيات ٤٠ ــ ٤٧.
(٣) سورة مريم: الآية ٨٣.
(٤) سورة الأعراف: الآية ٥٧.
(٥) سورة الجمعة: الآية٢.

وقال في الكوني :

﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ . . . ﴾[1] .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ . . . ﴾[2] .

وأما الإرادة، فقال ـ تعالى ـ في الكونية :

﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا . . . ﴾[3] .

وقال نوح ـ عليه السلام ـ :

﴿ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ﴾[4] .

وقال ـ تعالى ـ في الإرادة الدينية :

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ . . . ﴾[5] .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ . . . ﴾[6] .

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ . . . ﴾[7] .

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٥.

(٢) سورة المائدة: الآية ٣١.

(٣) سورة الأنعام: الآية ١٢٥.

(٤) سورة هود: الآية ٣٤.

(٥) سورة البقرة: الآية ١٨٥.

(٦) سورة النساء: الآيات ٢٦ ـ ٢٨.

(٧) سورة المائدة: الآية ٦.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾[1].

وقال ـ تعالى ـ في الأمر الكوني :

﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[2].

وكذلك في[3] أظهر القولين قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ ﴾[4]، [5].

---

(1) سورة الأحزاب: الآية ٣٣.

(2) سورة يس: الآية ٨٢.

(3) سقطت (في) من ط.

(4) سورة الإسراء: الآية ١٦.

(5) للمفسرين في تفسير (أمرنا) قولان:

أحدهما: أن المراد به الأمر الذي هو نقيض النهي، أي: أمرناهم بالطاعات ففعلوا الفواحش، فاستحقوا العقوبة.

الثاني: أمرنا مترفيها، أكثرنا فساقها. قال الواحدي: تقول العرب، أمر القوم إذا كثروا. وأمرهم الله إذا كثرهم. (وأمر) من باب نصر، وهذا أمر قدري كقوله ـ تعالى ـ : «أتاهم أمرنا ليلاً أو نهاراً» وقوله: «إن الله لا يأمر بالفحشاء». قالوا معناه: إنه سخرهم إلى فعل الفواحش، فاستحقوا العذاب.

وقد رجح ابن جرير الأول ثم عقب بقوله: «لأن الأغلب من معنى أمرنا، الأمر الذي هو خلاف النهي، دون غيره، وتوجيه معاني كلام الله جل ثناؤه إلى الأشهر الأعرف من معانيه أولى، ما وجد إليه سبيل من غيره».

انظر كلامه في التفسير ٤٣/١٥ (المجلد ٧)، وانظر تفسير القرطبي ٢٣٢/١٠ ـ ٢٣٤ (المجلد ٥)، وتفسير ابن كثير ٣٢/٣، وفتح القدير ٢١٤/٣.

وقد قرأ الجمهور: أمرنا من الأمر وهو على المعنى الأول، وقرىء بتشديد الميم في أمرنا أي: جعلناهم أمراء مسلطين، وقرىء آمرنا بالمد والتخفيف أي: أكثرنا جبابرتها، وأمراءَها. انظر الغاية في القراءات العشر ص ١٩٠.

وأما الأمر الديني مثل قوله:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا . . .﴾[1].

وأما الأذن الكوني مثل قوله في السحرة:

﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ . . .﴾[2].

والديني مثل قوله:

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾[3].

والكتاب الكوني مثل قوله:

﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ . . .﴾[4].

وقوله:

﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا . . .﴾[5].

والديني مثل قوله: ﴿كِتَـٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ . . .﴾[6].

وقوله:

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ . . .﴾[7].

وقوله[8]: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ . . .﴾[9].

---

(١) سورة النساء: الآية ٥٨.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٠٢.

(٣) سورة الأحزاب: الآيتان ٤٥، ٤٦.

(٤) سورة المجادلة: الآية ٢١.

(٥) سورة التوبة: الآية ٥١.

(٦) سورة النساء: الآية ٢٤.

(٧) سورة البقرة: الآية ١٨٣.

(٨) أضفنا (قوله) من ط، وأما في النسخ الأخرى فقد أدمجت آية الصيام في آية القصاص.

(٩) سورة البقرة: الآية ١٧٨.

والقضاء الكوني كقوله: ﴿ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ . . . ﴾[1].

والديني: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾[2].

أي: أمر.

والتحريم الكوني مثل قوله:

﴿ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ . . . ﴾[3].

وقوله:

﴿ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ . . . ﴾[4].

وقوله[5]:

﴿ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾[6].

والديني مثل قوله[7]:

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ . . . ﴾[8].

وقوله:

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ ﴾[9].

والكلمات الكونية مثل قول النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : «أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن[10] بر ولا فاجر»[11]، ومنه

---

(1) سورة فصلت: الآية ١٢.

(2) سورة الإسراء: الآية ٢٣.

(3) سورة القصص: الآية ١٢.

(4) سورة المائدة: الآية ٢٦.

(5) أضفنا (وقوله) من ط، وقد أدمجت الآيتين في باقي النسخ وإضافتها لازمة.

(6) سورة الأنبياء: الآية ٩٥.

(7) سقطت (قوله) من أ.

(8) سورة المائدة: الآية ٣.

(9) سورة النساء: الآية ٢٣.

(10) في أ (يتجاوزها) وصححناه من سائر النسخ.

(11) هذا قطعة من حديث رواه الإمام مالك في الموطأ ٢/٩٥٠ ـ ٩٥٢ في كتاب الشعر/ باب ما يؤمر به من التعوذ من طريقين الأولى مرسلة والثانية موقوفة على كعب =

قوله ـ تعالى ـ : ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ . . .﴾[1].

والدينية: مثل قول النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : «اتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله»[2]، ومنه قوله ـ تعالى ـ :

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ . . .﴾[3].

= الأحبار، ونص الأولى عن يحيى بن سعيد، أنه قال: أسري برسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فرأى عفريتاً من الجن يطلبه بشعلة من نار. كلما التفت رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ رآه. فقال له جبريل: أفلا أعلمك كلمات تقولهن. إذا قلتهن طفئت شعلته وخر لفيه؟ فقال رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : «بلى» فقال جبريل: فقل: أعوذ بوجه الله الكريم وبكلمات الله التامات. . . وذكره وفيه زيادة. ورواه مالك من طريق آخرى عن كعب ولم يرفعه. حديث رقم (١٢) الموطأ ٢/٩٥١، ورواه الإمام أحمد في المسند ٢/٤١٩ موصولاً. قال الشيخ عبد القادر الأرناؤوط في تعليقه على هذا الحديث في جامع الأصول ورواه أحمد في المسند، وهو حديث حسن. انظر جامع الأصول ٤/٣٦٧، حديث رقم (٢٤١٠).

(١) سورة التحريم: الآية ١٢.

(٢) رواه مسلم في كتاب الحج/ باب حجة النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وهو قطعة من حديث طويل رواه جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ وفيه ذكر حجة النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ووصيته الطويلة في خطبة حجة الوداع، ورواه أبو داوود أيضاً في المناسك/ باب صفة حجة النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ٢/٤٥٥ (١٩٠٥)، ورواه أحمد من حديث عم أبي حمزة الرقاشي بلفظ مقارب ٥/٧٣.
وكلمة الله: قيل معناه قوله ـ تعالى ـ : ﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ وقيل كلمة التوحيد وهي لا إله إلاّ الله محمد رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، إذ لا تحل مسلمة لغير مسلم، وقيل قوله ـ تعالى ـ : ﴿فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ. . .﴾.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٦٤.

وهذا مبسوط في موضع آخر(١).

تفـرُّق أهـل الكتـاب في النبي ـ صلى الله عـليـه وسـلم ـ

والمقصـود هنا أنـه(٢) تفـرق أهـل الكتـاب في النبـي ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ ، كل يقـول فيه قـولاً هو نـظير تفـرق سائـر الكفار، فـإن الكفـار بالأنبيـاء من عاداتهم أن تقـول كل طـائفة فيـه قولاً ينـاقض قـول الطائفة الأخرى، وكذلك قولهم في الكتاب الذي أنـزل عليه، وأقـوالهم كلها أقوال مختلفة باطلة، وهـذا هو الاختـلاف المذمـوم الذي ذكـره الله ـ تعالى ـ في قوله:

﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ . . . ﴾(٣).

وفي قوله: ﴿ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۝٨ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴾(٤).

وقوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾(٥).

وقوله:

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝١٠٥ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ . . . ﴾(٦).

وقوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾(٧).

---

(١) بسط الكـلام على هذا في مـواضع منهـا مجموع الفتـاوى ٨/٥٨ ـ ٦٢، وذلك رداً على سؤال ورده عن تفصيل الإرادة، والأذن. . . إلخ، مما هو ديني موافق لمحبة الله ورضاه، وأمره شرعي، وما هو كوني موافق لمشيئته الكونية.

(٢) سقطت أنه من ط، وأثبتت في س، ك، (أن) وقد أضيفت في أ في الهامش.

(٣) سورة هود: الآيتان ١١٨، ١١٩.

(٤) سورة الذاريات: الآيتان ٧، ٨.

(٥) سورة البقرة: الآية ١٧٦.

(٦) سورة آل عمران: الآيتان ١٠٥، ١٠٦.

(٧) سورة المائدة: الآية ١٤.

ومثال أقوال الكفار في الأنبياء ما ذكره ـ تعالى ـ في قوله ـ تعالى[1] ـ :

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ۝٣ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ۝٤ وَقَالُوٓا۟ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٥ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٦ وَقَالُوا۟ مَالِ هَـٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ۝٧ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّـٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ۝٨ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَـٰلَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾[2].

فبيَّن ـ سبحانه ـ أن الكفار ضربوا له أمثالاً كلها باطلة ضلوا فيها عن الحق، فلا يستطيعون مع الضلال سبيلاً إلى الحق، وضرب الأمثال له يتضمن تمثيله بأناس آخرين، وجعله في تلك الأنواع التي ليس هو منها ولا مماثلاً لأفرادها مثل قولهم:

﴿ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ . . . ﴾[3].

مثلوه بالكاذب المستعين بمن يعينه على ما يفتريه، ومثلوه بمن

(١) سقطت (تعالى) من ط.
(٢) سورة الفرقان: الآيات ١ ـ ٩.
(٣) سورة الفرقان: الآية ٤.

يستكتب أساطير الأولين من غيره، فتقرأ[1] عليه طرفي النهار وهو يتعلم من أولئك ما يقوله ومثلوه بالمسحور، وكذلك قوله ــ تعالى ــ :

﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا (٤٥) وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا (٤٦) نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا (٤٧) انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾[2].

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ (٨٧) لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ (٨٨) وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ (٨٩) كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ (٩٠) الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ (٩١) فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٣) فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (٩٤) إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ (٩٥) الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾[3].

قال كثير من السلف: الذين جعلو القرآن عضين[4]: هم الذين

---

(١) في ك، ط بالمثناة التحتية. (٢) سورة الإسراء: الآيات ٤٥ ــ ٤٨.

(٣) سورة الحجر: الآيات ٨٧ ــ ٩٦.

(٤) عضين: قال ابن قتيبة: أي: فرقوه، وعضوه. قال رؤبة: وليس دين الله بالمعضي. ويقال: فرقوا القول فيه، فقالوا: شعر، وقالوا: سحر، وقالوا: كهانة، وقالوا: أساطير الأولين.

وقال عكرمة: العضة: السحر بلسان قريش، يقولون للساحرة: عاضهة.

راجع: تفسير غريب القرآن ص ٢٣٩، وتفسير ابن جرير الطبري ١٤/٤٥، والدر المنثور في التفسير بالمأثور، للسيوطي ٤/١٠٧.

عضهوه، فقالوا سحر، وشعر، وكهانة ونحو ذلك، كما قال ـ تعالى ـ :

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (٣٨) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ (٣٩) إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (٤٠) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ (٤١) وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ (٤٢) تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٤٣) وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ (٤٧) وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ (٤٨) وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ (٤٩) وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ (٥٠) وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ (٥١) فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾(١).

وقال(٢) :

﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ (٢٩) أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ (٣٠) قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ (٣١) أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ (٣٢) أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ (٣٣) فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ﴾(٣).

وقال ـ تعالى ـ :

﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ (١٩٣) عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ (١٩٥) وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ (١٩٦) أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ (١٩٧) وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ (١٩٨) فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ (١٩٩) كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ (٢٠٠) لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ (٢٠١) فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٢٠٢) فَيَقُولُوا۟ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ (٢٠٣) أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ (٢٠٤) أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ (٢٠٥) ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ (٢٠٦) مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ (٢٠٧) وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ (٢٠٨) ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ (٢٠٩)﴾(٤).

---

(١) سورة الحاقة: الآيات ٣٨ ـ ٥٢.

(٢) في س، ك، ط (وقال ـ تعالى ـ).

(٣) سورة الطور: الآيات ٢٩ ـ ٣٤.

(٤) سورة الشعراء: الآيات ١٩٢ ـ ٢٠٩.

ثم قال ـ تعالى ـ :

﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾(١) .

وقال ـ تعالى ـ :

﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ

---

(١) سورة الشعراء: الآيات ٢١٠ ـ ٢٢٧ .

يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٥٢﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[1].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾[2].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[3].

وقال[4] ـ تعالى ـ :

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾[5].

---

(١) سورة العنكبوت: الآيات ٤٦ ـ ٥٥.

(٢) سورة الطور: الآيتان ٣٣، ٣٤.

(٣) الآيتان من سورة هود: ١٣، ١٤، وقد حصل في المطبوعة خطأ بالتفريق بين الآيتين، حيث جعل الأولى من سورة يونس والثانية من سورة هود، وهو خطأ فآية يونس: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: ٣٨.

(٤) سقطت (الواو) من ط.

(٥) سورة البقرة: الآيتان ٢٣، ٢٤.

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾[1].

وقد أخبر ــ تعالى[2] ــ أن هذه سنة الكفار في الأنبياء قبله كما قال:

﴿ كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾[3].

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ . . . ﴾[4].

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾[5].

وقد أخبر ــ سبحانه ــ أن الكفار قالوا عن موسى ــ عليه السلام ــ أنه ساحر، وأنه مجنون، فقال فرعون:

﴿ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴾[6].

وقوله[7] : ﴿ وَقَالُوا يَا أَيُّهَ السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ . . . ﴾[8].

وقال[9] :

---

(١) سورة الذاريات: الآيات ٤٩ ــ ٥١.

(٢) في ط (سبحانه وتعالى).

(٣) سورة الذاريات: الآيتان ٥٢، ٥٣.

(٤) سورة فصلت: الآية ٤٣.

(٥) سورة الأنعام: الآية ١١٢.

(٦) سورة الشعراء: الآية ٢٧.

(٧) سقطت (وقوله) من أ، س، ك وأثبتناه من ط.

(٨) سورة الزخرف: الآية ٤٩.

(٩) في ط (وقوله).

﴿ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ . . . ﴾[1].

وكذلك قالوا عن المسيح بن مريم كما قال ــ تعالى ــ :

﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾[2].

وذكر ــ تعالى ــ عن اليهود أنهم قالوا على مريم بهتاناً عظيماً: فقول اليهود في المسيح من جنس أقوال الكفار[3] في الأنبياء، وكذلك قول كفار أهل الكتاب في خاتم الأنبياء محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم تسليماً ــ .

الردّ على دعوى قصر الرسالة على العرب بالتفصيل

فإذا علم هذا فنقول بعد ذلك لمن قال أنه رسول أرسل إلى العرب الجاهلية دون أهل الكتاب:

إنه من المعلوم بالضرورة لكل من علم أحواله بالنقل المتواتر الذي هو أعظم تواتراً مما ينقل عن موسى وعيسى وغيرهما، وبالقرآن المتواتر عنه وسنَّته المتواترة عنه، وسنَّة خلفائه الراشدين من بعده، أنه ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ذكر أنه أرسل إلى أهل الكتاب اليهود والنصارى، كما ذكر أنه أرسل إلى الأميين[4]، بل ذكر أنه أرسل إلى جميع بني آدم: عربهم وعجمهم من الروم[5]، والفرس[6]،

---

(١) سورة طه: الآية ٧١.

(٢) سورة الصف: الآية ٦.

(٣) سقطت كلمة (الكفار) من أ، س وأثبتناها من نسختي ك، ط.

(٤) في ط زيادة (رسولاً) بعد (الأميين).

(٥) سبق التعريف بهم.

(٦) الفرس: من ولد فارس بن أرم بن سام، وقيل من ولد يافث، وهم يقولون أنهم من ولد كيومرث، وهو عندهم الذي ابتدأ من النسل مثل آدم عندنا، وهم بفارس ومنها =

والترك[1]، والهند[2]، والبربر[3]، والحبشة[4]، وسائر الأمم، بل إنه أرسل إلى الثقلين: الجن والإنس جميعاً.

وهذا كله من الأمور الظاهرة المتواترة عنه، التي اتفق على نقلها عنه أصحابه ـ مع كثرتهم وتفرق ديارهم وأحوالهم ـ وقد صحبه عشرات ألوف لا يحصى عددهم على الحقيقة إلاَّ الله ـ تعالى ـ، ونقل ذلك عنهم التابعون وهم أضعاف الصحابة عدداً، ثم ذلك منقول قرناً بعد قرن

= كرمان، والأهواز، وبإيران وهي أرض الفرس، ولهم ملة قديمة هي المجوسية، وأصل دينهم مبني على تعظيم النور، وهو يزدان، والتحرز من الظلمة وهو أهرمن، ثم عبدوا النار، ولهم أعياد منها النوروز، والمهرجان وغيرهما وهم أربع طبقات كما ذكر صاحب كتاب نخبة الدهر.

انظر: الملل والنحل للشهرستاني ١/٢٣٠؛ وتتمة المختصر لابن الوردي ١/١١٦؛ ونخبة الدهر في عجائب البر والبحر للأنصاري ص ٢٥٥؛ وتاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء لحمزة الأصفهاني ص ٩.

(١) الترك: من ولد عابور بن سوير بن يافث، وقيل: من ولد ترك، منهم من يسكن المدن، ومنهم من يسكن الجبال، وهم قبائل كثيرة.

انظر: نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ص ٢٦٧.

(٢) الهند: أمة كبيرة، وملة عظيمة، وآراؤهم مختلفة. فمنهم: البراهمة، وهم المنكرون للنبوات أصلاً، ومنهم الدهرية، ومنهم عبَدَة الشمس، وعبَدَة النار وعبَدَة الأصنام، وأصحاب التناسخ.

انظر: الملل والنحل للشهرستاني ٢/٢٥٠ ـ ٢٦٥؛ وابن الوردي ١/١٣٢.

(٣) البربر: قيل من ولد كنعان، وقيل: من ولد بربر بن قفط، استقروا بناحية إفريقيا بالمغرب وما حولها.

انظر: نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ص ٢٦٧.

(٤) الحبشة: جيل معروف، يرجع نسبهم إلى حام بن نوح ـ عليه السلام ـ وهم أمة كبيرة، ويذكرهم المؤرخون في عداد أمم السودان، والحبشة ـ اليوم ـ دولة من دول إفريقيا تقع في الشرق منها.

انظر: تهذيب الأسماء واللغات للنووي ٢/٢٨٨؛ وتتمة المختصر لابن الوردي ١/١٣٥.

إلى زمننـا مع كثـرة المسلمين وانتشارهم في مشـارق الأرض ومغاربهـا، كمـا أخبر بـذلك قبـل أن يكون، فقـال في الحديث الصحيـح: «زويت لي[1] الأرض فـرأيت مشارقهـا ومغاربهـا، وسيبلغ ملك أمتي ما زوى لي منها»[2] وكان كما أخبر، فبلغ ملك أمته طرفي العمارة شرقـاً وغربـاً[3]، وانتشرت دعوتـه في وسط الأرض، كالإقليم الثـالث والرابـع والخامس؛ لأنهم أكمـل عقولاً وأخـلاقاً، وأعـدل أمزجـة، بخلاف طـرفي الجنـوب والشمال، فإن هؤلاء نقصت عقولهم وأخلاقهم، وانحرفت أمزجتهم.

أما طرف الجنوب، فإنه لقوة الحرارة احترقت أخلاطهم، فاسودت ألوانهم وتجعدت شعورهم.

---

(١) في ط (إلى) وهو خلاف نص الحديث.

(٢) أخـرجـه مسلم في الفتن/ بـاب هـلاك الأمـة بعضهم ببعض من حـديث ثـوبـان ــ رضي الله عنه ــ ٤/٢٢١٥(رقم: ٢٨٨٩)؛ ورواه الترمـذي في الفتن أيضاً/ بـاب ما جاء في سؤال النبي ــ صلّى الله عليه وسلّم ــ ثلاثـاً في أمته ٤/٤٧٢حـديث رقم ٢١٧٦؛ ورواه أبـو داود في الفتن والمـلاحم/ بـاب ذكـر الفتن ودلائلهـا ٤/٤٥٠ ــ ٤٥٢ (٤٢٥٢)؛ ورواه ابن ماجه في كتاب الفتن/ باب مـا يكون من الفتن ٢/١٣٠٤ (٣٩٥٢)؛ ورواه أحمد في مسند ثـوبان ٥/٢٧٨؛ وفي مسنـد شداد بن أوس بنحـوه ٤/١٢٣؛ وأخـرجـه الحـاكم في المستـدرك/ في الفتن والمـلاحم ٤/٤٤٩ ــ ٤٥٠بنحوه.

قـال الخـطابي ــ رحمـه الله ــ في معـالم السنن: «زوى لي الأرض معنـاه قبضهـا وجمعها ويقال انزوى الشيء إذا انقبض وتجمع». ١هـ ٤/٤٥٠.

ونص الحديث في صحيح مسلم: عن ثوبان، قال: قال رسـول الله ــ صلّى الله عليه وسلّم ــ: «إن الله زوى لي الأرض. فـرأيت مشـارقهـا ومغـاربهـا. وإن أمتي سيبلغ ملكهـا مـا زوى لي منهـا. وأعـطيت الكنـزين الأحمـر والأبيض... إلـخ الحديث.

قال النووي ــ رحمه الله ــ «هذا الحديث فيه معجزات ظاهرة وقد وقعت كلها بحمد الله كما أخبر به ــ صلّى الله عليه وسلم ــ».

(٣) في ط (مشرقاً ومغرباً).

وأما أهل طرف الشمال فلقوة البرد لم تنضج أخلاطهم، بل صارت فجة فأفرطوا في سبوطة الشعر والبياض البارد الذي لا يستحسن[1].

ولهذا لما ظهر الإسلام غلب أهله على وسط المعمورة وهم أعدل بني آدم وأكملهم، والنصارى الذين تربوا تحت ذمة المسلمين أكمل من غيرهم من النصارى عقولاً وأخلاقاً، وأما النصارى المحاربون للمسلمين الخارجون عن ذمتهم من أهل الجنوب والشمال فهم أنقص عقولاً وأخلاقاً، ولما فيهم من نقص العقول والأخلاق ظهرت فيهم النصرانية دون الإسلام[2].

توجيه الدعوة من الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى أهل الكتاب وغيرهم

والمقصود: أن محمداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ هو نفسه دعا أهل الكتاب من اليهود والنصارى إلى الإيمان به وبما جاء به، كما دعا من لا كتاب له من العرب وسائر الأمم.

---

(١) انظر: تفصيل هذا في مقدمة ابن خلدون ص ٨٢ ـ ٨٧، ومن كلامه قوله ـ بعد أن تحدث عن طرفي الشمال والجنوب ـ: «. . . وتوسطت بينهما الأقاليم الثلاثة الخامس، والرابع، والثالث، فكان لها في الاعتدال الذي هو مزاج المتوسط حظ وافر، والرابع أبلغها في الاعتدال غاية؛ لنهايته في التوسط. . .».
انظر ص ٨٤.
قلت: ينبغي مراعاة تبدل الأحوال وتقلبها، وما يصاحب ذلك من تغير في طباع البشر، فذلك التغير والتبدل سنَّة الله في عباده، ولن تجد لسنَّة الله تبديلاً. وما يذكره علماء الاجتماع هو حكم على الغالب وهو بحسب ما يبدو لهم في حينه، ولا شك أن وسط الأرض مهد الرسالات، ومنطلق الخير والله أعلم بغيبه، وله في خلقه شؤون وهو على كل شيء قدير.

(٢) أفاض ابن خلدون في مقدمته في الحديث حول هذا، وما ذكره المؤلف موافق لما فصله ابن خلدون، فانظر ص ٨٤، ٨٥، ٨٦. (طبعة دار القلم ـ بيروت).

وهو الذي أخبر عن الله ــ تبارك وتعالى ــ بكفر من لم يؤمن بـه[1] من أهـل الكتاب وغيـرهـم، وبأنهم يصلون جهنم وسـاءت مصيراً، وهـو الذي أمر بجهـادهم ودعاهم بنفسـه ونوابـه، وحينئذٍ فقـولهم في الكتاب لم يأتِ إلينا، بل إلى الجاهلية[2] من العرب، سواء أرادوا[3] أن الله بعثه إلى العـرب ولم يبعثه إلينـا، أو أرادوا أنـه ادَّعى أنـه أرسـل إلى العـرب لا إلينا؛ فإنه قد علم[4] جميع الطوائف أن محمداً دعا اليهـود والنصارى إلى الإيمان به، وذكر أن الله أرسله إليهم وأمره[5] بجهـاد من لم يؤمن به منهم، فإذا قيل مع هذا أنه قال: لم أبعث[6] إلَّا إلى العرب كان كاذباً[7] كذباً ظاهراً عليه، سواء صدقة الإنسـان أو كذبـه؛ فإن المقصـود هنا أنـه نفسه دعا جميع أهل الأرض إلى الإيمان به[8]، فدعا أهـل الكتاب كمـا دعا الأميين.

أما اليهود: فـإنهم كانـوا جيرانـه في الحجاز بـالمدينـة وما حـولها وخيبر، فإن المهاجرين والأنصار كلهم آمنوا بـه من غير سيف ولا قتـال، بل لما ظهر لهم من براهين نبوته ودلائل صدقه آمنوا به، وقد حصـل من الأذى في الله لمن آمن بالله ما هـو معروف في السيـرة، وقد آمن بـه في حياته كثير من اليهود والنصارى: بعضهم بمكة وبعضهم بالمدينـة، وكثير

---

(١) سقطت (به) من أ.
(٢) في س، ك (الجاهلين).
(٣) في ط (أرادوا به).
(٤) في س، ك (فإنه قد ثبت وعلم).
(٥) في س، ك (وأمر).
(٦) في س، ك (فإذا قيل مع هذا إنه لم يبعث).
(٧) سقطت (كاذباً) من س، ك، ط.
(٨) سقطت (به) من أ، س، ك وألحقناها من ط.

منهم كانوا بغير مكة والمدينة، فلما قدم المدينة عاهد من[1] لم يؤمن به من اليهود، ثم نقضوا العهد، فأجلى بعضهم وقتل بعضهم لمحاربتهم لله ورسوله[2].

وقد قاتلهم مرة بعد مرة، قاتل بني النضير[3]، وأنزل الله ـ تعالى ـ فيهم سورة الحشر، وقاتل قريظة[4] عام الأحزاب، وذكرهم الله في سورة الأحزاب، وقاتل قبلهم بني قينقاع[5]، وبعد هؤلاء

---

(١) في س، ك، ط (لمن).

(٢) في س، ك (ولرسوله).

(٣) النضير: بالفتح ثم الكسر، ثم ياء ساكنة، وراء مهملة. قبيلة من قبائل اليهود الذين كانوا بالمدينة. كانوا هم وقريظة بظاهر المدينة في حدائقهم وذلك أنهم غدروا بالرسول ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وأرادوا قتله، فغزاهم النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في منازلهم بوادي بطحان، وموضع يقال له البويرة، فأحرق نخلهم، واستصفى أموالهم لنفسه؛ لأنه لم يوجف عليهم بخيل ولا ركاب. وكان ذلك سنة أربع للهجرة.

انظر مراصد الاطلاع ١٣٧٥/٣؛ وراجع في خبر بني النضير، سيرة ابن هشام ١٠٨/٣؛ والطبقات لابن سعد ٥٧/٢؛ وتاريخ الطبري ٥٥٠/٢؛ والبداية والنهاية ٧٤/٤؛ وزاد المعاد ١٢٧/٣؛ وصحيح البخاري ٢٢/٥.

(٤) في ك (بني قريظة) وقريظة: قبيلة من قبائل اليهود.

وقد وقعت سنة ٥هـ. وسببها: أنهم نقضوا العهد مع رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وقد كان نهايتها أن حكَّموا سعد بن معاذ. فحكم فيهم بحكم الله من فوق سبع سماوات بقتل الرجال، وسبى الذرية، وقسَّم الأموال، راجع صحيح البخاري ٤٩/٥.

وانظر في خبرها سيرة ابن هشام ١٤٠/٣؛ وابن سعد ٧٤/٢؛ وابن جرير الطبري ٥٨١/٢؛ والبداية والنهاية ١١٦/٤؛ وزاد المعاد ١٢٩/٣.

(٥) قينقاع: بالفتح، ثم السكون، وضم النون، وفتح القاف، وآخره عين مهملة شعب من اليهود، كانوا يسكنون بالمدينة، يضاف إليهم سوق بها. وقد غزاهم النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وحاصرهم خمس عشرة ليلة، حتى نزلوا على حكمه =

غزا خيبر[١] هـو وأهل بيعـة الرضـوان[٢]، الذين بـايعوه تحت الشجـرة، وكانوا ألفاً وأربعمائة[٣]. ففتح الله عليهم خيبر وأقر اليهود فيها فـلاحين، وأنـزل الله ـ تعالى ـ سـورة الفتح يـذكر فيهـا ذلك، فكيف يقـال: إنـه لم يذكر أنه أرسل إلاَّ إلى مشركي العرب وهذه حال[٤] اليهود معه؟!

= وسبب ذلـك أنه اعتـدى رجل من اليهـود على امرأة فقتله رجـل من المسلمين فقتـل اليهود المسلم، وكان هـذا نقضاً لمـا بينهم وبين الرسـول ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وقد وقعت على رأس عشرين شهراً من مهاجره ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ .
انظر سيرة ابن هشام ٣/٥؛ وطبقات ابن سعد ٢/٢٨؛ وتاريـخ ابن جريـر ٢/٤٧٩؛ وتاريخ ابن كثير ٤/٣؛ وزاد المعاد ٣/١٩٠.

(١) خيبر: هو موضع مشهور، على ثمانيـة برد من المـدينة، من جهـة الشام. وكـان بها سبعة حصون لليهود، وحولها مزارع ونخل.
انظر مراصد الاطلاع ١/٤٩٤، وقد وقعت غزوة خيبر سنة ٧ للهجـرة، وقد وعـد الله نبيه إياها وهو بـالحديبيـة، وقاتلهم الـرسول ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ حتى ألجأهم إلى قصـرهم، فغلب على الزرع والنخـل والأرض، فصالحـوه على أن يجلوا منها. ولهم ما حملت ركابهم. راجع صحيح البخاري ٥/٨٣.
وانظر فيها سيرة ابن هشام ٣/٢١١؛ وابن سعد ٢/١٠٦؛ وابن جرير الطبري ٣/٩؛ والبداية والنهاية ٤/١٨١؛ وزاد المعاد ٣/٣١٦.

(٢) بيعة الرضوان: وسببها أنه بلغ النبـي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أن عثمـان قد قتـل، فقـال لا نبرح حتى نـاجز القـوم، فـدعـا رسـول الله ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ إلى البيعة، فكانت بيعة الرضوان، تحت الشجرة، وبايعوه على الموت وعدم الفـرار. ثم أتى الرسول ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أن الذي ذكر من أمر عثمان باطل. وقد نزلت آيات من سورة الفتح، في هذه البيعة.
وانـظر في خبـرهـا: سيـرة ابن هشـام ٣/٢٠٢؛ وابن سعـد ٢/١٠٠؛ والـطبـري ٢/٦٣٢؛ والبـداية والنهـاية ٤/١٧٢؛ وصحيـح البخـاري ٥/٦٣؛ وصحيـح مسلم ٣/١٤٨٣.

(٣) في صحيح البخاري من حديث جابر أنهم كانوا ألفاً وأربعمائة ٥/٦٣؛ وفي صحيـح مسلم كذلك ٣/١٤٨٣ (١٨٥٦).

(٤) في ك، س (حالة).

قدوم الوفود على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ دليل على عموم رسالته

وأما النصارى: فإن أهل نجران ـ التي باليمن ـ كانوا نصارى. فقدم عليه وفدهم ستون راكباً وناظرهم في مسجده وأنزل الله فيهم صدر سورة آل عمران، ولما ظهرت حجته عليهم، وتبين لهم أنه رسول الله إليهم[1]، أمره الله إن لم يجيبوه أن يدعوهم إلى المباهلة، فقال ـ تعالى ـ:

﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[2].

فلما دعاهم إلى المباهلة[3] طالبوا أن يمهلهم حتى يشتوروا

---

(١) سقط (إليهم) من ك.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٦١.

(٣) بهله بهلاً من باب نفع: لعنه واسم الفاعل باهل والأنثى باهلة. وباهله مباهلة من باب قاتل؛ لعن كل منهما الآخر. وابتهل إلى الله ـ تعالى ـ ضرع إليه. والبهلة ويضم: اللعنة. فالمباهلة هي مفاعلة من الابتهال والضراعة إلى الله بحرارة واجتهاد.
انظر القاموس المحيط ٣/٣٣٩ باب اللام فصل الباء والمصباح المنير ١/٨٩؛ ومختار الصحاح ص ٦٧.
ونأخذ من هذه المباهلة الأدلة الآتية:
أولاً: أن هذا دليل محسوس على أن القرآن من عند الله. وأنه كلام القادر على إنزال العذاب والهلاك على الكاذبين.
ثانياً: أن قبول النبي محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ للمباهلة وامتناع مخالفيه منها دليل على أن صدق محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في نبوته كان أمراً معروفاً وثابتاً حتى في نفوس مخالفيه. من أهل الكتاب. حيث نكصوا عن قبول المباهلة خوفاً من نزول العذاب بهم. وأما لماذا لم يؤمنوا مع ذلك فإنما حجبهم حقدهم وكبرياؤهم وحسدهم والله يقول: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً﴾... الآية. =

فاشتوروا، فقال بعضهم لبعض: تعلمون[1] أنه نبي وأنه[2] ما باهل قوم نبياً إلاّ نزل بهم العذاب.

فاستعفوا من المباهلة فصالحوه وأقروا له بالجزية عن يد وهم صاغرون؛ لما خافوا من دعائه عليهم، لعلمهم أنه نبي فدخلوا تحت حكمه كما يدخل أهل الذمة الذين في بلاد المسلمين تحت حكم الله ورسوله، وأدوا إليه الجزية عن يد وهم صاغرون، وهم أول من أدّى الجزية من النصارى.

واستعمل عليهم وعلى من أسلم منهم[3] عمرو بن حزم الأنصاري[4]، وكتب له كتاباً مشهوراً يذكر فيه شرائع الدين، فكانوا في ذمة المسلمين تحت حكم الله ورسوله ونائب رسوله عمرو بن حزم الأنصاري ــ رضي الله عنه ــ وقصتهم مشهورة متواترة نقلها أهل السير،

= وأما سبب ضم الرسول ــ صلّى الله عليه وسلّم ــ الأبناء والنساء مع أن المباهلة مختصة به وبمن كذبه. فلأن ذلك آكد في الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه. حتى يجرؤ على تعريض أعز الناس عليه لهذه المباهلة. وخصهم لأنهم أعز الأهل وقدمهم لينبه على قرب مكانهم ومنزلتهم كما قال ذلك المفسرون والله أعلم.

(١) في النسخ عدا ط (تعلموا).

(٢) في ك (وأن).

(٣) سقطت (منهم) من س، ك.

(٤) عمرو بن حزم بن زيد الأنصاري، يكنّى أبا الضحاك، شهد الخندق وما بعدها، واستعمله النبي ــ صلّى الله عليه وسلّم ــ على نجران وهو ابن سبع عشرة سنة ليفقههم في الدين ويأخذ منهم الصدقات وذلك سنة عشر للهجرة. مات ــ رضي الله عنه ــ . في خلافة عمر. ورجح ابن حجر أنه مات بعد الخمسين، والله أعلم.
انظر في ترجمته: الإصابة ٢/٥٢٥؛ والاستيعاب ٢/٥١٠؛ وتهذيب التهذيب ٨/٢٠. وسيأتي تخريج كتاب النبي ــ صلّى الله عليه وسلّم ــ له في موضعه ــ إن شاء الله ــ .

وأهـل الحديث، وأهـل الفقه، وأصـل حديثهم معـروف في الصحاح[1] والسنن كما سنذكره ـ إن شاء الله تعالى ـ[2].

ووفد نجران لما قدموا أنزل الله ـ تبارك وتعالى ـ بسبب مـا جرى صدر سورة آل عمران، وذكر ـ تعالى ـ فرض الحج بقوله:

﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾[3].

وهذا نزل[4] إما سنة تسع وإما سنة عشر، كما ذكر ذلك غير واحد من العلماء منهم: القاضي أبو يعلى[5] وغيره.

قـالـوا وجـوب الحـج ثبت بقـولـه: ﴿... و[6] لله على النـاس حـج البيت...﴾.

---

(١) في ط (وفي).

(٢) سيأتي تخريجه بحسب إيراد المؤلف له في مواضع متعددة ـ إن شاء الله ـ.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٩٧.

(٤) في ط (أنزل).

(٥) القاضي أبو يعلى محمد بن الحسين الفراء، ولـد سنة ٣٨٠هـ. وهـو شيخ الحنـابلة في عصره له شهرة واسعة، ومؤلفـات كثيرة، واختيـارات في مسائـل عديـدة، اشتهر بجـرأته في الحق، وولي القضـاء بشرط أن لا يحضـر أيام المـواكب، والاستقبالات ولا يقصد السلطان. من تصانيفه: أحكام القرآن، والعدة في أصول الفقه، وغيـرهما فقـد عدَّ لـه ابنه في طبقـات الحنـابلة سبعـة وخمسين مصنفـاً مـات رحمـه الله سنـة ٤٥٨هـ.

انظر: طبقات الحنـابلة ٢/١٩٣؛ والبدايـة والنهايـة ١٢/٩٤ ـ ٩٥؛ والمدخـل إلى مذهب الإمام أحمد ص ٢٠٤، ومناقب الإمام أحمد ص ٦٢٧؛ والمنهج الأحمد في تـراجم رجال الإمـام أحمد ٢/١٠٥؛ وابن قـدامة وآثـاره الأصوليـة للدكتور السعيـد القسم الأول ص ٥٠ ـ ٥١؛ والأعلام ٦/٣٣١.

(٦) سقطت الواو من س، ك، ط.

وروي أنه نزل في سنة عشر، وروي أنه نزل في سنة تسع، وهـذا قول جمهور العلماء[1].

قالوا: إن فـرض الحج إنمـا ثبت بهذه الآيـة، وقال بعضهم: بـل ثبت ذلك بقوله ــ تعالى ــ : ﴿. . . وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ . . .﴾[2].

وهـذه الآية نـزلت سنة ست عـام الحديبيـة لمـا صـد المشـركـون رسـول الله ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ عن البيت وصـالحهم ذلـك العـام وبـايع المسلمين تحت الشجـرة، وأنزل الله فيهـا سورة الفتـح، ثم رجع إلى المدينة وفتـح الله عليهم خيبر سنـة سبع، وفيهـا قدم عليـه جعفر بن أبـي طالب[3] مع وفد الحبشة، ثم أرسل جعفراً، ـــــــــــــ

---

(١) اختلف العلماء في ذلك فقـالت طائفـة فرض سنـة ست من الهجرة عـام الحديبيـة. وقال الأكثرون إنما وجب الحج متـأخراً، قيـل: سنة تسـع، وقيل: سنـة عشر. قـال ابن تيميـة ــ رحمه الله ــ وهـذا هـو الصحيح؛ فـإن آيـة الإيجـاب إنمـا هي قـولـه ــ تعالى ــ : ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ. . .﴾ الآية، وهـذه الآية في آل عمـران في سياق مخاطبته لأهل الكتاب، وصدر آل عمران وما فيها من مخاطبة أهل الكتـاب نزل لما قـدم على النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وفـد نجران النصـارى. . . وهم أول من أدّى الجزية من أهل الكتاب، وكان ذلك بعـد إنزال سـورة براءة التي شـرع فيها الجزية.
انظر مجموع الفتاوى ٦٠٦/٧؛ ٧/٢٦، ٨؛ وتفسير القـرطبـي ١٤٤/٤ (مجلد ٢)؛ وفتـح الباري ٣٠٠/٣؛ وبـذل المجهود في حـل سنن أبـي داود ٢٩٦/٨؛ والبدايـة والنهاية ١٠٩/٥؛ والفتـح الربـاني ترتيب مسنـد الإمام أحمـد الشيباني لأحمـد البنا ٢/١١.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٩٦.

(٣) جعفر بن أبـي طالب، ابن عم النبـي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ، وأشبه النـاس بـه، يكبر علياً بعشر سنين؛ وكان من المهاجرين الأولين، هاجر إلى الحبشـة، وقدم على رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ حين فتح خيبر. ثم غـزا غزوة مؤتـة سنة ٨هـ. وفيها استشهد ــ رضي الله عنه ــ . =

وزيداً[1]، وعبد الله بن رواحة[2]، لغزو النصارى لمؤتة، ثم فتح مكة سنة ثمانٍ في رمضان، ثم في أثناء سنة تسع غزا[3] النصارى إلى تبوك، وفيها حج أبو بكر الصديق[4] ــ رضي الله عنه ــ وأمر أن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان[5].

= راجع: الاستيعاب ٢١٠/١؛ والإصابة ٢٣٩/١؛ والتهذيب ٩٢/٢؛ وصحيح البخاري ٢٠٩/٤.

(١) زيد بن حارثة، الكلبي. مولى رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ شهد المشاهد كلها، وكان رامياً مشهوراً، وكان حب رسول الله، اتخذه الرسول ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ابناً له، ثم أبطل الإسلام التبني ــ كما في سورة الأحزاب ــ أولها. واستشهد في مؤتة سنة ٨هـ.

راجع: الاستيعاب ٥٢٥/١؛ والإصابة ٥٤٥/١؛ والتهذيب ٤٠١/٣؛ وصحيح البخاري ٢١٣/٤، ومسلم ١٨٨٤/٤.

(٢) عبد الله بن رواحة الأنصاري. شاعر مشهور، من السابقين الأولين من الأنصار، وأحد النقباء السبعة ليلة العقبة. شهد بدراً وما بعدها، كان يذب عن النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ بشعره، وله مواقف في الإسلام عظيمة، استشهد في مؤتة سنة ٨هـ.

راجع: الاستيعاب ٢٨٤/٢؛ والإصابة ٢٩٨/٢؛ والتهذيب ٢١٢/٥.

(٣) في ط (غزو).

(٤) أبو بكر الصديق؛ عبد الله بن عثمان القرشي، صاحب رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ قبل البعثة وبعدها. ورفيقه في الهجرة، وفي الغار، وفي المشاهد كلها. تولى الخلافة بعد الرسول بإجماع الصحابة على بيعته. مناقبه أكثر من أن تحصى. توفي ــ رضي الله عنه ــ سنة ١٣هـ، بعد خلافة دامت سنتين وثلاثة أشهر واثنتي عشرة ليلة.

راجع في ترجمته: الاستيعاب ٢٣٤/٢؛ والإصابة ٣٣٣/٢؛ والتهذيب ٣١٥/٥؛ والرياض المستطابة ص ١٤٠؛ وصحيح البخاري ١٩١/٤؛ وصحيح مسلم ١٨٥٤/٤.

(٥) أخرج البخاري في صحيحه، كتاب التفسير؛ باب قوله: ﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ...﴾ من حديث أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ قال: بعثني أبو بكر في =

وأردفه بعلي بن أبي طالب[1] ـ رضي الله عنه ـ لنبذ العهود، وأنزل الله آية السيف المطلقة بجهاد المشركين وجهاد أهل الكتاب، فقال ـ تعالى ـ[2] :

﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾[3][4] .

= تلك الحجة، في مؤذنين بعثهم يوم النحر، يؤذنون بمنى أن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، قال حميد بن عبد الرحمن ـ أحد رجال السند ـ ثم أردف رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بعلي بن أبي طالب وأمره أن يؤذن ببراءة. قال أبو هريرة: فأذن معنا علي يوم النحر في أهل منى ببراءة، وأن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان.

رواه البخاري في ٢٠٢/٥، قال الحافظ ابن حجر في الفتح ٢٣٩/٨ بعد قوله: «قال حميد»: «هذا القدر من الحديث مرسل، لأن حميداً لم يدرك ذلك ولا صرح بسماعه له من أبي هريرة». لكن ثبت إرسال علي من عدة طرق، ثم ساقها برواية الطبري، والترمذي، والنسائي، وذكر عدة أحاديث في ذلك.

(١) علي بن أبي طالب، القرشي، الهاشمي. ابن عم الرسول ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لأبويه، من العشرة المبشرين بالجنة، ورابع الخلفاء الراشدين، وأول من أسلم من الصبيان، شهد المشاهد كلها إلَّا تبوك، استعمله النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فيها على المدينة، وفضائله كثيرة مشهورة، استشهد سنة ٤٠هـ. في شهر رمضان، قتله الخارجي عبد الرحمن بن ملجم، ومدة خلافته خمس سنين إلَّا ثلاثة أشهر ونصف.

راجع: الاستيعاب ٢٦/٣؛ والإصابة ٥٠١/٢؛ والتهذيب ٣٣٤/٧؛ والرياض المستطابة ص ١٦٣؛ وصحيح البخاري ٢٠٧/٤؛ وصحيح مسلم ١٨٧٠/٤.

(٢) سقطت (تعالى) من ك.

(٣) سورة التوبة: الآية ٥.

(٤) انظر: صحيح البخاري ٢٠٢/٥ كتاب التفسير، باب قوله: ﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ...﴾.

وهذه الأشهر عند جمهور العلماء هي المذكورة في قوله ـ تعالى ـ :

﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ﴾[1][2].

فإن المشركين كانوا على[3] نوعين: نوعاً لهم عهد مطلق غير مؤقت، وهو عقد جائز غير لازم، ونوعاً لهم عهد مؤقت فأمر الله رسوله أن ينبذ إلى المشركين أهل العهد المطلق؛ لأن هذا العهد جائز غير لازم، وأمره أن يسيرهم أربعة أشهر، ومن كان له عهد مؤقت فهو عهد لازم، فأمره الله أن يوفى له إذا كان[4] مؤقتاً، وقد ذهب بعض الفقهاء

---

(١) سورة التوبة: الآية ٢.

(٢) الأشهر الحرم للعلماء فيها قولان:

١ ـ قيل: هي الأشهر المعروفة؛ ثلاثة سرد، وواحد فرد.

٢ ـ وقيل: شهور العهد أربعة: قاله مجاهد، وابن إسحاق وابن زيد، وعمرو بن شعيب. وقيل لها حرم؛ لأن الله حرم على المؤمنين فيها دماء المشركين والمتعرض لهم إلَّا على سبيل الخير، قال ابن جرير: «وكان ابتداؤها يوم الحج الأكبر، وانقضاؤها انقضاء عشر من ربيع الآخر، فذلك أربعة أشهر متتابعة»، وقد أجاب عن قوله ـ تعالى ـ : ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ﴾ بأن انسلاخ الأشهر الحرم إنما كان أجل من لا عهد له من المشركين من رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ والأشهر الأربعة لمن له عهد...».

انظر تفسير الإمام ابن جرير ١٠/٤٨ (مجلد ٦)، ط دار الفكر؛ وتفسير القرطبي ٨/٧٢ (مجلد ٤)، ط دار الفكر؛ وتفسير ابن كثير ٢/٣٣٥، وفتح القدير للشوكاني ٢/٣٣٧؛ وانظر كتاب أحكام أهل الذمة لابن القيم (بتحقيق الدكتور صبحي الصالح) ٢/٤٨١، وقد رجح فيه القول الثاني.

(٣) سقطت (على) من ط.

(٤) في جميع النسخ عدا ك (إذا كان هو).

إلى أن الهدنة[1] لا تجوز إلاَّ مؤقتة[2]. وذهب بعضهم إلى أنه يجوز للإمام أن يفسخ الهدنة مع قيامهم بالواجب، والصواب هو القول الثالث، وهو أنها تجوز مطلقة ومؤقتة.

فأما المطلقة فجائزة غير لازمة يخير بين إمضائها وبين نقضها.

والمؤقتة لازمة، قال ـ تعالى ـ:

﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢﴾ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾

---

(١) معنى الهدنة: أن يعقد لأهل الحرب عقداً على ترك القتال مدة بعوض، وبغير عوض، وتسمى مهادنة، وموادعة، ومعاهدة. وهي جائزة بدليل قوله ـ تعالى ـ: **﴿براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين﴾**... الآية ١: التوبة. وكذلك: النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ صالح سهيل بن عمرو بالحديبية، على وضع القتال عشر سنين.

(٢) جاء في المغني لابن قدامة ما نصه: «ولا يجوز عقد الهدنة إلاَّ على مدة مقدرة معلومة... قال القاضي: وظاهر كلام أحمد أنها لا تجوز أكثر من عشر سنين. وهو اختيار أبي بكر، ومذهب الشافعي... وقال أبو الخطاب: ظاهر كلام أحمد أنه يجوز على أكثر من عشر، على ما يراه الإمام من المصلحة. وبهذا قال أبو حنيفة. لأنه عقد يجوز في العشر، فجازت الزيادة عليها، كعقد الإجارة...». راجع المغني ٨/ ٤٦٠ كتاب الجهاد.

وانظر الاختيارات الفقهية لابن تيمية ص ٣١٥ فقد فصل القول فيها؛ والمقنع في فقه الإمام أحمد لابن قدامة ١/ ٥٢٠؛ والكافي في فقه أهل المدينة المالكي لابن عبد البر ١/ ٤٦٨؛ وأحكام أهل الذمة لابن القيم ٢/ ٤٧٥.

﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا ٱسْتَقَـٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿٨﴾ ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ وَإِن نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَـٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ فَقَـٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَـٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾ أَلَا تُقَـٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَـٰنَهُمْ وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾[1].

والمقصود هنا ذكر قدوم وفد نجران النصارى: السيد والعاقب ومن معهما[2].

قال أبو الفرج بن الجوزي[3]: «ثم دخلت سنة عشر من الهجرة

---

(١) سورة التوبة: ١ ـ ١٣.

(٢) في أ، س، ك (معهم).

(٣) أبو الفرج: عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، القرشي، البغدادي، ولد سنة ٥٠٨هـ. ببغداد، ونسبته إلى «مشرعة الجوز» من محالها. الإمام الحافظ، عالم =

فمن الحوادث فيها: أن رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بعث خالد بن الوليد[1] إلى بني الحارث بن كعب[2]، فروى ابن إسحاق قال: بعث رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ خالداً في ربيع الآخر أو جمادى الأول[3] في[4] سنة عشر إلى بني[5] الحارث بن كعب بنجران، وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم»، وذكر القصة ثم قال: «وفيها قدم وفد الأزد[6]، وفيها قدم

= العراق، وواعظ الآفاق، علامة عصره في التاريخ والحديث له نحو ثلاثمائة مصنف منها المنتظم، طبع منه ستة أجزاء فقط، وزاد المسير، وتلقيح فهوم أهل الأثر، وتلبيس إبليس، والذهب المسبوك، وغيرها. مات ـ رحمه الله ـ ببغداد سنة ٥٩٧هـ.

انظر: طبقات الحفاظ ص ٤٨٠ (١٠٦٣)؛ وتذكرة الحفاظ ٤/١٣٤٢؛ وذيل طبقات الحنابلة ٣/٣٩٩ (٢٠٥)؛ والبداية والنهاية ١٣/٢٨ ـ ٣٠؛ والأعلام ٣/٣١٧.

(١) خالد بن الوليد بن المغيرة، المخزومي، القرشي، سيف الله الفاتح، الصحابي الجليل، أسلم قبل فتح مكة سنة ٧هـ. فسر به رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وولاه الخيل، قاتل في حروب الردة في عهد أبي بكر، ثم سيره إلى العراق ففتح الحيرة. مات بحمص، وقيل بالمدينة سنة ٢١هـ.

انظر: الإصابة ١/٤١٢ (٢٢٠١)؛ والاستيعاب هامش الإصابة ١/٤٠٥؛ والبداية والنهاية ٧/١١٣؛ والأعلام للزركلي ٢/٣٠٠.

(٢) بني الحارث بن كعب، بن علة ينتسبون إلى يشجب بن يعرب بن قحطان، والنسبة إليهم الحارثي، ومنهم شريح بن هانىء الحارثي صاحب علي ـ رضي الله عنه ـ، وابنه المقدام بن شريح، وغيرهم.

انظر اللباب ١/٣٢٨؛ وجمهرة أنساب العرب ص ٤١٦، ٤١٧؛ والأنساب المتفقه ص ٣٥.

(٣) في ك (الأولى).

(٤) في ط (من).

(٥) سقطت (بني) من أ، س، ك.

(٦) الأزد: هم أزد شنوءة بفتح الألف، وسكون الزاي، وكسر الدال المهملة، وهو =

وفـد غسان[1]، وفيها قدم وفد زبيد[2]،وفيها قدم وفد عبد القيس[3]، قال ابن إسحاق: قـدم على رســول الله ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ الجارود بن عمـرو[4] في وفــد عبد القيس وكان نصرانياً فأسلموا، وفيها قدم وفد

= أزد بن الغـوث إلى سبأ، وينتسب إليـه عدة قبـائل منهـا خزاعـة، والدواسـر، وألمـع وغيرهم.
انـظر: المنتخب في ذكر قبـائل العـرب لعبد الـرحمن المغيـري ص ٦٣، ٦٧، ٧٠ (ط المدني ١٣٨٢)؛ اللباب في تهذيب الأنساب لابن الجزري ٤٦/١ (ط دار صادر بيـروت)؛ والأنساب المتفقـة لابن الفضل محمـد بن طاهـر القيسـراني ص ٦ (نشـر مكتبة المثنى)؛ وجمهرة أنساب العرب لابن حـزم ص ٣٣٠، ٣٧٤ (ط دار المعارف بمصر ١٣٨٢هـ).

(١) غسان: بفتح الغين المعجمة، والسين المشددة، وبعد الألف نون، وهي قبيلة كبيـرة من الأزد وهم بـطون كثيرة. انـظر اللباب لابن الجـزري ٣٨١/٢؛ وجمهـرة أنسـاب العرب لابن حزم ص ٤٧٢ ــ ٤٧٤.

(٢) زبيـد: بضم الزاي، وفتـح الباء، وسكـون الياء المثنـاة، وهي قبيلة من مـذحـج من بني سعــد العشيـرة، وينسب إليهــا خلق كثيــر من الصحــابــة، ومن بعــدهم من العلماء... انظر اللبـاب ٦٠/٢؛ وجمهرة أنسـاب العرب ٤١١ ــ ٤١٢؛ والمنتخب في ذكر قبائل العرب ص ١١٦.

(٣) عبد القيس بن أقصى، من ربيعة بن نزار، والنسبة إليه (عبدي) بفتح العين، وسكون الباء الموحدة، وفي آخرها دال مهملة، ينسب إليه خلق كثير منهم الجارود بن عمرو العبدي وستأتي ترجمته.
انظر اللباب ٣١٤/٢؛ وجمهرة أنساب العرب ص ٢٩٥ ــ ٢٩٦.

(٤) هو الجارود بن المعلى ــ ويقال بن عمرو بن المعلى أبو المنذر. العبـدي، وفد على رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ، وكان سيد عبد القيس واسمه بشـر، والجارود لقب، قتل في خلافـة الفاروق بـأرض فارس مجـاهداً ــ رضي الله عنـه ــ وقد كـان نصرانياً، فأسلم وحسن إسلامه، وسر النبـي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ بذلك، وكان وفوده سنة عشر للهجرة.
اللباب لابن الجزري ٣١٤/٢؛ وانظر البداية والنهايـة لابن كثير ٢٣٢/٢؛ والإصـابة ٢١٧/١، ٢١٨ (١٠٤٢).

كندة[1] فأسلموا، وفيها قدم وفد بني حنيفة[2]، وفيها قدم وفد بجيلة[3] قال: وفيها قدم العاقب والسيد من نجران، فكتب لهم رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ـ كتاب صلح»[4].

وذكر محمد بن سعد(*)[5] في الطبقات قدومهم في[6]

---

(١) كندة: بكسر أوله، وسكون النون، وكسر الدال المهملة، قبيلة مشهورة من اليمن والنسبة إليها كندي، واسم كندة الذي تنتسب إليه ثور بن مرتع من سبأ، وينسب إليها كثيرون من الصحابة ومن بعدهم.
انظر اللباب ١١٥/٣، ١١٦؛ والمنتخب في ذكر قبائل العرب ص ١٣٠؛ وجمهرة أنساب العرب ص ٤٢٥.

(٢) بني حنيفة: هم قبيلة كبيرة، من ربيعة بن نزار، نزلوا باليمامة (في نجد)، وينسب إليهم خلق كثير، منهم ثمامة بن أثال الحنفي ـ رضي الله عنه ـ، وغيره. والنسبة إليهم (حنفي) بفتح الحاء والنون.
انظر الباب ٣٩٦/١؛ وجمهرة أنساب العرب ص ٣٠٩.

(٣) بجيلة: قبيلة كبيرة من الأزد، والنسبة إليها بجلي بفتح الباء الموحدة والجيم، وينتسب إليها خلق كثير منهم الصحابي الجليل جرير بن عبد الله البجلي، وغيره.
انظر اللباب ١٢١/١؛ وجمهرة أنساب العرب ص ٣٨٧.

(٤) انظر سيرة ابن هشام ١٧٧/٤؛ وتاريخ الطبري ١٢٦/٣، ١٣٠، ١٣٢، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ذكره ابن جرير بسنده عن ابن إسحاق. وأما تاريخ ابن الجوزي (المنتظم) فالأجزاء الأربعة الأولى منه غير موجودة ـ حسب علمي ـ وما أشار إليه الشيخ ـ رحمه الله ـ في الأجزاء الأول، وابن الجوزي معتمد في نقله على ابن إسحاق وقد أشرنا إلى مكانه في سيرة ابن هشام وهذه الحوادث مشهورة، ومذكورة في كتب السيرة.
وانظر: الكتاب القيم لابن القيم، زاد المعاد ٥٩٥/٣ ـ ٦٩٧ بتحقيق الأرناؤوط عن الوفود كلها وفي ذلك حديث مفيد، وبيان لما في هذه الحوادث، وما يستنتج منها من فوائد.

(٥) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ٣٥٧/١ ـ ٣٥٨ (وفد نجران).

(٦) في س، ك، ط (في ذكر الوفود).

(*) محمد سعد بن منيع الهاشمي، نزيل بغداد، كاتب الواقدي، وأحد الحفاظ الكبار =

الوفود فقال:

«ذكر[1] بعث النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ خالد بن الوليد في شهر ربيع الأول سنة عشر إلى بني الحارث بن كعب ذكره بإسناده: أنبأنا[2] محمد بن عمر[3]، حدثني إبراهيم بن موسى المخزومي[4]، عن عبد الله بن عكرمة بن عبد الرحمن بن الحارث[5]، عن أبيه[6]، ثم ذكر قدوم نصارى نجران من طريق علي بن محمد[7] فقال: أنا[8] علي بن محمد[9] وهو المدائني[10] عن[11] أبي[12] معشر[*]، عن يزيد بن

= الثقات، صدوق فاضل، مات سنة ٢٣٠هـ .

راجع: ميزان الاعتدال ٣/ ٥٦٠؛ والتهذيب ١٨٢/٩؛ والتقريب ١٦٣/٢ (٢٤٤).

(١) سقطت (ذكر) من ط. (٢) في س، ك (حدثنا).

(٣) محمد بن عمر بن واقد الواقدي. قال ابن حجر: متروك مع سعة علمه. وقال الذهبي: استقر الإجماع على وهن الواقدي. مات سنة ٢٠٧هـ .

تقريب التهذيب ١٩٤/٢ (٥٦٧)؛ وميزان الاعتدال ٦٦٢/٣؛ وتهذيب التهذيب ٣٦٣/٩.

(٤) إبراهيم بن موسى المخزومي: لم أقف له على ترجمة.

(٥) عبد الله بن عكرمة بن عبد الرحمن: لم أقف له على ترجمة.

(٦) عكرمة بن عبد الرحمن المخزومي، المدني، ثقة، مقل. مات سنة ١٠٣هـ .

تقريب التهذيب ٢/ ٣٠ (٢٧٥)؛ والتهذيب ٧/ ٢٦٠.

(٧) علي بن محمد القرشي، المدائني، المشهور. الأخباري، نقل الذهبي عن يحيى بن معين قوله: ثقة ثقة ثقة. له تصانيف كثيرة، ونسبته إلى المدائن، بلدة قديمة على نهر دجلة. مات سنة ٢٢٤، وقيل: ٢٢٥هـ .

راجع: ميزان الاعتدال ١٥٣/٣؛ والأنساب للسمعاني ص ٥١٥.

(٨) في ط (أنبأنا) وما أثبتناه من سائر النسخ والطبقات وهو اختصار لكلمة أنبأنا.

(٩) في ط (علي بن محمد القرشي).

(١٠) في ط: جملة زائدة لا مكان لها «فقال: أخبرنا علي بن محمد».

(١١) في ط (المدائني المشهور).

(١٢) في ك (ابن أبي معشر)، وهو خطأ.

(*) أبو معشر هو: نجيح بن عبد الرحمن السندي، كان بصيراً بالمغازي. قال =

رومان[1] ومحمد بن كعب[2] قال: وأنا[3] علي بن مجاهد[4]، عن محمد بن إسحاق[5]، عن الزهري[6]، وعكرمة بن خالد[7]، وعاصم بن عمر[8] بن قتادة، أنا[9] يزيد بن عايض بن جعدية[10]، عن عبد الله بن

= ابن حجر: ضعيف من السادسة؛ أسن واختلط مات سنة ١٧٠هـ.
ميزان الاعتدال ٤/٢٤٦؛ والتقريب ٢/٢٩٨ (٤٦)؛ والتهذيب ١٠/٤١٩.

(١) يزيد بن رومان الأسدي، وثقه النسائي وغيره. مات سنة ١٣٠هـ.
انظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال للمزي ٣/١٥٣٢، وقد جاء في ط (يزيد بن رمان) وهو خطأ.

(٢) محمد بن كعب بن سليم القرظي. ثقة، عالم من الثالثة، ولد سنة ٤٠هـ. مات سنة ١٢٠هـ.
انظر تقريب التهذيب ٢/٢٠٣؛ والبداية والنهاية ٩/٢٥٧.

(٣) في ط (أنبأنا).

(٤) علي بن مجاهد بن مسلم، الكندي، العبدي، متروك من التاسعة مات سنة ١٨٢هـ.
تهذيب التهذيب ٧/٣٧٧؛ والتقريب ٢/٤٣؛ وميزان الاعتدال ٣/١٥٢؛ وقد ورد في أ، س (بن محمد) وهو خطأ.

(٥) محمد بن إسحاق. صدوق يدلس، وسبقت ترجمته.

(٦) الزهري ستأتي ترجمته.

(٧) عكرمة بن خالد القرشي. ثقة من الثالثة، مات قبل العشرين ومائة. تقريب التهذيب ٢/٢٩؛ والتهذيب ٧/٢٥٨؛ وميزان الاعتدال ٣/٩٠.

(٨) عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري، أحد علماء التابعين، ثقة عالم بالمغازي. مات بعد العشرين ومائة.
ميزان الاعتدال ٢/٣٥٥؛ وتقريب التهذيب ١/٣٨٥؛ والتهذيب ٥/٥٣.

(٩) في ط (وأنبأنا).

(١٠) يزيد بن عياض بن جعدبة، بضم الجيم. المدني، قال البخاري: منكر الحديث، وقال ابن معين: ليس بثقة، وقال ابن حجر (كذبه مالك وغيره).
انظر: ميزان الاعتدال ٤/٤٣٦؛ وتقريب التهذيب ٢/٣٦٩؛ والتهذيب ١١/٣٥٢.

أبي بكر بن حزم[1]، وعن غيرهم من أهل العلم يزيد بعضهم على بعض قالوا: ووفد فلان وفلان في رجال من خثعم[2] إلى رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بعدما هدم[3] جرير بن عبد الله[4] ـ رضي الله عنه ـ ذا الخلصة، وقتل من قتل من خثعم[5]، فقالوا: آمنا بالله ورسوله

---

(1) عبد الله بن أبي بكر بن حزم، الأنصاري، المدني، ثقة من الخامسة مات سنة ١٣٥هـ. الخلاصة للخزرجي ص ٢٩٢؛ وتقريب التهذيب ١/٢١٥؛ والتهذيب ٥/١٦٤.

(2) خثعم: بفتح الخاء المعجمة، وإسكان المثلثة، وفتح العين المهملة، وخثعم بن أنمار، يلتحق بزيد بن كهلان بن سبأ، وهم إخوة بجيلة، وقيل خثعم جبل تحالفوا عنده، وهم بطون كثيرة، منازلهم اليوم في جنوب المملكة.
انظر: المنتخب في ذكر قبائل العرب ص ٧٥، ٧٦؛ واللباب ١/٤٢٣؛ وجمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ٣٣٠ (ط دار المعارف بمصر ١٣٨٢).

(3) في أ(قدم).

(4) جرير بن عبد الله البجلي، سيد قبيلته بجيلة، أسلم في العام الذي توفى فيه رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، ورجح ابن حجر أنه أسلم قبل ذلك، أي: قبل السنة العاشرة... وكان جرير جميلاً، وكان يقول فيه عمر أنه «يوسف هذه الأمة». وقد بعثه الرسول ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إلى صنم ذي الخلصة فهدمها، وردت مناقبه في البخاري ٤/٢٣٢، مات ـ رضي الله عنه ـ سنة ٥١هـ.
راجع في ترجمته الإصابة ١/٢٣٣؛ والاستيعاب ١/٢٣٤؛ وتهذيب التهذيب ٢/٧٣؛ وصحيح البخاري ٤/٢٣٢ وغيرها.

(5) ورد ذلك في صحيح البخاري، كتاب المغازي، (غزوة ذي الخلصة)، وفيه أنه نفر في مائة وخمسين راكباً وكسروه... صحيح البخاري ٥/١١١. وانظر: البداية والنهاية ٥/٧٩. وضبطت (الخلصة) بفتحات ثلاث؛ وهذا أصح ما قيل في ذلك، وهو بيت أصنام كان لدوس، وخثعم، وبجيلة... وقيل: كان يسمى الكعبة اليمانية؛ وهو على أربع مراحل من مكة.
انظر مراصد الاطلاع ١/٤٧٨.

فاكتب لنا كتاباً». وذكروا القصة؛ وقدوم وفود متعددة[1].

قالوا: وقدم وفد نجران، وكتب رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إلى أهل نجران، فخرج إليه أربعة عشر من أشرافهم نصارى، وفيهم ثلاثة نفر يتولون أمورهم:

العاقب، واسمه عبد المسيح رجل من كندة وهو أميرهم وصاحب مشورتهم والذي يصدرون عن رأيه، وأبو الحارث[2] أسقفهم وإمامهم وصاحب[3] مدراسهم[4]، والسيد وهو صاحب رحلتهم، فدخلوا

---

(١) في ط زيادة في هذا الموضع عن سائر النسخ «قالوا: وقدم وفد الأشعريين على رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، وهم خمسون رجلاً فيهم أبو موسى، وذكر قصتهم، قالوا: وقدم وفد حضرموت مع وفد كندة على رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وذكر قصتهم، قالوا: وقدم وفد أزد عمان، قالوا: وقدم وفد غافق، قالوا: وقدم وفد دوس، ووفد حزام، ووفد حمير».
هذا كله ساقط من أ، س، وشطب عليه في ك.

(٢) في أ، ط (حارثة).

(٣) قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: ٧٣/٨: «أما السيد فكان اسمه: الأيهم بتحتانية ساكنة؛ ويقال: شرحبيل. وكان صاحب رحالهم، ومجتمعهم ورئيسهم في ذلك، وأما العاقب، فاسمه عبد المسيح، وكان صاحب مشورتهم، وكان معهم أيضاً أبو الحرث بن علقمة، وكان أسقفهم، وحبرهم، وصاحب مدارسهم».
قلت: والأسقف: درجة من درجات الكهنوت في النصرانية تعني المعلم، الواعظ، والقارىء. وسيأتي زيادة توضيح لها ولغيرها من المراتب فيما بعد.

(٤) في ط (مدارسهم) وهو تصحيفه. والمدارش: في الأصل بالشين المعجمة. مأخوذة من أصل عبري، يعني التعمق في الدراسة. وهو التعليم الشفهي للتوراة.

المسجد[1] وعليهم ثياب الحبرة[2] وأردية مكفوفة بالحرير، فقاموا

---

(١) اختلف العلماء في دخول الكفار المساجد، والمسجد الحرام.
فقال أهل المدينة: الآية ﴿**إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا...**﴾ [التوبة: ٢٨]، هذه الآية عامة في سائر المشركين، وسائر المساجد، قالوا: ودخول الكفار فيها مناقض لترفيعها والله يقول: ﴿**في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه...**﴾ [النور: ٣٦]، ولهم أدلة أخرى قوية ليس هذا موضع بسطها.
وقال الشافعي ــ رحمه الله ــ آية التوبة عامة في سائر المشركين، خاصة في المسجد الحرام ولا يمنعون من دخول غيره، وقد رد ابن العربي هذا وقال: إن وصف المشركين بأنهم نجس تنبيه على العلة بالشرك والنجاسة. ثم رد أصحاب القول الأول على من استدل بحديث ثمامة بن أثال حيث ربط بسارية من سواري المسجد، وقد ورد في صحيح البخاري (في الصلاة، باب دخول المشرك المسجد ١/١٢٠) ردوا بأجوبة:
أحدها ــ أنه كان متقدماً على نزول الآية.
الثاني ــ أن النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ كان قد علم بإسلامه.
الثالث ــ أن ذلك قضية في عين فلا ينبغي أن تدفع بها الأدلة التي ذكرت لكونها مقيدة بحكم القاعدة الكلية.
وقال أبو حنيفة وأصحابه: لا يمنع اليهود والنصارى من دخول المسجد الحرام ولا غيره، ولا يمنع من دخول المسجد الحرام إلَّا المشركون وأهل الأوثان، قال القرطبي: وهذا قول يرده كل ما ذكرناه من الآية وغيرها.
أما ابن القيم في زاد المعاد ٣/٦٣٨، فإنه قد أخذ من قصة نجران جواز دخول أهل الكتاب مساجد المسلمين، وتمكين أهل الكتاب من صلاتهم بحضرة المسلمين وفي مساجدهم أيضاً، إذا كان ذلك عارضاً، ولا يمكنون من اعتماد ذلك. قلت: وهذا هو القول الوسط في هذه المسألة، وهو الذي تشهد له الأدلة والله أعلم.
انظر تفسير القرطبي ٨/١٠٤، ١٠٥ (مجلد ٤)؛ وتفسير ابن جرير ١٠/٧٤ (٦)؛ وابن كثير ٢/٣٤٦؛ وفتح القدير اللشوكاني ٢/٣٤٩.

(٢) الحبرة بكسر الحاء: ثوب يماني من قطن أو كتان مخطط:
انظر القاموس المحيط ٢/٢، والمصباح المنير ١/١٦٢؛ ومختار الصحاح ص ١٢٠.

يصلون في المسجد نحو المشرق، فقال رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : «دعوهم» ثم أتوا النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فأعرض عنهم فلم يكلمهم، فقال لهم عثمان. ذلك من أجل زيكم هذا، فانصرفوا يومهم ذلك، ثم غدوا عليه بزي الرهبان، فسلموا عليه، فرد عليهم ودعاهم إلى الإسلام فأبوا وكثر الكلام والحجاج بينهم وتلا عليهم القرآن، وقال رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : «إن أنكرتم ما أقول فهلمَّ أباهلكم»، فانصرفوا على ذلك فغدا عبد المسيح ورجلان من ذوي رأيهم على رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، فقالوا: قد بدا لنا أن لا نباهلك فاحكم علينا بما أحببت نعطك[1] ونصالحك، فصالحهم على ألفي حلة في رجب، وألف في صفر، أو قيمة كل حلة من الأواقي، وعلى عارية ثلاثين درعاً، وثلاثين رمحاً، وثلاثين بعيراً وثلاثين فرساً إن كان باليمن كيد[2].

ولنجران وحاشيتهم جوار الله وذمة محمد رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ على أنفسهم، وملتهم، وأرضهم، وأموالهم، وغائبهم، وشاهدهم، وبيعهم، لا يغير أسقف من سقيفاه[3]، ولا راهب من رهبانيته، ولا واقف[4] من وقفانيته، وأشهد على ذلك شهوداً منهم:

---

(١) في أ، س، ك (نعطيك)، وصوابه ما أثبتناه من ط؛ لأنها مجزومة في جواب الطلب.

(٢) أي: حرب، وسيأتي زيادة توضيح بعد قليل.

(٣) سيأتي توضيح للأسقف وغيره من درجات الكهنوت في النصرانية.

(٤) الواقف: هو خادم البيعة قال في القاموس المحيط ٢٠٥/٣ (فصل الواو، باب الفاء)، «والنصراني وقيفي كخليفي: خدم البيعة».

أبـو سفيان بن حـرب[1] والأقـرع بن حـابس[2]، والمغيـرة بن شعبـة[3]، فرجعوا إلى بلادهم، فلم يلبث السيد والعاقب إلّا يسيراً حتى رجعـا إلى النبي[4] ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ فـأسلمـا وأنـزلهمـا دار أبـي أيـوب الأنصاري[5]، وأقام أهل نجران على مـا كتب لهم به النبـي ـ صلَّى الله

---

(1) أبو سفيان بن حرب ـ صخر بن أمية القرشي، والد معاوية، أسلم عام الفتح، وشهد حنيناً، والطائف، ابنته أم حبيبة ـ رضي الله عنهما ـ إحدى أمهـات المؤمنين. قيل: إن النبـي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ استعمله على نجران، وضعف ذلـك ابن حجر. مـات لست خلون من خلافـة عثمان ـ رضي الله عنـه ـ وعمره ٩٣ سنـة وقيـل غيـر ذلك.

راجع: الإصابة لابن حجر ٢/١٧٢؛ والاستيعاب هامش الإصابة ٢/١٨٣؛ التهذيب ٤/٤١١؛ والرياض المستطابة ص ١٢٩.

(2) الأقـرع بن حـابس بن عقـال التميمي، وفـد على النبـي ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ وشهد فتح مكة، وحنيناً، والطائف، وهو من المؤلفة قلوبهم. وقد حسن إسلامه، ثم شهد مع خالد حرب العراق، وفتح الأنبار. استشهـد بخراسـان، وقيل: بـاليرمـوك. والله أعلم.

انظر: الاستيعاب هامش الإصابة ١/٧٨ ـ ٧٩، والإصابة ١/٧٢.

(3) المغيـرة بن شعبة بن أبـي عـامر الثقفي، أسلم عـام الخندق، كـان داهيـة، يضـرب برأيه، ودهائه الأمثال. ولي في عهد عمـر البصرة، ثم الكـوفة، وشهـد قتال الـردة، وفتح الشام، وذهبت عينه يوم اليرموك، وشهد القادسية، ونهاوند، وافتتح أذربيجان، مات سنة ٥٠هـ في عهد معاوية وقيل: ٥١هـ.

الاستيعاب ٣/٣٦٨؛ والإصابة ٣/٤٣٢؛ والتهذيب ١٠/٢٦٢؛ والرياض المستطابة ص ٢٥٣.

(4) في ط (رسول الله).

(5) أبو أيوب: خالد بن زيـد بن كليب الأنصاري، شهـد العقبة وبـدراً والمشاهـد كلها. ونـزل عنده رسـول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ حين قـدم المدينـة شهـراً حتى بنى المسجد، استخلفه علي ـ رضي الله عنه ـ على المدينـة لما خـرج إلى العراق، ثم لحق به، وشهد قتال الخوارج مات غازياً ببلاد الروم في خلافـة معاويـة، قيل: سنـة ٥٠هـ. وقيل: ٥١هـ. وقيل: ٥٢هـ. =

عليه وسلَّم ــ ، حتى قبضه الله صلوات الله عليه ورحمته ورضوانه[1].

ثم ولِّي أبو بكر الصديق ــ رضي الله عنه[2] ــ فكتب بالوصاة بهم عند وفاته، ثم أصابوا ربا فأخرجهم عمر بن الخطاب من أرضهم، وكتب لهم هذا ما كتب عمر أمير المؤمنين لنجران أنه[3] من سار منهم أنه آمن بأمان الله لا يضرهم أحد من المسلمين، ووفى لهم بما كتب لهم رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وأبو بكر، أما بعد[4] فمن وقعوا به من أمراء الشام وأمراء العراق فليوسعهم من جريب[5] الأرض فما اعتملوا[6] من ذلك فهو لهم صدقة وعقبة[7] لهم، فكان أرضهم لا سبيل عليهم فيه لأحد ولا مغرم[8].

= راجع: الاستيعاب ١/٤٠٢؛ والإصابة ١/٤٠٤؛ وتهذيب التهذيب ٣/٩٠؛ والرياض المستطابة ص ٦٠.

(١) في ط زيادة (وسلم) قبل (ورحمته)، وفي الطبقات ١/٣٥٨ (ورحمته ورضوانه وسلامه).

(٢) جملة ــ رضي الله عنه ــ زدناها من ط.

(٣) في س (أن).

(٤) سقطت جملة (أما بعد) من ط، وهي في النسخ الأخرى وفي الطبقات ١/٣٥٨.

(٥) جاء في جميع النسخ (خراب) وهو خطأ صححناه من طبقات ابن سعد ١/٣٥٨. (والجريب) هو من الطعام والأرض مقدار معلوم وجمعه أجربة وجربان، والجريب أيضاً: مكيال وهو أربعة أقفزة والجريب من الأرض مبذر الجريب الذي هو المكيال. انظر مختار الصحاح ص ٩٨/ باب الجيم والمصباح المنير ١/١٣٠؛ والقاموس المحيط ١/٤٥/ فصل الجيم باب الباء.

(٦) قال في المصباح المنير ٢/٥٨٨: «عملت على الصدقة؛ سعيت في جمعها... واستعملته أي: جعلته عاملاً...».

(٧) قال في المصباح المنير ٢/٥٧٣ «عاقبة كل شيء آخره».
قلت: والمراد هنا أنه يأخذها من يجيء بعدهم من ذريتهم.

(٨) قال في القاموس المحيط باب الميم، فصل الغين ٤/١٥٦: «المغرم كمكرم أسير الحب، والدين... والغرامة ما يلزم أداؤه كالغرم بالضم...».

أما بعد فمن حضرهم من رجل مسلم فلينصرهم على من ظلمهم فإنهم أقوام لهم الذمة وجزيتهم عنهم متروكة أربعة وعشرين[1] شهراً بعد أن يقدموا[2]، ولا يكلفوا إلا من ضيعتهم التي اعتملوا غير مظلومين ولا معنوف[3] عليهم، شهد عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه[4] ـ ومعيقيب ابن أبي فاطمة[5] فوقع ناس منهم العراق، فنزلوا النجرانية التي بناحية الكوفة[6].

---

(١) في النسخ كلها عدا ط (وعشرون) وصححناه من ط ومن الطبقات ١/٣٥٨.

(٢) في ط بالمثناة الفوقية (تقدموا).

(٣) في جميع النسخ (معسوف)، وصححناه من الطبقات ١/٣٥٨، قال في المصباح المنير ٢/٥٩١ «عنف به وعليه عنفاً من باب قرب، إذا لم يرفق به فهو عنيف. . .» وانظر القاموس المحيط ٣/١٧٨؛ ومختار الصحاح ص ٤٥٨.

(٤) وجملة (رضي الله عنه) ساقطة من أ، ك، ط.
وعثمان بن عفان بن أبي العاص. القرشي، أمير المؤمنين، وثالث الخلفاء الراشدين، ذو النورين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى الذين أخبر عمر أن رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ مات وهو عنهم راض. كان صواماً، قواماً، باذلاً ماله في سبيل الله، وهو أول من هاجر إلى الحبشة. وفضائله أكثر من أن تعد وتحصى. ورد في صحيح البخاري ٤/١٩٦ أنه يقتل مظلوماً. استشهد ـ رضي الله عنه ـ سنة ٣٥هـ.
راجع الاستيعاب ٣/٦٩؛ والإصابة ٢/٤٥٧؛ والتهذيب ٧/١٣٩؛ وصحيح البخاري ٤/٢٠٢؛ صحيح مسلم ٤/١٨٦٦؛ وغيرها.

(٥) معيقيب بن أبي فاطمة، الدوسي، الأزدي. (معيقيب) بقاف مكسورة، وبعدها مثناة تحتانية، وآخره موحدة، مصغر. صحابي، من مهاجرة الحبشة، ومن أهل بدر. أسلم قديماً، وهاجر الهجرتين. مات في خلافة عثمان، وقيل بل في خلافة علي ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ.
راجع الإصابة ٣/٤٣٠؛ والنجوم الزاهرة ١/٩٠ وفيات سنة ٣٢هـ؛ والتهذيب ١٠/٢٥٤؛ والأعلام للزركلي ٧/٢٧٤.

(٦) جاء هذا النص في طبقات ابن سعد ١/٣٥٧ ـ ٣٥٨ (وفد نجران) وقد نقله الشيخ ـ رحمه الله ـ بتصرف يسير. =

وما ذكره ابن سعد عن علي بن محمد المدائني عن أشياخه في حديث وفد نجران فهو يوافق ما ذكره ابن إسحاق فإن قوله أربعة عشر من أشرافهم يوافق قول ابن إسحاق[1] عن محمد بن جعفر[2] قال:

«قدم على رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وفد نجران ستون راكباً فيهم أربعة عشر من أشرافهم في الأربعة عشر ثلاثة نفر إليهم يئول أمرهم: العاقب أمير القوم وذو رأيهم وصاحب مشورتهم والذي لا يصدرون إلا عن رأيه واسمه عبد المسيح. والسيد ثمالهم[3] وصاحب رحلهم ونجعتهم واسمه الأيهم. وأبو حارثة بن علقمة أخو بني بكر بن وائل أسقفهم وحبرهم وإمامهم وصاحب مدراسهم[4]، وكان أبو حارثة قد شرف فيهم ودرس كتبهم حتى حسن علمه في دينهم، فكانت ملوك الروم من أهل النصرانية قد شرفوه ومولوه وأخدموه وبنوا له الكنائس، وبسطوا له الكرامات، لما بلغهم عنه من علمه واجتهاده في دينهم. فلما وجهوا إلى رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ من نجران، جلس

= والنجرانية: موضع على يومين من الكوفة فيما بينها وبين واسط على الطريق. سكنه أهل نجران لما أجلاهم عمر؛ فسموا الموضع باسم بلدهم وابتنوا كنيسة سموها الأكيراج. انظر مراصد الاطلاع ٣/١٣٦٠.

(١) سبقت ترجمته.

(٢) محمد بن جعفر بن الزبير بن العوام الأسدي المدني ثقة من السادسة مات سنة بضع عشرة ومائة.
انظر تقريب التهذيب ٢/١٥٠ (١٠٣)، والخلاصة للخزرجي ص ٣٣٠. والسند منقطع.

(٣) ثمالهم: من يرجعون إليه ويقوم بأمرهم. انظر القاموس ٣/٣٤٤.

(٤) في ط (مدارسهم) والصواب ما أثبتناه من أ وسائر النسخ ومن سيرة ابن هشام. والمدراس: هو التعليم الشفهي للتوراة. والكلمة مأخوذة من أصل عبري معناه: تعمق في الدراسة، وسبق بيانه.

أبو حارثة على بغلة له موجهاً وإلى جنبه أخ له يقال له كرز ابن علقمة[1] فعثرت بغلة أبي حارثة فقال كرز تعس الأبعد يريد رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، فقال له أبو حارثة: بل أنت تعست. فقال: لم يا أخي؟ قال: والله، إنه للنبي الذي كنا ننتظره فقال له كرز: فما منعك منه وأنت تعلم هذا؟ قال: ما صنع بنا هؤلاء القوم، شرفونا ومولونا وأكرمونا وقد أبوا إلا خلافه فلو فعلت نزعوا منا كل ما ترى فأضمر عليها منه أخوه كرز بن علقمة حتى أسلم بعد ذلك. وهو كان يحدث عنه هذا الحديث فيما بلغني»[2].

قال ابن هشام[3]:

«وبلغني أن رؤساء نجران كانوا يتوارثون كتاباً عندهم فكلما مات

---

(١) كرز بن علقمة البكري من بني بكر بن وائل، النجراني، ذكره ابن حجر، وأنه أسلم ولم يذكر أخاه (أبا حارثة)، وقد ساق في الإصابة قصة الوفد، ولم يذكر عنه شيئاً إلا ما ذكر من أنه ينبغي التفريق بين هذا وبين كرز بن علقمة الخزاعي.
انظر الإصابة لابن حجر ٣/٢٧٦ (٧٤٠٠)؛ وسيرة ابن هشام ٢/١٥٩؛ وطبقات ابن سعد ١/٣٥٧؛ وورد ذكر أبي حارثة بن علقمة في فتح الباري ٨/٧٣، وسبقت الإشارة إليه.

(٢) انظر: سيرة ابن هشام ٢/١٥٨ ـ ١٥٩ وقد ساق ذلك تحت عنوان «ذكر نصارى نجران وما نزَّل الله فيهم».

(٣) ابن هشام هو: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، المعافري أبو محمد جمال الدين، مؤرخ عالم بالأنساب واللغة وأخبار العرب، ولد ونشأ في البصرة، ومات بمصر سنة ٢١٣هـ له تصانيف عديدة من أشهرها «السيرة النبوية»، المعروف بسيرة ابن هشام (مطبوع) رواه عن ابن إسحاق وله كتب أخرى.
انظر ترجمته في وفيات الأعيان ١/٢٩٠؛ والبداية والنهاية ١٠/٢٦٧ وفيه (والصحيح أنه توفي سنة ثمان عشرة ومائتين كما نص عليه أبو سعيد بن يونس في تأريخ مصر).
وانظر: أنباه الرواة ٢/٢١١؛ والأعلام ٤/١٦٦.

رئيس منهم فأفضت الرياسة إلى غيره، ختم على تلك الكتب خاتماً مع الخواتم التي قبله ولم يكسرها، فخرج الرئيس الذي كان على عهد رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ يمشي فعثر، فقال ابنه: تعس الأبعد، يريد رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ فقال له أبوه: لا تفعل فإنه نبي، واسمه في الوضائع، ـ يعني: الكتب ـ.

فلما مات لم تكن[1] لابنه همة إلا أن شد فكسر الخواتم فوجد فيها ذكر النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ، فأسلم فحسن إسلامه وحج وهو[2] يقول:

«إليك تغدو قلقاً وضينها * معترضاً في بطنها جنينها * مخالفاً دين النصارى دينها *»[3].

قال ابن إسحاق[4]:

«وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير[5] قال: قدموا على رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ المدينة فدخلوا عليه مسجده حين صلى العصر عليهم ثياب الحبرات[6] جبب وأردية في جمال رجال بني

---

(١) في ط (بالمثناة التحتية) يكن.
(٢) في س، ك وهو الذي يقول.
(٣) انظر سيرة ابن هشام ١٥٩/٢ قال ابن هشام ـ رحمه الله ـ: الوضين: الحزام، حزام الناقة وقال هشام بن عروة: وزاد فيه أهل العراق: معترضات في بطنها جنينها. فأما أبو عبيدة فأنشدناه فيه.
(٤) سبقت ترجمة ابن إسحاق في القصة السابقة.
(٥) سبقت ترجمة محمد بن جعفر في القصة السابقة.
(٦) الحبرات جمع حبرة على وزن عنبة وتجمع أيضاً حبر مثل عنب وعنبات والحبرة ثوب يماني من قطن أو كتان مخطط.
انظر المصباح المنير ١٦٢/١؛ والقاموس المحيط ٢/٢؛ ومختار الصحاح ص ١٢٠.

الحـارث بن كعب، قـال: يقـول بعض من رآهم من أصحـاب النبـي ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ يومئـذ ـ: ما رأينـا بعدهم وفـداً مثلهم، وقد حـانت صلاتهم فقـاموا في مسجـد رسول الله ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ فقـال: دعوهم؛ فصلوا إلى المشـرق. قـال ابن إسحـاق: وكـان تسميـة الأربعـة عشر الـذين يئول إليهم أمـرهم: العاقب، وهـو عبـد المسيـح؛ والسيـد وهو الأيهم. وأبـو حارثـة بن علقمة أخـو بكر بن وائـل. وأوس؛ والحـارث؛ وزيد؛ وقيس؛ ويـزيد؛ ونبيـه؛ وخويلد؛ وعمـر؛ وخـالـد؛ وعبـد الله؛ ويحنس في ستين راكباً. فكلم رسـول الله ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ منهم أبـو حارثـة بن علقمـة. والعـاقب عبـد المسيـح، والأيهم السيد. وهم من النصرانية على دين الملك، مع اختـلافهم من[1] أمرهم يقـولون: هـو الله ويقولـون: هو ولـد الله، ويقولـون: هو ثـالث ثـلاثـة، و[2]كذلك قول النصرانية[3].

فهم يحتجـون في قـولهم: «هـو الله» بـأنـه كـان يحيـي المـوتى، ويبرىء الأسقام، ويخبـر بالغيـوب، ويخلق من الطين كهيئـة الطيـر، ثم ينفخ فيه فيكون طائراً[4]، وذلك كله بأمر الله وليجعله آية الناس.[5].

ويحتجون في قولهم: إنه ولد الله[6] فإنهم يقولـون لم يكن له أب

(١) في ط (في).
(٢) في س، ك بدون واو.
(٣) في ط (النصارى) وهو مخالف لسائر النسخ ولما في سيرة ابن هشام.
(٤) في ط (طيراً).
(٥) في سيرة ابن هشام ٢/١٦٠: ﴿وَلِنَجْعَلَهُ آيةً للنَّاس﴾، وهـذا لفظ الآية الكـريمة في سورة مريم: ٢١؛ وتمامها: ﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْراً مَقْضِيًّا﴾.
(٦) سقط لفظ الجلالة من أ وزدناه من سائر النسخ ومن سيرة ابن هشام ٢/١٦٠.

يعلم، وقد تكلم في المهد وهذا شيء لم يصنعه أحد من ولد آدم[1].

ويحتجون في قولهم: «ثالث ثلاثة» بقول الله فعلمنا، وأمرنا، وخلقنا، وقضينا، فيقولون: لو كان واحداً ما قال إلا فعلت، وقضيت، وأمرت، وخلقت؛ ولكنه هو عيسى ومريم[2]. ففي كل ذلك من قولهم[3] قد نزل القرآن، فلما كلمه الحبران قال لهما رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ:

«أسلما» قالا قد أسلمنا، قال: «إنكما لم تسلما فأسلما». قالا: بلى[4] قد أسلمنا قبلك، قال: «كذبتما يمنعكما من الإسلام دعواكما لله ولد[5]، وعبادتكما للصليب، وأكلكما الخنزير». قالا: فمن أبوه يا محمد؟ فصمت رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ عنهما فلم يجبهما، فأنزل الله في ذلك من قولهم، واختلافهم، في أمرهم كله صدراً من سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية.

---

(١) ذِكْر ابن إسحاق لاحتجاجهم بكلام عيسى ـ عليه السلام ـ في المهد على أنه ابن الله إطلاق فيه نظر؛ ذلك لأن النصارى لا يقرون كلامه في المهد، فلا يوجد في أناجيلهم الأربعة المعتمدة لديهم، ولا في كتبهم التي تناولت عقائدهم ما يشير من قريب أو بعيد إلى كلامه في المهد.

(٢) ليست مريم داخلة في الثالوث الأقدس عندهم فليست واحداً من الأقانيم الثلاثة، وإنما الأقانيم هي الآب وهو ما وردت الإشارة إليه في النص بـ: (هو)، وأقنوم الابن وهو ما أشير إليه (بعيسى) والأقنوم الثالث وهو أقنوم الروح القدس وليست مريم فالأقانيم الثلاثة عندهم هي الآب والابن والروح القدس، والجوهر واحد، وكتبهم بين أيدينا شاهدة بذلك، وسيناقشهم المؤلف ـ رحمه الله ـ في هذا الكتاب في مواضع مختلفة في هذه القضية في الجزء الثاني والثالث.

(٣) في ط (أقوالهم).

(٤) في أ، ط (بل) وما أثبته من س، ك، والسيرة ٢/١٦٠.

(٥) في ط (ولداً).

وذكر نزول الآيات بسببهم غير واحد مثلما ذكره محمد بن جرير الطبري في تفسيره؛ قال: حدثنا المثنى[1]، حدثنا إسحاق[2]، حدثنا ابن أبي جعفر ــ يعني عبد الله بن أبي جعفر الرازي[3] ــ عن أبيه[4] عن الربيع[5] في قوله ــ تعالى ــ :

﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾[6].

قال: إن النصارى أتوا رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فخاصموه في عيسى بن مريم، وقالوا له من أبوه؟ وقالوا على الله الكذب

---

(١) المثنى بن إبراهيم الآملي. شيخ الطبري، يروي عنه كثيراً في التفسير والتأريخ ولم أقف له على ترجمة فيما بين يدي من الكتب، وعلق الشيخ أحمد شاكر ــ رحمه الله ــ بقوله «لم أعثر له على ترجمة».
انظر تفسير ابن جرير الطبري بتحقيقه ١/١٧٦ (ت: على الأثر رقم ١).

(٢) إسحاق بن الحجاج الطاحوني المقزي. روى عن أبي زهير عبد الرحمن بن مفراء وعبد الله بن أبي جعفر. . . سمعت أبا زرعة يقول: (كتب عبد الرحمن الدشتكي تفسير عبد الرزاق عن إسحاق بن الحجاج).
انظر الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ج ٢ ق ٢ ص ٢١٧ (ط دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد) ١٣٧١هـ .

(٣) عبد الله بن أبي جعفر بن عيسى بن ماهان. قال ابن حجر: «صدوق يخطيء» وقال ابن عدي: من حديثه ما لا يتابع عليه. وذكر له حديثاً منكراً تفرد به.
انظر ترجمته في تقريب التهذيب ١/٤٠٧ (٢٣٤)؛ وتهذيب التهذيب ٥/١٧٦ وميزان الاعتدال ٢/٤٠٤.

(٤) عيسى بن أبي عيسى بن ماهان: صدوق سيء الحفظ خصوصاً عن مغيرة. مات في حدود الستين ومائة. تقريب التهذيب ٢/٤٠٦.

(٥) الربيع بن أنس البكري: قال ابن حجر «أرسل عن أم سلمة» وقال: صدوق له أوهام، رمي بالتشيع. مات سنة ١٣٩هـ .
انظر ترجمته في تقريب التهذيب ١/٢٤٣ وتهذيب التهذيب ٣/٢٣٨.

(٦) سورة آل عمران: الآيتان ١، ٢.

والبهتان لا إلٰه إلا هو لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، فقال لهم النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : «ألستم تعلمون أنه لا يكون ولد[1] إلا وهو يشبه أباه؟» قالوا: نعم، قال: «ألستم تعلمون أن ربنا حي لا يموت وأن عيسى يأتي عليه الفناء؟» قالوا: بلى، قال: «ألستم تعلمون أن ربنا قيم على كل شيء يكلؤه ويحفظه ويرزقه؟» قالوا: بلى، قال: «فهل يملك عيسى من ذلك شيئاً؟» قالوا: لا، قال: «ألستم تعلمون أن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء؟» قالوا: بلى، قال: «فهل يعلم عيسى من ذلك شيئاً إلا ما علم؟» قالوا: لا. قال: «فإن ربنا صور عيسى في الرحم كيف شاء. قال: ألستم تعلمون أن ربنا لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب ولا يحدث الحدث؟»، قالوا: بلى. قال: «ألستم تعلمون أن عيسى حملته أمه كما تحمل المرأة ثم وضعته كما تضع المرأة ولدها، ثم غذى كما يتغذى الصبي ثم كان يطعم[2] الطعام ويشرب الشراب ويحدث الحدث[3]؟» قالوا: بلى، قال: «فكيف يكون هذا كما زعمتم؟» قال: فعرفوا ثم أبوا إلا جحوداً. فأنزل الله:

﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾[4]، [5].

---

(١) في ط (ولداً).

(٢) في ك (يأكل).

(٣) في ك (يحرث الحرث).

(٤) سورة آل عمران: الآيتان ١، ٢.

(٥) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسير الآية التي ورد ذكرها ٣/١٠٨ ـ ١٠٩ (المجلد الثالث) ط دار الفكر.

وقد أورده الواحدي في أسباب النزول في أول سورة آل عمران ص ٦٨ وعزاه السيوطي في لباب النقول ص ٤٣ ط ٢ البابي الحلبي إلى ابن أبي حاتم عن الربيع وذكره مختصراً وإلى ابن إسحاق والبيهقي في الدلائل. وسند ابن إسحاق مرسل كما قال ابن حجر في الفتح ٨/٧٣.

وانظر تفسير ابن كثير ١/٣٦٨؛ وفتح القدير للشوكاني ١/٣٤٦؛ وغرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري ٣/١٣١.

وقد ثبت في الصحاح حديث وفد نجران ففي البخاري ومسلم: عن حذيفة وأخرجه مسلم عن سعد بن أبي وقاص قال: لما نزلت هذه الآية:

﴿... فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ...﴾[1].

دعا رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال[2]: «اللهم هؤلاء أهلي»[3].

وفي البخاري عن حذيفة بن اليمان قال جاء السيد والعاقب صاحبا نجران إلى رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ يريدان أن يلاعناه فقال أحدهما لصاحبه: لا تفعل فوالله لئن كان نبياً فلاعننا[4] لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا. قالا: إنما نعطيك ما سألتنا وابعث معنا رجلاً أميناً ولا[5] تبعث معنا إلا أميناً، قال: «لأبعثن معكم رجلاً أميناً حق أمين».

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٦١.

(٢) في ك (قال).

(٣) الحديث: أخرجه الإمام مسلم وهو قطعة من حديث طويل، عن سعد بن أبي وقاص ــ رضي الله عنه ــ في فضائل الصحابة/ باب من فضائل علي بن أبي طالب ــ رضي الله عنه ــ ٤/١٨٧١ ورواه الترمذي في التفسير/ تفسير سورة آل عمران ٥/٢٢٥ (٢٩٩٩) وفي المناقب ٥/٦٣٨.
وأخرجه ابن جرير في تفسيره من طرق متعددة عند آية ٦١: آل عمران ٣/٢٠٩ ــ ٢١٢ (المجلد الثالث).
أما حديث حذيفة في قصة الوفد فسيأتي تخريجه من البخاري بعد هذا الحديث.

(٤) ورد في البخاري بتشديد النون وأما إظهار النون كما ورد أعلاه فهي رواية كما قال ابن حجر في الفتح ٨/٧٤.

(٥) في ط (فلا).

قال فاستشرف لها[1] أصحاب رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فقال: قم يا أبا عبيدة بن الجراح، فلما قام قال رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : «هذا أمين هذه الأمة»[2].

وفي سنن أبي داوود وغيره قال أبو داوود أخبرنا مصرِّف بن عمرو اليامي[3]، حدثنا يونس[4] ـ يعني ابن بكير ـ حدثنا أسباط بن نصر[5] الهمداني عن إسماعيل بن عبد الرحمن القرشي[6]، عن ابن عباس قال: صالح رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أهل نجران على ألفي حلة:

---

(١) في البخاري (له).

(٢) رواه البخاري في المغازي/ باب قصة أهل نجران ٥/١٢٠ ووردت قصة الملاعنة في سيرة ابن هشام ٢/١٦٥.
قال الحافظ ابن حجر في الفتح: ٨/٧٤: «وفي قصة أهل نجران من الفوائد أن إقرار الكافر بالنبوة لا يدخله في الإسلام حتى يلتزم أحكام الإسلام. وفيها جواز مجادلة أهل الكتاب وقد تجب إذا تعينت مصلحته. وفيها مشروعية مباهلة المخالف إذا أصر بعد ظهور الحجة...» ثم ساق فوائد أخرى من هذه القصة.

(٣) مصرف بن عمرو اليامي الهمذاني. ثقة من العاشرة مات سنة ١٤٠هـ.
انظر: تقريب التهذيب ٢/٢٥١ (١١٤٨).

(٤) يونس بن بكير بن واصل الشيباني قال ابن معين صدوق. وقال ثقة إلا أنه مرجي يتبع السلطان. قال الذهبي هو أوثق من يحيى الحماني. وقال ابن حجر يخطىء من التاسعة. مات سنة ٩٩هـ.
تقريب التهذيب ٢/٣٨٤ (٤٧٢) وميزان الاعتدال ٤/٤٧٧.

(٥) في ك، ط (نصير) وهو خطأ وأسباط بن نصر الهمداني. قال ابن حجر صدوق كثير الخطأ يغرب من الثامنة.
تقريب التهذيب ١/٥٣ (٣٦٢).

(٦) إسماعيل بن عبد الرحمن القرشي السدي صدوق يهم ورمي بالتشيع. مات سنة ١٢٧هـ.
تقريب التهذيب ١/٧٢ (٥٣١).

النصف في صفر، والنصف في رجب، يؤدونها إلى المسلمين: وعارية ثلاثين درعاً، وثلاثين فرساً، وثلاثين بعيراً، وثلاثين من كل صنف من أصناف السلاح يغزون بها، والمسلمون ضامنون لها حتى يردوها[1] عليهم إن كان باليمين كيد * ذات غدر[2] * على أن لا يهدم لهم بيعة، ولا يخرج لهم قس، ولا يفتنون[3] عن دينهم ما لم يحدثوا حدثاً، أو يأكلوا الربا.

قال إسماعيل: فقد أكلوا الربا، قال أبو داوود: إذاً نقضوا بعض ما شرط عليهم، فقد أحدثوا[4].

وما ذكره أبو داوود وأهل السير من مصالحته لأهل نجران على

---

(١) في أ، س (يؤدونها) وصححناه من ك، ط وسنن أبي داوود.

(٢) سقطت جملة (ذات غدر) من أ، وألحقناها من سائر النسخ ومن سنن أبي داوود ووقع في رواية (كيد أو غدرة) وصوب الخطابي الرواية الأولى في معالم السنن ٣/٤٣٠.

قال الخطابي: قوله: كيد ذات غدر: يريد الحرب أخبرني عمر قال: قال ابن الأعرابي: الكيد: الحرب، ومنه ما جاء في بعض الحديث أن رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ خرج في بعض مغازيه فلم يلق كيداً: أي حرباً.

انظر: معالم السنن ٣/٤٣٠.

(٣) في رواية (يفتنوا) ذكرها الخطابي في ٣/٤٣٠ (معالم السنن)، وكلا الأمرين له وجهته.

(٤) رواه أبو داوود في سننه. كتاب الخراج والإمارة والفيء/ باب في أخذ الجزية ٣/٤٣٠ (٣٠٤١). الحديث حسن لغيره ويدل على هذا ما قاله الحافظ ابن حجر ـ يرحمه الله ـ قال: «في سماع السدي من ابن عباس نظر لكن له شواهد وساق شاهداً عند ابن أبي شيبة بسنده عن الشعبي وذكره. . . وعن سالم وذكره».

انظر: تلخيص الحبير ٤/١٢٥.

قال الخطابي ـ رحمه الله ـ : «وفي هذا دليل على أن للإمام أن يزيد وينقص فيما يقع عليه الصلح من دينار وأكثر على قدر طاقتهم ووقوع الرضا منهم به. . .».

انظر معالم السنن هامش سنن أبي داوود ٣/٤٣٠.

الجزية المذكورة معروف عند أهل العلم، وقد ذكر ذلك أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب «الأموال» ذكره من طريقين:

قال أبو عبيد[(١)] ـ رحمه الله ـ حدثنا أبو أيوب الدمشقي قال حدثني سعدان بن يحيى عن عبد الله بن أبي حميد[(٢)] عن أبي المليح الهذلي[(٣)(*)]: «إن رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ صالح أهل نجران فكتب له كتاباً (بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما كتب محمد النبي[(٤)] ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لأهل نجران إذ[(٥)] كان له

---

(١) أبو عبيد: هو القاسم بن سلام الهروي الأزدي الخُزاعي.
إمام مشهور ثقة فاضل من كبار العلماء بالحديث والأدب والفقه. ولد سنة ١٥٧هـ. في هراة ورحل إلى بغداد ومصر ومكة ثم توفي بها سنة ٢٢٤هـ. له تصانيف كثيرة منها غريب الحديث، وفضائل القرآن، والأموال، وغيرها.
انظر تذكرة الحفاظ ٤١٧/٢ وتهذيب التهذيب ٣١٥/٨؛ وتقريب التهذيب ١١٧/٢؛ وطبقات الحفاظ ص ١٨٢ ـ ١٨٣؛ وتهذيب الأسماء واللغات ٢٥٧/٢؛ وطبقات الحنابلة ٢٥٩/١؛ وخلاصة تذهيب تهذيب الكمال للخزرجي ص ٣١٢؛ والبداية والنهاية ٢٩١/١٠؛ والأعلام للزركلي ١٧٦/٥.

(٢) لم أقف على ترجمة لهؤلاء الثلاثة فيما اطلعت عليه من كتب الرجال، وقد بذلت جهدي في ذلك، وبحثت طويلاً فلم أقف عليهم سوى ما ذكر ابن حجر أن ممن أخذ عن أبي المليح (عبد الله بن أبي حميد) في تهذيب التهذيب ٢٤٦/١٢ ولكني لم أقف له على ترجمة في تهذيب التهذيب ولا في غيره من الكتب التي اطلعت عليها والله أعلم.

(٣) أبو المليح بن أسامة بن عمير الهذلي. اسمه عامر وقيل زيد وقيل زياد، ثقة من الثالثة مات سنة ثمان وتسعين هـ. وقيل ١٠٨هـ.
تقريب التهذيب ٤٧٦/٢ (١٢٩) والخلاصة للخزرجي ص ٤٦١.

(*) هذا السند مرسل لأن أبا المليح تابعي.

(٤) في ط والأموال (النبي رسول الله).

(٥) في أ (إذا) وصححناه من سائر النسخ ومن الأموال ص ١٨٨ وسقطت (له) من ط.

حكمه عليهم أن في كل سوداء وبيضاء وصفراء وحمراء أو ثمرة ورقيق وأفضل عليهم وترك ذلك لهم، ألفي حلة: في كل صفر ألف حلة، وفي كل رجب ألف حلة، كل حلة أوقية ما زاد الخراج أو نقص فعلى الأواقي فليحسب[1]، وما قضوا من ركاب أو خيل أو دروع أخذ منهم بالحساب، وعلى أهل نجران مقرى[2] رسلي عشرين ليلة فما دونها، وعليهم عارية ثلاثين فرساً، وثلاثين بعيراً، وثلاثين درعاً، إذا كان كيد باليمن ذو مغدرة[3]، وما هلك مما أعاروا رسلي فهو ضامن على رسلي حتى يؤدوه إليهم ولنجران وحاشيتها ذمة الله وذمة رسوله على دمائهم وأموالهم وملتهم وبيعهم ورهبانهم[4] وأساقفهم وشاهدهم وغائبهم، وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير، وعلى أن لا يغيروا أسقفاً من سقيفاه، ولا واقها من وقيهاه، ولا راهباً من رهابنه[5] وعلى أن لا يخسروا ولا يعشروا ولا يطأ أرضهم جيش ومن ملك منهم حقاً فالنصف بينهم بنجران[6] على أن لا يأكلوا الربا فمن أكل الربا من ذي قبل فذمتي منهم[7] بريئة وعليهم الجهد والنصح فيما استقبلوا غير مظلومين ولا معنوف[8] عليهم). شهد عثمان بن عفان ومعيقيب».

---

(١) في أ (فليحتسب) وفي س (فليحتسب) وصححناه من ك، ط والأموال ص ١٨٨.

(٢) في أ، س (يقروا) بدون أن وفي ك، ط (أن يقروا) وما أثبتناه من الأموال ص ١٨٨.
وهي كلمة تعني الضيافة من قرى الضيف يقريه (قرى) بالكسر.
انظر مختار الصحاح ص ٥٣٣.

(٣) في ط (معذرة).

(٤) في س، ك (ورهبانيتهم).

(٥) في س، ك، ط (رهبانيته).

(٦) في ط (وهذا لنجران).

(٧) في ك، ط (منه).

(٨) في جميع النسخ (معسوف) وصححناه من الأموال ص ١٨٨، وسبق إيضاح الكلمة.

قال أبو عبيد: الواقة ولي العهد في لغة بلحارث بن كعب يقول إذا مات هذا الأسقف قام الآخر مكانه[1].

قال أبو عبيد: قال أبو أيوب، وحدثني عيسى بن يونس، عن عبد الله بن أبي حميد، عن أبي المليح عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ مثل ذلك وزاد في حديثه قال: فلما توفي رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، أتوا أبا بكر فوفى لهم بذلك وكتب لهم كتاباً نحواً من كتاب رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، فلما ولى عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أصابوا الربا في زمانه فأجلاهم عمر وكتب لهم أما بعد: فمن وقعوا به من أمراء الشام أو العراق فليوسعهم من جريب[2] الأرض، وما اعتملوا من شيء فهو لهم لوجه الله وعقبى من أرضهم، قال فأتوا العراق فاتخذوا النجرانية، قال أبو عبيد: وهي قرية بالكوفة[3].

وكتب عثمان إلى الوليد بن عقبة[4]. أما بعد: فإن العاقب

---

(١) الجملة (يقول إذا مات هذا الأسقف قام الآخر مكانه) لم أجدها في الأموال ص ١٨٨ . ولعلها تفسير لما قبلها من المؤلف ـ رحمه الله ـ .
وانظر ما أورده المؤلف في كتاب الأموال لأبي عبيد ص ١٨٧ ـ ١٨٨ رقم (٥٠٢).

(٢) في جميع النسخ (خراب) وفي الأموال (خريب) والصواب ما أثبتناه إذ أن المقصود به مقدار معلوم من الطعام والأرض ـ وقد سبقت الإشارة إليه، حيث خرجناه هناك من طبقات بن سعد وهو فيها (جريب) ١/٣٥٨.
وانظر القاموس المحيط ١/٤٥ والمصباح المنير ١/١٣٠ وغيرهما.

(٣) النجرانية: سبقت الإشارة إليها.
وانظر الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام ص ١٨٩ (٥٠٣).

(٤) الوليد بن عقبة بن أبي معيط القرشي الأموي، أخو عثمان بن عفان لأمه أسلم هو وأخوه عمارة يوم الفتح، وقتل أبوه بعد الفراغ من غزوة بدر صبراً، وكان (عقبة) شديد الأذى للمسلمين، وقد كان الوليد شجاعاً شاعراً جواداً وله صحبة، ولاه عثمان ـ رضي الله عنه ـ الكوفة ثم عزله عنها مات سنة ٦١هـ . وقيل: ٦٧هـ .

والأسقف وسراة أهل نجران أتوني بكتاب رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وأروني شرط[1] عمر ـ رضي الله عنه ـ وقد سألت عثمان بن حنيف[2]، فأنبأني أنه قد كان بحث على ذلك فوجده صار للدهاقين[3] ليردعهم[4] عن أرضهم، وإني قد وضعت عنهم من جزيتهم مائتي حلة لوجه الله، وعقبي لهم من أرضهم وإني أوصيك بهم فإنهم قوم لهم ذمة[5].

قال أبو عبيد: وحدثنا عثمان بن صالح[6]، عن عبد الله بن

= انظر: البداية والنهاية ٨/٢١٤، ٢٩٣، ٧/١٥١، ١٥٥؛ والإصابة ٣/٦٠١ (٩١٤٩)؛ وتقريب التهذيب لابن حجر ٢/٣٣٤ (٧٤).

(١) في ك، س (بشرط).

(٢) عثمان بن حنيف (بالحاء المهملة والنون مصغر)، الأنصاري الأوسي، أبو عمرو المدني، صحابي مشهور، أول مشاهده أُحُد، كما قال الجمهور، وقال الترمذي أنه شهد بدراً. استعمله عمر على مساحة أرض الكوفة، واستعمله عليٌّ على البصرة قبل الجمل مات ـ رضي الله عنه ـ في خلافة معاوية.
انظر: الإصابة لابن حجر ٢/٤٥٢ (٥٤٣٧)؛ وتقريب التهذيب ٢/٨، (٤٩)؛ والبداية والنهاية ٨/٨١، ٧/٢٣١ ـ ٢٣٥.

(٣) الدهقان: بالكسر، والضم: القوي على التصرف مع حدة، والتاجر، وزعيم فلاحي العجم، ورئيس الإقليم، وهو معرب، وجمعه دهاقنة ودهاقين.
انظر: القاموس المحيط، باب النون، فصل الدال ٤/٢٢٤؛ والمصباح المنير ١/٢٧٤.

(٤) في ك، ط (فنرعهم) وفي أ، س (فيردعهم)، وصححته من الأموال ص ١٨٩.

(٥) انظر الأموال لأبي عبيد ص ١٨٩ (٥٠٤).

(٦) عثمان بن صالح بن صفوان السهمي. صدوق من كبار العاشرة، مات سنة ١١٩هـ.
تقريب التهذيب ٢/١٠ (٧٣)؛ وتهذيب التهذيب ٧/١١٢.

لهيعـة[1]، عن أبـي[2] الأسود[3]، عن عـروة بن الزبيـر[4] أن رسـول الله ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ، كتب لأهــل نجــران من محـمــد النـبـي رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، ثم ذكر نحو هـذه النسخة[*]. . . وليس في حـديثـه قصـة أبـي بكـر وعمــر ـ رضي الله عنهمـا ـ، وفي آخـره، شهد أبـو سفيان بن حـرب[5]، وغيلان بن عمـرو[6]، ومالـك بن

---

(١) عبد الله بن لهيعة الحضرمي. صدوق من السابعة، خلط بعد احتراق كتبه، مات سنة ١٧٤هـ.
انظر تقريب التهذيب ١/١٤٤ (٥٧٤)؛ وميزان الاعتـدال ٢/٤٧٥ ـ ٤٨٣؛ وتهذيب التهذيب ٥/٣٧٣ ـ ٣٧٩.

(٢) سقطت (أبي) من ك.

(٣) محمد بن عبد الرحمن بن نوفل الأسدي أبو الأسود. ثقة من السادسة مات سنة بضع وثلاثين ومائة.
انظر تقريب التهذيب ٢/١٨٥ (٤٦٥)؛ وتهذيب التهذيب ٩/٣٠٧.

(٤) عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي. أبو عبد الله المـدني، ثقة فقيـه مشهور من كبار التابعين، مات سنة ٩٤هـ وقيل سنة ٩٥هـ.
انظر تهذيب التهذيب ٧/١٨٠ ـ ١٨٥؛ وتقريب التهذيب ٢/١٩ (١٥٧).

(*) أخرجه أبو عبيد: في كتاب الأموال ص ١٨٩ رقم (٥٠٥) بسند رجالـه ثقات مـا عدا عثمان بن صالح، وعبد الله بن لهيعة كلاهمـا صدوق، والحـديث مرسـل، لأن عروة تابعي.

(٥) سبقت ترجمته.

(٦) غيلان بن عمرو. قال ابن حجر لـه ذكر في حـديث رواه عمر بن شيبـة في الصحابـة له، وابن منده. (يعني روى له كذلك). وساق القصة المذكورة، وذكره الأمـوي في المغازي ليونس بن بكير، عن سلمة بن عبد يسوع، عن أبيه، عن جده، فذكر قصـة أسقف نجران. . . إلخ.
قلت لم أقف له على ترجمة وافية، ولا بيان لنسبه عدا ما ذكره ابن سعد في الطبقات ١/٢٨٨ حيث ساق القصة المذكورة وذكـره فقط، وما أشـرت إليه عن ابن حجـر في الإصابة ٣/١٨٨ (٦٩٢٧).

عوف[1] من بني نضر، والأقرع بن حابس الحنظلي[2]، والمغيرة بن شعبة[3].

قال أبو عبيد: حدثني سعيد بن عفير[4]، عن يحيى بن أيوب[5]، عن يونس بن يزيد الأيلي[6]، عن ابن شهاب قال: «أول من أعطى الجزية أهل نجران وكانوا نصارى»[7].

---

(١) مالك بن عوف بن سعد النضري، من هوازن، صحابي من أهل الطائف كان رئيس المشركين يوم حنين، قاد هوازن كلها لحرب رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ثم أسلم وكان من المؤلفة قلوبهم، وشهد القادسية، وفتح دمشق، وكان شاعراً مات نحو سنة ٢٠هـ .

انظر الإصابة لابن حجر ٣/٣٣١ (٧٦٧٥)؛ وطبقات ابن سعد ٢/١٤٩، ١٥٠؛ والبداية والنهاية ٤/٣٢٢، ٣٦١، ٣٥٩؛ والأعلام للزركلي ٥/٢٦٤.

(٢) سبقت ترجمته.

(٣) سبقت ترجمته.

(٤) سعيد بن عفير: هو سعيد بن كثير بن عفير، الأنصاري، مولاهم، أبو عثمان المصري. قال الحافظ ابن حجر: وقد ينسب إلى جده. (وعفير بالمهلة، والفاء، مصغراً). وهو صدوق، عالم بالأنساب وغيرها. مات سنة ٢٢٦هـ .

راجع: تقريب التهذيب ١/٣٠٤ (٢٤٤)؛ والتهذيب ٤/٧٤؛ والخلاصة ص ١٤٢.

(٥) يحيى بن أيوب الغافقي. بمعجمة، وفاء، وقاف، أبو العباس المصري صدوق ربما أخطأ، من السابعة مات سنة ١٦٨هـ .

تقريب التهذيب ٢/٣٤٣ (٢٢)؛ والتهذيب ١١/١٨٦؛ والخلاصة ص ٤٢١.

(٦) يونس بن يزيد الأيلي ـ بفتح الهمزة، وسكون التحتانية، بعدها لام. مولى آل أبي سفيان، ثقة، إلَّا أن في روايته عن الزهري وهماً قليلاً، وفي غير الزهري خطأ مات سنة ١٥٩هـ .

راجع: تقريب التهذيب ٢/٣٨٦ (٤٩٦)؛ والتهذيب ١١/٤٥٠؛ والخلاصة ص ٤٤١.

(٧) رواه أبو عبيد في الأموال ص ٣٣.

قال الشوكاني في نيل الأوطار ٨/٦٨: «حديث ابن شهاب هذا مرسل».

فإن قيل قوله ـ تعالى ـ :

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا . . . ﴾[1] .

وقد ثبت في الصحيحين[2] أن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٦٤.
والجزية: هي الخراج المضروب على رؤوس الكفار إذلالاً وصغاراً. انظر الموسوعة العربية الميسرة ص ٦٣٢ (مادة جزية)؛ وأحكام أهل الذمة ٢٢/١، قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ : «الجزية غير مقدرة بالشرع تقديراً لا يقبل الزيادة والنقصان ولا معينة الجنس»، أحكام أهل الذمة ٣٠/١، وقد أفاض ـ رحمه الله ـ فيما يتعلق بمسائل الجزية في كتابه هذا ويقع في مجلدين. بتحقيق د. صبحي الصالح.
وعقد مجد الدين بن تيمية فصلاً في أخذ الجزية وعقد الذمة. ثم ذكر نحو خمسة عشر دليلاً على أخذها وذلك في المنتقى من أخبار المصطفى ٨٣٦/٢ ـ ٨٣٩.
قال ابن قدامة ـ رحمه الله ـ في المغني ٣٦٢/٨ ـ ٣٦٣: «الكفار ثلاثة أقسام: قسم: أهل كتاب. وهم اليهود والنصارى، ومن اتخذ التوراة والإنجيل كتاباً كالسامرة والفرنج ونحوهم، فهؤلاء تقبل منهم الجزية، ويقرون على دينهم إذا بذلوها.
وقسم: لهم شبهة كتاب. وهم المجوس، فحكمهم حكم أهل الكتاب. . . ولا نعلم بين أهل العلم خلافاً في هذين القسمين.
وقسم: لا كتاب لهم ولا شبهة كتاب. وهم من عدا هذين القسمين من عبدة الأوثان ومن عبد ما استحسن، وسائر الكفار. فلا تقبل منهم الجزية، ولا يقبل منهم سوى الإسلام، هذا ظاهر المذهب، وهو مذهب الشافعي، وروى عن أحمد: أن الجزية تقبل من جميع الكفار إلَّا عبدة الأوثان من العرب، وهو مذهب أبي حنيفة. . . وحكى عن مالك أنها تقبل من جميع الكفار إلَّا كفار قريش. . .».
وانظر المحلى لابن حزم ٣٤٥/٧.
قال أبو عبيده ـ رحمه الله ـ في الأموال ص ٣٣: «الجزية مأخوذة من أهل الكتاب بالتنزيل، ومن المجوس والبربر وغيرهم بالسنة»، وساق نحو أربعة عشر حديثاً في ذلك.

(٢) سيأتي ـ إن شاء الله ـ تخريج ذلك من الصحيحين وغيرهما عند تقرير المؤلف ـ رحمه الله ـ لعموم رسالة النبي ـ محمد ـ ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ .

قد[1] كتب إلى هرقل[2] مع دحية الكلبي[3] مدة هدنته للمشركين وكان أبو سفيان إذ ذاك لم يسلم وقد حضر عند هرقل وسأله[4] هرقل عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، وأبو سفيان أسلم عام الفتح فدل ذلك على أن هذا الكتاب كان قبل الفتح، ونزول آية الجزية كان بعد الفتح * سنة تسع *[5] فدل ذلك على أن هذه الآية نزلت قبل آية الجزية وقبل آية المباهلة، وآية المباهلة[6] ـ قد علم يقيناً أنها نزلت في قصة قدوم وفد نجران ـ والمفسرون وأهل السير ذكروا أن آل عمران نزلت بسبب مناظرة أهل نجران، وقد ذكرناه من نقل أهل الحديث بالإسناد المتصل[7].

---

(١) سقطت (قد) من س، ط وشطب عليها في ك.

(٢) هرقل: قال النووي في شرح مسلم ١١/١٠٣: «بكسر الهاء وفتح الراء وإسكان القاف، هذا هو المشهور ويقال: هرقل بكسر الهاء وإسكان الراء وكسر القاف حكاه الجوهري... وهو اسم علم له ولقبه قيصر وكذا كل من ملك الروم يقال فيه قيصر».
وانظر فتح الباري ١/٣٠؛ وتهذيب الأسماء واللغات ٢/٦٥.

(٣) دحية بن خليفة الكلبي. ودحية بكسر الدال وفتحها لغتان مشهورتان، كما قال النووي وهو من كلب بن دبرة في قضاعة، صحابي مشهور من كبارهم أسلم قديماً، ولم يشهد بدراً وأول مشاهده الخندق وقيل أحد، كان أجمل الناس وجهاً، حتى كان يضرب به المثل في حسن الصورة، وكان جبرائيل ـ عليه السلام ـ ينزل على صورته. وهو رسول النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إلى قيصر فلقيه بحمص أول سنة سبع. توفي في خلافة معاوية ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ .
انظر في ترجمته الاستيعاب لابن عبد البر ١/٤٦٣؛ والإصابة لابن حجر ١/٤٦٣؛ وتهذيب التهذيب ٣/٢٠٦؛ وشرح النووي ١١/١٠٣.

(٤) في س، ك (وسأل).

(٥) ما بين النجمتين ساقط من أ، س، ك، وزدناه من ط.

(٦) في ط (وقبل آية المباهلة، وقدوم وفد نجران قبل آية المباهلة)، وقد اضطرب الكلام بذلك.

(٧) سبقت الإشارة إلى ذلك.

ونقل أهل المغازي والسير أن وفد نجران صالحهم على الجزية وهم أول من أداها، فعلم أن قدومهم كان بعد نزول آية الجزية. وآية الجزية نزلت بعد فتح مكة، فعلم أن قدوم وفد نجران كان بعد آية السيف التي هي آية الجزية.

قال الزهري[1]: أهل نجران أول من أدى الجزية[2].

وقوله ــ تعالى ــ :

﴿ . . . تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾[3].

بعدها آيات نزلت قبل ذلك كقوله:

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[4].

فيكون هذا مما تقدم نزوله وتلك مما تأخر نزوله، وجمع بينهما[5]

---

(١) هو: محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري. من بني زهرة بن كلاب من قريش، ولد سنة ٥٨هـ ، من كبار التابعين من أهل المدينة، حافظ، فقيه، كان ثقة كثير الحديث والعلم والرواية، وهو أول من دون الحديث، كان يحفظ ألفين ومائتي حديثاً نصفها مسند كما ذكر ابن حجر. مات ــ رحمه الله ــ سنة ١٢٤هـ وقيل غير ذلك.

انظر ترجمته في: تذكرة الحفاظ ١/١٠٨ ــ ١١٣، ووفيات الأعيان ٤/١٧٧ ــ ١٧٩؛ والبداية والنهاية ٩/٤٤٥؛ وتهذيب التهذيب ٩/٤٤٥؛ وطبقات الحفاظ ص ٤٩؛ والأعلام ٧/٩٧.

(٢) رواه أبو عبيد في الأموال ص ٣٣، وسبق تخريجه.

(٣) في س، ك، ط ﴿قل يا أهل الكتاب﴾. . . إلخ، والآية من سورة آل عمران: ٦٣ وتمامها: ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم. . .﴾ الآية.

(٤) سورة آل عمران: ٧٠، ٧١.

(٥) في ط (بينها).

للمناسبة كما في نظائره فإن الآيات كانت[1] إذا نزلت يأمر[2] النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أن يضعها في مواضع تناسبها، وإن كان ذلك مما تقدم. ومما يبين ذلك أن هذه الآية وهي قوله تعالى:

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾.

لفظها يعم اليهود والنصارى[3]، وكذلك ذكر أهل العلم أنها دعاء لطائفتين، وأن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ دعا بها اليهود، فدل ذلك على أن نزولها متقدم فإن دعاءه لليهود كان قبل نزول آية الجزية؛ ولهذا لم يضرب الجزية على أهل خيبر وغيرهم من يهود الحجاز ولكن لما بعث معاذاً إلى[4] اليمن ـ وكان كثيراً[5] من أهلها يهود[6] ـ أمره أن يأخذ من كل حالم ديناراً أو[7] عدله معافراً[8]، وهذا كان متأخراً[9] بعد غزوة تبوك، وتوفي النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ومعاذ باليمن. قال ابن أبي حاتم[10]

---

(١) سقطت (كانت) من س، ك.

(٢) في جميع النسخ عدا ط (يؤمر).

(٣) سقطت الواو من ط.

(٤) في ط (لليمن) وهي مصححة في أ في الهامش وكذلك في س، ك.

(٥) في ك، ط (كثير).

(٦) في ك، ط (وكان كثير من أهلها يهودا) وكلا الأمرين صحيح.

(٧) في جميع النسخ عدا ط (و).

(٨) المعافر: بفتح الميم، حي من همدان... وإليهم تنسب الثياب (المعافرية) تقول ثوب (معافري) (ممنوعاً من الصرف). انظر مختار الصحاح ص ٤٤٢.

(٩) في ط (متأخر).

(١٠) ابن أبي حاتم: هو عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس التميمي. عالم محدث عارف بالرجال، فقيه، أصولي متكلم، مفسر، من تصانيفه/ تفسير القرآن، الجرح والتعديل، مناقب الشافعي، الرد على الجهمية، المسند في ١٢ مجلداً توفي بالري سنة ٣٢٧هـ. =

في تفسيره: حدثنا أبي[1]، حدثنا هشام بن عمار[2]، حدثنا الوليد[3]، حدثنا الضحاك بن عبد الرحمن بن أبي[*][4] حوشب وغيره، أن عمر ابن عبد العزيز[5] ـــــــــــــــــــــــــــــ

= انظر في ترجمته: طبقات الشافعية ١/٧٢؛ وتذكرة الحفاظ ٣/٨٢٩؛ وطبقات الحنابلة ٢/٥٥؛ وفوات الوفيات ٢/٢٨٧؛ والأعلام ٣/٣٢٤.

(١) أبو حاتم: محمد بن إدريس الرازي التميمي. حافظ للحديث، من أقران البخاري ومسلم، ولد بالري ورحل إلى الشام ومصر وبلاد الروم. له كتاب في التفسير، وكتاب أعلام النبوة، مات في بغداد سنة ٢٧٧هـ.
انظر ترجمته في: تهذيب التهذيب ٩/٣١؛ خلاصة تذهيب تهذيب الكمال للخزرجي ص ٣٢٦؛ والأعلام ٦/٢٧.

(٢) هشام بن عمار بن نصير. بنون مصغراً، السلمي الدمشقي، صدوق مقرىء كبر فصار يتلقن فحديثه القديم أصح. مات سنة ١٤٥هـ على الصحيح.
انظر: تقريب التهذيب ٢/٣٢٠ (٩٣)؛ تهذيب التهذيب ١١/٥١؛ والخلاصة للخزرجي ص ٤١٠.

(٣) الوليد بن مسلم القرشي، الدمشقي، عالم الشام، ثقة، لكنه كثير التدليس والتسوية، مات سنة ١٩٥هـ.
تقريب التهذيب ٢/٣٣٦ (٨٩)؛ تهذيب التهذيب ١١/١٥١؛ والخلاصة للخزرجي: ص ٤١٧.

(*) سقطت (أبي) من جميع النسخ.

(٤) الضحاك بن عبد الرحمن بن أبي حوشب الدمشقي، ثقة من السادسة، ولم أقف على تاريخ وفاته.
انظر تقريب التهذيب ١/٣٧٢ (٩)؛ وتهذيب التهذيب ٤/٤٤٦، والخلاصة للخزرجي: ١٧٦.

(٥) عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي. الخليفة الصالح، العادل خامس الخلفاء الراشدين كما قيل فيه تشبيهاً له بهم، ولد بالمدينة سنة ٦١هـ، وولي الخلافة سنة ٩٩هـ، مات ـ رحمه الله ـ سنة ١٠١هـ.
انظر: تهذيب التهذيب ٧/٤٧٥ ـ ٤٧٨؛ وتقريب التهذيب ٢/٥٨ (٤٧٦)؛ وفوات الوفيات: ٣/١٣٣؛ وتهذيب الأسماء واللغات ٢/١٧ ـ ٢٤؛ والأعلام ٥/٥٠.

كتب إلى (أليون)[1] طاغية الروم قال فيما أنزل الله على محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ :

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ــ يعني اليهود والنصارى ــ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾[2].

وروى[*] بإسناده عن ابن جريج[3] في قوله ــ تعالى ــ :

---

(١) اليون: هو ملك الروم، وقد ملكهم سبع سنين، ثم قتلوه سنة ٢٠٠هـ .
انظر: البداية والنهاية لابن كثير ١٠/٢٤٦، ٩/١٧٤، ١٨٥، وفيه ذكر قصة خداعه للمسلمين سنة ٩٨هـ .

(٢) الآية من سورة آل عمران: الآية ٦٤.
وقد أخرجه ابن أبي حاتم في تفسير قوله تعالى: ﴿قل يا أهل الكتاب. . .﴾ الآية، الجزء الثاني ورقة رقم ٦٠ مخطوط بجامعة الإمام، فيلم رقم «٢٦٧٦». ورجال إسناد هذا الأثر ثقات ما عدا هشام بن عمار فهو صدوق.

(*) أما حديث بعث معاذ بن جبل إلى اليمن، وأمره أن يأخذ من كل حالم ديناراً، أو عدله معافراً، فقد أخرجه أبو داود في الخراج/ باب في أخذ الجزية ٣/٤٢٨، وفي باب الزكاة ٢/٢٣٤، وأخرجه الترمذي مطولاً في الزكاة/ باب زكاة البقر ٢/٢٣٤ (٦٢٣)، وقال هذا حديث حسن. وذكره من طريق أخرى مرسلاً، ثم قال: وهذا أصح، وأخرجه النسائي في الزكاة ٥/٢٥ (باب زكاة البقر)، وابن ماجه في الزكاة ١/٥٧٦ بلفظ آخر ولم يرد فيه (من كل حالم ديناراً أو عدله معافراً)، ورواه أحمد من طريق مسروق في المسند ٥/٢٣٠، وابن أبي شيبة في المصنف، كتاب الجهاد حديث رقم (١٢٦٨١) ١٢/٢٣٩، وقد أخذ الخطابي ــ رحمه الله ــ من قوله: من كل حالم. دليلاً على أن الجزية إنما تجب على الذكران منهم دون الإناث، لأن الحالم عبارة عن الرجل. فلا وجوب لها على النساء، ولا على المجانين، والصبيان.
انظر: سنن أبي داود ٣/٤٢٨ (هامش).

(٣) ابن جريج: هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج. فقيه الحرم المكي، وإمام أهل الحجاز في عصره، وأول من صنف التصانيف بمكة. قال الذهبي: كان ثبتاً لكنه يدلس مات ــ رحمه الله ــ بمكة سنة ١٥٠هـ . وكانت ولادته سنة ٨٠هـ .
انظر تذكرة الحفاظ ١/١٦٩؛ وتهذيب التهذيب: ٦/٤٠٢؛ والأعلام ٤/١٦٠.

﴿ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾ .

قال: بلغني أن النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ دعا يهود أهل الكتاب[1] فأبوا عليه فجاهدهم[2]. وكذلك سائر الآيات التي فيها خطاب للطائفتين، كقوله ــ تعالى ــ :

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنجِيلُ إِلَّا مِن بَعْدِهِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٥) هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٦٦) مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾[3] .

ومما ينبغي أن يعلم، أن أهل نجران[4] كان منهم نصارى أهل ذمة، وكان منهم مسلمون ــ وهم الأكثرون ــ والنبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ بعث أبا عبيدة لهؤلاء وهؤلاء، واستعمل عمرو بن حزم على هؤلاء وهؤلاء، كما أخرجا في الصحيحين عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ : «إن لكل أمة أميناً وإن أميننا أيتها[5] الأمة أبو عبيدة بن الجراح»[6] .

---

(١) في ط (اليهود أهل المدينة).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسير هذه الآية مخطوط رقم (٢٦٧٦)، وأخرجه ابن جرير الطبري في تفسير هذه الآية ٣/٢١٣ ــ ٢١٤ (مجلد ٣)، وقد أورده السيوطي ــ رحمه الله ــ في الدر المنثور وعزاه إلى ابن جرير وابن أبي حاتم.
انظر الدر المنثور ٢/٤٠. عند تفسير الآية.

(٣) سورة آل عمران: الآيات ٦٥ ــ ٦٧.

(٤) في هامش نسخة ك (نجران المذكورة نجران اليمن لا نجران الشام وأهل نجران)، وأثبتت كذلك في ط.

(٥) في س، ك (أمين هذه. . .) وفي ط أيهما بدل (أيتها).

(٦) رواه البخاري في المناقب/ باب مناقب أبي عبيدة ٤/٢١٦. ومسلم في فضائل الصحابة/ باب فضائل أبي عبيدة ٤/١٨٨١ (٥٣). والترمذي في المناقب ٥/٦٦٧ =

وعن أنس أيضاً: أن أهل اليمن قدموا على رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فقالوا: ابعث معنا رجلًا أميناً يعلمنا السنَّة والإسلام، فأخذ بيد أبي عبيدة بن الجراح، فقال: «هذا أمين هذه الأمة»[1].

وفي الصحيحين عن حذيفة بن اليمان قال: جاء أهل نجران إلى رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فقالوا: يا[2] رسول الله، ابعث إلينا رجلًا أميناً فقال: «لأبعثن إليكم[3] رجلًا أميناً حق أمين حق أمين»[4]،

= (٣٧٩٦)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه في المقدمة من طريقين ٤٨/١، ٤٩ (١٣٥)، (١٣٦)، وأحمد في مسند أنس ١٢٥/٣، ١٣٣. وجاء في مسند أبي بكر الصديق ص ١٦١ رقم (١٢٨) أن أبا بكر ــ رضي الله عنه ــ قال لأبي عبيدة: هلمَّ فلأبايعك فإني سمعت رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ يقول إنك أمين هذه الأمة. قال المحقق: رجال السند كلهم ثقات إلَّا أنه مرسل على ابن أبي كثير لم يسمع من أبي بكر.
وانظر الجامع الصغير للسيوطي ٣٦٨/١ (٢٤٠٥).

(١) رواه مسلم في الفضائل/ باب فضائل أبي عبيدة ١٨٨١/٤ (٥٣)، وأخرجه البخاري من حديث أنس بلفظ «لكل أمة أمين، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح» ١٢٠/٥ في المغازي/ باب قصة أهل نجران.
وأبو عبيدة بن الجراح. هو عامر بن عبد الله بن الجراح القرشي. مشهور بكنيته وبالنسبة إلى جده، أسلم قديماً قبل دخول النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ دار الأرقم شهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ. وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وقد ولاه عمر الشام وفتح الله عليه اليرموك والجابية، وله فضائل جمة، توفي في طاعون عمواس سنة ١٨هـ. بالأردن وبها قبره وصلَّى عليه معاذ ــ رضي الله عنهم أجمعين ــ.
انظر ترجمته في: الاستيعاب ١٢٠/٤؛ والإصابة ٢٤٣/٢؛ وتهذيب التهذيب ٧٣/٥؛ ومناقبه في البخاري والترمذي وابن ماجه ومسند أحمد وغيرها.

(٢) في ط (أيا).

(٣) في س (عليكم).

(٤) سقطت (حق أمين) الثانية من أ، س، ك وألحقناها من ط، ومن صحيح مسلم وليست في البخاري، وقد ورد الحديث في البخاري من طريقين عن حذيفة =

قال: فاستشرف لها الناس، قال: فبعث أبا عبيدة بن الجراح[1].

وللبخاري عن حذيفة قال: جاء السيد والعاقب صاحبا نجران إلى رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يريدان أن يلاعناه قال: فقال أحدهما لصاحبه[2]: لا تفعل فوالله لئن كان نبياً فلاعنا[3] لا نفلح نحن[4] ولا عقبنا من بعدنا، قالا: إنا نعطيك ما سألتنا وابعث معنا رجلاً أميناً فقال: «لأبعثن معكم رجلاً أميناً حق أمين»[5] فاستشرف لها أصحاب رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فقال: قم يا أبا عبيدة بن الجراح فلما قام قال رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : «هذا أمين هذه الأمة»[6].

وكذلك استعمل النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ عليهم عمرو بن حزم وكتب له الكتاب المشهور الذي فيه الفرائض والسنن، وقد رواه النسائي بطوله[7]، وروى الناس بعضه مفرقاً.

= ولم تذكر فيه الجملة الثانية.

(١) أخرجه البخاري في المغازي/ باب قصة أهل نجران ٥/١٢٠، وأخرجه مسلم في الفضائل/ باب فضائل أبي عبيدة ٤/١٨٨٢ (٥٥).

(٢) في ط (للآخر).

(٣) في أ، ط (فلاعناه) وما أثبتناه من س، ك وصحيح البخاري.

(٤) سقطت (نحن) من أ وزدناها من سائر النسخ ومن صحيح البخاري.

(٥) في جميع النسخ عدا ط تكررت جملة (حق أمين)، وهي بذلك مخالفة لما في البخاري.

(٦) أخرجه البخاري في المغازي/ باب قصة أهل نجران ٥/١٢٠.

(٧) عمرو بن حزم بن زيد سبقت ترجمته.
وكتاب النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ له رواه النسائي بطوله في القسامة، باب ذكر حديث عمرو بن حزم في العقول واختلاف الناقلين له ٨/٥٧ ـ ٦١.
رواه بأسانيد متعددة، ثم قال: وقد روى هذا الحديث يونس بن يزيد، عن الزهري مرسلاً. قلت: ورواه مالك في الموطأ (مختصراً) في كتاب العقول، ٢/٨٤٩... =

ومحمد بن سعد لم يذكر بعد وفد نجران إلَّا وفد جيشان[1]، فدل على أن قدومهم كان متأخراً، ومحمد بن إسحاق ذكر قدومهم في أوائل السيرة مع قصة اليهود ليجمع بين خبر اليهود والنصارى[2]. وذكر في سنة عشر فتح نجران وإرسال النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ خالد بن الوليد، وإرسال خالد ذكروا أنه كان متأخراً قبل وفاته ــ صلَّى الله عليه

= وروى الدارمي جزءاً منه في كتاب الديات ٢/١٩٤، ١٩٥. وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى في الزكاة ٤/٨٩ ــ ٩٠ (ط دائرة المعارف العثمانية). وفي كنز العمال/ باب الأمارة وتوابعها ٥/٨٦٤ ــ ٨٦٦ (١٤٥٧٢) من طريقين: إحداهما منقطعة والأخرى متصلة. وأخرجه الحاكم في المستدرك في الزكاة ١/٣٩٥ ــ ٣٩٧ ثم قال ــ رحمه الله ــ: هذا حديث كبير مفسر في هذا الباب، يشهد له أمير المؤمنين عمر بن العزيز، وإمام العلماء في عصره الزهري بالصحة قال: «وسليمان بن داود الدمشقي الخولاني (أحد رجال السند) معروف بالزهري. وإن كان يحيى بن معين قد غمزه فقد عدله غيره. كما أخبرنيه أبو أحمد الحسين بن علي، ثنا عبد الرحمن بن أبي حاتم، قال: سمعت أبي، وسئل عن حديث عمرو بن حزم في كتاب رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ الذي كتبه له في الصدقات، فقال: سليمان بن داود الخولاني عندنا ممن لا بأس به. قال أبو محمد بن أبي حاتم: سمعت أبا زرعة يقول ذلك» اهـ. كلام الحاكم، ووافقه الذهبي.

قلت: وقد نقل في كنز العمال قول يحيى بن معين، عندما سئل عن كتاب عمرو بن حزم: هل هو مسند؟

فقال: لا، ولكنه صالح. قيل: فكتاب علي بن أبي طالب؛ فقال: كتاب علي هذا أثبت من كتاب عمرو بن حزم. انظر كنز العمال ٥/٨٧٠.

وانظر إرواء الغليل ٧/٢٦٨، ١/١٥٨؛ ونيل الأوطار للشوكاني ٧/٢١؛ وتفسير الطبري ٢/٣٨٨؛ وتنوير الحوالك في شرح موطأ مالك للسيوطي ١/١٥٧.

(١) جيشان: مخلاف باليمن، ويلقب به عبدان بن حجر بن ذي رعين، وإليه ينسب الجيشانيون ومنهم أبو تميم الجيشاني، تابعي من اليمن. انظر القاموس المحيط باب الشين، فصل الجيم ٢/٢٦٦.

(٢) في أ (اليهود والنصارى).

وسلَّم ـ بأربعة أشهر، وأنه قدم وفد منهم بالإسلام، وهذا إنما كان بعد قدوم وفد النصارى؛ فإنه قد ذكر ابن سعد أن العاقب والسيد أسلما بعد ذلك، والعهد بالجزية إنما كان مع النصارى، وآية[1] الجزية هي قوله تعالى:

﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾[2].

وهذه آية السيف مع أهل الكتاب، وقد ذكر فيها قتالهم إذا لم[3] يؤمنوا حتى يعطوا الجزية، والنبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لم يأخذ من أحد الجزية إلَّا بعد هذه الآية. بل[4] وقالوا: إن أهل نجران أول من أخذت منهم الجزية، كما ذكر ذلك أهل العلم، كالزهري وغيره[5]، فإنه باتفاق أهل العلم لم يضرب النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ على أحد قبل نزول هذه الآية جزية[6]، لا من الأميين، ولا من أهل الكتاب، ولهذا لم يضربها على يهود قينقاع، والنضير، وقريظة، ولا ضربها على أهل خيبر. فإنها فتحت سنة سبع قبل نزول آية

---

(١) سقطت الواو من ط.

(٢) سورة التوبة: الآية ٢٩.

(٣) في ط (إذ لم).

(٤) سقطت الواو من (ط).

(٥) في س تقديم وتأخير في الجملة من قوله: (بل وقالوا... إلى قوله: فإنه باتفاق أهل العلم)، ولم يخل بالمعنى.

(٦) في س، ك، ط (لم يضرب النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ الجزية على أحد قبل نزول هذه الآية)، وقد سقطت من أ كلمة (جزية)، وأثبتت في الهامش فصححناها منه.

الجزية، وأقرهم فلاحين وهادنهم هدنة مطلقة قال فيها: «نقركم ما أقركم الله»[1].

فإذا كان أول ما أخذها من وفد نجران علم أن قدومهم عليه، ومناظرته لهم، ومحاجته إياهم، وطلبه المباهلة معهم، كانت بعد آية السيف التي فيها قتالهم.

وعلم بذلك أن ما ذكره الله ــ تعالى ــ من مجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن إلَّا الذين ظلموا[2]، محكم لم ينسخه شيء، وكذلك ما ذكره ــ تعالى ــ من مجادلة الخلق مطلقاً بقوله:

﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ . . .﴾[3].

---

(١) رواه البخاري معلقاً مجزوماً به في الجزية ٦٥/٤؛ وبوّب بقوله: «باب إخراج اليهود من جزيرة العرب، وقال عمر، عن النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ : أقركم ما أقركم الله به. وبوب في كتاب الجزية أيضاً/ باب الموادعة من غير وقت، وقول النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ : أقركم ما أقركم الله به ٧١/٤.
ورواه بسنده من حديث عمر يرفعه بلفظ «نقركم بها على ذلك ما شئنا» وذكر تمامه. في كتاب الحرث والمزارعة/ باب إذا قال رب الأرض: أقرك ما أقرك الله، ٧١/٣.
ورواه من حديث ابن عمر قال: قام عمر خطيباً فقال: إن رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ كان عامل يهود خيبر على أموالهم، وقال: «نقركم ما أقركم الله».
أخرجه في كتاب الشروط ١٧٧/٣. ورواه مسلم بلفظ: «نقركم بها على ذلك ما شئنا» في المساقاة باب/ المساقاة والمعاملة بجزء من الثمرة والزرع، ١١٨٧/٣؛ ورواه مالك ــ مرسلاً ــ عن سعيد بن المسيب، أن رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ قال ليهود خيبر يوم افتتح خيبر: (أقركم فيها ما أقركم الله ــ عز وجل ــ على أن الثمر بيننا وبينكم). قال ابن عبد البر: أرسله جميع رواة الموطأ، وأكثر أصحاب ابن شهاب في كتاب المساقاة؛ ٧٠٣/٢.

(٢) في س، ك، ط (ظلموا منهم).

(٣) سورة النحل: الآية ١٢٥.

فإن من الناس من يقول: آيات المجادلة والمحاجة للكفار، منسوخات بآية السيف، لاعتقاده أن الأمر بالقتال المشروع ينافي المجادلة المشروعة وهذا غلط؛ فإن النسخ إنما يكون إذا كان الحكم الناسخ مناقضاً للحكم المنسوخ كمناقضة الأمر باستقبال المسجد الحرام في الصلاة للأمر باستقبال بيت المقدس بالشام[1]، ومناقضة الأمر بصيام رمضان للمقيم للتخيير بين الصيام وبين إطعام[2] كل يوم مسكيناً، ومناقضة نهيه عن تعدي الحدود التي فرضها للورثة للأمر بالوصية للوالدين والأقربين، ومناقضة قوله لهم: كفوا أيديكم عن القتال لقوله[3] قاتلوهم، كما قال ـ تعالى[4] ـ :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً . . . ﴾[5].

فأمره لهم بالقتال ناسخ لأمره لهم بكف أيديهم عنهم[6]، فأما قوله ـ تعالى ـ :

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ . . . ﴾[7].

وقوله:

﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ . . . ﴾[8].

---

(١) سقطت لفظة (بالشام) من س، ك.
(٢) في س (الطعام).
(٣) في س كقوله.
(٤) ساقطة من أ، وأثبتناها من سائر النسخ.
(٥) سورة النساء: الآية ٧٧.
(٦) في س، ك (عنه).
(٧) سورة النحل: الآية ١٢٥.
(٨) سورة العنكبوت: الآية ٤٦.

فهذا لا يناقضه الأمر بجهاد من أمر بجهاده منهم، ولكن الأمر بالقتال يناقض النهي عنه والاقتصار على المجادلة.

وجوه الجمع بين مجادلة أهل الكتاب وقتالهم

فأما مع إمكان الجمع بين الجدال المأمور به والقتال المأمور به، فلا منافاة بينهما وإذا لم يتنافيا بل أمكن الجمع لم يجز الحكم بالنسخ، ومعلوم أن كلًا منهما ينفع حيث لا ينفع الآخر، وأن استعمالهما جميعاً أبلغ في إظهار الهدى ودين الحق، ومما يبين ذلك وجوه:

أحدها: أن من كان من أهل الذمة والعهد والمستأمن منهم لا يجاهد بالقتال، فهو داخل فيمن أمر الله بدعوته ومجادلته بالتي هي أحسن، وليس هو داخلاً فيمن أمر الله بقتاله.

الثاني: أنه قال:

﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ. . .﴾[1].

فالظالم لم يؤمر بجداله بالتي هي أحسن، فمن كان ظالماً[2] مستحقاً للقتال غير طالب للعلم والدين، فهو من هؤلاء الظالمين الذين لا يُجَادَلُون بالتي هي أحسن، بخلاف من طلب العلم والدين ولم يظهر منه ظلم، سواء كان قصده الاسترشاد أو كان يظن أنه على حق يقصد نصر ما يظنه حقاً، ومن كان قصده العناد يعلم أنه على باطل ويجادل عليه، فهذا لم يؤمر بمجادلته بالتي هي أحسن، لكن قد نجادله بطرق أخرى نبين فيها عناده وظلمه وجهله جزاءً له بموجب عمله.

الثالث: أنه ــ سبحانه[3] ــ قال:

---

(١) سورة العنكبوت: الآية ٤٦.

(٢) سقطت (ظالماً) من أ، وألحقناها من سائر النسخ.

(٣) في ط (سبحانه وتعالى).

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ. . .﴾[1].

فهـذا مستجير مستـأمن وهو من أهـل الحرب أمـر[2] الله بإجـارته حتى تقوم حجة الله عليه، ثم يبلغه مأمنه وهذا في سورة بـراءة التي فيها نقض العهـود وفيها آيـة السيف، وذكر هـذه الآية في ضمن الأمـر بنقض العهـود؛ ليبين ـ سبحانـه ـ أنه مثـل هذا يجب أمـانـه حتى تقـوم عليـه الحجـة، لا تجوز محـاربتـه كمحـاربـة من لم يـطلب أن يبلغ حجـة الله عليه.

قـال عبد الـرحمن بن زيد بن أسلم[3]: ﴿ثُمَّ أَبْلِغْـهُ مَـأْمَنَـهُ﴾: إن لم يـوافقه مـا نَقُصُّ عليـه ونخبـر بـه فـأبلغـه مـأمنـه قـال: وليس هـذا بمنسوخ[4].

وقال مجاهد[5]: من جاءك واستمـع ما أنـزل إليك فهـو آمن حتى

---

(1) سورة التوبة: الآية ٦.

(2) في جميع النسخ (أمره).

(3) عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، العدوي مولاهم، قال ابن حجر: مات سنة ١٨٢هـ. انـظر تـرجمتـه في تقـريب التهـذيب ١/٤٨٠(٩٤١)، وميـزان الاعتـدال ٢/٥٦٤، والتهذيب ٦/١٧٧.

(4) أخرجه الإمام ابن جرير في تفسيره للآية: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ. . .﴾ الآية، في الجزء ١٠/٥٧ (مجلد ٦). أخـرجه بسنـده، قال: حـدثني يونس، قـال: أخبـرنا ابن وهب، قـال: قال ابن زيـد ـ يعني عبد الـرحمن بن زيـد بن أسلم ـ في قوله: ﴿ثم أبلغه مأمنه﴾ قال: إن لم يوافقه ما تقول عليه، وتحدثه فابلغه. قال: وليس هذا بمنسوخ. وقد رجح هذا ابن جرير ـ رحمه الله ـ في تفسيره.

(5) مجاهد بن جبر، أبو الحجـاج المكي، مولى بني مخـزوم، تابعي، مفسـر، من أهل مكة، شيخ القراء والمفسرين، أخذ التفسير عن ابن عباس، قرأه عليه ثلاث مـرات، يقف عند كل آية، يسأله فيم نزلت؟ وكيف كانت؟ قال النووي: متفق على جلالتـه، =

يأتيك[1].

وقال عطاء[2] في الرجل من أهل الشرك يأتي المسلمين بغير عهد قال: تخيره[3] إما أن تقره، وإما أن تبلغه مأمنه.

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿. . . فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ . . .﴾[4].

قد علم أن المراد أنه يسمعه سمعاً يتمكن معه من فهم معناه، إذ المقصود لا يقوم بمجرد سمع لفظ لا يتمكن معه من فهم المعنى، فلو كان غير عربي وجب[5] أن يترجم له ما يقوم[6] به عليه الحجة،

= وإمامته، وله مناقب كثيرة مشهورة. ونقل الذهبي عن قتادة قوله: أعلم من بقي بالتفسير مجاهد تنقل ـ رحمه الله ـ في الأسفار، ورحل، واستقر بالكوفة. ومات سنة ١٠١هـ وقيل ١٠٤هـ. راجع في ترجمته: تذكرة الحفاظ للذهبي ٩٢/١، وتهذيب الأسماء واللغات ٨٣/٢، وتقريب التهذيب ٢٢٩/٢(٩٢٢)، والبداية والنهاية ٢٢٤/٩.

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره ٥٧/١٠ (مجلد ٦) بسنده عن مجاهد: ﴿**وإن أحد من المشركين استجارك فأجره**﴾. قال: إنسان يأتيك فيسمع ما تقول، ويسمع ما أنزل عليك فهو آمن؛ حتى يأتيك فيسمع كلام الله، وحتى يبلغ مأمنه حيث جاء».
وأخرجه من طريق آخر بنحوه.

(٢) عطاء بن أبي رباح أبو محمد بن أسلم بن صفوان القرشي (مولاهم) المكي تابعي جليل مفتي أهل مكة ومحدثهم، ثقة، فقيه، لكنه كثير الإرسال، وُلد في خلافة عثمان سنة ٢٧هـ في (جند) باليمن، ونشأ بمكة، وكان فصيحاً كثير العلم. مات ـ رحمه الله ـ سنة ١١٤هـ.
انظر تذكرة الحفاظ للذهبي ٩٢/١(٩٠)، وتهذيب التهذيب لابن حجر ١٩٩/٧، وميزان الاعتدال ٧٠/٣، وتقريب التهذيب ٢٢/٢، والبداية والنهاية ٣٠٦/٩.

(٣) في ط (خيره).

(٤) سورة التوبة: الآية ٦.

(٥) في س، ك، ط (لوجب).

(٦) في ط (تقوم) بالمثناة الفوقية.

ولو كان عربياً وفي القرآن ألفاظ غـريبة ليست لغتـه، وجب أن يبين[1] له معنـاها، ولـو سمع اللفظ كمـا يسمعه كثيـر من النـاس ولم يفقـه المعنى وطلب منا أن نفسره له ونبين له معناه[2]، فعلينا[3] ذلك.

وإن سألنا عن سؤال يقدح في القرآن أجبناه عنه، كمـا كان النبـي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إذا أورد عليه بعض المشركين أو أهل الكتـاب أو المسلمين سؤالاً يوردونه[4] على القرآن. فإنـه كان يجيبـه[5] عنه كمـا أجـاب ابن الزبعـري[6] لما قـاس المسيح على آلهـة المشركين وظن أن العلة في الأصل بمجرد[7] كونهم معبودين، وأن ذلـك يقتضي كل معبـود غيـر الله فإنـه يعذب في الآخـرة، فجعل المسيـح مثلاً لآلهـة المشركين قاسهم عليه قياس الفرع على الأصل[8].

---

(١) في ط (نبين).
(٢) الجملة من قوله: ﴿ولو سمع ـ إلى ـ فعلينا ذلك﴾ساقطة من س.
(٣) في س (فقلنا).
(٤) في ك (يؤذونه).
(٥) في ط (يجيبهم).
(٦) هو عبد الله بن الـزبعري ـ بتشـديد الـزاي مكسورة وفتـح الباء وإسكـان العين ـ بن قيس القرشي، أبو سعد: شاعر تريش في الجاهلية. كان شديداً على المسلمين إلى أن فتحت مكة فهرب إلى نجران. وقد ذكر ابن كثير أنه عاد إلى الرسول ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، وأسلم وقال شعراً معتذراً فيما حصل منه.
انظر: البداية والنهاية ٤/٣٠٨ ـ ٣٠٩، ٣/٨٩؛ والأعلام ٤/٨٧.
(٧) في س، ك (مجرد).
(٨) أخرج الحاكم في التفسير عن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لها وَارِدُوْنْ﴾. قـال ابن الزبعري: عبـد الشمس، والقمر، والملائكة، وعزير، فكل هؤلاء في النار مـع آلهتنا. فنـزلت: ﴿إِنَّ الَّذِيْنَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُوْلَٰئِكَ عَنْهَـا مُبْعَدُوْنْ﴾، ونـزلت ﴿وَلَمَّا ضُـرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَـلاً ـ إلى ـ خَصِمُـونْ﴾. قـال الحـاكم: هـذا حـديث صحيـح الإسنـاد ولم يخـرجـاه، ووافقـه =

قال ـ تعالى ـ:

﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ۝٥٧ وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾[1].

فبيَّن سبحانه الفرق المانع من الإلحاق بقوله ـ تعالى ـ:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾[2].

وبين أن هؤلاء القائسين ما قاسوه إلا جدلًا محضاً لا يوجب علماً؛ لأن الفرق حاصل بين الفرع والأصل، فإن الأصنام إذا جعلوا حصباً لجهنم، كان ذلك إهانة وخزياً لعابديها من غير تعذيب من لا يستحق التعذيب، بخلاف ما إذا عذب عباد الله الصالحون بذنب غيرهم، فإن هذا لا يفعله الله ـ تعالى ـ، لا سيما عند جماهير المسلمين وسائر أهل الملل ـ سلفهم وخلفهم ـ الذين يقولون: إن الله لا يخلق ويأمر إلَّا لحكمة ولا يظلم أحداً فينقصه شيئاً من حسناته، ولا يحمل عليه سيئات غيره، بل ولا يعذب أحداً إلَّا بعد إرسال رسول إليه، كما قال ـ تعالى ـ:

= الذهبي. المستدرك ٢/٣٨٥، وقد ورد في سيرة ابن هشام أنه لما ذكر ذلك لرسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قال: «كل من أحب أن يعبد من دون الله فهو مع من عبده، فإنهم إنما يعبدون الشيطان؛ ومن أمرهم بعبادته». فأنزل الله عز وجل: ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى...﴾ الآية.

انظر سيرة ابن هشام ٢/٨ ـ ٩؛ وتفسير ابن كثير ٤/١٣١؛ وفتح القدير للشوكاني ٣/٤٣١، وقد عزاه إلى ابن مردويه والضياء في المختارة. وانظر لباب النقول للسيوطي ص ١٥٠. وانظر أسباب النزول للواحدي فقد أورده بسنده عن ابن عباس في ذكر سبب نزول آية ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى﴾ ص ٢٣٠.

(١) سورة الزخرف: الآيتان ٥٧، ٥٨.

(٢) سورة الأنبياء: الآية ١٠١.

﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾[1].

وقال ــ تعالى ــ:

﴿ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴾[2].

وقال ــ تعالى ــ:

﴿ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[3].

و[4]قال ــ تعالى ــ:

﴿ . . . وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾[5]،

ومن قال من المسلمين وغيرهم من أهل الملل: إنه يجوز منه ــ تعالى[6] ــ فعل كل شيء، وأن الظلم هو الممتنع الذي لا يدخل تحت القدرة[7]، فهؤلاء يقولون: إنما يعلم ما يفعله وما لا يفعله بدلالة خبر الصادق أو بالعادة وإن كان الجمهور يستدلون بخبر الصادق وبغيره على ما يمتنع من الله.

---

(١) سورة طه: الآية ١١٢.

(٢) سورة الجن: الآية ١٣.

(٣) سورة النمل: الآية ٩٠.

(٤) سقطت الواو من جميع النسخ عدا ط.

(٥) سورة الإسراء: الآية ٥.

(٦) سقطت من س، وأثبتت في ك في الهامش.

(٧) هذه مقالة القدرية، وأما أهل السنة فالظلم عندهم: هو وضع الشيء في غير موضعه والله ــ تعالى ــ عدل، ولا يضع شيئاً إلاَّ في موضعه المناسب وهو سبحانه ــ لا يعاقب إلاَّ من يستحق العقوبة، وأهل البر والتقوى لا يعاقبهم، قال ــ تعالى ــ: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِيْنَ كَالْمُجْرِمِينَ مَالَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُوْنْ﴾ سورة القلم: الآيتان ٣٥، ٣٦.

وقد بسط الشيخ ــ رحمه الله ــ هذه المسألة في مواضع كثيرة من كتبه ومنها جامع الرسائل ص ١٢١ ــ ١٤٢. بتحقيق الدكتور محمد رشاد سالم. وفيه رسالة في معنى كون الرب عادلاً وتنزهه عن الظلم، وعَرْضٌ لأقوال الناس في ذلك وتقرير مذهب أهل السنة بالأدلة النقلية والعقلية.

وقد أخبر الله ـ تعالى ـ أن عباده الصالحين في الجنة لا يعذبهم في النار، بل يتقبل عنهم أحسن ما عملوا ويتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة، فضلاً أن يعاقبهم بذنب غيرهم[1] مع كراهية[2] لفعلهم ونهيهم عن ذلك، ومن زعم أن لفظ[3] «ما» كانت تتناول المسيح وأَخَّر بيان العام[*]، أو أجاب بأن لفظ «ما» لا يتناول إلا ما لا يعقل فالقولان[4] ضعيفان، كما قد بسط في موضعه[5].

وإنما المشركون عارضوا النص الصحيح بقياس فاسد، فبين الله ـ تعالى ـ فساد القياس وذكر الفرق بين الأصل والفرع.

وكذلك لما أورد بعض النصارى على قوله ـ تعالى ـ: ﴿ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ . . . ﴾[6] ظناً منه أن هارون هذا: هو هارون أخو موسى بن

---

(1) في س، ك (من غيرهم).

(2) في ط (كراهته).

(3) سقطت (لفظ) من أ.

(*) أي تأخير البيان عن وقت الخطاب.

(4) في ط (بالقولان) وهو خطأ.

(5) انظر مجموع الفتاوى ١٦/ ٤٠ ـ ٤٣ و ١٤/ ٦٧؛ وانظر أيضاً كتابه النفيس درء تعارض العقل والنقل ٧/ ٥٦، ٥٩، وانظر كلاماً جيداً لشيخنا الدكتور زاهر بن عواض الألمعي في كتابه القيم مناهج الجدل في القرآن الكريم ص ٢٠٩ ـ ٢١٥ حيث فنَّد القول بأن (ما) لا تتناول إلَّا ما لا يعقل، وبين أن (ما) استعملت في الآية بلفظ العموم وأنه يدخل في عمومها كل ما عبد من دون الله فشمل كل طاغوت دعا الناس إلى عبادة نفسه أو رضي بذلك، وتدخل معبودات المشركين من الأصنام في هذا دخولاً أولياً، أما عيسى والعزير والملائكة وكل من عبد من دون الله بغير رضىً منه بذلك فإن نصوص الشرائع العامة، وأدلة العقل تخرجهم من هذا العموم ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ سورة فاطر: الآية ١٨ سورة الأنعام: الآية ١٦٤ ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ﴾ سورة التوبة: الآية ٩١.

(6) سورة مريم: الآية ٢٨.

عمران، وأن عمران هذا: هو عمران أبو مريم أم المسيح، فسئل النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ عن ذلك. أجاب: بأن هارون هذا ليس هو ذاك، ولكنهم كانوا يسمون بأسماء الأنبياء[1] والصالحين.

وبعض جهال النصاري يقدح في القرآن بمثل هذا ولا يعلم هذا المفرط في جهله أن آحاد الناس يعلمون أن بين موسى وعيسى مدة طويلة جداً يمتنع معها أن يكون موسى وهارون خالي المسيح، وأن هذا مما لا يخفى على أقل أتباع محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، فضلاً عن أن يخفى على محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ.

وهذا السؤال مما أورده أهل نجران، كما ثبت عن المغيرة بن شعبة قال: بعثني رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إلى أهل نجران فقالوا: ألستم تقرأون ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ﴾، وقد علمتم ما بين موسى وعيسى؟ فلم أدر ما أجيبهم، فرجعت إلى رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فأخبرته فقال: «ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون بأسماء أنبيائهم والصالحين قبلهم؟»[2].

وهذا السؤال الذي هو سؤال الطاعن في القرآن لمّا أورده[3] أهل نجران الكفار على رسول[4] رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ولم يجبهم

(١) سقطت الواو من أ، س.

(٢) رواه مسلم من حديث المغيرة مع اختلاف يسير في اللفظ، وليس فيه «ألا أخبرتهم» ولفظه «أنهم كانوا يسمونهم بأنبيائهم والصالحين قبلهم». رواه في الأداب، باب النهي عن التكني بأبي القاسم وبيان مايستحب من الأسماء. ٣/١٦٨٥ حديث رقم (٩) ورواه الترمذي بنحوه في التفسير/ باب من سورة مريم ٥/٣١٥؛ ورواه أحمد في مسنده ٤/٢٥٢.

(٣) في أ، س (أوردوه).

(٤) في س، ك، ط (على المغيرة. .).

عنه أجاب عنه النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، ولم يقل لهم: ليس لكم عندي إلا السيف، ولا قال: قد نقضتم العهد إن كانوا قد عاهدوه، وقد عرف أن أهل نجران لم يرسل إليهم رسولاً إلا والجهاد مأمور به.

وكان المسلمون يوردون الأسئلة[1] عليه كما أورد عليه عمر عام الحديبية لما صالح المشركين ولم يدخل مكة فقال له: ألم تكن تحدثنا أنا نأتي البيت ونطوف به؟ قال: «بلى، أقلت لك أنك تأتيه في هذا العام؟» قال: لا قال: «فإنك آتيه ومطوف به»[2].

وكذلك أجابه أبو بكر ولم يكن سمع[3] جواب النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ له، ومعلوم أنه ليس في ظاهر اللفظ توقيت ذلك بعام، ولكن السائل ظن ما لا يدل اللفظ عليه.

وكذلك لما قال «من نوقش الحساب عذب» قالت له عائشة: ألم يقل الله:

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾[4].

---

(١) في أ، س، ك (الأسئولة).

(٢) رواه البخاري في كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد، والمصالحة مع أهل الحروب، وكتابة الشروط. وهو قطعة من حديث طويل ساقه الإمام البخاري في نحو ست صفحات وفيه صلح الحديبية، وهو من حديث المسور بن مخرمة، ومروان يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه. قالا: خرج رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ زمن الحديبية حتى كانوا ببعض الطريق. وذكر الحديث بطوله.. في ٣/١٧٨ ـ ١٨٤ ورواه أحمد في مسنده ٤/ ٣٣٠؛ وفي ص ٣٣١.

(٣) في أ، ك (يسمع).

(٤) سورة الانشقاق: الآيتان ٧، ٨.

فقال: «ذلك العرض ومن نوقش الحساب عذب»[1].

ومعلوم أن الحساب اليسير لا يتناول من نوقش، وقد زادها بياناً، فأخبر أنه العرض لا المقابلة المتضمنة للمناقشة.

وكذلك لما قال: «إنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة». قالت له حفصة: ألم يقل الله ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا...﴾[2].

فأجابها بأنه قال:

﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾[3]، [4].

---

(١) رواه البخاري من حديث ابن أبي مليكة، أن عائشة زوج النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ كانت لا تسمع شيئاً لا تعرفه إلَّا راجعت فيه حتى تعرفه. وأن النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ قال من حوسب عذب. قالت عائشة: فقلت؛ أوليس يقول الله ــ تعالى ــ: ﴿فسوف يحاسب حساباً يسيراً﴾. قالت، فقال: «إنما ذلك العرض ولكن من نوقش الحساب يهلك». أخرجه البخاري في كتاب العلم/ باب من سمع شيئاً فراجع حتى يعرفه ٣٤/١ وفي الرقائق / باب من نوقش الحساب عذب ١٩٧/٧. ورواه مسلم في الجنة وصفة نعيمها، باب إثبات الحساب ٢٢٠٤/٤(٢٨٧٦) بنحوه. ورواه الترمذي في التفسير، باب ومن سورة إذا السماء انشقت ٣٣٥/٥ وقال هذا حديث حسن صحيح. ورواه أبو داود في الجنائز ٤٧٢/٣. وأحمد في المسند في مواضع متعددة في ٤٧/٦ ــ ٩١ ــ ١٠٨، ١٢٧ بألفاظ متقاربة.

(٢) سورة مريم: الآية ٧١.

(٣) سورة مريم: الآية ٧٢.

(٤) رواه مسلم في الفضائل، باب من فضائل أصحاب الشجرة، ١٩٤٢/٤(٢٤٩٦) من حديث جابر عن أم مبشر، بلفظ أنها سمعت النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ يقول عند حفصة: «لا يدخل النار ــ إن شاء الله ــ من أصحاب الشجرة أحد، الذين بايعوا تحتها» قالت: بلى يا رسول الله فانتهرها، فقالت حفصة: «وإن منكم إلَّا واردها»، فقال النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ قد قال الله ــ عز وجل ــ: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيما جثيا﴾.

=

فبين ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أن هؤلاء هم الذين يدخلون جهنم، وهذا الدخول هو الذي نفاه عن أهل الحديبية، وأما الورود: فهو مرور الناس على الصراط كما فسره في الحديث الصحيح: حديث جابر بن عبد الله[1]، وهذا المرور لا يطلق عليه اسم الدخول الذي يجزي[2] به العصاة وينفي عن المتقين ومثل هذا كثير.

وأما ما في القرآن من ذكر أقوال الكفار وحججهم وجوابها، فهذا كثير جداً، فإنه يجادلهم تارة في التوحيد، وتارة في النبوات، وتارة في المعاد، وتارة في الشرائع بأحسن الحجج وأكملها، كما قال ـ تعالى ـ:

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾[3].

= ورواه أبو داود بنحوه في السنة باب في الخلفاء ٥/٤١(٤٦٥٣)، والترمذي في المناقب ٥/٦٩٥ وقال حسن صحيح. وأحمد في المسند ٣/٣٥٠، ٦/٤٢٠، ٢٦٢؛ ورواه الخطيب البغدادي في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ٢/٢٩٢(١٨٩٢) ورواه ابن أبي عاصم بنحوه في السنة/ باب ذكر الورود على النار ٢/٤١٤(٨٦٠).

(١) هو الحديث الذي سبقت الإشارة إليه. وقد ورد أيضاً في صحيح مسلم حديث آخر عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ وفيه زيادة توضيح وهو حديث طويل: أخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلةً فيها ١/١٧٧(٣١٦)؛ ورواه أحمد في المسند ٣/٣٨٣.

(٢) في ك، ط (تجزي) بالمثناة الفوقية.

(٣) سورة الفرقان: الآيتان ٣٢، ٣٣.

وقد أخبر ـ سبحانه ـ في هذه الآية أن الكفار لا يأتونه بقياس عقلي لباطلهم إلاَّ جاءه الله بالحق، وجاءه من البيان والدليل، وضرب المثل بما هو أحسن تفسيراً، =

وقد أخبر الله ـ تبارك وتعالى ـ عن أولي العزم من الرسل بمجادلة الكفار، فقال ـ تعالى ـ عن قوم نوح:

﴿ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا . . . ﴾[1].

وقال عن الخليل:

﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ . . . ﴾.

إلى قوله: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ . . . ﴾[2]، [*].

وأمر ـ تعالى ـ محمداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بالمجادلة بالتي هي أحسن، وذم ـ سبحانه ـ من جادل بغير علم أو في الحق بعدما تبين ومن جادل بالباطل، فقال ـ تعالى ـ:

﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[3].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ . . . ﴾[4].

وقال ـ تعالى[5] ـ:

= وكشفاً، وإيضاحاً للحق من قياسهم.

انظر مجموع الفتاوى ٤/١٠٦، وقد أفاض في بيان معنى التفسير في ٤/١١٥ ـ ١١٧.

(١) سورة هود: الآية ٣٢.

(٢) سورة الأنعام: الآيات ٨٠ ـ ٨٣.

(*) وهذه مجادلة شرعية، وقد تكون واجبة أو مستحبة، انظر درء تعارض العقل والنقل ١٥٦/٧، ١٦٢.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٦٦.

(٤) سورة الأنفال: الآية ٦. (٥) سقطت (تعالى) من س، ك.

﴿ وَجَٰدَلُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾[1].

وهذا هو الجدال المذكور[2] في قوله:

﴿ مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ . . . ﴾[3].

وإذا كان النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يحاج الكفار بعد نزول الأمر بالقتال، وقد أمره[4] الله تعالى أن يجير المستجير حتى يسمع كلام الله ثم يبلغه مأمنه، والمراد بذلك تبليغ[5] رسالات الله وإقامة الحجة عليه، وذلك قد لا يتم إلا بتفسيره له الذي تقوم به الحجة ويجاب به عن المعارضة؛ وما لا يتم الواجب إلاَّ به فهو واجب[6].

---

(١) سورة غافر: الآية ٥.

(٢) وهذا الجدل نهى عنه الكتاب والسنة، وهو على أنواع:

١ ـ القول على الله بلا علم.

٢ ـ أن يقال على الله غير الحق.

٣ ـ الجدل بغير علم.

٤ ـ الجدل في الحق بعد ظهوره.

٥ ـ الجدل بالباطل.

٦ ـ الجدل في آياته.

وقد فصل المؤلف ـ رحمه الله ـ القول في هذا وساق الآيات القرآنية على كل نوع في كتابه درء تعارض العقل والنقل ١/٤٦ ـ ٤٨؛ وانظر الرد على المنطقيين للمؤلف ص ٤٦٧ ـ ٤٦٨؛ وتحدث شيخنا الدكتور زاهر بن عواض الألمعي ـ حفظه الله ـ في كتابه مناهج الجدل في القرآن الكريم عن الجدال الممدوح، والجدال المذموم والفرق بينهما في مبحث جيد ص ٤٤ ـ ٦٠.

(٣) سورة غافر: ٤.

(٤) في أ (أمر).

(٥) في ط (تبليغه).

(٦) هذه قاعدة أصولية مفادها أنه إذا توقف فعل المأمور به على شيء كان ذلك الشيء مأموراً به. فإن كان المأمور به واجباً كان ذلك الشيء واجباً، ومثاله: ستر العورة فإذا =

علم[1] بطلان قول من ظن أن الأمر بالجهاد ناسخ الأمر[2] بالمجادلة مطلقاً.

الوجه الرابع: إن القائل إذا قال: إن آية[3] مجادلة الكفار أو[4] غيرها مما يدعي نسخه منسوخة بآية السيف قيل له: ما تعني بآية السيف؟ أتعني آية بعينها أم تعني كل آية فيها الأمر بالجهاد؟

فإن أراد الأول، كان جوابه من وجهين:

أحدهما: أن الآيات التي فيها ذكر الجهاد متعددة، فلا يجوز تخصيص بعضها.

وإن قال: أريد قوله ــ تعالى ــ:

﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ . . . ﴾[5].

قيل له: هذه[6] في قتال المشركين، وقد قال بعدها في قتال أهل الكتاب:

= توقف على شراء ثوب كان ذلك الشراء واجباً. وإذا كان المأمور به مستحباً كان ذلك الشيء الذي لا يتم المأمور به إلا به مستحباً. قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين: «وهذه القاعدة في ضمن قاعدة أعم منها، وهي: الوسائل لها أحكام المقاصد، فوسائل المأمورات مأمور بها، ووسائل المنهيات منهي عنها».
انظر كتاب الأصول من علم الأصول ص ٣١. وللاستزادة في هذا انظر مجموع الفتاوى ٢٠/١٥٩ ــ ١٦٠؛ وابن قدامة وآثاره الأصولية لشيخنا الدكتور عبد العزيز السعيد القسم الثاني/ ٣٣.

(١) هذا جواب قوله: «وإذا كان النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ يحاج الكفار». . . «علم بطلان. . .».

(٢) في س، ك، ط (للأمر).

(٣) سقطت لفظة (آية) من أ ومن س وأثبتناها من ك، وهذا هو المناسب لسياق الكلام.

(٤) في أ (و).

(٥) سورة التوبة: الآية ٥.

(٦) في أ (هذا).

﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾[1].

فلو لم تكن آية السيف إلا واحدة لم تكن هذه أولى من هذه.

وإن قال: كل آية فيها ذكر الجهاد.

قيل له: الجهاد شرع على مراتب، فأول ما أنزل الله ـ تعالى ـ فيه الأذن[2] بقوله:

﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾[3].

فقد ذكر غير واحد من العلماء أن هذه أول آية نزلت في الجهاد[4]، ثم بعد ذلك نزل وجوبه بقوله:

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ . . . ﴾[5].

---

(١) سورة التوبة: الآية ٢٩.

(٢) في ط فيه (الأذن فيه).

(٣) سورة الحج: الآية ٣٩.

(٤) ذكر ذلك ابن جرير الطبري في تفسيره ١٢٣/١٧ (مجلد ٧) عن ابن عباس، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وقتادة، وغيرهم. وفي زاد المسير لابن الجوزي عن ابن عباس قال: كان مشركو أهل مكة، يؤذون أصحاب النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ . . . فانزل الله هذه الآية ﴿أذن للذين يقاتلون . . .﴾ الآية وهي أول آية أنزلت في القتال.

راجع تفسير ابن جرير ١٢٣/١٧(مجلد ٧)؛ وتفسير ابن الجوزي زاد المسير ٤٣٦/٥؛ والكشاف للزمخشري ١٥/٣؛ وتفسير أبي السعود ١٨/٤؛ وأسباب النزول للواحدي ص ١٧٧؛ والبداية والنهاية لابن كثير١٦٤/٣ (في بيعة العقبة الثانية) وتفسير ابن كثير ٢٢٥/٣؛ وفتح القدير للشوكاني ٤٥٦/٣.

(٥) سورة البقرة: الآية ٢١٦.

ولم يؤمروا بقتال من طلب مسالمتهم بل قال:

﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَٰتِلُواْ قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَٰتَلُوكُمْ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾[1].

وكذلك من هادنهم لم يكونوا مأمورين بقتاله، وإن كانت الهدنة عقداً جائزاً غير لازم.

ثم أنزل[2] في «براءة» الأمر بنبذ العهود، وأمرهم بقتال المشركين كافة، وأمرهم بقتال أهل الكتاب إذا لم يسلموا حتى يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون، ولم يبح لهم ترك قتالهم وإن سالموهم وهادنوهم هدنة مطلقة مع إمكان جهادهم[3].

---

(١) سورة النساء: الآيتان ٨٩، ٩٠.

(٢) في ك زيادة (تعالى).

(٣) من الجدير بالذكر أن تشريع الجهاد كان على مراحل ذكرها العلماء على النحو التالي:

أولاً: كان النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ والمسلمون بمكة قلة، ولا قدرة لهم على مقاتلة الكفار فنزل النهي عن ذلك في أكثر من سبعين آية.

ثانياً: هاجر الرسول ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وصحابته، إلى المدينة، وكثر أنصاره، وقويت شوكته، فأذن الله لهم في القتال، ونزلت أول آية في ذلك وهي قول الله ــ تعالى ــ : ﴿**أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا...**﴾ الآية. قال العلماء: ولم يكن هذا أمراً وإيجاباً.

ثالثاً: أوجب الله قتال من قاتل المسلمين، دون من كف عنهم. قال ــ تعالى ــ : ﴿**وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا...**﴾ الآية.

رابعاً: فرض الله في هذه المرحلة، وهي آخر مراحل تشريع الجهاد، فرض قتال المشركين كافة، حتى يكون الدين كله لله، قال ــ تعالى ــ : ﴿**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى** =

فإن قال: آية السيف[1] التي نسخت المجادلة هي آية الأذن.

قيل. فآية الأذن نزلت في أول مقدمه المدينة قبل أن يبعث شيئاً من السرايا، وقد جادل ــ بعد هذا ــ الكفار[2].

وكذلك إن قيل: آيات فرض القتال قيل: فقوله[3]:

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ﴾[4].

نزلت في أول الأمر[5] قبل بدر. ولا ريب[6] أن الجهاد كان واجباً يوم أحد[7] ـــــــــــ

= لَا تَكُون فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّه لِلَّه...﴾ الآية ٣٩: سورة الأنفال، ثم نزلت الآيات في ذلك [التوبة: ٥، ٣٦]؛ [والبقرة: ١٩٣] وغيرها. والله أعلم.

(١) في ط (للسيف).

(٢) قال بعض أهل العلم إن هذا الأذن كان بمكة والسورة مكية وقد رد ابن القيم رحمه الله هذا القول من عدة وجوه منها: أن الله لم يأذن بمكة لهم في القتال، ولا كان لهم شوكة، وأن سياق الآية يدل على أن الأذن بعد الهجرة وإخراجهم من ديارهم فإنه قال: ﴿الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله﴾ [الحج: ٤٠]، وهؤلاء هم المهاجرون ثم ساق وجوهاً في كتابه القيم زاد المعاد ٣/٧٠ ــ ٧١.

(٣) في ط (كقوله). (٤) سورة البقرة: الآية ٢١٦.

(٥) في س، ك، ط (نزلت في أول الأمر في سورة البقرة) مع تقديم وتأخير في العبارة في هذه النسخ، وما أثبتناه من أ.

(٦) في ط(وقيل ولا ريب).

(٧) أحد: وقعت غزوة أحد في السنة الثالثة للهجرة، بعد وقعة بدر الكبرى. وقد انكشف المسلمون فيها، وكانت يوم بلاء وتمحيص، أكرم الله من أكرم فيها من المسلمين بالشهادة، حتى خلص إلى رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فرث بالحجارة، وأصيبت رباعيته، وشج وجهه، وكلمت شفته، فجعل الدم يسيل على وجهه.

انظر في خبرها: ابن هشام ٢/٤٧؛ وابن سعد ٢/٣٦؛ وابن جرير ٢/٤٩٩ ــ ٥٣٣؛ وابن كثير ٤/٩؛ وزاد المعاد ٣/١٩٢؛ وصحيح البخاري ٥/٢٨.

والخندق[1] وفتح خيبر[2] ومكة[3]. وقد ذكر الله آيات فرض الجهاد في هؤلاء المغازي، كما ذكر ذلك في سورة آل عمران والأحزاب، وإن[4] قيل بل الجدال إنما نسخ لما أمر بجهاد من سالم ومن لم يسالم.

قيل: هذا باطل، فإن الجدال إن كان منافياً للجهاد، فهو مناف لإباحته ولإيجابِه ولو للمسالم، وإن لم يناف الجهاد لم يناف إيجاب الجهاد للمسالمين، كما لم يناف إيجاب جهاد غيرهم.

فإن المسالم قد لا يجادل ولا يجالد[5]، وقد[6] يجادل ولا يجالد، كما أن غيره قد يجالد ويجادل[7] وقد يفعل أحدهما.

---

(١) وقعت سنة خمس، تحزب فيها اليهود والمشركون من قريش وغطفان وغيرهم، وقد ضرب الرسول ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ الخندق على المدينة من جهة السهل بمشورة سلمان ـ رضي الله عنه ـ وانتصر فيها المسلمون بإذن الله، ونزل فيها جزء من سورة الأحزاب انظر في خبرها: ابن هشام ٢/١٢٧؛ وابن سعد ٢/٦٥؛ وابن جرير ٢/٥٦٤ ـ ٥٨١ وابن كثير ٤/٩٢؛ وزاد المعاد ٣/٢٦٩؛ وصحيح البخاري ٥/٤٤.

(٢) فتح خيبر: سنة سبع وسبقت الإشارة إليها.

(٣) فتح مكة: سنة ثمان، عندما نقض الكفار الصلح، بتظاهرهم مع بني بكر على خزاعة، الذين دخلوا في الحلف مع المسلمين، وبعد ذلك توجه الرسول ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بكتائب المسلمين، وكان الفتح العظيم.
انظر في خبره: ابن هشام ٤/٢٢ فما بعدها؛ وابن سعد ٢/١٣٤؛ وابن جرير ٣/٣٨ ـ ٦١ وابن كثير ٤/١٦٤ وزاد المعاد ٣/١١٩، ٢٨٦؛ وصحيح البخاري ٥/٦١.

(٤) في ط (فان).

(٥) في نسخة س (فإن المسالم قد لا يجالد ولا يجادل).

(٦) سقطت (قد) من أ.

(٧) في ط (يجادل ويجالد).

فإن[1] كان إيجابه لجهاد المحارب المبتدىء بالقتال لا ينافي مجادلته، فلأن يكون جهاد من لا يبدأ القتال لا ينافي مجادلته أولى وأحرى، فإن من كان أبعد عن القتال كانت مجادلته أقل منافاة للقتال ممن يكون أعظم قتالاً. يبين هذا:

الوجه الخامس: و[2] هو أن يقال المنسوخ هو الاقتصار على الجدال، فكان النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في أول الأمر مأموراً أن يجاهد الكفار بلسانه لا بيده، فيدعوهم ويعظهم ويجادلهم بالتي هي أحسن، ويجاهدهم بالقرآن جهاداً كبيراً قال ـ تعالى ـ في سورة الفرقان وهي مكية:

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾[3].

وكان مأموراً بالكف عن قتالهم لعجزه وعجز المسلمين عن ذلك، ثم لما هاجر إلى المدينة وصار له بها أعوان أذن له في الجهاد، ثم لما قووا كتب عليهم القتال ولم يكتب عليهم قتال من سالمهم؛ لأنهم لم يكونوا يطيقون قتال جميع الكفار.

فلما فتح الله مكة وانقطع قتال قريش ملوك العرب، ووفدت إليه وفود العرب بالإسلام أمره الله ـ تعالى ـ بقتال الكفار كلهم إلا من كان له عهد مؤقت، وأمره بنبذ العهود المطلقة، فكان الذي رفعه ونسخه ترك القتال.

وأما مجاهدة الكفار باللسان، فما زال مشروعاً من أول الأمر إلى آخره،

---

(١) في ط (فإذا).

(٢) سقطت الواو من ط.

(٣) سورة الفرقان: ٥١، ٥٢.

فإنه إذا شرع جهادهم باليد، فباللسان أولى، وقد قال النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ : «جاهدوا المشركين بأيديكم وألسنتكم وأموالكم»[1].

وكان ينصب لحسان منبراً في مسجده يجاهد فيه المشركين بلسانه جهاد هجو[2] وهذا كان بعد نزول آيات القتال، وأين منفعة الهجو من منفعة إقامة الدلائل والبراهين على صحة الإسلام وإبطال[3] حجج الكفار من المشركين وأهل الكتاب؟

الوجه السادس: أنه من المعلوم أن القتال إنما شرع للضرورة، ولو أن الناس آمنوا بالبرهان والآيات لما احتيج إلى القتال، فبيان آيات الإسلام وبراهينه واجب مطلقاً وجوباً أصلياً.

وأما الجهاد: فمشروع للضرورة، فكيف يكون هذا مانعاً من ذلك؟

فإن قيل: الإسلام قد ظهرت أعلامه وآياته فلم يبق[4] حاجة إلى

---

(١) رواه أبو داوود في كتاب الجهاد، باب كراهية ترك الغزو ٣/ ٢٢ (٢٥٠٤) من حديث أنس بن مالك ولفظه: «جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم». ورواه النسائي في الجهاد، باب وجوب الجهاد بلفظه، من حديث أنس ٦/ ٧ ورواه أحمد ٣/ ١٥٣، ٢٥١، ١٢٤. وليس فيه لفظة (وبأيديكم). ورواه الدارمي في الجهاد/ باب جهاد المشركين باللسان واليد ٢/ ٢١٣ وفيه (وأنفسكم) بدل (بأيديكم) والمعنى واحد وقد صححه الإمام النووي ــ رحمه الله ــ في رياض الصالحين/ كتاب الجهاد ص ٦٠٢ فقال: «رواه أبو داوود بإسناد صحيح». وكذلك صححه ابن حبان حديث (١٦١٨)؛ والحاكم في المستدرك ٢/ ٨١؛ كتاب الجهاد، وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٢) سيأتي تخريجه ــ إن شاء الله ــ في المواضع التي ذكر المؤلف فيها الأحاديث صريحة في ذلك.

(٣) سقطت (وإبطال) من أ.

(٤) في ك، ط بالمثناة الفوقية.

إظهار آياته، وإنما يحتاج إلى السيف.

قيل: معلوم أن الله وعد بإظهاره على الدين كله ظهور علم وبيان وظهور سيف وسنان، فقال ـ تعالى ـ:

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾(١).

وقد فسَّر العلماء ظهوره بهذا وهذا. ولفظ الظهور يتناولهما فإن ظهور الهدى بالعلم والبيان وظهور الدين باليد والعمل، والله ـ تعالى ـ أرسل(٢) رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الذين كله.

ومعلوم أن ظهور الإسلام بالعلم والبيان قبل ظهوره باليد والقتال؛ فإن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ مكث بمكة ثلاث عشرة سنة، يظهر الإسلام بالعلم والبيان والآيات والبراهين، فآمنت به المهاجرون والأنصار طوعاً واختياراً بغير سيف؛ لما بان لهم من الآيات البينات، والبراهين والمعجزات، ثم أظهره بالسيف فإذا وجب علينا جهاد الكفار بالسيف ابتداء ودفعاً، فلأن يجب علينا بيان الإسلام وإعلامه ابتداء ودفعاً لمن يطعن فيه بطريق الأولى والأحرى.

فإن وجوب هذا قبل وجوب ذاك ومنفعته قبل منفعته، ومعلوم أنه يحتاج كل وقت إلى السيف، فكذلك هو محتاج إلى العلم والبيان وإظهاره بالعلم والبيان من جنس إظهاره بالسيف وهو ظهور مجمل علا به على كل دين، مع أن كثيراً من الكفار لم يقهره سيفه(٣)، فكذلك كثير

---

(١) سورة الصف: الآية ٩.

(٢) في ك (أرسله بالهدي).

(٣) في س، ك (بسيفه).

من الناس لم يظهر لهم آياته وبراهينه، بل قد يقدحون فيه ويقيمون الحجج[1] على بطلانه، لا[2] سيما ـ والمقهور[3] بالسيف ـ فيهم منافقون كثيرون، فهؤلاء جهادهم بالعلم والبيان دون السيف والسنان يؤكد هذا:

الوجه السابع: وهو أن القتال لا يكون إلا لظالم، فإن من قاتل المسلمين لم يكن إلا ظالماً معتدياً[4]، ومن قامت عليه الحجة فشاق الرسول من بعد ما تبين له الهدى واتبع غير سبيل المؤمنين لم يكن إلا ظالماً.

وأما المجادلة فقد تكون لظالم: إما طاعن في الدين بالظلم، وإما من قامت عليه الحجة الظاهرة. فامتنع من قبولها، وقد تكون لمسترشد طالب حق لم يبلغه.

و[5]إما من بلغه بعض أعلام نبوة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ودلائل نبوته ولكن عورض ذلك عنده بشبهات تنافي ذلك، فاحتاج[6] إلى جواب تلك المعارضات.

وإما طالب لمعرفة دلائل النبوة على الوجه الذي يعلم به ذلك.

فإذا كان القتال الذي لا يكون إلا لدفع ظلم المقاتل مشروعاً،

---

(١) في ط (حججهم).
(٢) في ط (ولا).
(٣) في ط (والمقهورون).
(٤) في ط (متعدياً).
(٥) سقطت الواو من ط.
(٦) أي: فهو محتاج إلى جواب تلك المعارضات.

فالمجادلة التي تكون لدفع ظلمه ولانتفاعه وانتفاع[1] غيره مشروعة بطريق الأولى.

قال مجاهد[2]:

﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ﴾[3].

قال: الذين ظلموا: من قاتلك ولم يعطك الجزية، وفي لفظ آخر عنه قال: الذين ظلموا: منهم أهل الحرب من لا عهد لهم[4] المجادلة لهم بالسيف.

وفي رواية عنه قال: لا تقاتل[5] إلا من قاتلك[6] ولم يعطك[7] الجزية.

وفي رواية عنه قال: من أدى[8] منهم الجزية فلا تقولوا له[9] إلا خيراً، وعن مجاهد: إلا بالتي هي أحسن، فإن قالوا: شراً فقولوا: خيراً[10]. فهذا مجاهد لا يجعلها منسوخة وهي قول أكثر المفسرين.

---

(١) في ط (وامتناع) وهو خطأ صوابه ما أثبتناه من سائر النسخ.

(٢) في س: قال مجاهد: في قوله ــ تعالى ــ ... (٣) الآية من سورة العنكبوت: ٤٦.

(٤) في س، ك (له).

(٥) في س، ك (تقاتل) كما أثبتناه وفي ط (تقاتلوا).

(٦) في س، ك (قاتلك) وفي ط (قاتلكم).

(٧) في س، ك (يعطيك) وفي ط (يعط).

(٨) في س (من أعطى).

(٩) في ط(لهم).

(١٠) أخرج هذه الأقوال كلها عن مجاهد الإمام ابن جرير في تفسير آية: ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن...﴾ الآية من سورة العنكبوت: ٤٦ في ٢/٢١ (المجلد ٨) وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٤٧/٥ إلى الفريابي وابن المنذر، وابن أبي حاتم. عن مجاهد.

قال عبد الرحمن بن [1] زيد بن أسلم:

﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ . . .﴾[2].

ليست منسوخة[3]، ولكن عن قتادة قال: نسختها: (اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) ولا مجادلة أشد من السيف[4].

والأول أصح[5]؛ لأن هؤلاء من الذين ظلموا فلا ___________

---

(١) في ط(يزيد) وهو خطأ، وسبقت ترجمته.

(٢) سورة العنكبوت: الآية ٤٦.

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره بسنده، وقال: حدثني يونس، قال أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد: في قوله: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِي أَحْسَنُ﴾. قال: ليست بمنسوخة. . . وذكر تمام الكلام في ٣/٢١ (مجلد ٨).

(٤) أخرجه ابن جرير في تفسيره ٣/٢١ (مجلد ٨) بسنده. قال: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ ثم نسخ بعد ذلك، فأمر بقتالهم في سورة براءة، ولا مجادلة أشد من السيف، أن يقاتلوا حتى يشهدوا أن لا إله إلَّا الله، وأن محمداً رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ أو يقروا بالخراج. وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٤٧/٥ إلى ابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن الأنباري، وأبي داوود في ناسخه.

(٥) قال ابن جرير ــ رحمه الله ــ : «لا معنى لقول من قال: نزلت هذه الآية قبل الأمر بالقتال، وزعم أنها منسوخة. لأنه لا خبر بذلك يقطع العذر، ولا دلالة على صحته، من فطرة وعقل. وقد بينا في غير موضع من كتابنا: أنه لا يجوز أن يحكم على حكم الله في كتابه، بأنه منسوخ، إلا بحجة يجب التسليم لها، من خبر أو عقل.
راجع تفسير ابن جرير ٣/٢١ مجلد ٨.
وانظر زاد المسير لابن الجوزي ٢٧٦/٦؛ والقرطبي ٣٥٠/١٣ (مجلد ٧) وابن كثير ٤١٥/٣؛ والشوكاني ٢٠٥/٤؛ وفي ظلال القرآن ٢٧٤٥/٥.
قلت: وما رجحه ابن جرير، وابن تيمية هو قول أكثر المفسرين. وهو الذي يطمئن إليه القلب، فمجادلة الذين لم يظلموا من أهل الكتاب بالتي هي أحسن، هي التي يتم بها تقرير الحق، ودحض الباطل، وإزالة الشبهات، وإقامة الحجة؛ وإقناع الآخرين بضرورة الأخذ بدين الإسلام، والتنبيه على حججه وبراهينه. فإنه لا نجاة ولا طمأنينة إلا به، إذن فالمجادلة أمر مطلوب، على سبيل الدعوة إلى الله، وذلك =

نسخ[١].

ومما يعجب منه أن بعض المنكرين لمجادلة الكفار بناء على ظهور دلائل النبوة نجده[٢] هو ومن يعظمه من شيوخه الذين يعتمد في أصول الدين على نظرهم ومناظرتهم، ويزعمون أنهم قرروا دلائل النبوة قد[٣] أوردوا من الشبهات والشكوك والمطاعن على دلائل النبوة ما يبلغ نحو ثمانين سؤالاً، وأجابوا عنه بأجوبة لا تصلح أن تكون جواباً في المسائل الظنية، بل هي إلى تقرير شبه الطاعنين أقرب منها إلى تقرير أصول الدين.

وهم كما مثلهم الغزالي[٤] وغيره بمن يضرب شجرة ضرباً يزلزلها به، وهو يزعم أنه يريد أن يثبتها، وكثير من أئمة هؤلاء مضطرب في الإيمان بالنبوة اضطراباً ليس هذا موضع بسطه[٥]، وهم مع ذلك يدعون

= مع من لم يظلم منهم، بأن نصب القتال، وأعلن العداء، فجدال هؤلاء بالسيف حتى يسلموا، أو يعطوا الجزية عن يدوهم صاغرون، والله أعلم.

(١) من قوله: قال مجاهد... إلى قوله فلا نسخ. ساقط من أو ألحقناه من باقي النسخ.

(٢) في ك (تجده) بالمثناة الفوقية.

(٣) في أ (وقد) بزيادة واو، وما أثبتناه من سائر النسخ أولى.

(٤) هو محمد بن محمد الغزالي، الطوسي، يكنى بأبي حامد، والغزالي، نسبة إلى غزالة، من قرى طوس. والغزالي فيلسوف، متصوف، ولد سنة ٤٥٠هـ في طوس بخراسان، ورحل إلى نيسابور، ثم إلى بغداد، فالحجاز، فالشام فمصر؛ ثم عاد إلى بلده ومات بها سنة ٥٠٥هـ.
له مصنفات كثيرة. منها: إحياء علوم الدين. في أربعة مجلدات، والاقتصاد في الاعتقاد؛ وتهافت الفلاسفة، وغيرها.
راجع في ترجمته: الوافي بالوفيات ١/٢٧٧؛ ووفيات الأعيان ٤/٢١٦؛ وشذرات الذهب ٤/١٠؛ والعبر في خبر من غبر ٤/١٠.

(٥) يعني المؤلف ــ رحمه الله ــ بهؤلاء الفلاسفة الذين رد عليهم أبو حامد الغزالي في كتابه تهافت الفلاسفة.

أنه قد ظهر عند أهل الكتاب ما لم يظهر عند شيوخ هؤلاء النظار وينهون عن إظهار آيات الله وبراهينه التي هي غاية مطالب مشايخهم وهم لم يعطوها حقها، إما عجزاً وإما تفريطاً.

الوجه الثامن(١): أن كثيراً من أهل الكتاب يزعم أن محمداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وأمته إنما أقاموا دينهم بالسيف لا بالهدى والعلم والآيات، فإذا طلبوا العلم والمناظرة فقيل لهم: ليس لكم جواب إلا السيف، كان هذا مما يقرر ظنهم الكاذب، وكان هذا من أعظم ما يحتجون به عند أنفسهم على فساد الإسلام، وأنه ليس دين رسول من عند الله، وإنما هو دين ملك أقامه بالسيف(٢).

---

(١) في أ (السابع) وصححناه من سائر النسخ.

(٢) شبهة قيام الإسلام وانتشاره بالسيف شبهة يرددها الخصوم إلى اليوم. وهي متهافتة عند من له أدنى علم بتاريخ المسلمين وحروبهم، والجواب عنها يتلخص في النقاط التالية:

أولاً: أنه إنما جاهد المسلمون ليدفعوا عن أنفسهم الأذى والفتنة؛ وليحقق لهم الأمن على أنفسهم، وأموالهم، وعقيدتهم. فالقتال إنما هو لتقرير حرية العقيدة.

وثانياً: لتقرير حرية الدعوة إلى الله. فلقد جاء الإسلام بأرقى نظام للحياة البشرية، وعندما يبلغ هذا النظام إلى أسماع البشر فمن شاء بعد البلاغ والبيان فليؤمن، ومن شاء فليكفر، ولا إكراه في الدين. ولكنه ينبغي إزالة العقبات والحواجز في طريق هذا الدين.

ثالثاً: ثم جاهد الإسلام ليقيم في الأرض نظامه الخاص، ويقرره، ويحميه وهو وحده الذي يكفل للإنسان الحرية التامة تجاه أخيه الإنسان حينما يقرر أن العبودية لله وحده، ويلغي من الأرض عبودية البشر للبشر.

يقول سيد قطب ـ رحمه الله ـ: «لم يحمل الإسلام السيف إذن ليكره الناس على اعتناقه عقيدة، ولم ينتشر بالسيف على هذا المعنى كما يريد بعض أعدائه أن يتهموه إنما جاهد ليقيم نظاماً آمناً يأمن في ظله أصحاب العقائد جميعاً... وكانت قوة الإسلام ضرورية لوجوده، وانتشاره، واطمئنان أهله على عقيدتهم، واطمئنان من يريدون اعتناقه على أنفسهم، وإقامة هذا النظام الصالح، وحمايته، ولم يكن الجهاد =

الوجه التاسع[1]: أنه من المعلوم أن السيف ـ لا سيما سيف المسلمين وأهل الكتاب ـ هو تابع للعلم والحجة، بل وسيف المشركين هو تابع لآرائهم واعتقادهم، والسيف[2] من جنس العمل، والعمل ـ أبداً ـ تابع للعلم والرأي.

وحينئذ فبيان دين الإسلام بالعلم وبيان أن ما خالفه ضلال وجهل هو تثبيت لأصل دين الإسلام، واجتناب لأصل غيره من الأديان التي يقاتل عليها أهلها، ومتى ظهر[3] صحته وفساد غيره كان الناس أحد رجلين:

إما رجل تبين له الحق فاتبعه، فهذا هو المقصود الأعظم من إرسال الرسل.

وإما رجل لم يتبعه، فهذا[4] قامت عليه الحجة: إما لكونه لم ينظر في أعلام الإسلام، أو نظر وعلم فاتبع هواه، أو قصر.

وإذا قامت عليه الحجة كان أرضى لله ولرسوله وأنصر لسيف الإسلام وأذل لسيف الكفار، وإذاقدر أن فيهم من يعجز عن فهم الحجة، فهذا إذا[*] لم يكن معذوراً مع عدم قيامها فهو مع قيامها أولى أن لا يعذر، وإن كان معذوراً مع قيامها فهو مع عدمها أعذر، فعلى

= أداة قليلة الأهمية، ولا معدومة الضرورة في حاضره، ومستقبله، كما يريد أخبث أعدائه أن يوحوا للمسلمين...».

انظر في ظلال القرآن ١/٢٩٥ وله حديث في هذا جيد من ص ٢٩٣ إلى ص ٢٩٦.

(١) في أ (الثامن) وهو خطأ صححناه من سائر النسخ.

(٢) في ك (فالسيف).

(٣) في ط (ظهرت).

(٤) في ط (فهذا رجل).

(*) في ط (إذاً) ولا يستقيم الكلام بذلك.

التقديرين قيام الحجة أنصر وأعذر، وقد قال ـ تعالى ـ :

﴿ . . . وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾[1].

وقال[2] ـ تعالى ـ :

﴿ . . . لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ . . . ﴾[3].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا ۝ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴾[4].

وقال النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : «ما أحد أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين ومنذرين»[5].

● ● ●

---

(١) سورة الإسراء: الآية ١٥.

(٢) في ك (وقد قال) وفي ط(قال) بدون (واو) وبدون (قد).

(٣) سورة النساء: الآية ١٦٥ وقد جاءت في ط، من أولها: ﴿رسلًا مبشرين ومنذرين. . . الآية﴾.

(٤) سورة المرسلات: الآيتان ٥، ٦.

(٥) هذا قطعة من حديث ورد في صحيح البخاري/ كتاب التوحيد/ باب قول النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لا شخص أغير من الله برواية المغيرة بن شعبة ـ رضي الله عنه ـ ٨/١٧٤؛ ورواه مسلم في كتاب اللعان ٢/١١٣٦ (١٧)؛ ورواه في التوبة/ باب غيرة الله تعالى؛ من طرق متعددة عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ ٤/٢١١٤؛ ورواه أحمد من حديث المغيرة في المسند ٤/٢٤٨.

فـصـل

من أدلّة عموم رسالة محمَّد ــ صلى الله عليه وسلم ــ: ١ ــ إسلام النجاشي رحمه الله

وكان قبل قصة نجران قد آمن به[١] كثير من اليهود[٢] والنصارى رؤساؤهم وغير رؤسائهم[٣] لما تبيَّن لهم أنه رسول الله إليهم: كما آمن به النجاشي ملك الحبشة، وكان نصرانياً هو وقومه، وكان إيمانه به في أول أمر النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ لما كان أصحابه مستضعفين بمكة[٤]، وكان الكفار يظلمونهم ويؤذونهم ويعاقبونهم على الإيمان بالله ورسوله، فهاجر منهم طائفة مثل عثمان بن عفان، وعبد الرحمن[٥] بن عوف، والزبير بن العوام[٦]، وعبد الله بن مسعود[٧]، وجعفر بن

---

(١) في ك، ط (بالنبي).

(٢) سقطت (اليهود) من أ.

(٣) في ك (رؤساهم وغير رؤساهم) وفي أ، س (رؤسهم وغير رؤسهم).

(٤) سقطت (بمكة) من أ.

(٥) عبد الرحمن بن عوف القرشي، الزهري، أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة الذين توفي رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وهو عنهم راضٍ، أسلم قديماً، وهاجر الهجرتين، وشهد بدراً والمشاهد كلها، كان باذلاً ماله في سبيل الله مات سنة ٣٢هـ.
راجع الاستيعاب ٢/٣٨٥؛ والإصابة ٢/٤٠٨ (٥١٨١)؛ والتهذيب ٦/٢٤٤.

(٦) الزبير بن العوام القرشي الأسدي. أسلم قديماً، وهاجر الهجرتين، وشهد المشاهد كلها، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة. وأول من سل سيفاً في سبيل الله. وورد في البخاري ٤/٢١١؛ ومسلم ٤/١٨٧٩، أنه حواري رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ استشهد يوم الجمل سنة ٣٦هـ.
راجع: الاستيعاب ١/٥٦٠؛ والإصابة ١/٥٢٦؛ والتهذيب ٣/٣١٨؛ والرياض المستطابة ٧٤؛ وصحيحي البخاري ومسلم ٤/٢١٠، ٤/١٨٧٩.

(٧) عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلي. أسلم قديماً، وهاجر الهجرتين، وشهد =

أبـي طالب[1]، وغيرهم من الـرجال والنسـاء إليه[2] وكـان ملكاً عـادلاً، فأرسل الكفار خلفهم رسلاً[3] بهدايا ليردهم[4] إليهم. فامتنـع من عدلـه أن يسلمهم إليهم حتى يسمع كلامهم، فلما سمع كلامهم وما أخبـروه به من أمـر النبـي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ آمن بـالنبـي ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ وآواهم.

ولما سمع القرآن قال: إن هـذا والذي جـاء به مـوسى ليخرج من مشكـاة واحدة. ولمـا سألهم عن قـولهم في المسيـح ـ عليـه السـلام ـ قالوا: نشهد أنه عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مـريم العذراء البتـول التي لم يمسهـا رجل[5]، فقـال النجـاشي لجعفـر بن أبـي طـالب: والله ما زاد عيسى بن مريم على ما قلت هذا العـود فنخرت أصحـابه، فقـال: وإن نخرتم، وإن نخرتم[6]. وبعث ابنه وطائفـة من أصحابـه إلى النبـي

= المشاهد كلها، ولازم النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وحدث عنه كثيراً، كان فقيهـاً من فقهاء الصحابة، وقارئاً وهو أحد العشرة، وأحد الستة. ومناقبه كثيـرة جداً، مـات سنة ٣٢هـ بالمدينة.

راجـع: الاستيعـاب ٢/٣٠٨؛ والإصـابـة ٢/٣٦٠؛ والتهـذيب ٦/٢٧؛ وصحيح البخاري ٤/٣١٨؛ وصحيح مسلم ٤/١٩١٠.

(١) سبقت ترجمته.

(٢) سقطت (إليه) من أ، س، وزدناها من ك لكـون السياق يقتضي ذلـك وجاءت في ط (إلى بلده).

(٣) في ك، ط (رسلاً إلى أرض الحبشة، أرض النجاشي)، وهي زيادة يستغنى عنها.

(٤) في س (ليردوهم).

(٥) في أ (فحـل) والفحل الـذكر من كـل حيوان جمعـه فحول ورجـل فحيـل فحـل بين الفحولة والفحالة، وفحل فحيل كريم منجب في ضرابه.

انـظر: القـامـوس المحيط ٤/٢٨، بـاب الـلام، فصـل الفـاء والمصبـاح المنيـر ٢/٦٣٣ ـ ٦٣٤.

(٦) سقطت (الجملة الثانية) من س، ونخر (بفتح النون والخاء) ينخر نخيراً: مد الصوت في خياشيمه. =

ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ مع جعفر بن أبي طالب، وقدم جعفر على النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ عام خيبر[1]، وقد ذكر قصتهم جماعة من العلماء والحفاظ، كأحمد بن حنبل في المسند[2]، وابن سعد في الطبقات[3]، وأبي نعيم في الحلية[4] وغيرهم، وذكرها أهل التفسير، والحديث، والفقه، وهي متواترة عند العلماء.

قال أحمد: حدثني يعقوب بن إبراهيم بن سعيد[5]، عن أبيه[6] قال: حدثنا محمد بن إسحاق[7]، حدثني محمد بن مسلم بن عبد

= انظر: القاموس المحيط، باب الراء، فصل النون ٢/١٣٩.

(١) هذا كله من أول الفصل إلى هذا الموضع، إجمال من الشيخ ـ رحمه الله ـ لهذه الأحداث التي حدثت في السيرة، سيورد تفصيلاً لبعضها فيما بعد.

(٢) رواها الإمام أحمد في مسنده من حديث أم سلمة ـ رضي الله عنه ـ ١/٢٠١، ٢٠٣، وسيأتي تخريجها عند ذكر الشيخ لها بعد أسطر قليلة وكذلك ترجمة رجال السند.

(٣) رواها ابن سعد في الطبقات الكبرى ١/٢٠٧.

(٤) رواها أبو نعيم في الحلية بسنده عن أبي بردة عن أبيه؛ وذكر القصة بتمامها في ١/١١٤ ـ ١١٧ (ط دار الكتاب العربي)؛ كذلك رواها في دلائل النبوة ص ١٩٩ ـ ٢٠٣.

(٥) في ك (سعد)، وهو خطأ ويعقوب هو: يعقوب بن إبراهيم بن سعيد الزهري، قال ابن حجر في تقريب التهذيب ٢/٣٧٤ (٣٦٩): «ثقة فاضل مات سنة ٢٠٨.
وانظر تهذيب التهذيب ١١/٣٨٠.

(٦) إبراهيم بن سعيد الزهري. قال ابن حجر في تقريب التهذيب ١/٣٥ (٢٠٢): «ثقة حجة؛ تكلم فيه بلا قادح مات سنة ١٨٥هـ».

(٧) محمد بن إسحاق بن يسار المدني المطلبي مولاهم. نزيل العراق، إمام المغازي، صدوق يدلس، ورمي بالتشيع والقدر، من صغار الخامسة. مات سنة ١٥٠هـ. وقيل بعدها.
تقريب التهذيب ٢/١٤٤ (٤٠)؛ وميزان الاعتدال ٣/٤٦٨؛ وتهذيب التهذيب ٩/٣٨ ـ ٤٦.

الله بن شهاب الزهري[1]، عن أبي بكر[2] بن عبد الرحمن بن الحارث بن[3] هشام المخزومي، عن أم سلمة[4] بنت أبي أمية بن المغيرة زوج النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ـ ورضي الله[5] عنها ـ قالت[6]: لما نزلنا[*] أرض الحبشة جاورنا بها خير جار (النجاشي) أمنا على ديننا، وعبدنا الله لا نؤذى ولا نسمع شيئاً نكرهه، فلما بلغ ذلك قريشاً ائتمروا أن يبعثوا إلى النجاشي فينا رجلين جلدين، وأن يهدوا للنجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة، وكان أعجب ما يأتيه منها إليه الأدم[7] فجمعوا له أدماً كثيراً، ولم يتركوا من بطارقته[8] بطريقاً إلَّا أهدوا له هدية، ثم بعثوا بذلك عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة

---

(١) محمد بن مسلم بن شهاب الزهري. فقيه حافظ متقن وسبقت ترجمته كاملة.

(٢) أبو بكر قيل اسمه محمد وقيل المغيرة، وقيل أبو بكر اسمه. ثقة فقيه عابد، مات سنة ٩٤هـ. انظر تقريب التهذيب ٢/٣٩٨ (٥٤).

(٣) سقطت (ابن) من س.

(٤) أم سلمة، هند بنت أبي أمية بن المغيرة، المخزومية. أم المؤمنين، تزوجها النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بعد أبي سلمة سنة أربع وقيل ثلاث، وعاشت بعد ذلك ستين سنة ماتت سنة ٦٢هـ.
انظر: تقريب التهذيب ٢/٦١٧؛ والإصابة ٤/٤٠٧ (١٠٩٢)؛ والاستيعاب ٤/٤٠٥؛ حاشية الإصابة.

(٥) سقط لفظ الجلالة من أ، ط.

(٦) في أ، س زيادة (أنها) وليست في المسند.

(*) رجال السند كلهم رجال الصحيح. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/٢٤، ٢٧: «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح. غير ابن إسحاق، وقد صرح بالسماع».
وانظر: الفتح الرباني ٢٠/٢٢٩ وفيه قال: (الحديث صحيح).

(٧) الأدم: جمع أديم، وهو الجلد المدبوغ، وجمعه أدم بفتحتين أو ضمتين.
انظر المصباح المنير ١/١٢.

(٨) البطارقة: جمع بطريق، والبطريق قال في القاموس المحيط ٣/٢١٤، باب القاف فصل الباء: القائد من قواد الروم تحت يده عشرة آلاف رجل، وجاء في تفسير =

المخزومي[1]، وعمرو بن العاص بن وائل السهمي[2]، وأمروهما أمرهم، وقالوا لهما: ادفعا[3] إلى كل بطريق هديته قبل أن تكلموا النجاشي فيهم ثم قدموا إلى النجاشي هداياه، ثم اسألوه أن يسلمهم إليكم قبل أن يكلمهم. قالت: فخرجا فقدما على النجاشي، ونحن عنده بخير دار عند خير جار، فلم يبقَ من بطارقته بطريق إلَّا دفعا إليه هديته قبل أن يكلما النجاشي، ثم قالا لكل بطريق منهم: أنه قد صبأ[4]

= غريب الحديث لابن حجر ص ٣٥ أنه الحاذق بالحرب بلغة الروم.
قلت: هذا معنى من معانيه، والمعروف أنه يعني عند النصارى مرتبة دينية هي عندهم ــ بمنزلة الأئمة أصحاب المذاهب لنا، (والمطارنة) كالقضاة، (والأساقفة) كالمفتين (والقسيسون) كالقراء، (والجاثليق) كإمام الصلاة، (والشمامسة) كالمؤذنين والقائمين بالمساجد. انظر: تاريخ ابن الوردي ١/١٢٧، ١٢٨.

(١) عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة القرشي؛ والد عمر بن أبي ربيعة الشاعر المشهور. كان اسمه بجيراً، بالموحدة والجيم المعجمة مصغراً فغيره النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ أسلم يوم الفتح؛ وكان من أحسن قريش وجهاً. ولاه عمر على اليمن واستمر على ذلك في عهد عثمان، ثم لما حصر عثمان ــ رضي الله عنه ــ جاء لينصره، فسقط عن راحلته بقرب مكة فمات ــ رضي الله عنه ــ.
راجع: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٢/٢٨٩؛ هامش الإصابة؛ والإصابة ٢/٢٩٧؛ والتهذيب ٥/٢٠٨.

(٢) عمرو بن العاص بن وائل القرشي، السهمي. أسلم قبل الفتح في صفر سنة ٨هـ. وقيل: بين الحديبية وخيبر. كان النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ يقربه، ويدنيه، وتولى غزوة ذات السلاسل ثم استعمله على عمان، افتتح قنسرين، وصالح أهل حلب، ومنبج، وأنطاكية؛ وولاه عمر فلسطين. ثم تولى أمرة مصر، وهو الذي افتتحها. وكان من دهاة العرب المعدودين. مات ــ رضي الله عنه ــ سنة ٤٣هـ بعد عمر دام ٩٠ سنة.
راجع: الاستيعاب ٢/٥٠١؛ والإصابة ٣/٢ ــ ٣؛ والتهذيب ٨/٥٦ ــ ٥٧.

(٣) في أ، س، ك (ادفعوا) وصححناه من المسند، و ط.

(٤) صبأ أي: خرج من دين إلى دين، مهموز وقد يسهل. انظر المصباح المنير ١/٤٥٤؛ وتفسير غريب الحديث لابن حجر ص ١٣٩ ــ ١٤٠.

إلى بلد الملك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينكم، وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم، وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشراف قومهم[1] لنردهم إليهم، * فإذا كلمنا الملك فيهم فتشيروا[2] * عليه أن يسلمهم إلينا ولا يكلمهم[3]، فإن قومهم أعلى بهم عيناً[4]، وأعلم بما عابوا عليهم، فقالوا لهما: نعم ثم إنهما قرَّبا هداياهم إلى النجاشي فقبلها منهما، ثم كلماه فقالا له[5]: (أيها الملك، إنه قد صبا[6] إلى بلدك منا[7] غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك، وجاءوا بدين مبتدع[8] لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم إليهم[9]، فهم أعلا بهم عيناً، وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه)[10].

قالت: ولم يكن شيء أبغض إلى عبد الله بن أبي ربيعة[11] وعمرو بن العاص[12] من أن يسمع النجاشي كلامنا.

---

(١) في جميع النسخ زيادة ليست في المسند (قومهم من آبائهم وأعمالهم وعشائرهم).

(٢) ما بين النجمتين ساقط من جميع النسخ وهو في المسند.

(٣) جملة (فتشيروا عليهم أن يسلمهم إلينا ولا يكلمهم) ساقطة من أ، س.

(٤) أعلى بهم عيناً. أي: أبصر بهم، فعينهم وأبصارهم فوق عين غيرهم في أمرهم. انظر الفتح الرباني ٢٠/٢٢٧.

(٥) جملة (ثم كلماه فقالا له) ساقطة من أ، س.

(٦) في جميع النسخ (ضوى)، وما أثبتناه من المسند.

(٧) في جميع النسخ (منك)، صوابه ما أثبتناه من المسند.

(٨) في جميع النسخ (ابتدعوه)، وما أثبتناه من المسند.

(٩) في جميع النسخ (عليهم)، وصوبناه من المسند.

(١٠) ما بين القوسين ساقط من أ، س.

(١١) سبقت ترجمته. (١٢) سبقت ترجمته.

فقالت بطارقته حوله: صدقوا أيها الملك قومهم أعلا بهم عيناً وأعلم بما عابوا عليهم، فأسلمهم إليهما فليرادهم إلى بلادهم وقومهم.

قالت[1]: فغضب النجاشي، ثم قال لا ها[2] الله أيم الله إذاً لا أسلمهم إليهما ولا أكاد[3] قوماً جاوروني ونزلوا بلادي واختاروني على من سواي، حتى أدعوهم فأسألهم ما يقول هذان في أمرهم، فإن كانوا كما يقولون أسلمتهم إليهما ورددتهم إلى قومهم، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهما وأحسنت جوارهم ما جاوروني.

قالت: ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فدعاهم، فلما جاءهم رسوله اجتمعوا، ثم قال بعضهم لبعض: ما تقولون للرجل إذا جئتموه[4]؟ قالوا[5]: نقول: والله ما علمنا وما أمرنا[6] به نبينا ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ كائن في ذلك ما هو كائن.

فلما جاءوه * زاد أبو نعيم[7] * وقد دعى النجاشي أساقفته

---

(١) في جميع النسخ وفي المسند (قال)، وما أثبتناه من ط، أصح لأن الراوية أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ.

(٢) سقطت (ها ولفظ الجلالة) من ط ومكانها (و)، والصواب ما أثبته من سائر النسخ ومن المسند؛ ولاه الله الخلق خلقهم، كأنه يقسم بخالق الخلق، (وأيم الله) من ألفاظ القسم كقولك لعمر الله وعهد الله.
انظر الفتح الرباني ٢٠/٢٢٧.

(٣) بضم الهمزة، فعل مبني للمجهول، أي: ولا يقدر أحد على أن يكيدني بسبب منعهم، والمعنى أنه لا يسلمهم أبداً، ولا يهمه في ذلك شيء، ولا يخشى أن يلقى فيه كيداً.
انظر الفتح الرباني ٢٠/٢٢٨.

(٤) في ط (إذا أجبتموه).

(٥) في أ، ط (قال)، وصوابه ما أثبتناه من س، ك، وهو الموافق للمسند.

(٦) في جميع النسخ (جاء)، وما أثبته من المسند.

(٧) ما بين النجمتين ساقط من أ، وأثبتناه من سائر النسخ وليس في المسند.

ومعهم[١] مصاحفهم حوله[٢]، فلما جاءوه[٣] ـ فسألهم فقال: ما هذا الدين الذي[٤] فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا في ديني ولا في دين أحد من هذه الأمم؟[٥].

قالت: فكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب، فقال:

أيها الملك، كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه، وصدقه، وأمانته، وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده، ونعبده، نخلع ما كنا نحن نعبد[٦] وآباؤنا[٧] من دونه من الحجارة، والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم، والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات[٨]، وأمرنا أن نعبد الله لا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة[٩]، والصيام. قالت: فعدد عليه أمور الإسلام، قال: فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به، فعبدنا الله وحده، فلم نشرك به

---

(١) سقطت (معهم) من أ.
(٢) سقطت (حوله) من س.
(٣) سقطت (فلما جاءوه) من س، ك.
(٤) سقطت (الذي) من ط.
(٥) في ط (الأمة).
(٦) في ط (نعبد نحن).
(٧) في أ، س (وأبانا) وفي ط وأباءنا، والصواب ما أثبتناه من ك.
(٨) في ط (المحصنة).
(٩) سقطت (والزكاة) من ط.

شيئاً وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فعدا[1] علينا قومنا فعذبونا[2] وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان عن[3] عبادة الله، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا، وظلمونا، وشقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلدك واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك، قالت: فقال له النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟

قالت: فقال له جعفر: نعم، فقال له[4] النجاشي: فأقرأه عليَّ، فقرأ عليه صدراً من سورة مريم:

﴿كٓهيعٓصٓ ۝١ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝٤ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ۝٧ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ۝٨ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ۝٩ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ۝١٠ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ۝١١ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ۝١٢ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا ۝١٣ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ۝١٤

---

(١) في ط (فعدنا) وهو تحريف.

(٢) في ط (فعذبوا).

(٣) في أ (من).

(٤) سقطت له من (ط).

وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا ﴿١٥﴾ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ
ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا
رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ﴿١٧﴾ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ﴿١٨﴾ قَالَ
إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ﴿١٩﴾ قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ
يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞۖ وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ
ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةٗ مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا ﴿٢١﴾ ۞ فَحَمَلَتۡهُ فَٱنتَبَذَتۡ بِهِۦ
مَكَانٗا قَصِيّٗا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ قَالَتۡ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا
وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ
سَرِيّٗا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي
وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ
ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتۡ بِهِۦ قَوۡمَهَا تَحۡمِلُهُۥۖ قَالُواْ يَٰمَرۡيَمُ لَقَدۡ جِئۡتِ شَيۡـٔٗا فَرِيّٗا ﴿٢٧﴾
يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ قَالُواْ
كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي
نَبِيّٗا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ
حَيّٗا ﴿٣١﴾ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا شَقِيّٗا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ
أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ
يَمۡتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٖۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن
فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٣٦﴾ فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ
مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشۡهَدِ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ يَوۡمَ يَأۡتُونَنَاۖ لَٰكِنِ
ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلۡيَوۡمَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٣٨﴾ وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡحَسۡرَةِ إِذۡ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ وَهُمۡ
لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحۡنُ نَرِثُ ٱلۡأَرۡضَ وَمَنۡ عَلَيۡهَا وَإِلَيۡنَا يُرۡجَعُونَ ﴾[1].

(١) سورة مريم: الآيات ١ ــ ٤٠.

قالت أم سلمة ــ رضي الله عنها[1] ــ فبكى ــ والله ــ النجاشي حتى أخضل[2] لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلى عليهم، ثم قال النجاشي: إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من[3] مشكاة واحدة[4]، ثم قال لعبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص: انطلقا، فوالله لا أسلمهم إليكما أبداً ولا أكاد.

قالت أم سلمة: فلما خرج من عنده قال عمرو بن العاص: والله لآتينه غداً أعيبهم عنده، ثم استأصل به خضراءهم[5].

قالت: فقال له عبد الله بن أبي ربيعة ــ وكان أتقى الرجلين فينا ــ لا تفعل فإن لهم أرحاماً وإن كانوا قد خالفونا، قال: والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى بن مريم عبد.

قالت: ثم غدا عليه الغد فقال له: أيها الملك، إنهم يقولون في

= ولم ترد الآيات في المسند وإنما اكتفي فيه بقوله: «فقرأ عليه صدراً من سورة مريم، كهيعص». ولعل الشيخ ــ رحمه الله ــ ذكرها لأنه يقرأ كتابه هذا المسلم وغير المسلم. فلعل غير المسلم ــ وخصوصاً النصارى ــ الذين ألف هذا الكتاب من أجل الرد عليهم؛ لعلهم يقرأون بعين الإنصاف فيهتدون إلى دين الإسلام الذي لم يغمط المسيح ــ عليه السلام ــ ولا أمه الطاهرة حقها، بل وضعهما في المنزلة العالية اللائقة بهما، ولم يتجاوز الحدود كما فعلت النصارى.

(١) سقطت جملة (رضي الله عنها) من ك.

(٢) أي: بلها بالدموع.

(٣) سقطت (من) من ط.

(٤) قوله: «إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة»، سبق تخريجه في أول الكتاب.

(٥) في أ، ط (حضراهم) بإهمال الخاء المعجمة، وصوابه ما أثبته من س، ك، والمسند (بالخاء والضاد المعجمتين وألف ممدودة وهمزة بعد الألف)، أي: دهماءهم، وسوادهم. انظر الفتح الرباني ٢٠/٢٢٨.

عيسى بن مريم قولاً عظيماً فأرسل إليهم فاسألهم عما يقولون فيه.

قالت: فأرسل إليهم يسألهم عنه.

قالت: ولم ينزل بنا مثلها[1]، فاجتمع القوم فقال بعضهم لبعض: ما تقولون في عيسى إذا سألكم عنه؟ قالوا: نقول ـ والله ـ فيه ما قاله الله وما جاء به نبينا كائناً في ذلك ما هو كائن، فلما دخلوا عليه قال لهم: ما تقولون في عيسى بن مريم؟ فقال له جعفر بن أبي طالب: نقول فيه الذي جاء به نبينا: هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول.

قالت: فضرب النجاشي يده إلى[2] الأرض فأخذ منها عوداً، ثم قال: ما عدى عيسى بن مريم ما قلت هذا العود، فتناخرت بطارقته حوله حين قال ما قال فقال: وإن نخرتم والله، اذهبوا فأنتم سيوم بأرضي، والسيوم: الآمنون. من سبكم غرم. ثم من سبكم غرم، ثم من سبكم غرم، فما أحب أن لي دبراً[3] ذهباً وإني[4] آذيت رجلاً منكم ـ والدبر بلسان الحبشة: الجبل ـ ردوا عليهما هداياهما فلا حاجة لنا بها فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد علي ملكي فآخذ الرشوة فيه، وما أطاع الناس فيَّ فأطيعهم فيه.

---

(١) مثلها أي: شدة مثل هذه الشدة.

(٢) في ط (على).

(٣) في أ، ط (ديراً) بالمثناة التحتية وصححناه من س، ك، وهو الباء الموحدة، هذا هو الصواب وهو بفتح الدال المهملة وسكون الباء الموحدة، وقد سألت واحداً من أهل تلك البلاد، فأفاد أن الدبر ـ بالباء الموحدة ـ تعني الجبل في لغتهم فوافق قوله ما ذكر في المسند.
وانظر الفتح الرباني ٢٠/٢٢٨.

(٤) في أ، ك (وأن).

قالت: فخرجا[1] من عنده مقبوحين مردود عليهما ما جاءا به، وأقمنا عنده بخير دار مع خير جار.

قالت: فوالله إنا على ذلك إذ نزل به. يعني: من ينازعه في ملكه.

قالت: فوالله ما علمنا حزناً قط كان أشد من حزن حزناه، عند ذلك تخوفنا أن يظهر ذلك على النجاشي فيأتي رجل[2] لا يعرف من حقنا ما كان النجاشي يعرف منه.

وروى عبد الله بن عامر بن الزبير[3]، عن أبيه قال: لما نزل بالنجاشي عدوه من أرضه جاء المهاجرون فقالوا: إنا[4] نحن نخرج إليهم فنقاتل معك وترى جزاءنا[5] ونجزيك بما صنعت بنا فقال: ذو ينصره الله خير من الذي ينصره الناس، يقول: الذي ينصره الله خير من الذي ينصره الناس فأبى ذلك عليهم.

(رجعنا إلى) حديث أم سلمة قالت: وسار النجاشي ــ وبينهما عرض النيل ــ قالت: فقال أصحاب رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ : من رجل يخرج حتى يحضر وقعة القوم ثم يأتينا بالخبر؟

---

(١) في س (فخرجنا) وهو خطأ.

(٢) في ط (رجلاً).

(٣) اتفقت النسخ كلها على هذا الاسم، ولم أقف عليه. فلعله انقلب على النساخ وهو عامر بن عبد الله بن الزبير بن العوام، وقد وردت الإشارة إليه في تاريخ خليفة بن خياط في موضعين منه ص ٥٢٤، ص ٥٣٢، وفيه ذكر اسمه وتاريخ وفاته وأنه مات ــ رحمه الله ــ سنة ١٢١هـ . كما ورد أيضاً في طبقات ابن سعد ١٨٣/٥. ولم أقف عليه في البداية والنهاية، ولا في غيره مما اطلعت عليه من كتب التراجم.
أما أبوه فهو الصحابي الجليل الزبير بن العوام، وقد سبقت ترجمته.

(٤) سقطت (إنا) من س، ك.

(٥) في ط (حربنا).

قالت: فقال الزبير بن العوام: أنا.

قالت: وكان من أحدث القوم سناً، قالت: فنفخنا له قربة فجعلها في صدره ثم سبح عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التي بها ملتقى القوم، ثم انطلق حتى حضرهم.

قالت: ودعونا الله للنجاشي بالظهور على عدوه والتمكين له في بلاده.

قالت: فوالله إنا لعلى ذلك متوقعين لما هو كائن إذ طلع الزبير[1] يسعى ويلوح بثوبه ويقول. ألا أبشروا قد ظهر النجاشي وقد أهلك الله عدوه.

فوالله[2] ما علمت فرحنا فرحة مثلها قط.

قالت: فرجع النجاشي، وقد أهلك الله عدوه، ومكن له في بلاده واستوثق[3] عليه أمر الحبشة، فكنا[4] عنده في خير منزل حتى قدمنا على رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ[5].

وقد روى جمل هذه القصة أبو داود في سننه من حديث أبي موسى[6].

---

(١) في ط (الزبير بن العوام).

(٢) في ك، ط (قالت: فوالله).

(٣) في ك، س، ط (واستوسق).

(٤) في ك (وكنا).

(٥) انظر مسند الإمام أحمد ١/٢٠١ ـ ٢٠٣، وتقدم الحكم على رجال السند في أول الحديث، عند الترجمة لهم.
ووردت أيضاً في ٥/٢٩٠ ـ ٢٩٣، من المسند.
وفي سيرة ابن هشام ١/٢٨٩ ـ ٢٩٢.

(٦) رواه أبو داود عن أبي موسى ـ مختصراً ـ في كتاب الجنائز، باب في الصلاة على =

وفي الصحيحين من حديث أبي موسى[1] قال: بلغنا مخرج رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ونحن باليمن، فخرجنا مهاجرين إليه: أنا وأخوان لي أنا أصغرهما في اثنين وخمسين رجلاً من قومي، فركبنا سفينة فألقتنا سفينتنا إلى النجاشي بالحبشة، فوافقنا جعفر بن أبي طالب وأصحابه عنده، قال جعفر: إن رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ بعثنا وأمرنا ــ يعني بالإقامة ــ فأقيموا معنا. قال: فأقمنا معه حتى قدمنا جميعاً. قال[2]: فوافقنا رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ حين فتح خيبر فأسهم لنا منها، وما قسم لأحد غائب عن فتح خيبر غيرنا إلَّا لمن شهد معنا أصحاب سفينتنا مع جعفر وأصحابه قسم لهم معهم.

قال: فلما رأى ناس من الناس يقولون لنا ــ يعني أهل السفينة ــ سبقناكم[3] لهجرة، قال: ودخلت أسماء بنت عميس[4] ــ وهي ممن قدم معنا ــ على حفصة[5] زائرة، وقد كانت هاجرت إلى النجاشي فيمن

= المسلم يموت في بلاد الشرك ٣/٥٤٣ (٣٢٠٥).
وأخرجها الحاكم في المستدرك، كتاب التفسير، من حديث أبي موسى الأشعري.
وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.
انظر المستدرك ٢/٣٠٩ ــ ٣١٠ (كتاب التفسير).

(١) في س، ك (من حديث أبي موسى، عن أبي موسى).
(٢) في ك (حتى قدمنا جميعاً على رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ... إلخ).
(٣) في أ، س، ك (سبقنا لهم) وهو تحريف، وصححناه من صحيح البخاري ٥/٨٠.
(٤) أسماء بنت عميس الخثعمية، أخت ميمونة زوج النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ لأمها. أسلمت قبل دخول دار الأرقم، وبايعت، ثم هاجرت مع المهاجرين إلى أرض الحبشة، مع زوجها جعفر بن أبي طالب؛ فولدت له هناك أولاده. ولما استشهد تزوجها أبو بكر، فولدت له محمداً، ثم تزوجها علي بن أبي طالب ــ رضي الله عنهم أجمعين ــ.
راجع: الاستيعاب ٤/٢٣٠؛ والإصابة ٤/٢٢٥؛ والتهذيب ١٢/٣٩٨.
(٥) حفصة بنت عمر بن الخطاب العدوية. أم المؤمنين، تزوجها النبي ــ صلَّى الله عليه =

هاجر إليه، فدخل عمر على حفصة وأسماء عندها، فقال عمر حين رأى أسماء. من هذه؟ قالت: أسماء بنت عميس، فقال عمر: الحبشية هذه[1]؟ البحرية هذه؟ قالت أسماء: نعم: فقال عمر سبقناكم بالهجرة نحن أحق برسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم[2] ــ فغضبت وقالت: يا عمر كلا والله كنتم مع رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ يطعم جائعكم ويعظ جاهلكم وكنا في أرض البعداء البغضاء[3] بالحبشة، وذلك في الله ــ تبارك وتعالى ــ ، وفي رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ، وأيم الله لا أطعم طعاماً ولا أشرب شراباً حتى أذكر ما قلت لرسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ، ونحن كنا نؤذى ونخاف، وسأذكر ذلك لرسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وأسأله، و[4]الله لا أكذب ولا أزيغ ولا أزيد على ذلك.

فلما جاء النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ قالت: يا رسول الله إن عمر قال كذا وكذا، قال رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ : فماذا

= وسلَّم ــ بعد خنيس بن حذافة السهمي سنة ٣هـ. وقيل: ٢هـ. قيل: ولدت قبل المبعث بخمسة أعوام، وتوفيت ــ رضي الله عنها ــ سنة ٤٥هـ.
راجع: الاستيعاب ٤/٢٦٠؛ والإصابة ٤/٢٦٤؛ والتهذيب ١٢/٤١٠، والرياض المستطابة ص ٣١٢.

(١) سقطت (هذه) من ك.

(٢) في ط (منكم).

(٣) في جميع النسخ (البعد البغضاء)، وصوابه ما أثبتناه من الصحيحين «البعداء» بضم الباء الموحدة وفتح العين المهملة وألف ممدودة وكذلك «البغضاء» بضم الباء الموحدة وفتح الغين المعجمة وألف ممدودة.
قال العلماء: البعداء في النسب، والبغضاء في الدين. لأنهم كفار إلَّا النجاشي، وكان يستخفي بإسلامه عن قومه ويوري لهم.

(٤) سقطت (الواو) من ط.

قلت لـه؟ قالت[1]: قلت كـذا وكذا، قـال: «ليس بـأحق بـي منكم ولـه ولأصحابه هجرة واحدة، ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان».

قالت: فلقد رأيت أبا موسى وأصحاب السفينة يأتونني[2] أرسالاً[3] يسألوني عن هذا الحديث مـا من الدنيـا شيء هم به أفـرح ولا أعظم في أنفسهم مما قال رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ.

قال أبو بردة[4]: قالت أسماء: فلقد رأيت أبـا موسى وإنـه ليستعيد هذا الحديث مني. أخرجاه في الصحيحين البخاري ومسلم[5].

وأخـرجا[6] في الصحيحين عن أبـي هـريرة أن النبـي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ نعى لهم النجاشي صاحب الحبشة في اليوم الذي مات فيه

---

(١) في س (قال) وهو خطأ.

(٢) في س، ك، ط (يأتوني).

(٣) إرسالاً أي: أفواجاً، فوجاً بعد فوج.

(٤) أبو بردة بن أبـي موسى الأشعري. اسم أبـي بردة: الحارث، وقيل: عامر. وقيـل: اسمه كنيتـه، وثقه العجلي، وابن حبـان، وابن سعد، وغيـرهم. وهو فقيـه، عـالم، كثير الحـديث. تولى قضـاء الكـوفـة قبـل الشعبـي في زمن الحجـاج، ولـد لأبـي موسى عندما كان أميراً على البصرة من قبل عمر، ومات سنة ١٠٣هـ. وقيل: ١٠٤هـ. وعمره ٨٢ سنة.
راجـع: البدايـة والنهـايـة ٢/٣٩٤؛ وتهـذيب التهـذيب ١٢/١٨ ـ ١٩؛ والتقـريب ٢/٣٩٤؛ والأعلام للزركلي ٣/٢٥٣.

(٥) أخـرجه البخـاري في صحيحـه عن أبـي مـوسى ـ رضي الله عنـه ـ في كتـاب المغازي/ باب غزوة خيبر ٥/٨٠؛ ورواه مختصـراً في مناقب الأنصـار، باب هجـرة الحبشـة ٤/٢٤٤؛ وأخـرجـه مسلم في الفضـائـل، بـاب من فضـائـل جعفـر بن أبـي طـالب، وأسماء بنت عميس، وأهـل سفينتهم، ـ رضي الله عنهم ـ ٤/١٩٤٦، ١٩٤٧ حديث رقم (١٦٩).

(٦) في أ، ط (وأخرجاه)، والصواب ما أثبتناه من س، ك.

قال: «استغفروا لأخيكم»[1].

وعنه ـ رضي الله عنه ـ قال: نعى النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ النجاشي يوم توفي وقال: «استغفروا لأخيكم»، ثم خرج بالناس إلى المصلى فصفوا وراءه[2] وصلّى عليه وكبر أربع تكبيرات. أخرجاه[3].

وقال جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ صلّى على أصحمة النجاشي فكبر عليه

---

(١) أخرجه البخاري في المناقب، باب موت النجاشي ٢٤٦/٤؛ ومسلم في الجنائز، باب في التكبير على الجنازة ٦٥٧/٢ (٦٣)؛ ورواه أحمد بلفظ «أن رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ لما مات النجاشي، أخبرهم أنه قد مات فاستغفروا لله». مسند أبي هريرة ٢٤١/٢. وأخرجه الحميدي في مسنده من حديث أبي هريرة بلفظ (لما مات النجاشي ـ قال النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ : «استغفروا له». (٤٤٥/٢) رقم (١٠٢٣).

(٢) في ط (واءه) وهو تصحيف.

(٣) أخرجه الإمام البخاري في المناقب، باب موت النجاشي ٢٤٦/٤ بنحوه ومسلم في الجنائز بنحوه، باب في التكبير على الجنازة ٦٥٦/٢ (٦٢). وليس فيها «استغفروا لأخيكم»، وإنما هي في الحديث السابق.
وأخرجه الترمذي بلفظ مقارب في الجنائز، باب ما جاء في التكبير على الجنازة ٣٤٢/٣ (١٠٢٢)؛ وأخرجه أبو داود في الجنائز، باب في الصلاة على المسلم يموت في بلاد الشرك، ٥٤١/٣ (٣٢٠٤). ورواه النسائي في باب الصفوف على الجنازة ٦٩/٤؛ وابن ماجه في الجنائز، باب ما جاء في الصلاة على النجاشي ٤٩٠/١ (١٥٣٤). ورواه ابن جرير الطبري من طرق متعددة عند آية: **﴿وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله...﴾** الآية ١٩٩: سورة آل عمران، ١٤٦/٤، ١٤٧ (المجلد الثالث).

أربعاً[1]. أخرجاه في الصحيحين.

● ● ●

---

(1) حديث جابر: أخرجه البخاري في المناقب، باب موت النجاشي ٤/٢٤٦؛ ومسلم في الجنائز، باب في التكبير على الجنازة ٢/٦٥٧ حديث رقم (٦٤)، (٦٥).
وقال الترمذي وفي الباب عن ابن عباس وابن أبي أوفى وجابر... (٣/٣٤٢)، وروى ابن ماجه من حديث ابن عمر: أن النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ صلّى على النجاشي فكبر أربعاً. (١/٤٩١) (١٥٣٨). وروى أحمد من حديث جابر بلفظ: (قد توفي اليوم رجل صالح من الحبش، هلم فصفوا فصففنا فصلّى النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ عليه ونحن. رواه في مسند جابر ٣/٢٩٥. ورواه الحميدي في مسنده من حديث جابر بنحوه، وليس فيه ذكر التكبير ٢/٥٤٠ (١٢٩١).

فصل

٢ ـ إسلام من أسلم مِنْ نصارى العرب

وكان أول ما أنزل الله ـ تعالى ـ عليه ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ الوحي، عرضت خديجة[1] امرأته أمره على عالم كبير من علماء النصارى يقال له ورقة بن نوفل، وكان من العرب المتنصرة، فقال: «هذا هو الناموس الذي كان يأتي موسى بن عمران يا ليتني أكون[2] فيها جذعاً حين يخرجك قومك ـ يعني ليتني أكون شاباً ـ فإنه كان شيخاً كبيراً قد كف بصره، فقال له النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ «أو مخرجي هم؟ قال: نعم، لم يأت أحد بمثل ما أتيت به إلا عودي. وأن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً»[3]. رواه أصحاب الصحيح.

وقدم إليه بمكة طائفة من أهل الكتاب من النصارى فآمنوا به، فآذاهم المشركون فصبروا واحتملوا أذاهم، فأنزل الله فيهم:

---

(١) خديجة بنت خويلد القرشية الأسدية. أم المؤمنين، كانت تدعى في الجاهلية الطاهرة، تزوجها النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وهي ابنة ٤٠ سنة، وولد له منها ولده كلهم ما عدا إبراهيم. وهم القاسم، وزينب، وفاطمة، ورقية، وأم كلثوم.
أقامت مع النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أربعاً وعشرين سنة وستة أشهر. وكان الرسول حين تزوجها ابن إحدى وعشرين سنة. وهي أول من آمن بالله ورسوله وصدق بما جاءه به. ورد في فضلها أحاديث كثيرة في صحيح البخاري ٤/٢٣٠؛ وصحيح مسلم ٤/١٨٨٦؛ وانظر ترجمتها في الاستيعاب ٤/٢٧١؛ والإصابة ٤/٢٧٣.

(٢) سقطت (أكون) من أ، س، ك.

(٣) سبق تخريجه في أول الكتاب عند كلام الشيخ عن القرآن وأنه أصل كالتوراة، وأن علماء النصارى يقرنون بين موسى ومحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ.

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ۝٥٢ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ۝٥٣ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٥٤ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[1](*).

وروى[2] البيهقي في كتاب دلائل النبوة وأعلام الرسالة فقال: أنبأنا[3] أبو عبد الله الحافظ[4]، أنبأنا أبو العباس محمد بن يعقوب[5]،

---

(١) سورة القصص: الآيات ٥٢ ـ ٥٥.

(*) أخرجه ابن جرير في تفسيره عن آيات القصص ٢٠/٥٦ (مجلد ٨) بإسناده عن علي بن رفاعة قال: خرج عشرة رهط من أهل الكتاب منهم أبو رفاعة ـ يعني أباه ـ إلى النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فآمنوا، فأوذوا، فنزلت: ﴿الذين آتيناهم الكتاب﴾ الآية، وقد ذكر ذلك السيوطي في لباب النقول ص ١٦٨، وعزاه إلى ابن جرير والطبراني.

(٢) في ط (وقصتهم مشهورة في كتب التفسير وغيرها وروى. . . إلخ).

(٣) في أ جاءت صيغة التحديث بلفظ (ثنا) إلى يونس، ثم قال عن ابن إسحاق وفي س، ك (عن أبي عبد الله الحاكم. . . ثم ساق السند كما في أ. وما أثبتناه من ط، دلائل النبوة ٢/٧٦.

(٤) أبو عبد الله الحافظ ـ هو محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، من أكابر حفاظ الحديث والمصنفين فيه ولد في نيسابور سنة ٣٢١ وتوفي بها سنة ٤٠٥هـ من تصانيفه (المستدرك على الصحيحين) والإكليل، والمدخل، وغيرها. (ترجمته في طبقات الحفاظ ص ٤١٠ وتذكرة الحفاظ للذهبي ٣/١٠٣٩ ـ ١٠٤٦ (٩٦٢)؛ وميزان الاعتدال ٣/٦٠٨، ولسان الميزان ٥/٢٣٢ ـ ٢٣٣ (٨١٣).

(٥) هو شيخ الحاكم: الإمام المفيد الثقة محدث المشرق أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم النيسابوري كان يكره أن يقال له الأصم، وكان محدث عصره بلا مدافعة، قال الحاكم حدث في الإسلام ستاً وسبعين سنة، توفي سنة ٣٤٦هـ.
انظر: تذكرة الحفاظ ٣/٨٦٠ (٨٣٥).

أنبأنا أحمد بن عبد الجبار[1]، أنبأنا يونس[2] عن ابن إسحاق[3] قال: ثم قدم على رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ عشرون رجلاً ــ وهو بمكة أو قريب من ذلك ــ من النصارى حين ظهر خبره في الحبشة فوجدوه في المجلس فكلموه وسألوه ورجال من قريش في أنديتهم حول الكعبة، فلما فرغوا من مساءلتهم رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ إلى الله[4] وتلا عليهم القرآن، فلما سمعوا فاضت أعينهم من الدمع، ثم استجابوا له وآمنوا به وصدقوه وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره، فلما قاموا من عنده اعترضهم أبو جهل في نفر من قريش، فقالوا: خيبكم الله من ركب بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون[5] لهم فتأتونهم بخبر الرجل فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه بما قال لكم. ما نعلم[6] ركباً أحمق منكم أو كما قال لهم، فقالوا[7]: سلام عليكم لا نجاهلكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم، لا نألوا لأنفسنا إلا خيراً، ويقال ــ والله أعلم ــ أن فيهم نزلت هؤلاء الآيات[8]:

---

(١) أحمد بن عبد الجبار بن محمد العطاردي أبو عمر الكوفي. ولد سنة ١٧٧هـ قال الحافظ ابن حجر: «ضعيف وسماعه للسيرة صحيح». وقال الذهبي: «ضعفه غير واحد». مات سنة ٢٧٢هـ.
انظر تقريب التهذيب ١/١٩ (٧٥)؛ وتهذيب التهذيب ١/٥١؛ ميزان الاعتدال ١/١١٢.

(٢) يونس بن بكير بن واصل الشيباني، أبو بكر الكوفي. وذكر ابن حجر أن ابن معين وثقه، وقال في تقريب التهذيب ٢/٣٨٤ (٤٧٢): «يخطىء، من التاسعة مات سنة ١٩٩هـ»، وحسن الذهبي في ميزان الاعتدال حديثه. انظر ٤/٤٧٨؛ وانظر تهذيب التهذيب ١١/٤٣٤.

(٣) ابن إسحاق سبقت ترجمته. وسند هذا الخبر منقطع لم يصله ابن إسحاق.

(٤) سقطت (إلى الله) من س، ك، ط.

(٥) في س، ك، (لترتادوا).

(٦) في ك (لا نعلم).

(٧) في س، ك (قالوا).

(٨) في س، ك يقال فيهم نزلت هذه الآيات.

﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴾ .

إلى قوله : ﴿ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [١] [٢] .

٣ ـ إرسال الرُّسُل إلى جميع الطوائف الموجودة في عهده

ولمَّا كان بعد عام الحديبية ومهادنة قريش أرسل ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ رسله [٣] إلى جميع الطوائف، فأرسل إلى [٤] النصارى: نصارى الشام ومصر، فأرسل إلى هرقل ملك الروم، وقد قيل: إن هرقل هذا هو الذي زادت النصارى [٥] له في صومهم عشرة أيام لما اقتتلت الروم

---

(١) سورة القصص: الآيات ٥٢ ـ ٥٥.

(٢) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٢/٧٦ ـ ٧٧ (باب الهجرة الأولى إلى الحبشة)، ط دار الفكر، وانظر سيرة ابن هشام ٢/٢٨ ـ ٢٩؛ وتفسير ابن كثير ٣/٣٩٤، وكلهم ساق القصة عن ابن إسحاق ـ رحمه الله ـ ثم قال ابن كثير: ويقال أن النفر النصارى من أهل نجران، فالله أعلم أي ذلك كان. وانظر الدر المنثور للسيوطي ٥/١٣٣.
وذكرابن الجوزي فيهم ثلاثة أقوال:
أحدها: أنهم مؤمنو أهل الكتاب، رواه العوفي عن ابن عباس وبه قال مجاهد.
الثاني: مسلمو أهل الإنجيل، روى سعيد بن جبير عن ابن عباس أن أربعين من أصحاب النجاشي قدموا على رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فشهدوا معه أحداً، فنزلت فيهم هذه الآية.
الثالث: مسلمو اليهود، كعبد الله بن سلام، وغيره. قاله السدي.
ذكر ابن الجوزي هذه الأقوال في تفسيره: زاد المسير ٦/٢٢٨ ـ ٢٢٩. قال النيسابوري ـ رحمه الله ـ : «والتحقيق أن كل من حصل في حقه هذه الصفة يكون داخلًا في الآية. لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب». انظر تفسيره المسمى: غرائب القرآن/ على هامش تفسير ابن جرير، ط دار الفكر ٢٠/٥٦ (المجلد ٨).

(٣) في س (أرسل الله عليه رسله) وسقطت جملة ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ من أ، ط وزدناها من ك.

(٤) في ط (إلى الجميع).

(٥) في ك (زادت له النصارى).

والفرس وقتل اليهود بعد أن كان قد أمنهم فطلبت منه النصارى قتلهم وضمنوا له أن يكفروا خطيئته[1] بما زادوه في الصوم، وكانت الفرس مجوساً والروم نصارى، وكانت المجوس الفرس غلبت النصارى أولاً، وكان هذا في أوائل مبعث النبي[2] ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وهو بمكة وأتباعه قليل، ففرح المشركون بانتصار الفرس، لأنهم أقرب إليهم من أهل الكتاب واستاء[3] المسلمون لذلك؛ لأن أهل الكتاب أقرب إليهم، فدخل أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ على رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وأخبره بانتصار الفرس على الروم، فأنزل الله ـ تعالى[4] ـ :

﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ﴾[5].

وكان هذا مما أخبر به النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قبل[6] أن يكون، فكان[7] كما أخبر، ولما ذكر أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه[8] ـ كذبوه فراهنهم أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ[9] كما ذكر هذا المفسرون والمحدثون.

---

(١) في ك، ط (يكفروا له خطيئته).

(٢) في س (الرسول).

(٣) في أ (وايتسا) وفي ط (وساء المسلمين ذلك) وما أثبتناه من ك، س.

(٤) سقطت (تعالى) من ك.

(٥) الآيات من سورة الروم: ١ ـ ٥ وتمام الآية الآخيرة: ﴿يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمْ﴾.

(٦) في ك (من قبل).

(٧) في ك (وكان).

(٨) سقطت جملة رضي الله عنه من أ، س.

(٩) في ط (على ذلك).

قال سنيد[1] في تفسيره ــ وهو شيخ البخاري ــ حدثنا حجاج[2]، عن ابن [3] أبي الزناد[4]، عن أبيه[5]، عن عروة بن الزبير[6]، عن نيار بن مكرم الأسلمي[7] أنه قال: لما أنزل الله على رسوله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ: ﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴾.

---

(1) في ك (سفيان) بدل سنيد وفي ط (سفيان بن سنيد) وهو خطأ صوابه ما أثبتناه من أ، س، وكما هو في الترجمة هكذا:
سنيد بن داوود المُصِّيصي، أبو علي المحتسب. واسمه الحسين وسنيد لقب قال ابن حجر: «ضعيف، مع إمامته ومعرفته، لكونه كان يلقن حجاج بن محمد شيخه، مات سنة ٢٢٠هـ. وذكر الذهبي: «إن له تفسيراً وله ما ينكر».
انظر تقريب التهذيب ١/٣٣٥ (٥٤٣)؛ وميزان الاعتدال ٢/٢٣٦ وتهذيب التهذيب ٤/٢٤٤، ٢٤٥.

(2) حجاج بن محمد المصيصي الأعور، أبو محمد الترمذي الأصل. قال ابن حجر: ثقة ثبت؛ لكنه اختلط في آخر عمره لما قدم بغداد، وقبل موته. مات سنة ٢٠٦هـ ترجمته: في تقريب التهذيب ١/١٥٤ (١٦١)؛ وميزان الاعتدال ١/٤٦٤؛ وتهذيب التهذيب ٢/٢٠٥.

(3) سقط (ابن) من س، ط.

(4) ابن أبي الزناد. هو عبد الرحمن بن أبي الزناد (عبد الله بن ذكوان) القرشي المدني قال ابن حجر: «صدوق، تغير حفظه لما قدم بغداد». وذكر الذهبي «أنه قد مشاه جماعة وعدلوه» مات سنة ١٧٤هـ.
انظر ترجمته في تقريب التهذيب ١/٤٨٠ (٩٣٦)؛ وميزان الاعتدال ٢/٥٧٥.

(5) أبو الزناد. هو عبد الله بن ذكوان القرشي. ثقة فقيه، وثقة أحمد وابن معين والعجلي وأبو حاتم وابن حبان والنسائي وغيرهم. مات سنة ١٣٠هـ.
انظر تقريب التهذيب ١/٤١٣ (٢٨٦)؛ وميزان الاعتدال ٢/٤١٨.

(6) عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي. ثقة فقيه مشهور، ولد في أوائل خلافة عمر الفاروق ومات سنة ٩٤هـ. على الصحيح.
انظر تقريب التهذيب ٢/١٩ (١٥٧)؛ وخلاصة تهذيب الكمال للخزرجي ص ٢٦٥.

(7) نيار بن مكرم الأسلمي بكسر أوله وتخفيف التحتانية في (نيار) وضم أوله وسكون ثانيه وفتح الراء في (مكرم) صحابي عاش إلى أول خلافة معاوية... كان ثقة قليل الحديث قال ابن حجر وأنكر ابن سعد أن يكون له صحبة. =

إلى قوله: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾[1].

خرج أبو بكر وهو يقرؤها بمكة رافعاً بها صوته:

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِى بِضْعِ سِنِينَ﴾[2].

فقال له رؤوس أهل مكة: ما هذا يا ابن أبي قحافة لعله[3] مما يأتي به صاحبك؟ قال: لا والله، ولكنه كلام الله وقوله[4] ـ تبارك وتعالى ـ؛ قالوا: فذلك بيننا وبينك إن ظهرت الروم على فارس في بضع سنين، فراهنهم أبو بكر ففتح[5] الله للروم[6] على فارس دون التسع[7]، فأسلم عند ذلك خلق كثير من المشركين.

قال ابن مكرم: وإنما كانت قريش تستفتح ـ يومئذ ـ بالفرس؛ لأنهم وإياهم أهل تكذيب بالبعث، وأهل أصنام، وإنما كان[8] المؤمنون يستفتحون يومئذ بالروم؛ لأنهم وإياهم أهل نبوة وتصديق بالبعث، فأنزل الله ـ تعالى ـ:

= انظر ترجمته في الإصابة ٣/٥٤٨ (٨٨٣٨)؛ وتهذيب التهذيب ١٠/٤٩٣ وتقريب التهذيب ٢/٣١٠؛ والخلاصة للخزرجي ص ٤٠٥.

والخبر جاء من طريق سنيد، وهو ضعيف كما قال ابن حجر.

والمؤلف ـ رحمه الله ـ أحال على تفسير سنيد، ولكني لم أعثر عليه، وليس موجوداً حسب علمي، وقد رجعت إلى كتب التفاسير التي تعني بالآثار فلم أقف عليه من طريق سنيد، أما القصة فهي متواترة كما ذكر المؤلف وسيأتي زيادة تخريج لها.

(١) سورة الروم: الآيات ١ ـ ٥.

(٢) سورة الروم: الآيات ١ ـ ٤.

(٣) في ك (لعل هذا).

(٤) في ك (وقول الله).

(٥) في ط (بفتح) وهو خطأ.

(٦) في ط (الروم).

(٧) في ك (على فارس في بضع سنين).

(٨) في أ، س (كانوا).

﴿...وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ ٱللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ...﴾[1].

وهذا الحديث رواه الترمذي في جامعه فقال: حدثنا محمد بن إسماعيل[2]، حدثنا إسماعيل بن أبي أويس[3] قال: حدثني ابن أبي الزناد[4] عن أبي الزناد[5] عن عروة بن الزبير[6] عن نيار بن مكرم الأسلمي[7] قال: لما نزلت:

﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِى بِضْعِ سِنِينَ . . .﴾[8].

فكانت فارس يوم نزلت هذه الآية قاهرين للروم، وكان المسلمون يحبون ظهور الروم عليهم؛ لأنهم وإياهم أهل كتاب.

وذلك قوله تعالى:

﴿. . . وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ ٱللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾[9].

---

(١) سورة الروم: الآيتان ٤، ٥.

(٢) محمد بن إسماعيل بن يوسف السلمي، أبو إسماعيل الترمذي، نزيل بغداد ثقة حافظ، قال ابن حجر. لم يتضح كلام ابن أبي حاتم فيه مات سنة ٢٨٠هـ؛ انظر تقريب التهذيب ٢/١٤٥ (٥٤)؛ وتهذيب التهذيب ٩/٦٢.

(٣) إسماعيل بن عبد الله بن أويس، أبو عبد الله بن أبي أويس المدني. صدوق أخطأ في أحاديث من حفظه مات سنة ٢٢٦هـ.
انظر تقريب التهذيب ١/٧١ (٥٢٧) وتهذيب التهذيب ١/٣١٠.

(٤) ابن أبي الزناد. سبق ترجمته في حديث نيار بن مكرم السابق؛ وهو صدوق.

(٥) أبو الزناد. سبق ترجمته في حديث نيار بن مكرم السابق؛ وهو ثقة.

(٦) عروة بن الزبير. سبقت ترجمته في حديث نيار بن مكرم السابق؛ وهو ثقة مشهور.

(٧) نيار بن مكرم. سبقت ترجمته في حديث نيار بن مكرم السابق؛ وهو صحابي.

(٨) سورة الروم: الآيات ١ ــ ٤.

(٩) سورة الروم: الآيتان ٤، ٥.

وكانت قريش تحب ظهور فارس؛ لأنهم وإياهم ليسوا بأهل كتاب ولا إيمان ببعث، فلما أنزل الله هذه الآية خرج أبو بكر الصديق ــ رضي الله عنه ــ يصيح في نواحي مكة:

﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ . . .﴾(١).

قال ناس من قريش(٢) لأبي بكر: فذلك بيننا وبينكم زعم صاحبكم أن الروم ستغلب فارساً في بضع سنين، أفلا نراهنك على ذلك؟ فارتهن أبو بكر والمشركون فظهرت الروم على فارس في بضع سنين، وأسلم عند ذلك ناس كثير من المشركين(٣).

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن أبي الزناد(٤) ــ يعني غريباً من هذا الوجه ــ وإلا فهو مشهور متواتر عن أهل التفسير، والمغازي، والحديث، والفقه(٥)؛ والقصة متواترة عند الناس(٦).

---

(١) سورة الروم: الآيات ١ ــ ٤.

(٢) سقطت (من قريش) من ك.

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه بنحوه في التفسير، تفسير سورة الروم ٥/٣٤٣، وقال هذا حديث حسن صحيح غريب، لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن أبي الزناد.
قلت: ابن أبي الزناد: صدوق كما قال ابن حجر، وقال الذهبي: قد مشاه جماعة وعدلوه، وكان من الحفاظ المكثرين، ولا سيما عن أبيه
انظر ميزان الاعتدال ٢/٥٧٥؛ وتقريب التهذيب ١/٤٨٠.

(٤) في أ (الزياد) بالمثناة التحتية وهو خطأ صححناه من سائر النسخ ومن الترجمة حيث ورد بالنون الموحدة كما سبق.

(٥) في ك: تقديم وتأخير لا يضر بالمعنى.

(٦) رواها الترمذي من طرق متعددة في سننه ٥/٣٤٣ (تفسير سورة الروم)؛ وأحمد في المسند من حديث ابن عباس ١/٢٧٦، ٣٠٤؛ والحاكم في التفسير من حديث =

وقال أبو جعفر بن جرير في تفسيره: عن سفيان[1]، عن حبيب بن أبي عمرة[2]، عن سعيد بن جبير[3]، عن ابن عباس أنه قال: كان المسلمون يحبون أن تغلب الروم على فارس؛ لأنهم أهل كتاب، وكان المشركون يحبون أن تغلب أهل فارس؛ لأنهم أهل أوثان. قال: فذكروا ذلك لأبي بكر فذكره[4] أبو بكر للنبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، فأنزل الله:

﴿ الٓمٓ ۞ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۞ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ

= ابن عباس؛ وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه المستدرك ٢/٤١٠ ووافقه الذهبي؛ ورواه البيهقي في دلائل النبوة ٢/٩١؛ باب ما جاء في آية الروم؛ وابن جرير الطبري ٢١/١٢ (مجلد ٨)، وسيأتي سنده ومتنه. وأورده السيوطي في الدر المنثور ٥/١٥١ (تفسير الآيات من سورة الروم). وعزاه إلى الترمذي، والدارقطني في الأفراد، والطبراني، وابن مردويه، وأبو نعيم في الدلائل، والبيهقي في شعب الإيمان من حديث نيار بن مكرم؛ وانظر فتح القدير للشوكاني ٤/٢١٦.

(١) سفيان بن سعيد الثوري الكوفي. ثقة، حافظ، فقيه، عابد، إمام، حجة كان ربما دلّس مات سنة ١٦١هـ.
(تقريب التهذيب ١/٣١١ (٣١٢).

(٢) في ك (عن حبيب عن أبي عمرة) وهو خطأ، وحبيب بن أبي عمرة القصاب أبو عبد الله الحماني، بكسر الحاء المهملة، الكوفي، ثقة، مات سنة ١٤٢هـ.
انظر: تقريب التهذيب ١/١٥٠ (١٢٦).

(٣) سعيد بن جبير الأسدي، مولاهم، ثقة، ثبت، فقيه، قتله الحجاج سنة (٩٥)هـ. ولم يكمل الخمسين.
تقريب التهذيب ١/٢٩٢ (١٣٣).

(٤) في ك (فذكر ذلك).

سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴾[1].

فذكره أبو بكر للمشركين، فقالوا: اجعل بيننا وبينك أجلاً، فإن غلبوا كان لك كذا وكذا، وإن غلبوا كان لنا كذا وكذا، فجعلوا بينهم أجلاً خمس سنين، فذكر ذلك أبو بكر للنبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فقال له[2]: «هلا احتطت، أفلا جعلته دون العشر؟» قال سعيد بن جبير. والبضع ما دون العشر[3] قال: فَغُلِبت الروم ثم غَلَبَت[4] فذلك قوله: ﴿ألم غلبت الروم. . .﴾ الآية[5].

وهذا أيضاً أخرجه الترمذي[6]: حدثنا الحسين[7] بن حريث، حدثنا[8] معاوية بن عمرو[9] عن أبي إسحاق الفزاري[10]، عن

---

(١) سورة الروم: الآيات ١ ــ ٤.

(٢) سقطت (له) من ك.

(٣) في ط (العشرة).

(٤) في ك (فغلبت ثم غلبت).

(٥) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره ٢١/١٢ (مجلد ٨) ط دار الفكر.

(٦) أخرجه الترمذي في التفسير/ باب ومن سورة الروم ٥/٣٤٣ حديث رقم (٣١٩٣) وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.
وانظر السيرة النبوة للإمام الذهبي ص ١٤٧ ط دار الكتب العلمية.

(٧) في أ، س، ك (عن الحسن بن حريث) وفي ط (حدثنا حسن بن حريث) وقد صحف الاسم وصوابه: الحسين بن حريث، الخزاعي، مولاهم؛ أبو عمار المروزي: ثقة من العاشرة مات سنة ٢٤٤هـ.
تهذيب التهذيب ٢/٣٣٤؛ والخلاصة للخزرجي ص ٨٢ وتقريب التهذيب ١/١٧٥ (٣٣٥).

(٨) في ط (أنبأنا) وما أثبتناه من سائر النسخ ومن سنن الترمذي.

(٩) معاوية بن عمرو بن المهلب الأزدي الكوفي. ثقة من صغار التاسعة مات سنة ١٤٤.
انظر: تقريب التهذيب ٢/٢٦٠ (١٢٣٨)؛ وتهذيب التهذيب ١٠/٢١٥؛ والخلاصة للخزرجي ص ٣٨٢.

(١٠) أبو إسحاق: إبراهيم بن محمد الفزاري. ثقة، حافظ. له تصانيف مات سنة ٨٥هـ. =

سفيـان[1]، عن حبيب بن أبـي عمـرة[2]، عن سعيـد بن جبيـر، عن ابن عباس، وقال: هـذا حديث حسن صحيـح غريب، إنمـا نعرفـه من حديث سفيان الثوري، عن حبيب بن أبـي عمرة[3].

ورواه أيضاً من حديث الزهري عن عبيد[4] الله بن عبد الله بن عتبـة عن ابن عباس، وقال. هذا[5] حديث غريب من هذا الوجه.

ورواه أيـضـاً من حـديـث الأعـمش[6]، عـن عـطيـة[7]، عـن أبـي سعيد[8]،

= انـظر تقـريب التهـذيب ١/٤١ (٢٥٦)؛ وتهـذيب التهـذيب ١/١٥١؛ والخـلاصـة للخزرجي ص ٢٠.

(١) سبقت ترجمة سفيان الثوري. ثقة حافظ. إمام حجة.

(٢) في ك (بن) وهو تصحيف ظاهر.

(٣) سبقت ترجمة حبيب. وكذلك سعيد بن جبير، وابن عباس، والزهري.

(٤) في النسخ كلها عدا ط (عبد الله) وهـو تحريف (عبيـد الله) وهو عبيـد الله بن عبد الله ابن عتبة بن مسعود الهذلي المدني. ثقة، فقيه، ثبت. مات سنة ٩٤هـ.
تقريب التهذيب ١/٥٣٥ (١٤٦٩) وخلاصة الخزرجي ص ٢٥١.

(٥) سقطت (هذا) من أ، س، وأثبتناها من ك، ط. ومن سنن الترمذي ٥/٣٤٣.

(٦) الأعمش: سليمـان بن مهران الأسـدي. ثقة حـافظ، عارف بـالقـراءة، ورع، لكنـه يدلس، مات سنة ١٤٧هـ. وقيل ١٤٨هـ.
انظر: تقريب التهذيب ١/٣٣١ (٥٠٠)؛ والخلاصة للخزرجي ص ١٥٥.

(٧) عطية بن سعد بن جنادة، بضم الجيم بعـدها نـون خفيفة العـوفي الجدلي. صـدوق يخطيء كثيراً. كان شيعياً مدلساً مات سنة ١١١هـ.
انظر: تقريب التهذيب ٢/٢٤ (٢١٦)؛ والخلاصة للخزرجي ص ٢٦٨.

(٨) أبـو سعيد الخـدري: سعد بن ملك بن سنـان الخـزرجي الأنصـاري، من مشـاهيـر الصحابة، وفضـلائهم، المكثرين في الـرواية، ومن أهـل الصفة. كـان ــ رضي الله عنه ــ فقيهاً نبيلاً. غزا مـع رسول الله ــ صلّى الله عليـه وسلّم ــ اثنتي عشرة غـزوة، أولها الخندق. سكن المدينة؛ ومات بها سنة ٧٤هـ. وعمره ٩٤ سنة.
انظر الإصابة ٢/٣٢ (٣١٩٦)؛ والرياض المستطابـة ص ١٠٠ ــ ١٠١؛ والاستيعاب ٢/٤٤ هامش الإصابة.

وقال: هذا حديث[1] حسن غريب من هذا الوجه.

وذهبت طائفة من العلماء إلى أن الخبر جاء بظهور الروم على فارس يوم بدر، وذهب آخرون أنه[2] يوم الحديبية ـ وهذا هو الصحيح ـ وهرقل كان قد مشى ـ شكراً لله ـ من حمص إلى بيت المقدس[3] لما نصره[4] على الفرس، فوافاه كتاب النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يدعوه إلى الإسلام عقب[5] نصر الله للروم على فارس، ففرح النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ومن معه من المؤمنين[6].

قال علماء السير: فلما انتصرت الروم، وخرج هرقل ملك الروم من منزله من حمص[7] ماشياً على قدميه إلى بيت المقدس متشكراً لله

---

(١) سقطت (حديث) من ك.

(٢) في ك (إلى أنه).

(٣) في أ، س، ك زيادة (شكراً لله) وهي تكرار.

(٤) في ط (نصره الله).

(٥) في أ (عقيب).

(٦) **أصحاب القول الأول** ـ بأنه يوم بدر ـ هم: ابن عباس، والثوري، والسدي، وغيرهم. واستدلوا بحديث أبي سعيد الخدري؛ الذي أخرجه الترمذي وغيره. وفيه «لما كان يوم بدر ظهرت الروم على فارس. . .» وذكره.
وأصحاب القول الثاني ـ بأنه عام الحديبية ـ هم: عكرمة، والزهري، وقتادة، وغير واحد. واستدلوا بما ذكره المؤلف. وتوجيه ذلك أن هرقل إنما وفى بنذره بعد الحديبية. والله أعلم.
انظر: تفسير ابن كثير ٣/٤٢٦، السيرة النبوية للإمام الذهبي ص ١٤٦؛ وتفسير القرطبي ١٤/٥ (المجلد السابع).

(٧) حمص: بالكسر ثم السكون، والصاد مهملة، بلد كبير مشهور بين دمشق وحلب في نصف الطريق، وهي إحدى مدن سوريا اليوم.
انظر مراصد الاطلاع ١/٤٢٥.

ـ عـز وجل ـ حين رد عليـه ما رد[١] ليصلي فيـه، فلمـا انتهى إلى بيت المقدس وصلّى فيه، قدم عليه حينئـذٍ كتاب رسـول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ مع دحية الكلبـي يدعوه إلى الإسلام.

قـال ابن إسحاق: حـدثني الزهـري عن عبيـد الله بن عبـد الله بن عتبة بن مسعود[٢]، عن عبد الله بن عباس قال: حدثني أبـو سفيان قـال: كنـا قومـاً تجاراً وكـانت الحرب بيننـا وبين رسـول الله ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ قد حصرتنا حتى[٣] هلكت أموالنا، فلما كانت الهدنـة بيننا وبين رسـول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يعني التي عقـدت يوم الحـديبية ـ فلما عقدت الهدنة أَمِنّا[٤]، فخرجت في نفر من قريش تاجراً إلى الشام، وكـان وجه متجـرنا فقـدمتها حين ظهـر هرقـل على من كان عـارضه من فارس، فأخرجهم منها، وانتزع له صليبه الأعظم[٥] وقـد كانـوا سلبوه[٦] إياه، فلما بلغـه ذلك منهم، وبلغـه أن صليبه قـد استنقذ[٧] لـه، وكانت حمص منزله، فخرج منها على قدميه ـ متشكـراً لله عز وجـل ـ حين رد عليه ما رد ليصلي في بيت المقـدس وبسط له الـطريق بالبسط ويلقى[٨] عليها الرياحين، فلما انتهى إلى إيلياء وقضى فيها صـلاته ومعـه بطارقتـه وأساقفته الروم، قال[٩]: وقـدم عليه كتـاب رسول الله ـ صلَّى الله عليـه

---

(١) في س (ورد عليه ما ورد).
(٢) رجال السند كلهم ثقات. وسبقت ترجمتهم، وابن إسحاق هنا قد صرح بالسماع.
(٣) في ك وهامش س (حتى قد).
(٤) في ط (آمناً) وهو غير متفق مع السياق.
(٥) في ط (لأعظم) وهو خطأ.
(٦) في ط (صلبوه) وهو خطأ ظاهر.
(٧) في ك (استعيد) والمعنى واحد.
(٨) في ك (وتلقى) بالمثناة الفوقية.
(٩) سقطت (قال) من ط .

وسلَّم ــ مع دحية بن خليفة الكلبي فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله، إلى هرقل عظيم الروم، السلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فأسلم تسلم وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، وإن توليت فإن[1] عليك إثم الأريسيين»[2] ــ يعني[3] الأكارين ــ[4].

---

(١) في ك (فإنما) وفي س (فإن إثم الأريسيين عليك).

(٢) الأريسيين: هذه الرواية هي المشهورة في روايات الحديث، وفي كتب أهل اللغة.
قال الإمام النووي: «اختلف في ضبطه على أوجه:
أحدها: بيائين بعد السين.
والثاني: بياء واحدة بعد السين.
وعلى هذين الوجهين، الهمزة مفتوحة، والراء مكسورة مخففة.
والثالث: الإرِّيسين، بكسر الهمزة، وتشديد الراء، وبياء واحدة بعد السين. ووقع في الرواية الثانية في مسلم وفي أول صحيح البخاري اليرسيين. بياء مفتوحة في أوله، وبياءين بعد السين. قال ــ رحمه الله ــ: واختلفوا في المراد بهم على أقوال: أصحها وأشهرها، إنهم الأكارون. أي: الفلاحون، والزراعون. ومعناه أن عليك إثم رعاياك الذين يتبعونك وينقادون بانقيادك، ونبَّه بهؤلاء على جميع الرعايا لأنهم الأغلب، ولأنهم أسرع انقياداً. فإذا أسلم أسلموا؛ وإذا امتنع امتنعوا. وهذا القول هو الصحيح. وقيل غير ذلك. والله أعلم.
انظر: شرح النووي ١٢/١٠٩ ــ ١١٠.

(٣) سقطت جملة (يعني الأكارين) من س، ك.

(٤) أخرجه ابن جرير الطبري في تاريخه ٢/٦٤٦ ــ ٦٤٧ قال: حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن ابن شهاب الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن عبد الله بن عباس، قال: حدثني أبو سفيان بن حرب... وذكره كما أورده المؤلف.
وفي السند ابن حميد حافظ، ضعيف. كما قال ابن حجر؛ وسلمة بن الفضل الأبرش، صدوق كثير الخطأ. وقد سبقت ترجمتهما. وابن إسحاق لم يصرح بالسماع، وقد عنعن. لكن القصة مشهورة في البخاري ومسلم وغيرهما وسيأتي تخريجها.

قال ابن إسحاق[1]، وقال ابن شهاب: حدثني أسقف النصارى في زمان عبد الملك بن مروان[2] زعم لي أنه أدرك ذلك من أمر رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، وأمر هرقل وعقله، قال: لما قدم عليه كتاب رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ مع دحية أخذه فجعله على خاصرته، ثم كتب إلى رجل برومية كان يقرأ من العبرانية ما يقرأ يذكر له أمره ويصف له شأنه، ويخبره ما جاء منه، قال: فكتب إليه صاحب رومية أنه النبي الذي[3] ننتظره لا شك فيه فاتبعه وصدقه، فأمر هرقل ببطارقة الروم فجمعوا له في دسكرة ملكه، وأمر بها فأشرجت[4] عليهم أبوابها، ثم اطلع[5] عليهم من عِلِّية وخافهم على نفسه، وقال: يا معشر الروم إني قد جمعتكم لخير، إنه قد أتاني كتاب هذا الرجل يدعوني إلى

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في تاريخه ٦٤٩/٢، قال: حدثنا ابن حميد قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني ابن إسحاق، قال: ابن شهاب الزهري: حدثني أسقف للنصارى أدركته في زمان عبد الملك بن مروان... وساق الخبر بنحو ما ذكره المؤلف رحمه الله.

قلت: في السند، سلمة بن الفضل الأبرش، وابن حميد، والأول صدوق كثير الخطأ، والثاني ضعيف.

(٢) عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي القرشي. ولد سنة ٢٦هـ. ونشأ بالمدينة، وكان فقيهاً، واسع العلم، متعبداً، ناسكاً. انتقلت إليه الخلافة بموت أبيه سنة ٦٥هـ. وكان قوياً، اجتمعت عليه كلمة المسلمين بعد مقتل مصعب وعبد الله ابني الزبير في حربهما مع الحجاج. مات ـ رحمه الله ـ بدمشق سنة ٨٦هـ.

انظر ترجمته في: تاريخ الطبري ٤١٨/٦؛ وميزان الاعتدال ٦٦٤/٢؛ وفوات الوفيات ٤٠٢/٢؛ والبداية والنهاية ٦١/٩ ـ ٧٠؛ وتقريب التهذيب ٥٢٣/١ (١٣٤٧)؛ والأعلام للزركلي ١٦٥/٤.

(٣) في س (الذي كنا).

(٤) في ك، ط (فاسترخت) وفي س (فاسترحب) وما أثبتناه من أ، وتاريخ ابن جرير الطبري ٦٤٩/٢، ومعنى أشرجت: سدت أبوابها.

(٥) في ط (ثم طلع).

دينـه، وإنه ـ والله ـ للرجـل الذي كنـا ننتـظره ونجـده في كتبنـا، فهلمَّ فلنتبعـه[1] لنصدقـه[2]، فتسلم لنا دنيـانا وآخـرتنا، فنخـروا نخـرة رجـل واحد، ثم ابتدروا أبواب الدسكرة ليخرجـوا منها، فـوجدوهـا قد أغلقت دونهم فقـال: كروهم علي وخـافهم[3] على نفسه فكـروا عليـه، وقـال: يا معشر الروم، إنما قلت لكم هـذه المقالـة التي قلت لكم؛ لأنظر كيف صلابتكم على دينكم لهذا[4] الأمر الذي حدث، فقد رأيت منكم الـذي أسر به فوقعوا سجوداً وأمر بأبواب الدسكرة[5] ففتحت لهم فانطلقوا[6].

وهذا حديث مشهور من حديث محمـد بن إسحاق ـ وهـو ذو علم وبصيرة بهذا الشـأن، حفظ ما لا يحفـظه غيره قـال ابن إسحاق: «وأخـذ هـرقل كتـاب رسول الله ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ فجعله في قصبـة من ذهب وأمسكها عنده تعظيماً له»، وهذه القصـة مشهورة ذكـرها أصحـاب الصحاح.

ففي البخاري ومسلم والسياق للبخاري «عن الزهري قال: أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أن عبد الله بن عباس أخبره أن أبا سفيان بن حرب أخبره أن هرقل أرسل إليـه في ركب من قريش، وكـانوا

---

(١) في ط (فلم فلنبعه) وهو خطأ ظاهر.
(٢) في ك (ونصدقه).
(٣) في ط (وخالفهم) وهو خطأ ظاهر، وكروهم أي: أرجعوهم.
انظر: مختار الصحاح ص ٥٦٧؛ والمصباح المنير ٢/٧٢٧.
(٤) سقطت (لهذا) من ط .
(٥) الدسكرة: واحـدة من الدسـاكر. وهي القصـور. قال في المصبـاح المنير ١/٢٦٣: «الدسكرة بناء شبه القصر حوله بيوت ويكون للملوك، قال الأزهري وأحسبه معرباً».
وانظر: جامع الأصول ١/٢٧٤؛ وتفسير غريب الحديث لابن حجر ص ٩١.
(٦) أخرجه ابن جرير الطبري في تاريخه: ٢/٦٤٩ كما تقدم.

تجاراً بالشام في المدة التي كان رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ هادن فيها أبا سفيان بن حرب وكفار قريش فأتوه وهو بإيليا فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم ثم دعاهم بالترجمان، فقال: أيكم أقرب نسباً بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ فقال أبو[1] سفيان: فقلت: أنا أقربهم نسباً، فقال: أدنوه وقربوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره، ثم قال لترجمانه: إني سائل هذا عن هذا الرجل، فإن كذبني فكذبوه. قال أبو سفيان: فوالله لولا الحياء من أن يأثروا عليَّ الكذب لكذبت عليه، ثم كان أول ما سألني عنه أن قال: كيف نسبه فيكم؟ قلت: هو فينا ذو نسب، قال: فهل قال هذا القول أحد منكم قط[2] قبله؟ قلت: لا، قال: فهل كان من آبائه من ملك؟ قلت: لا، قال: فأشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟ قلت: بل ضعفاؤهم. فقال: أيزيدون أم ينقصون؟ قلت: بل يزيدون. قال: فهل يرتد منهم أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ قلت: لا. قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا. قال: فهل يغدر؟؟ قلت: لا. ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها. قال: ولم يمكني كلمة أدخل فيها شيئاً غير هذه الكلمة. قال: فهل قاتلتموه؟ قلت: نعم، قال: فكيف كان قتالكم إياه؟ قلت: الحرب بيننا وبينه سجال، ينال منا وننال منه. قال: بماذا[3] يأمركم؟ قلت: يقول: اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة، والصدق والعفاف، والصلة. فقال للترجمان: قل له سألتك عن نسبه، فذكرت أنه فيكم ذو نسب، وكذلك الرسل تبعث في أنساب قومها، وسألتك: هل قال أحد منكم هذا القول

(١) في ط (أبا).

(٢) في س، ك، ط منكم أحد قبله قط؟

(٣) في ك (بماذا) وفي ط (فبماذا).

قبله فذكرت أن لا. فقلت: لو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت رجل يتأسّى بقول قيل قبله، وسألتك هل كان من آبائه من ملك؟ فذكرت أن لا. فقلت: لو كان في آبائه من ملك قلت: رجل يطلب ملك أبيه. وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فذكرت أن لا فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله، وسألتك أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟ فذكرت أن ضعفاؤهم اتبعوه وهم أتباع الرسل، وسألتك هل يزيدون أم ينقصون؟ فذكرت أنهم يزيدون؛ وكذلك أمر الإيمان حتى يتم. وسألتك أيرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ فذكرت أن لا. وكذلك الإيمان حين يخالط[1] بشاشته القلوب لا يسخطه أحد، وسألتك هل يغدر؟ فذكرت أن لا. وكذلك الرسل لا تغدر، وسألتك بم يأمركم؟ فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وينهاكم عن عبادة الأوثان، ويأمركم بالصلاة، والصدق، والعفاف، فإن كان ما تقول حقاً، فسيملك موضع قدمي هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج ولم أكن أظن[2] أنه منكم، فلو أني أعلم أني[3] أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه.

ثم دعى بكتاب رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ الذي بعث به مع دحية[4] الكلبي إلى عظيم بصرى فدفعه عظيم بصرى إلى هرقل[5]

---

(١) في ك، ط (تخالط) بالمثناة الفوقية.

(٢) في ط (أظنه).

(٣) في ك، ط (فلو أعلم أني أخلص).

(٤) تقدمت ترجمة (دحية) وضبط اسمه.

(٥) تقدمت ترجمة هرقل وضبط اسمه. وقد ورد في تهذيب الأسماء واللغات للإمام =

فقرأه فإذا فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبد الله ورسوله، إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، أسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت، فإن عليك إثم الأريسيين، ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلَّا الله ولا نشرك به شيئاً، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنّا مسلمون».

قال أبو سفيان: فلما قال ما قال، وفرغ من قراءة الكتاب، كثر عنده الصخب، وارتفعت الأصوات وأخرجنا، فقلت لأصحابي حين أخرجنا: لقد أَمِرَ أَمْرُ[1] ابن أبي كبشة إنه ليخافه ملك بني الأصفر فما زلت موقناً أنه سيظهر حتى[2] أدخل الله عليَّ الإسلام[3].

= النووي ٢/٦٥، أنه يقال لكل من ملك الروم قيصر؛ والقبط فرعون؛ ومصر العزيز؛ وحمير تبع.

قلت: المعروف أن من يتولى عرش مصر قديماً يسمى فرعون، ومن يتولى القبط في مصر يسمى المقوقس.

(١) سقطت أمر الثانية من ط وفي ك (أمن) وهو تصحيف: ومعنى العبارة: عظم أمره واتسع شأنه. وهذا نسبة من المشركين للنبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إلى ابن أبي كبشة الخزاعي، الذي خالف قريشاً في عبادة الأوثان وعبد الشعرى فقالوا ذلك تشبيهاً.

وقيل: كان جد النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لأمه. وقيل: عداوة له بأن نسب إلى غير نسبه المشهور.

انظر: جامع الأصول ١١/٢٧٣؛ وشرح النووي ١٢/١١٠ (مجلد ٦).

(٢) في ط (حفي) وهو تصحيف.

(٣) أخرجه الإمام البخاري في بدء الوحي على رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ١/٤ ـ ٧، قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ في الفتح ١/٤٣: «انتهى حديث البخاري عند قول أبي سفيان حتى أدخل الله علي الإسلام، ولم يذكر قصة ابن الناطور. وكذا أخرجه مسلم بدونها... ولم يسقه بتمامه. وقد ساقه بتمامه =

وكان ابن الناطور[1] صاحب إيليا[2] أسقفاً[3] على نصارى أهل

= الطبراني من طريق عبد الله بن صالح، عن الليث، وذكر فيه قصة ابن الناطور» اهـ. كلامه ـ رحمه الله ـ.

وأخرجه مسلم في الجهاد، باب كتاب النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام ١٣٩٣/٣ ـ ١٣٩٧.

ورواه أحمد في مسنده ٢٦٢/١ ـ ٢٦٣؛ ورواه من طريق أخرى ٤٤١/٣ ـ ٤٤٢؛ ورواه الترمذي ـ مختصراً ـ في الاستئذان ٦٩/٥ (٢٧١٧)، وقال: هذا حديث حسن صحيح؛ وأبو داود في الأدب ٣٤٩/٥. وابن الأثير في جامع الأصول ٣٢/١٢ ـ ٣٧، ٢٦٥/١١ ـ ٢٧٤؛ والبيهقي في السنن الكبرى في السير ١٧٧/٩، وانظر القصة في طبقات ابن سعد ٢٥٩/١؛ والروض الأنف للسهيلي ٣٥٥/٢؛ وصبح الأعشى ٣٧٦/٦؛ وزاد المعاد ٦٨٨/٣؛ وأعلام السائلين ص ٦٤ ـ ٧٦؛ ومجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة ص ١٠٩.

(١) قال ابن حجر في فتح الباري ٣٨/١: «هو بالطاء المهملة، وفي رواية الحموي بالظاء المعجمة، وهو بالعربية حارس البستان. وهو اسم أعجمي.

(٢) إيلياء: بكسر أوله، واللام، وياء وألف ممدودة وحكي بالقصر: اسم مدينة بيت المقدس، عبري، قيل معناه: بيت الله؛ وهي على جبل، وتحيط بها الجبال وماؤها من الأمطار، فتحت في عهد عمر ـ رضي الله عنه ـ.

انظر: مراصد الاطلاع ١٣٨/١؛ وفتح الباري ٣١/١؛ والروض المعطار ص ٦٨ ـ ٦٩.

(٣) يقسم النصارى درجات الكهنوت إلى ثلاث درجات:

الأول: الشماس: لفظة سريانية، ومعناها خادم. ومن واجباته، توزيع الصدقات على الفقراء. كما يقولون. ولفظه باليونانية (دياكون).

الثانية: القسيس: لفظة سريانية، وباليونانية (إبريسفيتروس) وهذه الدرجة أعلى من التي قبلها. ووظيفة القسيس، تقديس القرابين، وعماد المعتمدين وتزويج المتزوجين، وتأدية خدمة الأسرار، وتوزيعها على الشعب، وتعليمهم ووعظهم.

الثالثة: الأسقف: وهي أعلى درجات الكهنوت، كما يذكرون في كتبهم التي بين يدي، والأسقف: كاهن، موكول إليه الأمر. وهو كما يزعمون: في كنيسته نائب عن المسيح، ومن ثم له حق الرياسة على الكهنة، الذين هم تحت إدارته، ويقيم =

الشام يحدث أن هرقل حين قدم إيلياء أصبح يوماً خبيث النفس، فقال له بعض بطارقته: قد استنكرنا هيئتك قال ابن الناطور: وكان هرقل حزاء[1] ينظر في النجوم، فقال لهم حين سألوه: إني رأيت الليلة حين نظرت في النجوم، أن ملك الختان قد ظهر، فمن يختتن من هذه الأمة؟ قالوا[2]: ليس يختتن إلَّا اليهود فلا يهمنَّك شأنهم واكتب[3] إلى مدائن ملكك فليقتلوا من فيهم من اليهود، فبيناهم[4] على أمرهم، أتى هرقل برجل أرسل به ملك غسان يخبر عن رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، فلما استخبره هرقل قال: اذهبوا فانظروا أمختتن هو أم لا؟ فنظروا إليه فحدثوه أنه مختتن وسأله عن العرب قال: هم مختتنون، فقال هرقل: هذا ملك هذه الأمة قد ظهر، ثم كتب هرقل إلى صاحب له برومية[5] وكان هرقل نظيره في العلم، وسار هرقل إلى حمص[6] حتى أتاه كتاب من صاحبه يوافق رأي هرقل على خروج النبي ـ صلَّى الله عليه

= الكهنة لشعبه، والمعلمين، ويدبر أمورهم.
انظر: أسرار الكنيسة السبعة ص ١٨٤ للأرشيدياكون حبيب جرجس. وكنز النفائس في اتحاد الكنائس ص ١٩١.
وفي تتمة المختصر لابن الوردي: إن البطريق: إمام كبير عندهم، ومطران: قاضي، والأسقف: مفتي، والقسيس: قارىء، والجاثليق: إمام الصلاة، والشماس: مؤذن ومقيم وخادم... انظر تتمة المختصر ١/١٢٧ ـ ١٢٨.

(١) حزاء هو الذي يحزر الأشياء ويقدرها بظنه. ويقال للذي ينظر في النجوم حزاء من قبل هذا؛ لأنه ينظر في النجوم وأحكامها بظنه، وتقديره، فربما أصاب.
انظر جامع الأصول لابن الأثير ١١/٢٧٤؛ والمصباح المنير ١/١٨٤؛ ومقدمة فتح الباري ص ١٠٥.

(٢) في ط (فقالوا).

(٣) في ك (وابعث).

(٤) في ط (فبينما).

(٥) رومية سبق التعريف بها.

(٦) سبق التعريف بها.

وسلَّم ــ وأنه نبي، فأذن هرقل لعظماء الروم في دسكرة له بحمص، ثم أمر بأبوابها فغلقت، ثم اطلع عليهم فقال: يا معشر الروم، هل لكم في الفلاح والرشد وأن يثبت ملككم فتتابعوا هذا النبي، فحاصوا[1] حيصة حمر الوحش إلى الأبواب فوجدوها قد غلقت[2]، فلما رأى هرقل نفرتهم ويئس من الإيمان منهم قال: ردوهم علي، وقال: إني قلت مقالتي آنفاً أختبر بها شدتكم على دينكم فقد رأيت، فسجدوا له ورضوا عليه، فكان هذا آخر شأن هرقل[3].

قلت[4]: وكان هرقل من أجل ملوك النصارى في ذلك الوقت، وقد أخبر غير واحد أن هذا الكتاب إلى الآن باقٍ[5] عند ذرية هرقل في أرفع صوان وأعز مكان يتوارثونه كابراً عن كابر، وأخبر غير واحد أن هذا الكتاب باقٍ إلى[6] الآن عند الفنش[7]

(١) فحاصوا: نفروا. انظر تفسير غريب الحديث لابن حجر ص ٧٨.

(٢) في ط زيادة (دونهم).

(٣) قال ابن حجر ــ رحمه الله ــ في فتح الباري ١/٣٨ عن هذه القصة بأنها «... موصولة إلى ابن الناطور لا معلقة كما زعم بعض من لا عناية له بهذا الشأن وكذلك أغرب بعض المغاربة فزعم أن قصة ابن الناطور مروية بالإسناد المذكور عن أبي سفيان عنه؛ لأنه لما رآها لا تصريح فيها بالسماع حملها على ذلك، وقد بين أبو نعيم في دلائل النبوة أن الزهري قال: لقيته بدمشق في زمن عبد الملك بن مروان، وأظنه لم يتحمل عنه ذلك إلَّا بعد أن أسلم، وإنما وصفه بكونه كان أسقفاً لينبه على أنه كان مطلعاً على أسرارهم عالماً بحقائق أخبارهم...».
وانظر دلائل النبوة لأبي نعيم ص ٢٩١.

(٤) سقطت (قلت) من أ.

(٥) في ط (باقٍ إلى الآن).

(٦) سقطت من س جملة (باقٍ إلى) وفي ك، ط (باقٍ الآن).

(٧) الفنش: هو الفونس السادس بن فرديناند، أحد ملوك النصارى شن حروباً على =

صاحب قشتالة[1]، وبلاد الأندلس يفتخرون به وهذا أمر مشهور معروف[2].

وقد روى سنيد[3] ـ وهو شيخ البخاري ـ في تفسيره قال: حدثنا هشام[4] قال: أخبرنا حصين[5] عن[6] عبد الله بن شداد بن الهاد[7] قال: لما كتب رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إلى هرقل فقرأ كتابه وجمع الروم فأبوا عليه قال: فلما كان يوم الأحد لم يحضر أسقفهم

= المسلمين في القرن الخامس الهجري، فاستولى على قشتالة وغيرها من بلاد الأندلس، ثم دارت بينه وبين المسلمين معركة (الزلاقة) في سبته سنة ٤٧٩هـ، انتهت بانتصار المسلمين عليه، عندما اتحدت جيوشهم فاجتمع ابن عباد مع ابن تاشفين، وحقق الله لهم النصر عليه.

انظر: المقتبس في تاريخ الأندلس لابن حيان ص ١٨٨ (ط: سميا، نشر دار الثقافة بيروت)؛ دولة الإسلام في الأندلس لمحمد عنان ١/٢٠٧ ـ ٢٢٢ (ط ٤، نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة).

(١) قشتالة: إقليم عظيم بالأندلس، عاصمته طليطلة.
انظر مراصد الاطلاع ٣/١٠٩٤.

(٢) انظر تخريجنا السابق.

(٣) سبقت ترجمته.

(٤) هشام: لعله تصحيف (هشيم) فلم أجد فيمن اسمه هشام من روى عن حصين، والذي روى عن حصين هو: هشيم ـ بالتصغير ـ بن القاسم بن دينار السلمي ثقة ثبت. كثير التدليس، والإرسال الخفي مات سنة ١٨٣هـ.
انظر: تقريب التهذيب ٢/٣٢٠ (١٠٣)، وتهذيب التهذيب ١١/٥٩.

(٥) حصين بن عبد الرحمن السملي، أبو الهذيل الكوفي، ثقة، تغير حفظه في الآخر. مات سنة ١٣٦هـ.
انظر تقريب التهذيب ١/١٨٢ (٤١١)؛ وتهذيب التهذيب ٢/٣٨١.

(٦) سقطت (عن) من ط.

(٧) عبد الله بن شداد بن الهاد، الليثي، المدني. ولد على عهد النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، وذكره العجلي من كبار التابعين الثقات، مات بالكوفة مقتولاً سنة ٨١هـ.
انظر: تقريب التهذيب ١/٤٢٢ (٣٧٤)؛ وتهذيب التهذيب ٥/٢٥١، والخبر مرسل.

الكبير وتمارض، فأرسل إليه فأبى، ثم أرسل إليه، فأبى ثلاث مرات فركب إليه فقال له: أليس قد عرفت أنه رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ؟ قال: بلى، قال: أليس قد رأيت ما ركبوا مني فأنت أطوع فيهم مني فتعال فادعهم. قال: وتأذن[1] لي في ذلك؟ قال: نعم. قال: اذهب هو ذا أجيء، قال: فجاء بسواده إلى كنيستهم العظمى، فلما رأوه خروا له سجداً الملك وغيره، فقام في المذبح فقال: يا أبناء الموتى، هذا النبي الذي بشر به عيسى، وأنا أشهد أن لا إلّه إلاَّ الله وأن محمداً رسول الله، فنخروا[2] ووثبوا إليه فعضوه بأفواههم حتى قتلوه، قال: وجعلوا يخرجون أضلاعه بالكلبتين حتى مات.

● ● ●

---

(١) في ط (أو).

(٢) قال في القاموس المحيط ٢/١٣٩ مادة (نخر): نخر ينخر وينخر نخيراً: مد الصوت في خياشيمه».

فصل

٣ ـ إرسال الرُّسُل إلى جميع الطوائف الموجودة في عهده.

وأرسل النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ رسولاً أيضاً[1] إلى ملك مصر المقوقس[2] ـ ملك النصارى في ذلك الوقت بالإسكندرية ـ وكان رسوله إليه حاطب بن أبي بلتعة[3] ـ رضي الله عنه ـ قال حاطب: قدمت على المقوقس ـ واسمه جريح بن مينا ـ بكتاب رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فقلت له: إنه كان قبلك رجل يزعم أنه الرب الأعلى، فأخذه الله نكال الآخرة والأولى، فانتقم به ثم انتقم منه، فاعتبر

---

(١) في س، ك (أيضاً رسولاً).

(٢) المقوقس: هو جريج بن مينا القبطي. ملك النصارى بالإسكندرية. وكان قد بعث النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إليه حاطب بن أبي بلتعة ـ رضي الله عنه ـ؛ برسالة يدعوه فيها إلى الإسلام، وتذكر الكاتبة الإنجليزية ا. ل. بتشر: أن اسمه جرجس بن مينا بركوبوس. وقد تحدثت عنه حديثاً واسعاً تحاملت فيه على هذا الرجل، واتهمته بالخيانة مع المسلمين، ثم واصلت حديثها الذي زورت فيه الحقائق، وجعلت من الباطل حقاً، ومن الحق باطلاً. وذلك مع كتابها: تاريخ الأمة القبطية وكنسيتها ١٢٣/٢، ط مطبعة مصر بالفجالة سنة ١٩٠١م. وانظر في القصة: طبقات ابن سعد ١٣٤/١، ٢٦٠، والبداية والنهاية ٢٧٢/٤ وتتمة المختصر لابن النووي: ١٩٥/١.

(٣) حاطب بن أبي بلتعة (بفتح الباء الموحدة) بن عمرو اللخمي. يكنى أبا عبد الله؛ أسلم قديماً، شهد بدراً، والحديبية، ونزل فيه أول سورة الممتحنة لأنه كتب لأهل مكة يخبرهم بتجهيز الرسول ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ واعتذر وقبل الرسول ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ عذره. مات ـ رضي الله عنه ـ سنة ٣٠هـ. في خلافة عثمان.

انظر: الاستيعاب ٣٤٧/١؛ والإصابة ٢٩٩/١؛ وتهذيب التهذيب ١٢٨/٢. =

بغيرك ولا يعتبر بك. قال: هات، قلت: إن لك ديناً لن تدعه إلا لما هو خير منه، وهو الإسلام الكافي بعد ما سواه، إن هذا النبي دعا الناس إلى الله، فكان أشدهم عليه قريش، وأعداهم له اليهود، وأقربهم منه النصارى، ولعمري ما بشارة موسى بعيسى إلَّا كبشارة عيسى بمحمد وما دعاؤنا إياك إلى القرآن إلَّا كدعائك أهل التوراة إلى الإنجيل، وكل من أدرك نبياً فهو من أمته، فالحق عليهم أن يطيعوه، فأنت ممن أدركت[1] هذا النبي ولسنا ننهاك عن دين المسيح، ولكنا نأمرك به، ثم ناوله كتاب رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فلما قرأه قال: خيراً قد نظرت في هذا فوجدته لا يأمر[2] بمزهود فيه ولا ينهى عن مرغوب فيه، ولم أجده بالساحر الضال، ولا الكاهن الكاذب، ووجدت معه آلة النبوة، ثم جعل الكتاب في حق من[3] عاج وختم عليه ودفعه إلى خازنه، وكتب جوابه إلى رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: فقد علمت أن نبياً قد بقي وقد أكرمت رسولك[4]، وأهدى للنبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ جاريتين وبغلة تسمى الدلدل. فقبل النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ هديته، واصطفى الجارية الواحدة ـ واسمها مارية القبطية ـ لنفسه فولدت منه إبراهيم، وأعطى الأخرى لحسان بن ثابت، فولدت منه عبد الرحمن، وعاشت البغلة إلى زمن[5] معاوية فقال النبي ـ صلَّى الله

---

(١) في ك، ط (أدرك). وفي س (فأنت ممن أدركت هذا قال النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ)، وهو غير متفق مع سياق الكلام.

(٢) في ط (فوجدته قد لا يأمر) بزيادة (قد).

(٣) سقطت (من) من أ، س، ك وزدناها من ط؛ وطبقات ابن سعد ١ / ٢٦٠.

(٤) في ط (رسلك).

(٥) في ط (زمان).

عليه وسلَّم ــ: «ضن الخبيث بملكه ولا بقاء لملكه»[1][2].

قال محمد بن سعد[3]: حدثنا محمد بن عمر[4] قال: حدثنا عبد الحميد بن جعفر[5] عن أبيه[6]، قال: لما رجع رسول الله[7] ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ من الحديبية في[8] ذي القعدة سنة ست من

---

(١) في س، ك (للمملكة).

(٢) قصة إرسال حاطب إلى المقوقس مشهورة في كتب السيرة، ورد المقوقس عليه، وقول النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ: «ضن الخبيث بملكه، ولا بقاء لملكه». فقد وردت في الطبقات الكبرى لابن سعد ١/٢٦٠؛ والسيرة النبوية لابن هشام ٤/١٨٨؛ والسيرة الحلبية ٣/٢٨٠ ــ ٢٨٣؛ والبداية والنهاية لابن كثير ٤/٢٧٤ بسند حسن غير أن عبد الله بن عبد الله القارىء ــ راوي القصة ــ مختلف في صحبته. كما قال ابن حجر في تهذيب التهذيب ٥/٣٠٥، ٦/٢٢٣ ــ ٢٢٤. كما عزاه في ٤/٢٧٢ إلى البيهقي. وانظر صبح الأعشى ٦/٤٦٧؛ والوفا لابن الجوزي ٢/٧١٧؛ وابن سيد الناس ٢/٢٦٥ ــ ٢٦٦؛ وشرح المواهب اللدنية ٣/٣٤٨ ــ ٣٥٠؛ وسيرة ابن دحلان ٣/٦٤ ــ ٦٦؛ ونصب الراية للزيلعي ٤/٤٢١ ــ ٤٢٢. وأعلام السائلين ص ٨٠ ــ ٨١؛ وزاد المعاد ١/١٢٢.

(٣) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ١/٢٦٠؛ باب ذكر بعثة رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ الرسل بكتبه إلى الملوك، يدعوهم إلى الإسلام.

(٤) محمد بن عمر بن واقد، الواقدي، قال ابن حجر: «متروك مع سعة علمه». وسبقت ترجمته.

(٥) عبد الحميد بن جعفر الأنصاري. صدوق، رمي بالقدر، ربما وهم، مات سنة ١٥٣هـ. انظر: تقريب التهذيب ١/٤٦٧(٨٠٧).

(٦) جعفر بن عبد الله بن الحكم الأنصاري. قال الحافظ ابن حجر في الإصابة: «قيل: له صحبة». ثم ذكر أن البخاري قال عن حديثه: مرسل.

انظر: الإصابة ١/٢٣٨(١١٦٤)؛ وتقريب التهذيب ١/١٣١(٨٥)، والقصة مشهورة، وسبق تخريجها.

(٧) في ط (النبي).

(٨) في س، ك (من) بدل (في).

الهجرة، بعث حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس القبطي صاحب الإسكندرية، وكتب إليه معه كتاباً يدعوه فيه إلى الإسلام، فلما قرأ الكتاب قال له. خيراً وأخذ الكتاب ــ وكان مختوماً ــ فجعله في حق من[1] عاج، وختم عليه، ودفعه إلى خازنه[2] وكتب إلى النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ جواب كتابه ولم يسلم، وأهدى إلى النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ما تقدم ذكره.

فكل من الملكين عظم أمر رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وتواضع له ولكتابه، واعترف بأنه الرسول المنتظر الذي بشرت به الأنبياء ــ عليهم السلام ــ.

وقد كان المقوقس يعرف أنه حق بما يسمع من صفاته من أهل الكتاب، ولكن ضن بملكه ولم يؤمن، وكان قد خرج إليه المغيرة[3] قبل إسلام المغيرة فحدثه بذلك.

قال محمد بن عمر الوقدي: حدثني محمد بن سعد[4] الثقفي، وعبد الرحمن بن عبد العزيز[5]، وعبد الملك بن عيسى[6]، وعبد الله بن

---

(١) سقطت (من) من أ، س، ك وزدناها من ط، ومن الطبقات ١/ ٢٦٠.
والعاج: ظهر السلحفاة البحري، كما قال في المصباح المنير ٢/٥٩٦.

(٢) في س (جاريته).

(٣) في ط (المغيرة بن شعبة) وسبقت ترجمته.

(٤) في أ، س (سعيد)، وهو خطأ.

(٥) في ط زيادة (بن عبد الله بن عثمان بن سهل بن حنيف)، وهي زيادة صحيحة ونسبه الأنصاري، الأوسي، المدني. صدوق، يخطىء، وجاء في الخلاصة: مضطرب الحديث. مات سنة ١٦٢هـ.
تقريب التهذيب ١/٤٨٩(١٠٢٥)، والتهذيب ٦/ ٢٢٠، والخلاصة للخزرجي ص ٢٣٠.

(٦) عبد الملك بن عيسى الثقفي. مقبول من السادسة.
تقريب التهذيب ١/٥٢١؛ والتهذيب ٦/٤١٣؛ والخلاصة ٢٤٥.

عبـد الرحمن[1]، ومحمـد بن يعقوب بن عتبـة[2]، عن أبيه[3] وغيـرهم، كل قد حدثني من هذا الحديث بطائفة منه[4] قال: قال المغيرة بن شعبة في خروجه إلى المقوقس مع بني مالك وأنهم لمـا دخلوا على المقوقس قـال: كيف خلصتم إليَّ من طـائفتكم ومحمـد وأصحـابـه بيني وبينكم؟ قالوا: لصقنا[5] بالبحـر وقد خفنـاه على ذلك. قـال: فكيف صنعتم فيما دعاكم إليه؟ قالوا: ما تبعه منا رجل واحد.

قـال: ولم ذاك[6]؟ قالـوا: جاءنـا بدين مجـدد لا تدين بـه الآباء، ولا يدين به الملك، ونحن على ما كان عليـه آباؤنـا. قال: فكيف صنـع قـومه؟ قـالوا: تبعـه أحداثهم وقـد لاقاه من خلفـه من قومـه وغيرهم من العرب في مواطن، مـرة تكون عليهم الـدائرة ومـرة تكون لـه. قال: ألا تخبـروني إلى ماذا يـدعو إليـه؟ قالـوا: يدعـونـا إلى أن نعبـد الله وحـده لا شريك له، ونخلع ما كان يعبد الآباء[7]، ويدعو إلى الصلاة والـزكاة. قـال: وما الصـلاة والزكـاة؟ ألها وقت يعـرف وعدد تنتهي إليـه؟ قـالـوا: يصلون في اليوم والليلة خمس صلوات كلها لمواقيت وعدد قـد[8] سموه

---

(١) عبد الله بن عبد الرحمن بن يعلى الثقفي. صدوق يخطىء، ويهم من السابعة.
التقريب ١/٤٢٩؛ التهذيب ٥/٢٩٨؛ والخلاصة ٢٠٥.

(٢) محمد بن يعقوب بن عتبة الثقفي. لم أقف له على ترجمة.

(٣) يعقوب بن عتبة بن المغيرة الثقفي. ثقة من السادسة، مات سنة ١٢٨هـ.
التقريب ٢/٣٧٦، التهذيب ١١/٣٩٢، والخلاصة ص ٤٣٧.

(٤) سقطت (منه) من س، ك.

(٥) في ط (ألصقنا).

(*) السند جاء من طريق الواقدي، وهو متروك.

(٦) في ط (ذلك).

(٧) في ك، ط (آباؤنا).

(٨) سقطت (قد) من ط.

له، ويؤدون من كل مال بلغ[1] عشرين مثقالاً[2] نصف مثقال، وأخبروه بصدقة الأموال كلها. قال: أفرأيتم إذا أخذها أين يضعها؟ قالوا: يردها على فقرائهم، ويأمر بصلة الرحم، ووفاء العهد، وتحريم الزنا والخمر، ولا يأكل مما ذبح لغير الله فقال المقوقس: هذا نبي مرسل إلى الناس، ولو أصاب القبط[3] والروم اتبعوه، وقد أمرهم بذلك عيسى بن مريم، وهذا الذي تصفون منه بعث به الأنبياء من قبله، وستكون له[4] العاقبة حتى لا ينازعه أحد، ويظهر دنيه[5] إلى منتهى الخف والحافر ومنقطع البحور، ويوشك قومه أن يدافعوه بالراح[6]. قالوا: فلو دخل الناس كلهم معه ما دخلنا، قال المغيرة: فأنغض المقوقس رأسه وقال: أنتم في اللعب، ثم قال: كيف نسبه في قومه؟ قلنا: هو أوسطهم نسباً. قال كذلك والمسيح، الأنبياء تبعث في نسب قومها، ثم قال: فكيف حديثه[7]؟ قال: قلنا: ما يسمى إلَّا الأمين من صدقه، قال: انظروا في أمركم أترونه يصدق فيما بينكم وبينه ويكذب على الله. قال: فمن تبعه؟ قلنا: الأحداث. قال: هم والمسيح أتباع الأنبياء قبله. قال: فما فعلت

---

(١) في س، ك، ط (ما) بدل (مال).

(٢) المثقال وزن درهم وثلاثة أسباع درهم.
انظر المصباح المنير ١/١١٤، ومختار الصحاح ص ٨٥.

(٣) القبط: من ولد حام، أهل ملك بديار مصر، واختلط بهم طوائف من اليونان، والعماليق، والروم، وغيرهم، وكانوا سالفاً صابئة ذوي هياكل وأصنام، ومنهم علماء بالفلسفة، ولقبت ملوكهم بالفراعنة.
انظر: البداية والنهاية ١٠/٣١٧؛ وابن الوردي ١/١١٦؛ والمصباح المنير ٢/٦٦٩ وفيه (القبط بالكسر: نصارى مصر. الواحد قبطي).

(٤) في ك، ط (وسيكون) بالمثناة التحتية.

(٥) (دنيه) ساقطة من ط.

(٦) الراح جمع راحة، وهي الكف. مختار الصحاح ص ٢٦٢.

(٧) في ط (صدق حديثه).

يهـود يثرب فهم أهـل التوراة؟ قلنـا: خالفـوه فأوقـع بهم فقتلهـم وسباهم وتفـرقوا في كـل وجه[1]. قـال: هم قـوم حسـدة[2] حسـدوه، أمـا إنهم يعرفون من أمره مثل ما نعرف؟ قال المغيرة: فقمنـا من عنده وقـد سمعنا كلاماً ذللنا لمحمد ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ وخضعنا لـه، وقلنا: ملوك العجم يصدقونه ويخافونه في بعد أرحامهم منـه، ونحن أقربـاؤه وجيرانـه ولم ندخل معه، وقد جاءنا داعياً إلى منازلنا. قال المغيـرة: فرجعت إلى منزلنا فأقمت بالإسكندرية لا أدع كنيسة إلا دخلتها وسـألت أساقفتهـا من قبطها ورومها عما يجـدون من صفة محمـد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، وكان أسقف من القبط هو رأس كنيسة يـوحنـا[3]، كانوا يأتونه بمرضاهم فيـدعو لهم لم أر قط أشد اجتهاداً منـه فأتيتـه فقلت: هـل بقي أحـد من الأنبياء؟ قال: نعم، هو آخر الأنبياء ليس بينه وبين عيسى بن مريم أحد، وهـو نبـي مرسـل وقد أمـرنا عيسى بـاتباعـه، وهو النبـي الأمي العـربـي اسمه أحمد، ليس بالطويل ولا بالقصير، في عينيه حمرة، وليس بالأبيض ولا بالآدم[4]، يعـفي شعره، ويلبس ما غلظ من الثياب، ويجتزي[5] بما

---

(١) في ط (ناحية) بدل (وجه).

(٢) في س، ك (حشد).

(٣) ذكـر الدكتـور رؤوف حبيب (مـديـر المتحف القبـطي الأسبق) في كتـابـه (المـوجـز التاريخي عن الكنائس القبـطية القـديمة بـالقاهـرة) ص ٤٩ ذكر من ضمن الكنـائس الصغرى بمصر القديمة «كنيسة أبا كير ويوحنا» قال: ويسميـان أيضاً بـاسم «سيروس وجون» وهما من مدينة دمنهور، وتحتفل الكنيسة القبطية بعيد موتهما في يوم ٤ أبيب يوم ٢٠ يونيه.
انظر ص ٤٩ من الكتاب السـابق (ط مكتبة المحبـة) بالقـاهرة، وهي مكتبـة خاصـة بالكتب النصرانية.

(٤) الآدم جمعه أدم بالضم وسكون الدال، وهو اللون الذي بين البياض والسواد.
انظر: تفسير غريب الحديث لابن حجر ص ٣ حرف الألف.

(٥) أي يكتفي.

لقي من الطعام، سيفه على عاتقه، ولا يبالي من[1] لاقى، يباشر القتال بنفسه، ومعه أصحابه يفدونه بأنفسهم، هم له أشد حباً من أولادهم وآبائهم، يخرج[2] من أرض حرم ويأتي إلى حرم، يهاجر إلى أرض سباخ[3] ونخل، يدين بدين إبراهيم ـ عليه السَّلام ـ. قال المغيرة[4]: فقلت له: زدني في[5] صفته. قال: يأتزر على وسطه، ويغسل أطرافه، ويخصّ بما لا تخصّ به الأنبياء قبله، كان[6] النبي يبعث إلى قومه، ويبعث هو إلى الناس كافة، وجعلت له الأرض مسجداً وطهوراً، أينما أدركته الصلاة تيمم وصلى، ومن كان قبله[7] مشدداً عليهم لا يصلون إلّا في الكنائس والبيع. قال المغيرة بن شعبة: فوعيت ذلك كله من قوله وقول غيره، وما سمعت من ذلك[8].

فذكر الواقدي حديثاً طويلاً في رجوعه وإسلامه، وما أخبر به من

---

(١) في ك، ط (بمن).

(٢) في ط (يخرجهم).

(٣) سباخ جمع سبخة بفتحتين وخاء معجمة، وهي أرض مالحة.
انظر تفسير غريب الحديث ص ١١٤، والمصباح المنير ١/٣٥٨.

(٤) سبقت ترجمته.

(٥) في ك (من) بدل (في).

(٦) في ك، ط (ومكان).

(٧) في ك (ومن قبله كان)، وفي ط (ومن كان قبله كان).

(٨) أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة ص ٤٧ ـ ٥٠ من طريق محمد بن عمر الواقدي قال: حدثنا محمد بن سعد الثقفي.. وذكره كاملاً. وقد وجدت في مغازي الواقدي، إشارة إلى ذهاب بني مالك إلى المقوقس، وكان المغيرة بن شعبة معهم، ورد ذلك في ٣/٩٦٥ وفي ٢/٥٩٥ فما بعدها. ولم أجد في المغازي للواقدي ذكراً مفصلاً لها، وإنما وجدته مفصلاً في الدلائل لأبي نعيم ٤٧ ـ ٥٠؛ وكذلك في الوفا بأحوال المصطفى لابن الجوزي ٢/٧١٨ ـ ٧٢٠، وسبقت ترجمة رجال السند الذين ذكرهم المؤلف، ومدار السند على الواقدي.

صفات النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، وكان ذلك[1] يعجب النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، ويحب أن يسمعه أصحابه. قال المغيرة: فكنت أحدثهم بذلك، وهذا أمر معروف عند علماء أهل الكتاب وعظمائهم.

وقد أخرج أبو حاتم في صحيحه عن عمرو بن العاص أنه قال: خرج جيش من المسلمين ـ أنا أميرهم ـ حتى نزلنا الإسكندرية، فقال عظيم من عظمائهم: أخرجوا إليّ رجلاً يكلمني وأكلمه. فقلت: لا يخرج إليه غيري. قال، فخرجت إليه ومعي ترجماني ومعه ترجمانه. فقال: ما أنتم؟ فقلت: نحن العرب، ونحن أهل الشوك، ونحن أهل بيت الله الحرام، كنا أضيق الناس أرضاً، وأجهدهم عيشاً، نأكل[2] الميتة والدم، ويغير بعضنا على بعض، حتى خرج فينا رجل ليس بأعظمنا يومئذ، ولا بأكثرنا مالاً، فقال: أنا رسول الله إليكم، فأمرنا بما لا نعرف، ونهانا عما كنا عليه، وكان عليه آباؤنا، فكذبناه، ورددنا عليه مقالته، حتى خرج إليه قوم غيرنا، فقاتلنا وظهر علينا: وغلبنا وتناول من يليه من العرب فقاتلهم حتى ظهر عليهم ولو يعلم من ورائي من العرب ما أنتم فيه من العيش لم يبق أحد إلَّا جاءكم حتى يشرككم فيما أنتم فيه من العيش فضحك ثم قال: إن رسولكم قد صدق، قد جاءتنا رسلنا بمثل الذي جاء به رسولكم، فإن أنتم أخذتم بأمر نبيكم لم يقاتلكم أحد إلَّا غلبتموه، ولن يشارككم أحد إلَّا ظهرتم عليه، وإن فعلتم مثل الذي فعلنا وتركتم أمر نبيكم، لم تكونوا أكثر عدداً منا ولا أشد منا قوة[3].

● ● ●

---

(١) في ك، ط (وكان ذلك مما يعجب).

(٢) في ك (ونأكل).

(٣) أخرجه أبو حاتم بن حبان في كتاب المغازي، باب فتح الإسكندرية. =

فصل

٤ ـ قتاله ـ صلى الله عليه وسلم ـ النصارى

ثم بعد الإرسال إلى الملوك، أخذ ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في غزو النصارى، فأرسل أولاً زيد بن حارثة[١]، وجعفر بن أبي طالب[٢]، وعبد الله بن رواحة[٣] في جيش، فقاتلوا النصارى بمؤتة[٤] من أرض الكرك[٥]، وقال لأصحابه: «أميركم زيد، فإن قتل، فجعفر، فإن قتل فعبد الله بن رواحة، فقتل الثلاثة، وأخبر النبي[٦] ـ صلَّى الله عليه

= انظر موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان ص ٤٢٠ حديث رقم (١٧١١). قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢١٨/٦، باب وقعة الإسكندرية، كتاب المغازي والسير، قال: «رواه الطبراني، وفيه محمد بن عمرو بن علقمة، وهو حسن الحديث، وبقية رجاله ثقات».

(١) سبقت ترجمته.

(٢) سبقت ترجمته.

(٣) سبقت ترجمته.

(٤) مؤتة: بالضم، ثم واو مهموزة ساكنة، وتاء مثناة فوقية، وبعضهم لا يهمزه: قرية من قرى البلقاء في حدود الشام. انظر معجم البلدان ٢١٩/٥؛ ومراصد الاطلاع ١٣٣٠/٣.
ووقعت فيها موقعة مؤتة سنة ٨هـ. وانظر في خبر مؤتة صحيح البخاري ـ كتاب المغازي، باب غزوة مؤتة ٨٦/٥.

(٥) الكرك: بفتحتين: قلعة حصينة جداً في طرف الشام، من نواحي البلقاء في جبالها. بين أيلة، وبحر القلزم (البحر الأحمر الآن) وبيت المقدس، وهي على جبل عال. انظر مراصد الاطلاع ١١٥٩/٣.

(٦) أخرج البخاري في صحيحه في المغازي، باب غزوة مؤتة ٨٧/٥ من حديث أنس ـ رضي الله عنه ـ، أن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: نعى زيداً وجعفراً، =

وسلَّم ـ بقتل الثلاثة في اليوم الذي قتلوا فيه، وأخبر أنه أخذ الراية خالد بن الوليد[1]، ففتح الله على يديه، ثم أنه بعد هذا غزا النصارى بنفسه وأمر جميع المسلمين أن يخرجوا معه في الغزاة، ولم يأذن في التخلف عنه لأحد، وغزا ـ في عشرات ألوف غزوة تبوك[2] فقدم تبوك، وأقام بها عشرين ليلة ليغزو النصارى: عربهم وروم‌هم، وغيرهم، وأقام ينتظرهم ليقاتلهم فسمعوا به وأحجموا عن قتاله، ولم يقدموا عليه.

وأنزل الله ـ تعالى ـ في ذلك أكثر سورة براءة، وذم ـ تعالى ـ الذين تخلفوا عن جهاد النصارى ذماً عظيماً.

والذين لم يروا جهادهم طاعة جعلهم منافقين كافرين، لا يغفر الله لهم إذا لم يتوبوا، وقال لنبيّه ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ :

= وابن رواحة قبل أن يأتيهم خبرهم. فقال: أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذها جعفر فأصيب ثم أخذها ابن رواحة فأصيب، وعيناه تذرفان. حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله، حتى فتح الله عليهم.

قلت: وهذا من علائم النبوة، ودلائلها الواضحة. وقد ذكر ذلك البيهقي في دلائل النبوة.

(١) سبقت ترجمته.

(٢) تبوك بالفتح، ثم الضم، وواو ساكنة، وكاف، قال في مراصد الاطلاع ٢٥٣/١ قرية بين وادي القرى والشام، بها عين ماء ونخل، وكان لها حصن خرب، وانظر معجم البلدان ١٤/٢.

قلت: وهي إحدى مدن الدولة السعودية اليوم ومركزالمنطقة الشمالية منها وقد وقعت بها غزوة تبوك سنة تسع للهجرة، عام الرمادة. وتسمى غزوة العسرة، لما أصاب المسلمين في عامها من جدب وقحط. وقد ورد ذكرها في صحيح البخاري ١٢٨/٥. باب غزوة تبوك وهي غزوة العسرة.

وانظر في خبرها ابن هشام ١١٨/٤؛ وابن سعد ١٦٥/٢؛ وابن جرير ١٠٠/٣ ـ ١١١؛ وابن كثير ٢/٥؛ وزاد المعاد ٥٢٦/٣.

﴿ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ لَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ . . . ﴾[1].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ . . . ﴾[2].

الآية.

فإذا كان هذا حكم الله ورسوله فيمن تخلف عن جهادهم إذ لم يره طاعة، ولا رآه[3] واجباً، فكيف حكمه فيهم أنفسهم؟ حتى قال ـ تعالى ـ :

﴿قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ . . . ﴾[4].

---

(١) سورة المنافقون: الآية ٦.

(٢) سورة التوبة: الآية ٨٤.

وقد بوب الإمام البخاري في كتاب التفسير بقوله: باب قوله: «ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره» وساق في ذلك حديث ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ وفيه أنه لما مات عبد الله بن أبي صلَّى عليه رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قال ابن عمر وصلينا معه، ثم أنزل الله عليه: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ إِنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾.

انظر صحيح البخاري ٥/٢٠٧؛ وأسباب النزول للواحدي ص ١٩٢ ـ ١٩٣؛ ولباب النقول في أسباب النزول للسيوطي ص ١٢٢.

(٣) في ط (يراه).

(٤) سورة التوبة: الآية ٢٤.

ثم عند موته ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أمرنا[1] بإخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب.

ففي صحيح مسلم: أن عمر بن الخطاب[2] قال سمعت النبي[3] ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يقول: «لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع إلا مسلماً»[4].

وروى الإمام أحمد، وأبو عبيد عن أبي عبيدة بن الجراح ـ رضي الله عنه ـ قال: آخر ما تكلم به رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قال: «أخرجوا يهود أهل الحجاز، ونصارى أهل نجران من جزيرة العرب»[5] (*).

---

(١) في س، ك (أمر).

(٢) في س (رضي الله عنه).

(٣) في ط (رسول الله).

(٤) رواه مسلم في الجهاد، باب إخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب ٣/١٣٨٨ (١٧٦٧). ورواه أبو داوود في الخراج، باب إخراج اليهود من جزيرة العرب ٣/٤٢٤. ورواه الترمذي في السير، باب ما جاء في إخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب ٤/١٥٦٠ (١٦٠٦). وبسند آخر من حديث عمر أيضاً بلفظ: «لأخرجن اليهود والنصارى...» وذكره ثم قال: هذا حديث حسن صحيح. ورواه أحمد في مسند عمر ١/٢٩ بلفظ: «لئن عشت إن شاء الله لأخرجن... إلخ»، في ١/٣٢. وأخرجه أبو عوانة في مسنده، باب الخبر الموجب إخراج اليهود والنصارى من حديث عمر ٤/١٦٥، ورواه أبو عبيد في الأموال ص ٩٨ من حديث جابر ـ رضي الله عنه ـ.

(٥) من قوله: «وروى الإمام أحمد إلى هذا الموضع ساقط من أ، س، ك وألحقناه من ط.

(*) وهذا الحديث رواه أحمد في مسند أبي عبيدة ١/١٩٥؛ وتتمته: «واعلموا أن شرار =

وقام خلفاؤه ـ رضي الله عنهم ـ بعده بدينه ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فأرسل أبو بكر الصديق الجيوش لغزو النصارى بالشام، وجرت بين المسلمين وبينهم عدة غزوات، ومات أبو بكر وهم محاصرو دمشق[1]. ثم ولي عمر بن الخطاب ففتح عامة الشام ومصر والعراق وبعض خراسان[2] في خلافته، وقدم إلى الشام في خلافته، وسلم إليه النصارى بيت المقدس لما رأوه من صفته عندهم.

قال أبو عبد الله محمد بن عائذ[3] في كتاب الفتوح قال: قال

= الناس الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، وأبو عبيد في الأموال ص ٩٩ رقم (٢٧٦)، ورواه الحميدي بسنده عن أبي عبيده بلفظ: «اخرجوا يهود الحجاز من الحجاز». ٤٦/١ (٨٥)؛ والدارمي بلفظه ٢٣٣/٢ (باب إخراج المشركين من جزيرة العرب)، وانظر كشف الخفا ومزيل الإلباس ٦٩/١ (١٥٥) وعزاه للإمام مسلم من حديث ابن عمر، وأبي يعلى في الكنى، وأبي نعيم وابن عساكر عن أبي عبيدة وذكره باللفظ الذي ساقه المؤلف.

(١) انظر البداية والنهاية لابن كثير ٢/٧، ١٤، ٢٣ (وفيها أن الصديق ـ رضي الله عنه ـ توفي قبل فتح دمشق)، وانظر تاريخ الطبري ٣٨٧/٣.

(٢) خراسان: بلاد واسعة. أول حدودها مما يلي العراق أزاذورد قصبة جوين، وبيهق، وآخر حدودها مما يلي الهند طخارستان، وغزنة، وسجستان. وليس ذلك منها. ومن أمهات بلادها: نيسابور، وهراة، ومرو. انظر مراصد الاطلاع ٤٥٥/١.

(٣) محمد بن عائذ بن أحمد القرشي، أبو أحمد، ويقال: أبو عبد الله، الدمشقي ولد سنة ١٥٠هـ صاحب المغازي، وثقه ابن معين، وابن حبان، وقال النسائي: ليس به بأس وذكره أبو زرعة في أهل الفتوى، ولي خراج الغوطة بدمشق، للمأمون. من مصنفاته الصوائف، والسير، والمغازي.
مات سنة ٢٣٤هـ .
راجع: شذرات الذهب ٧٨/٢؛ والوافي بالوفيات ١٨١/٣؛ والنجوم الزاهرة ٢٦٥/٢؛ وتهذيب التهذيب ٢٤١/٩ (٣٨٨)؛ والأعلام ١٧٩/٦.

عطاء الخراساني[1]: لما نزل المسلمون بيت[2] المقدس، قال لهم رؤساؤهم: إنا قد أجمعنا لمصالحتكم وقد عرفتم منزل بيت المقدس. وأنه المسجد الذي أسرى بنبيكم إليه ونحن نحب أن يفتحها ملككم ـ وكان ـ[3] الخليفة عمر بن الخطاب ـ فبعث المسلمون وفداً، وبعث الروم أيضاً وفداً مع المسلمين حتى أتوا[4] المدينة، فجعلوا[5] يسألون عن أمير المؤمنين، فقال الروم لترجمانهم: عمن يسألون؟ قالوا: عن أمير المؤمنين، فاشتد عجبهم وقالوا: هذا الذي[6] غلب فارس والروم، وأخذ كنوز كسرى وقيصر، وليس له مكان يعرف به. بهذا غلب الأمم، فوجدوه قد ألقى نفسه حين أصابه الحر نائماً، فازدادوا تعجباً، فلما قرأ كتاب أبي عبيدة أقبل حتى نزل بيت المقدس وفيها اثنا[7] عشر ألفاً من الروم وخمسون ألفاً من أهل الأرض فصالحهم، وكان من جملة المصالحة أن لا يدخل عليهم من اليهود أحد، ثم دخل المسجد فوجد

---

(١) عطاء بن عبد الله الخراساني. وهو عطاء بن أبي مسلم ولد سنة ٥٠هـ، من كبار العلماء، رحل وطاف بالبلاد، وسكن الشام، قال ابن حجر: صدوق، يهم كثيراً، ويرسل، ويدلس.
مات سنة ١٣٥هـ. وله تصانيف منها التفسير، والناسخ والنسوخ، مخطوط أجزاء منها.
راجع: تقريب التهذيب ٢/٢٣ (١٩٩)؛ وميزان الاعتدال ٣/٧٣؛ والخلاصة للخزرجي ص ٢٦٧؛ والأعلام للزركلي ٤/٢٣٥.

(٢) في ك (ببيت).

(٣) في ط (وكمان) وهو تصحيف.

(٤) في ط (أوتوا) وهو تصحيف.

(٥) في ك (وجعلوا).

(٦) سقطت (الذي) من أ وزدناها من باقي النسخ.

(٧) في ط (اثني).

زبالة عظيمة على الصخرة، فأمر بكنس[1] الزبالة، وتنظيف المسجد وأمر ببنائه وجعل مصلاه في مقدمه، ثم رجع إلى المدينة، وقصته مشهورة في كتاب الفتوحات، ثم قدم مرة ثانية إلى أرض الشام لما تم فتحه فشارط بوضع الخراج، وفرض الأموال، وشارط أهل الذمة على شروط المسلمين فأتم بها المسلمون[2] بعده.

وقد ذكرها أهل السير وغيرهم، فروى[3] سفيان الثوري عن مسروق عن عبد الرحمن بن غنم قال: كتبت لعمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ حين صالح نصارى الشام وشرط عليهم فيه أن لا يحدثوا في مدينتهم ولا[4] ما حولها ديراً[5]، ولا كنيسة[6]

---

(١) في ط (بنكس) وهو تصحيف ظاهر.

(٢) لم أقف على كتاب الفتوح لمحمد بن عائذ، ولكن قصة فتح بيت المقدس، والمصالحة التي جرت، وإعطاء الأمان، وسائر ما ذكره المؤلف عن محمد بن عائذ مشهور في كتب التاريخ فانظر منها.
تاريخ ابن جرير الطبري ٣/٦٠٧ ـ ٦١٣؛ وتاريخ خليفة بن خياط القسم الأول/ ص ١١٢، ١٢٤؛ وفتوح البلدان للبلاذري ص ١٢٧ ـ ١٣٢؛ والبداية والنهاية لابن كثير ٧/٥٥ ـ ٥٨.

(٣) في أ (قال).

(٤) سقطت (لا) من ك.

(٥) الدير: هو دور الرهبان والراهبات من النصارى، وجمعه أديار وديارات، وصاحبه ديار، ويبنى خارج البلد ينفردون فيه عن الناس.
انظر المعجم الوسيط ١/٣٠٦؛ والقاموس المحيط ٢/٣٣ (فصل الدال باب الراء)؛ والمصباح المنير ١/٢٧٩؛ وانظر كتاب تاريخ الرهبنة والديرية للنصراني د. رؤوف حبيب فيه حديث مفصل عن الأديرة في مصر، وأسمائها انظر ص ١٠٥ إلى آخر الكتاب (مطبعة العالم العربي بالقاهرة)، نشر مكتبة المحبة النصرانية في القاهرة، وأحكام أهل الذمة لابن القيم ٢/٦٦٨.

(٦) الكنيسة: هي متعبد اليهود والنصارى، وقد تحدث الدكتور رؤوف حبيب، النصراني =

ولا قلاية[1] ولا صومعة[2] راهب، ولا يجددوا ما خرب، ولا يمنعوا كنائسهم أن ينزلها أحد من المسلمين ثلاث ليال يطعمونهم، ولا يؤوا جاسوساً، ولا يكتموا غشاً للمسلمين، ولا يعلموا أولادهم القرآن، ولا يظهروا شركاً، ولا يمنعوا ذوي قرابتهم من الإسلام أن أرادوه، وأن يوقروا المسلمين، وأن يقوموا[3] لهم إذا أرادوا الجلوس، ولا يتشبهوا بالمسلمين بشيء من لباسهم في قلنسوة[4] ولا عمامة، ولا نعلين، ولا فرق شعر، ولا يتسموا بأسماء المسلمين، ولا يكتنوا بكناهم، ولا يركبوا سرجاً[5]، ولا يتقلدوا سيفاً، ولا يتخذوا شيئاً من سلاح،

= عن الكنائس القبطية، وبين أن لها طابعاً خاصاً في كتابه (الموجز التاريخي عن الكنائس القبطية القديمة بالقاهرة) انظر ص ١١ ـ ١٤ (مطبعة دار العالم العربي) نشر مكتبة المحبة النصرانية بالقاهرة.

وانظر أحكام أهل الذمة لابن القيم ـ رحمه الله ـ ٢/٦٦٩.

والبيعة هي الكنيسة، وجمعها بيع، انظر القاموس المحيط ٣/٨؛ ومختار الصحاح ص ٧١؛ والمصباح المنير ١/٩٧.

(١) القلاية: مبنى يبنيه النصارى كالمنارة، ولا تكون إلا لواحد ينفرد فيها بنفسه، ولا يكون لها باب، بل فيها طاقة يتناول منها طعامه وشرابه وما يحتاج إليه. انظر كتاب أحكام أهل الذمة ٢/٦٦٨.

(٢) الصومعة كالقلاية تكون للراهب وحده، معبد صغير، وقيل القلاية تكون منقطعة في فلاة من الأرض، والصومعة تكون على الطرق، وهي دقيقة الرأس انظر أحكام أهل الذمة لابن القيم ٢/٦٦٨ ـ ٦٦٩؛ والقاموس المحيط ٣/٥٢؛ ومختار الصحاح ص ٣٦٩.

(٣) في ط (يقيموا).

(٤) القلنسوة: بفتح القاف واللام، وسكون النون، وضم السين، وهي لباس يلبس في الرأس يكون تحت العمامة يشبه الطاقية. وجمعه قلانس، وقلانيس.
انظر القاموس المحيط ٢/٢٤٢؛ والمصباح المنير ٢/٧٠٤؛ ومختار الصحاح ص ٥٤٨.

(٥) سرج الدابة معروف، وجمعه سروج، وأسرجت الفرس شدت عليه سرجه، أو عملت له سرجاً. انظر المصباح المنير ١/٣٧١.

ولا ينقشوا خواتيمهم بالعربية، ولا يبيعوا الخمور، وأن يجذوا مقادم رؤوسهم، وأن يلزموا زيهم حيث ما كانوا، وأن يشدوا الزنانير[1] ولا يجاوروا المسلمين بموتاهم، ولا يضربوا بالناقوس[2] إلا ضرباً خفيفاً.

ولا يرفعوا أصواتهم بالقراءة في كنائسهم في شيء من حضرة المسلمين، ولا يخرجوا شعَانين[3] ولا يرفعوا مع موتاهم أصواتهم، ولا يظهروا النيران معهم، ولا يشتروا من[4] الرقيق ما جرت عليه سهام المسلمين، فإن خالفوا في شيء مما شرطوه، فلا ذمة لهم وقد حل للمسلمين منهم ما يحل من أهل المعاندة والشقاق. أخرجه أبو داوود في سننه[5].

---

(١) الزنانير: جمع زنار، وهو حزام يشده النصارى على أوساطهم.
انظر مختار الصحاح ص ٢٧٦، والمصباح المنير ١/٣٤٩.

(٢) الناقوس: خشبة طويلة يضربها النصارى إعلاماً للدخول في صلاتهم.
انظر المصباح المنير ٢/٨٥٤؛ والقاموس المحيط ٢/٢٥٥ ـ ٢٥٦.

(٣) في س (سغانين) بالسين المهملة والغين المعجمة وفي ك، ط (سعانين) بالسين والعين المهملتين، والصواب ما أثبتناه من أ والشعانين بالشين المعجمة، والعين المهلة، عيد كبير من أعياد النصارى، يقع في يوم الأحد، الثاني والأربعين من الصوم، ويسمى أيضاً عيد الزيتونة، وهو يعني التسبيح. قالوا: وهو يوم ركوب المسيح الحمار، ودخوله القدس.
انظر تاريخ ابن الوردي ١/١٢٨؛ ونخبة الدهر في عجائب البر والبحر، لشمس الدين الأنصاري ص ٢٨٠.

(٤) سقطت (من) من س.

(٥) لم أقف عليه في سنن أبي داوود، وإنما هو في سنن البيهقي ـ مع اختلاف يسير في الألفاظ ـ أخرجه بسنده في السنن الكبرى(كتاب الجزية)، باب الإمام يكتب (كتاب الصلح على الجزية) ٩/٢٠٢؛ وذكرها ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في اقتضاء الصراط المستقيم ١/٣٢٠ ـ ٣٢١ (تحقيق الدكتور ناصر العقل) وقال شيخ الإسلام: «رواه حرب بإسناد جيد» ثم ذكر رواية الخلال، وقال بعد أن ساق بقية المتن: «وهذه =

وقال أبو عبيد[1] في كتاب الأموال[2]: «حدثنا النضر بن إسماعيل[3] عن عبد الرحمن ابن إسحاق[4] عن خليفة بن

= الشروط أشهر شيء في كتب الفقه والعلم، وهي مجمع عليها في الجملة بين العلماء من الأئمة المتبوعين، وأصحابهم، وسائر الأئمة».

وقال ابن القيم ــ رحمه الله ــ : «وشهرة هذه الشروط تغني عن إسنادها، فإن الأئمة تلقوها بالقبول، وذكروها في كتبهم، واحتجوا بها، ولم يزل ذكر الشروط العمرية على ألسنتهم وفي كتبهم، وقد أنفذها بعده الخلفاء وعملوا بموجبها». انظر كتابه أحكام أهل الذمة ٢/٦٤٣ ــ ٦٤٤؛ بتحقيق الدكتور صبحي الصالح وقد بنى عليها كتابه هذا كله، فلو كان عنده أدنى شك في صحتها لما فعل ذلك على ما نظنه بابن القيم ــ رحمه الله ــ ، وحسبنا أن ابن تيمية قال: «رواه حرب بإسناد جيد» وانظر المحلى لابن حزم حيث ساقها بسنده عن عبد الرحمن بن غنم ٧/٣٤٦ ــ ٣٤٧.

يقول الدكتور يوسف القرضاوي: «وقد كان هذا التمييز بين الناس تبعاً لأديانهم أمراً ضرورياً في ذلك الوقت، وكان أهل الأديان أنفسهم حريصين عليه، ولم يكن هناك وسيلة للتمييز غير الزي، حيث لم يكن لديهم نظام البطاقات الشخصية في عصرنا التي يسجل فيها مع اسم الشخص ولقبه دينه، وحتى مذهبه، فالحاجة إلى التمييز وحدها هي التي دفعت إلى إصدار تلك الأوامر والقرارات، ولهذا لا ترى في عصرنا أحداً من فقهاء المسلمين يرى ما رآه الأولون من وجوب التمييز في الزي لعدم الحاجة إليه...». انظر كتابه غير المسلمين في المجتمع الإسلامي ص ٦٠. وفيه أيضاً إجابة على الشبه التي أوردها أصحابها للطعن بها في معاملة المسلمين للنصارى. فانظر من ص ٥٨ ــ ٧٨ آخر الكتاب تحت عنوان «رد شبهات».

(١) في ط (عبيدة) وهو خطأ.

(٢) انظر الأموال ص ٥٣ خبر رقم (١٣٨) باب الجزية كيف تجتبى، وما يؤخذ به أهلها من الزي.

(٣) النضر بن إسماعيل بن حازم البجلي، الكوفي، القاص، ليس بالقوي، مات سنة ١٨٢هـ (والنضر) بالضاد المعجمة كما في التقريب. راجع تقريب التهذيب ٢/٣٠١ (٨٢)؛ والتهذيب ١٠/٤٣٤.

(٤) عبد الرحمن بن إسحاق بن الحارث الواسطي، أبو شيبة، ويقال كوفي، ضعيف. من السادسة، ولم يذكر تاريخ وفاته. =

قيس[1] قال: كان[2] عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ يأمر فأكتب إلى أهل الأمصار في أهل الكتاب أن يجزوا نواصيهم، وأن يربطوا الكستيجات[3] في أوساطهم ليعرف[4] زيهم من زي أهل الكتاب.

وحدثنا أبو المنذر[5]، ومصعب بن المقدام[6] كلاهما عن سفيان[7]

انظر في ترجمته تقريب التهذيب ١/٤٧٢ (٨٦٤)؛ وميزان الاعتدال ٢/٥٤٨؛ والخلاصة للخزرجي ص ٢٢٤.

(١) خليفة بن قيس عن خالد بن عرفطة: مولاه. قال البخاري: لم يصح حديثه.
وقال أبو حاتم: خليفة بن قيس، شيخ ليس بالمعروف، وذكره العقيلي في الضعفاء.
ولم أقف على تاريخ وفاته.
انظر ترجمته في لسان الميزان ٢/٤٠٨ (١٦٧٧)؛ وميزان الاعتدال ١/٦٦٥ (٢٥٦٢).
قلت: وهذا سند ضعيف: خليفة «ليس بالمعروف» كما قال أبو حاتم.
وعبد الرحمن بن إسحاق: هو أبو شيبة الواسطي: ضعيف.

(٢) في أ، س (قال)، وصححناه من ك، ط.

(٣) في ط (الكستنجات)، صوابه ما أثبتناه من سائر النسخ ومن الأموال وهي جمع (كستيج): بالضم خيط غليظ يشده الذمي فوق ثيابه، دون الزنار، معرب كستي.
انظر القاموس المحيط، باب الجيم، فصل الكاف واللام ١/٢٠٥.
وجاء في أحكام أهل الذمة بتحقيق د. صبحي الصالح ٢/٧٦٢ أنها لفظة فارسية الأصل انتقلت إلى بلاد الشام انظر التعليق رقم (٤).

(٤) في ط (لعرف) وهو خطأ.

(٥) أبو المنذر: هو إسماعيل بن عمر الواسطي نزيل بغداد قال الحافظ: «ثقة من التاسعة. مات بعد المائتين».
تقريب التهذيب ١/٧٢ (٥٣٧)؛ والتهذيب ١/٣١٩.

(٦) مصعب بن المقدام الخثعمي، الكوفي، صدوق له أوهام، من التاسعة.
مات سنة ٢٠٣هـ.
التقريب ٢/٢٥٢ (١١٦٠)؛ والتهذيب ١٠/١٦٥؛ والخلاصة ص ٣٧٨.

((٧)) سفيان الثوري (سبقت ترجمته)، وهو ثقة، حافظ، فقيه، عابد.

عن عبيد الله بن عمر[1]، عن نافع[2]، عن أسلم[3] قال: كتب عمر إلى أمراء الأجناد أن يختموا رقاب أهل الذمة[4].

قال أبو عبيد: حدثنا عبد الرحمن[5]، عن عبد الله[6] بن عمر، عن نافع، عن أسلم[7] أن عمر أمر في[8] أهل الذمة أن يجزوا[9] نواصيهم، وأن يركبوا على الأكف، وأن يركبوا عرضاً لا يركبوا كما يركب المسلمون، وأن يوثقوا المناطق[10].

قال أبو عبيد: يعني الزنانير.

---

(١) عبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب، العمري، المدني، ثقة ثبت. مات سنة ١٤٧هـ .
التقريب ٥٣٧/١ (١٤٨٨)؛ والخلاصة ص ٢٥٢؛ والتهذيب ٣٨/٧.

(٢) نافع الفقيه، مولى ابن عمر، أبو عبد الله المدني، ثقة، ثبت، فقيه، مشهور من الثالثة، مات سنة ١١٧هـ .
التقريب ٢٩٦/٢ (٣٠)؛ والتهذيب ٤١٢/١٠؛ والخلاصة ص ٤٠٠.

(٣) أسلم العدوي، مولاهم، أبو خالد، قيل أنه حبشي، أدرك زمن النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ ثقة، مات سنة ٨٠هـ . وهو ابن ١١٤ سنة.
انظر التقريب ٦٤/١ (٤٦٥)؛ والتهذيب ٢٦٦/١؛ والخلاصة ص ٣١.

(٤) أخرجه أبو عبيد في الأموال ص ٥٣ رقم (١٣٦) بسند حسن.

(٥) عبد الرحمن بن إسحاق: سبقت ترجمته وهو ضعيف.

(٦) في أ، س، ك (عبيد الله) وصححناه من كتاب الأموال ص ٥٣ ومن ط. وعبد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب، العمري، أخو عبيد الله الذي تقدم ذكره رقم (١) قال الحافظ: ضعيف، عابد من السابعة مات سنة ١٧١هـ .
انظر التقريب ٤٣٤/١ (٤٩٠)؛ والتهذيب ٣٢٦/٥؛ والخلاصة ص ٢٠٧.

(٧) نافع وأسلم سبقت ترجمتها.

(٨) سقطت (في) من ط.

(٩) في س، ك (تجز).

(١٠) أخرجه أبو عبيد في الأموال ص ٥٣ (١٣٧) بسند فيه عبد الله بن عمر العمري وهو ضعيف، وفيه عبد الرحمن بن إسحاق كذلك ضعيف.

وكمـا[1] كتب عمر بن الخـطاب ــ رضي الله عنه ــ على[2] أهـل الـذمة هـذه الشروط والتـزموهـا، أوصى بهم نوابـه ومن يـأتي بعـده من الخلفاء وغيرهم، وهذا هو العدل الذي أمر الله به ورسوله.

ففي صحيح البخاري عن عمر بن الخطاب أنه قال في خطبته عند وفاته: وأوصي الخليفة من بعدي بذمة الله وذمة رسولـه ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ أن يـوفي لهم بعهدهم، وأن يقـاتـل من وراءهم ولا يكلفـوا إلا طاقتهم[3].

وهذا امتثال لقول النبـي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ : «ألا من ظلم معاهداً أو انتقصه من حقه، أو كلفـه فوق طـاقته، أو أخـذ منه شيئـاً بغير طيب نفس. فأنا حجيجه يوم القيامة»[4] رواه أبو داود.

---

(1) في ط (ولما).

(2) سقطت (على) من ط.

(3) هـذا قطعـة من خبر طـويل أخـرجه الإمـام البخـاري: في فضـائـل أصحـاب النبـي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ، باب قصة البيعة والاتفاق على عثمان ــ رضي الله عنه ــ وفيه مقتل عمر ــ رضي الله عنه ــ . وفيه وصية عمر لمن بعده في ٤/٢٠٦.
قلت: وقـد وردت الوصيـة بدون ذكـر النص السـابق: مختصـرة في صحيح مسلم ٣/١٤٥٤؛ وفي سنن أبـي داوود ٣/٣٥٠؛ وفي سنن الترمذي رقم (٢٢٢٦)؛ وفي مسند أحمد في ١/٢٠، ٤٦.

(٤) رواه أبو داوود في الخراج، باب تعشير أهل الذمة إذا اختلفوا في التجارات ٣/٤٣٧ قال السخاوي في المقاصد الحسنة ص ٣٩٢ (١٠٤٤) «وسنده لا بأس به، ولا يضـر جهالة من لم يسم من أبناء الصحابة، فإنهم عدد تجبر به جهالتهم، ولذا سكت عليه أبـو داوود. قال السخـاوي: وهو عنـد البيهقي في سننه من هـذا الوجـه، وقـال عن ثلاثين من أبناء أصحاب رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ، عن آبائهم، عن دُنْيَةٍ وذكره... ثم قال، وله شواهد بينتها في جزء وأفردته لهذا الحديث...». اهـ كلام السخاوي.
وانظر: مجموعة الرسائل والمسائل لشيخ الإسلام ابن تيميـة ١/٢٢٨. وكشف الخفا =

فكان هذا في النصارى الذين[1] أدوا إليه الجزية.

وعمر[2] بن الخطاب لما فتح الشام وأدوا إليه الجزية عن يد وهم صاغرون، أسلم منهم خلق كثير لا يحصي[3] عددهم إلا الله[4] ـ تبارك وتعالى ـ فإن العامة[5] والفلاحين وغيرهم كان عامتهم نصارى، ولم يكن في المسلمين من يعمل فلاحة ولم يكن للمسلمين في دمشق مسجد يصلون فيه إلا مسجد واحد لقلتهم، ثم صار أكثر أهل الشام وغيرهم مسلمين طوعاً لا كرهاً، فإن إكراه أهل الذمة على الإسلام غير جائز، كما قال[6] ـ تعالى ـ :

﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[7].

= ومزيل الإلباس ٢/٢٨٥. وراجع تعليق شيخنا: عبد الفتاح أبو غدة ـ حفظه الله ـ في كتاب «المنار المنيف في الصحيح والضعيف» لابن القيم. عند حديث «من آذى ذمياً فقد آذاني» ص ١٢٣ ـ ١٢٤ (رقم: ٢٧٨).

(١) في س (الذي).
(٢) سقطت الواو من ط.
(٣) في ط (تحصى) بالمثناة الفوقية.
(٤) سقط لفظ الجلالة من ط.
(٥) سقطت الواو من ك.
(٦) في ط (كما قال الله تعالى).
(٧) سورة البقرة: الآيتان ٢٥٦، ٢٥٧.

قال أبو عبيد في كتاب الأموال: عن ابن الزبير قال: كتب النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ إلى أهل اليمن: «أنه من أسلم من يهودي أو نصراني، فإنه من المؤمنين، له ما لهم وعليه ما عليهم، ومن كان على يهودية أو نصرانية، فإنه لا يفتن عنها وعليه الجزية»(1).

● ● ●

---

(1) أخرجه أبو عبيد وفيه اختلاف يسير في اللفظ في كتاب الأموال ص ٢٧؛ والبيهقي ١٩٤/٩ من طريق عثمان بن صالح، عن عبد الله بن لهيعة، عن أبي الأسود (محمد بن عبد الرحمن)، عن عروة بن الزبير. وهذا السند حسن لكنه مرسل وسبقت ترجمة رجال السند.

قال الشيخ ناصر الدين الألباني في أرواء الغليل، ٩٧/٥: «ويقويه شاهد آخر، رواه ابن زنجوية في الأموال، عن النضر بن شميل، عن عوف، عن الحسن، قال: كتب رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ...» ثم ذكره. قال الشيخ: وهذان الحديثان مرسلان يقوي أحدهما الآخر.

فصل

٥ ـ إرسال الكتب والرُّسُل إلى ملوك الفُرس

وقاتل عمر بن الخطاب الفرس المجوس، وفتح أرضهم وظهر تصديق خبر رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ حيث قال: «إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله عَزَّ وجَلَّ»[١] أخرجاه في الصحيحين.

وهذا، بعد أن بعث رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ رسوله إلى المجوس، وكتب كتاباً إلى كسرى ملك الفرس، كما كتب إلى ملوك النصارى كما تقدم عن قيصر والمقوقس، ولكن ملوك النصارى تأدبوا معه وخضعوا له[٢] فبقي ملكهم. وأما ملك الفرس فمزق كتابه، فدعا

---

(١) رواه البخاري في صحيحه/ المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ١٨٢/٤ من حديث جابر بن سمرة، وليس فيه جملة «والذي نفسي بيده».
ورواه من حديث أبي هريرة في/ الإيمان، باب كيف كانت يمين النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ٢١٨/٧ ولفظه «والذي نفس محمد بيده» وذكر تمام الحديث.
ورواه مسلم من حديث أبي هريرة بلفظ: «قد مات كسرى فلا كسرى بعده... الحديث. ٢٢٣٦/٤(٧٥) كتاب الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل... إلخ، ورواه الترمذي من حديث أبي هريرة في الفتن ٤٩٧/٤ وقال: حديث حسن صحيح.
ورواه أحمد ٢٣٣/٢، ٢٤٠، ومن حديث جابر ٩٢/٥، ص ٩٩.
ورواه الشافعي في مسنده كتاب الجزية ص ٢٠٨، والحميدي في مسنده من حديث أبي هريرة ٤٦٧/٢(١٠٩٤).

(٢) سقطت (له) من س، ك.

عليهم فقال: «اللهم مزق ملكهم كل ممزق»[1] فلم يبق لهم ملك.

قال ابن عباس: بعث رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ عبد الله بن حذافة بكتابه إلى كسرى فدفعه[2] إلى عظيم البحرين، فدفعه عظيم البحرين إلى كسرى، فلما قرأه ـ يعني كسرى ـ مزقه[3] فدعا عليهم رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أن يمزقوا كل ممزق[4].

وقال ابن إسحاق: كتب رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إلى كسرى وقيصر، فأما كسرى: فلما[5] قرأ الكتاب مزقه، وأما قيصر: لما[6] قرأ الكتاب طواه ووضعه عنده، فبلغ ذلك رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فقال: «أما هؤلاء ـ يعني كسرى ـ فيمزقون[7]، وأما هؤلاء، فستكون لهم بقية».

قال ابن إسحاق: بعث رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ

---

(١) سيأتي تخريج ذلك بحسب إيراد المؤلف له في الصفحات التالية.

(٢) في ك، ط (يدفعه).

(٣) في أ، س (حرقه)، وفي ك (خرقه) وصححناه من ط، ومن صحيح البخاري.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب ما يذكر في المناولة، وكتاب أهل العلم بالعلم إلى البلدان ١/٢٤ وفيه «فحسبت أن ابن المسيب قال: فدعا عليهم رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أن يمزقوا كل ممزق، ورواه البخاري في الجهاد، باب دعوة اليهودي والنصراني، وعلى ما يقاتلون عليه، وما كتب النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إلى كسرى وقيصر ٣/٢٣٥، ورواه في المغازي باب كتاب النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إلى كسرى وقيصر ٥/١٣٦، ورواه في أخبار الآحاد ٨/١٣٦.

ورواه أحمد من حديث ابن عباس في ١/٢٤٣، ٢٤٤/٣٠٥.

(٥) في س، ك (لما).

(٦) في ط (فلما).

(٧) في س (ممزقون).

عبد الله بن حذافة[1] بن قيس السهمي إلى كسرى[2] بن هرمز ملك الفرس[3]، وكتب:

«بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، سلام على من اتَّبع الهدى، آمن بالله ورسوله، واشهد أن لا إلَه إلَّا الله ــ وحده لا شريك له ــ، وأن محمداً عبده ورسوله، فإني أدعوك بدعاية الله، فإني رسول الله إلى الناس كافة؛ لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين، فأسلم تسلم وإن أبيت، فإن إثم المجوس[4] عليك».

فلما قرأ كتاب رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ شققه وقال: يكتب إلي بهذا الكتاب وهو عبدي؟[5].

---

(١) عبد الله بن حذافة، القرشي، السهمي، أبو حذافة:
من السابقين الأولين، وهاجر إلى أرض الحبشة الهجرة الثانية، مع أخيه قيس بن حذافة. وكان رسول رسولِ الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ إلى كسرى، وشهد بدراً وغيرها من المشاهد. وذكر له ابن حجر قصة عظيمة، مع ملك الروم لما عرض عليه التنصر تدل على قوة إيمانه بالله، توفي ــ رضي الله عنه ــ في خلافة عثمان. راجع في ترجمته: الإصابة ٢/٢٨٧، والاستيعاب ٢/٢٧٤، وتهذيب التهذيب ٥/١٨٥، وتأريخ الإسلام للذهبي ٢/٨٧، والأعلام ٤/٧٨.

(٢) كسرى هو:
إبرويز بن هرمز بن أنو شروان بن قباذ، وهو الذي غلب الروم، في قوله تعالى: ﴿ألم غلبت الروم في أدنى الأرض﴾، وقد قتله ابنه ليلة الثلاثاء لعشر خلون من جمادى الأولى سنة تسع من الهجرة. قال فيه خالد بن حق الشيباني:

وكسرى إذ تقسمه بنوه	بأسياف كما اقتسم اللحام
تمخضت المنون له بيوم	ألا ولكل حاملة تمام

راجع: تاريخ الطبري ٢/١٧٦، والبداية والنهاية ٢/١٨٠، وتتمة المختصر ١/٧٢ ــ ٧٤.

(٣) في س، ك (فارس).

(٤) في ط (المجوسية).

(٥) أخرجه ابن جرير الطبري في التاريخ، ذكر خروج رسل رسول الله إلى الملوك، ٢/٦٥٤ ــ ٦٥٥.

=

قلت: وسبب قول كسرى هذا واستعلائه: أن الحبشة كانوا قد ملكوا اليمن، وملكهم سار إلى مكة بالفيل ليخرب البيت وكانوا نصارى، فأرسل الله عليهم من ناحية البحر طيراً أبابيل ـ وهي جماعات في تفرقة ـ تحمل حجارة من طين، فألقتها على الحبشة النصارى فأهلكتهم[1]، وكان هذا آية عظيمة خضعت بها الأمم للبيت وجيران البيت.

وعلم العقلاء أن هذا لم يكن نصراً من الله لمشركي العرب؛ فإن دين النصارى خير من دينهم، وإنما كان نصراً للبيت وللأمة المسلمة التي تعظمه وللنبي المبعوث من البيت، وكان ذلك عام مولد النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، فأنزل[2] الله في ذلك:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾[3].

ثم إن سيف بن ذي يزن[4] ذهب إلى كسرى، وطلب منه جيشاً

= وقد ورد الكتاب في صحيح البخاري كما تقدم تخريجه في مواضع متعددة، وفي مسند أحمد ١/٢٤٣، ٣٠٥، ٤/٧٥، وفي السنن الكبرى ٩/١٧٧، وفي كنز العمال ١٠/٦٣٢(٣٠٣٣٠) كتاب الغزوات، والكامل ٢/٨١، ودلائل النبوة لأبي نعيم ٢٩٣، والوفا بأحوال المصطفى ٢/٧٣٢، والسيرة الحلبية ٣/٢٧٨، والطبقات الكبرى لابن سعد ١/٢٥٨، والبداية والنهاية ٤/٢٧٠، والأموال لأبي عبيد ص ٢٣، وصبح الأعشى ٥/٣٧٧. وغيرها.

(١) في س، ك (فأهلكهم الله).

(٢) في س، ك (وأنزل).

(٣) سورة الفيل.

(٤) سيف بن ذي يزن ذي أصبح الحميري: =

يغزو به الحبشة، فأرسل معه عسكراً من الفرس المجوس، فأخرجوا الحبشة من اليمن، وصارت[1] اليمن بيد العرب، وبها نائب كسرى، وسيف بن ذي يزن هذا ممن بشَّر بالنبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قبل ظهوره، وأخبر بذلك جده عبد المطلب[2] لما وفد عليه.

فلما كانت اليمن مطيعة لكسرى، لهذا أرسل إلى نائبه على اليمن[3] أن يأتيه بالنبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ؛ لأن عسكر اليمن في العادة يقهر أهل مكة والمدينة.

قال ابن إسحاق: فبلغني أن رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قال: «مزق الله ملكه» حين بلغه أنه شقق كتابه.

ثم كتب كسرى إلى باذان[4] وهو على اليمن أن ابعث إلى هذا الرجل الذي بالحجاز من عندك رجلين جلدين فليأتياني به. قال: فبعث

= من ملوك العرب اليمانيين، ودهاتهم. وقد قيل أن اسمه: معد يكرب. ولد نحو سنة ١١٠ قبل الهجرة، وتوفي سنة ٥٠ قبل الهجرة، ونشأ بصنعاء وقد استعان بملك الفرس كسرى، على ملوك الحبشة، وقتل ملك الحبشة مسروق بن أبرهة. ثم قتله طائفة من الأحباش بصنعاء وهو آخر من ملك اليمن من قحطان.

راجع في ترجمته: الكامل لابن الأثير: ١٥٨/١، وسيرة ابن هشام ٥٥/١.

والروض الأنف ٥١/١، والبداية والنهاية ١٧٧/٢، والأعلام ١٤٩/٣.

(١) في س (فصارت). وانظر تفصيل القصة في سيرة ابن هشام ٥٦/١.

(٢) في أ (عمه أبا طالب) وهو خطأ. صوابه ما أثبته من سائر النسخ ومن كتب التاريخ لابن جرير ولابن كثير وغيرهما.

(٣) في ك، ط (باليمن).

(٤) باذان: آخره نون، ويقال ميم. الفارسي من الأبناء الذين بعثهم كسرى إلى اليمن، وكان ملك اليمن في زمانه، وأسلم لما هلك كسرى، وبعث بإسلامه إلى النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فاستعمله على بلاده. ثم مات فاستعمل ابنه شهر بن باذان على بعض عمله.

انظر الإصابة ١٧٣/١(٧٥٩)، والبداية والنهاية ١٨٠/٢.

باذان قهرمانه[1]: وهو بابويه[2]. وقال غيره: فيروز الديلمي ــ وكان حاسباً كاتباً ــ وبعث معه برجل من الفرس، وكتب معهما إلى رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ يأمره أن ينصرف معهما إلى كسرى، وقال لبابويه: ويلك، أنظر ما الرجل وكلمه وائتني بخبره.

قال: فخرجا حتى قدما إلى الطائف، فسألا عن النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فقالوا: هو بالمدينة واستبشروا ــ يعني الكفار ــ وقالوا: قد نصب له كسرى كفيتم الرجل، فخرجا حتى قدما المدينة على رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ، فكلمه بابويه، وقال[3]: إن شاهنشاه ــ ملك الملوك ــ كسرى كتب إلى الملك باذان يأمره أن يبعث إليك من يأتيه بك، وقد بعثني إليك فانطلق معي، فإن فعلت كتب[4] معك إلى ملك الملوك بكتاب ينفعك ويكف عنك به، وإن أبيت فهو من قد علمت وهو مهلكك ومهلك قومك ومخرب بلادك.

وكانا قد دخلا على رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ، وقد[5] حلقا لحاهما، وأبقيا شواربهما، فكره النظر إليهما رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ، وقال لهما: «ويلكما من أمركما بهذا؟» قالا: أمرنا بهذا ربنا ــ يعنيان كسرى ــ فقال لهما رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ:

---

(١) قهرمانه: أي القائم بأموره. انظر تفسير غريب الحديث لابن حجر ص ٢٠٤.

(٢) في ط (بانويه) وصوابه ما أثبتناه من سائر النسخ ومن الإصابة لابن حجر، وتأريخ الطبري ٢/٦٥٥. وبابويه الفارسي، الكاتب، وهو الذي بعثه باذان إلى رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ كما ذكر المؤلف. وقد أسلم وذكره ابن حجر في الإصابة ١/١٧٣(٧٥٧). ثم ذكر قصته.

(٣) في ك، ط (فقال).

(٤) في ك، ط (كتبت).

(٥) في ك، ط (وكانا قد).

«لكن ربـي ـ عَـزَّ وجَلَّ[1] ـ أمـرني بإعفـاء لحيتي وبقص شاربـي[2]»، ثم قال لهما: «ارجعا حتى تأتياني الغد».

قـال: وجاء الخبـر من السمـاء، أن الله ـ عَـزَّ وجَـلَّ ـ سلَّط على كسـرى ابنه[3] شيـرويه، فقتله في شهـر كذا، في ليلة كـذا، في ساعـة كذا، فلما أتيا رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قال لهمـا: «إن ربـي قتل ربكما ليلة كذا، في شهر كـذا، بعدمـا مضى من الليل كـذا، سلَّط عليه ابنه شيرويه فقتله»، فقالا له: هل تدري ما تقول؟ إنا قد نقمنا منك ما هو أيسر من هذا فنكتب بهـذا عنك، ونخبـر الملك به. قـال: «نعم، أخبراه ذلك عني وقولا له: إن ديني وسلطاني سيبلغ مـا بلغ ملك كسرى وينتهي[4] إلى منتهى الخف والحافر، وقولا له: إنك إن أسلمت أعطيتك ما تحت يديك[5]، وملكتك[6] على قـومك[7] من الأبنـاء» وأعطى رفيقـه منـطقة من[8] ذهب وفضـة، كان أهـداها لـه بعض الملوك، فخرجـا من عنده حتى قدما على باذان وأخبراه الخبر.

---

(١) سقطت (عز وجل) من ك.

(٢) في ك (شواربـي).

(٣) في ط (ولـده) وما أثبتنـاه من سـائـر النسـخ هـو المـوافق لمـا في تـاريـخ ابن حجـر ٢/٦٥٦.

(٤) في أ، س (ينتهي) بدون واو، وما أثبتناه من ك، ط؛ وتاريخ ابن جرير ٢/٦٥٦.

(٥) في س (قدمك)، وفي أ (قدميك)، وما أثبته من ك، ط؛ وابن جرير ٢/٦٥٦.

(٦) في س (وملاك).

(٧) في أ، س (قريتك) وما أثبته من ك، ط، وابن جرير ٢/٦٥٦.

(٨) جاء في آخر الكـلام في تاريـخ ابن جريـر ٢/٦٥٧ تفسير المنـطقة: بـأنها المعجـزة بلسان حمير. ورفيقه هذا ورد اسمه «خرخسره» وكان يقال له: ذو المعجـزة وجاء في المصباح المنير ٢/٨٤٠ «انتطق شد المنطق على وسطه، والمنطقة: اسم لما يسميه النـاس الحياصـة». وقال في القـاموس ٣/٢٨٥ «المنـطقة كمكنسـة ما ينتـطق بـه، وكمنبر وكتاب، شُقَّةٌ تلبسها المـرأة وتشد وسـطها مترسل الأعلى على الأسفـل إلى الأرض والأسفل ينجر على الأرض. . .».

فقال: والله ما هذا بكلام ملك، وإني لأرى الرجل نبياً كما يقول، ولننظرن[1] ما قد قال، فلئن كان ما قد قال حقاً ما بقي فيه كلام إنه لنبي مرسل، وإن لم يكن فسنرى فيه رأينا، فلم يلبث[2] باذان أن قدم عليه كتاب شيرويه.

أما بعد، فإنني قد قتلت كسرى ولم أقتله إلَّا غضباً لفارس لما كان قد[3] استحل من قتل أشرافهم وتجهيزهم في بعوثهم[4]، فإذا جاءك كتابي هذا فخذ لي الطاعة[5] ممن قبلك، وانظر الرجل الذي كان كسرى كتب إليك[6] فيه، فلا تهجه حتى يأتيك أمري فيه. فلما انتهى كتاب[7] شيرويه إلى باذان قال: إن هذا الرجل لرسول الله، وأسلم لله وأسلمت أبناء فارس من كان منهم باليمن[8].

---

(١) في أ، ك (ولننتظرن) وما أثبتناه من س، ط هو المتفق مع تاريخ ابن جرير ٢/٦٥٦.
(٢) في س (يكتب) وفي تاريخ ابن جرير ٢/٦٥٦ (ينشب).
(٣) سقطت (قد) من س، ك.
(٤) هكذا في جميع النسخ وفي تاريخ ابن جرير ٢/٦٥٦ جاءت العبارة هكذا: (وتجميرهم في ثغورهم) والتجمير هو الحبس في الثغور. وهذه العبارة أولى وهي الأقرب للسياق.
(٥) في س (بالطاعة).
(٦) في س (إليه).
(٧) في ط (الكتاب ــ كتاب شيرويه ــ)، وما أثبته من سائر النسخ ومن تاريخ ابن جرير. وشيرويه هو ابن كسرى بن هرمز، كان شعاره وشياً أحمر، وتاجه أخضر قائماً بيمناه سيف مخروط، وأحس من أخوته نبواً عنه فقتل ثمانية عشر نفراً منهم ومن أولادهم. انظر: تأريخ سني ملوك الأرض والأنبياء للأصفهاني ص ٤٧.
(٨) انظر تأريخ ابن جرير الطبري ٢/٦٥٥ ــ ٦٥٧ أخرجه بسنده قال: حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة ــ يعني ابن الفضل الأبرش ــ، عن محمد بن إسحٰق، عن يزيد بن حبيب، قال ثم كتب كسرى إلى باذان. . . وساق الخبر كما ساقه المؤلف مع اختلاف يسير في بعض الألفاظ.

وقال أبو معشر[1]: حدثني المقبري[2] قال: جاء فيروز الديلمي[3] إلى رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فقال إن كسرى كتب إلى باذان: بلغني أن في أرضك رجلاً تنبأ[4] فاربطه وابعث به إلي، فقال له

= قلت: والسند فيه سلمة بن الفضل الأبرش: صدوق كثير الخطأ، وقال البخاري: عنده مناكير، وقال ابن عدي: عنده غرائب... انظر ترجمته في التقريب ١/٣١٨، وميزان الاعتدال ٢/١٩٢، وفي السند محمد بن إسحاق، ولم يصرح بالتحديث، والقصة مشهورة في السير ذكرها ابن كثير في تاريخه، وعزاها إلى ابن جرير بالسند السابق ٤/٢٧٠، وذكرها صاحب السيرة الحلبية ٣/٢٧٨، وسيرة ابن دحلان هامش السيرة الحلبية ٣/٦٥، ومحمد بن سعد في الطبقات ١/٢٦٠، وابن حجر في الإصابة ١/١٧٣ وعزاها لابن أبي الدنيا في دلائل النبوة من طريقين وأخرجهما أبو نعيم في الدلائل ص ٢٩٣.

(١) أبو معشر: نجيح بن عبد الرحمن السندي:
ضعيف أسن، واختلط. ونقل ابن حجر عن أحمد: أنه كان بصيراً بالمغازي، ونقل الذهبي عن ابن المديني، قوله: كان يحدث عن المقبري، ونافع بأحاديث منكرة.
راجع: التقريب ٢/٢٩٨(٤٦)، وميزان الاعتدال ٤/٢٤٦، والتهذيب ١٠/٤١٩.

(٢) المقبري: هو سعيد بن أبي سعيد المقبري:
نسبة إلى مقبرة بالمدينة، كان مجاوراً لها. وهو صاحب أبي هريرة، وابن صاحبه، قال الذهبي: ثقة حجة.
وقال ابن حجر، تغير قبل موته بأربع سنين، مات سنة ١٢٥هـ.
التقريب ١/٢٩٧(١٧٩)، وميزان الاعتدال ٢/١٣٩، والتهذيب ٤/٣٨.

(٣) فيروز الديلمي:
يكنى أبا عبد الله، وقيل: أبا عبد الرحمن، ويقال له الحميري لنزوله بحمير، وهو من أبناء فارس، فرس صنعاء، وفد على رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وهو قاتل الأسود العنسي، الذي ادَّعى النبوَّة بصنعاء سنة ١١هـ على الصحيح مات في خلافة عثمان، وقيل في خلافة معاوية باليمن سنة ٥٣هـ.
راجع الاستيعاب ٣/١٩٩، والإصابة ٣/٢٠٤ ـ ٢٠٥، وطبقات ابن سعد ٥/٥٣٣، وتقريب التهذيب ٢/١١٤.

(٤) في (ك) نبياً، وفي ط (تنبأ تنبؤا).

رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ: «إن ربي غضب على ربك فقتله فدمه بنحره[1] سخن[*] الساعة فخرج من عنده فسمع الخبر فأسلم وحسن إسلامه، وكان رجلاً صالحاً، له في الإسلام آثار جميلة، منها: قتل الأسود العنسي الكذاب[2] الذي ادَّعى النبوة في عهد النبي[3] ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وكان الأسود جباراً، استدعى بأبي مسلم الخولاني[4] فقال له: أتشهد أني رسول الله؟ فقال أبو مسلم: ما أسمع، فقال له: أتشهد أن محمداً رسول الله؟ قال: نعم، فردد ذلك عليه مراراً، فأمر بنار عظيمة فأضرمت، ثم أمر بإلقاء أبي مسلم فيها فلم تضره، فأخمدها الله ــ تعالى ــ حين ألقي فيها، فقيل له: أخرج هذا عنك[5] من أرضك[6] لئلا يفسد عليك أتباعك، فأخرجه.

فقدم أبو مسلم المدينة وقد توفي رسول الله ــ صلَّى الله عليه

---

(١) سقطت (بنحره) من ك.

(*) سخن: تقول العرب يوم سخن وساخن وسخنان، أي: حار وليلة سخنة.
انظر مختار الصحاح ص ٢٩١، والمصباح المنير ١/٣٦٧، والقاموس المحيط ٤/٢٣٣.

(٢) سبقت ترجمة الأسود العنسي وهو متنبىء كذاب.

(٣) في ط (رسول الله).

(٤) أبو مسلم الخولاني: عبد الله بن ثوب الخولاني:
تابعي، فقيه، عابد، ثقة، زاهد. أصله من اليمن، أدرك الجاهلية، وأسلم قبل وفاة النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ولم يره. قدم المدينة في خلافة أبي بكر، ثم رحل إلى الشام، ومات بها. قال ابن حجر: عاش إلى زمن يزيد بن معاوية. قال الذهبي: مات قريباً من اثنتين وستين هـ. والله أعلم.
راجع: تذكرة الحفاظ ١/٤٩، وتهذيب التهذيب ١٢/٢٣٥، والتقريب ٢/٤٧٣، والاستيعاب (هامش الإصابة) ٢/٢٦٣، ٤/١٩٠، وفوات الوفيات ٢/١٦٩، والأعلام ٤/٧٥.

(٥) سقطت (عنك) من ك.

(٦) في ك (عندك).

وسلَّم ــ واستخلف أبو بكر، فأناخ راحلته بباب المسجد، ثم دخل المسجد فقام يصلي[1] إلى سارية فبصر به عمر فقام إليه فقال[2] ممن الرجل؟ قال: من أهل اليمن، قال: ما فعل الذي حرقه الكذاب؟ قال: ذلك[3] عبد الله بن ثوب. قال نشدتك بالله أنت هو؟ قال: اللهم نعم، فاعتنقه ثم بكى، ثم ذهب به حتى أجلسه بينه وبين أبي بكر، فقال: الحمد لله الذي لم يمتني حتى أراني في أمة محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ من فعل به كما فعل بإبراهيم خليل الرحمن[4].

---

(١) في س، ك (يصلي في المسجد).

(٢) سقطت (فقال) من ط.

(٣) في س، ك (ذاك).

(٤) السند الذي ذكره المؤلف فيه أبو معشر وهو ضعيف.

وهنا قصتان: الأولى مقتل كسرى ووصول خبره في ليلته إلى نبينا محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وسبق تخريج هذه القصة.

أما الأخرى، فهي: قصة أبي مسلم الخولاني مع الأسود العنسي، وقد وردت في كتب التراجم ــ في ترجمة أبي مسلم الخولاني.

أخرجها ابن عبد البر في الاستيعاب بسنده من طريق إسماعيل بن عياش قال: أخبرنا شرحبيل بن أبي مسلم الخولاني أن الأسود بن قيس بن ذي الخمار تنبأ باليمن. . . وذكرها كما ساقها المؤلف بتمامها. ثم قال: «وإسماعيل بن عياش ليس بحجة في غير الشاميين، وهو فيما حدث به عن الشاميين ــ أهل بلده ــ لا بأس به.

انظر الاستيعاب (هامش الإصابة) ١٩٤/٤ (ترجمة أبي مسلم)، وذكرها الذهبي في تذكرة الحفاظ ٤٩/١(٢٥)، وعزاها لشرحبيل ولم يذكر السند، وذكرها الحافظ ابن عساكر في تاريخه ١٢/٩ من غير وجه في ترجمة (أبي مسلم) ومدارها على (إسماعيل بن عياش)، وليس بحجة كما قال ابن عبد البر، وقال عنه ابن حجر في تقريب التهذيب ٧٣/١(٥٤١): «صدوق في روايته عن أهل بلده، مخلط في غيرهم. . . مات سنة ٢٨١هـ».

وانظر البداية والنهاية ٢٦٧/٦، وقد ساق عدة روايات وفهمت من كلامه أنه يرى أن بعضها يشد بعضاً ويقويه والله أعلم.

ثم خـرج فيروز الـديلمي على الأسود العنسي فقتله، وجـاء الخبر إلى[1] رسـول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ بقتله وهـو في مرض مـوته، فخرج فأخبر أصحابه[2]. وقال: «قتل الأسود العنسي الليلة رجل صالـح من قوم صالحين»[3]، وقصته مشهورة. وكذلك قصـة مسيلمة الكـذاب، ونحوهما من المتنبئين الكذابين.

• • •

(١) سقطت (إلى) من أ، س، ك.

(٢) في ط (أصحابه بذلك).

(٣) قصـة مقتـل الأسـود العنسي على يـد فيـروز الـديلمي ومن معـه وردت في صحيـح البخاري (كتاب المغازي، باب قصة الأسود العنسي) ٥/ ١٢٠، ولكن الخـلاف وقع في تحـديد زمـان القتل، هـل كان على عهـد رسـول الله ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ أو بعد وفاته؟

قال ابن حجر في فتح الباري بعد أن ساق قصة قتله: «قال أبـو الأسود، عن عـروة: أصيب الأسـود قبل وفـاة النبـي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ بيـوم وليلة فأتـاه الـوحي، فأخبر بـه أصحابـه، ثم جاء الخبـر إلى أبـي بكر ــ رضي الله عنـه ــ، وقيل: وصـل الخبـر بذلـك صبيحة دفن النبـي ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ. اهـ. انظر فتـح الباري ٨/ ٧٣ (كتـاب المغازي، قصـة الأسود العنسي)، وسـاق خبراً في الإصـابة ٣/ ٢٠٥ (في ترجمة: فيروز) مفاده أن النبـي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ بشَّر بقتل الأسود قبـل أن يموت، وقد عزاها الحافظ ــ رحمه الله ــ إلى سيف بن عمـر التميمي في الفتوح من طريق ابن عمر، وقد أخرجهـا ابن جريـر الطبـري في تاريخـه ٣/ ٢٣٦ بسنده عن سيف بن عمـر، عن أبـي القاسم الشنـوي، عن العلاء بن زيـاد، عن ابن عمر: أتى الخبـر إلى النبـي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ من السمـاء الليلة التي قتل فيهـا الأسود العنسي يبشـرنـا، فقـال: «قتـل العنسي البـارحـة، قتله رجـل مبـارك من أهـل بيت مباركين». قيل: ومن؟ قال: «فيروز فاز فيروز». وساقها ابن كثير في قصة طـويلة في تـاريخه ٦/ ٣١٠ وسـاق ابن عبد البـر هذا الخبـر في الاستيعاب بـالسند الـذي ذكره ابن كثير، وبنفس اللفظ في الجزء الثالث (هامش الإصابة) ص ٢٠٢. =

. . . .

= قلت: ولم أقف على هذا الخبر إلاّ من طريق سيف بن عمر كما ذكر ابن جرير وابن عبد البر، وابن كثير، وابن حجر، وسيف بن عمر هو التميمي السعدي. ويقال: الضبي، ويقال: الأسدي الكوفي، صاحب كتاب الردة، والفتوح، قال عنه ابن معين: ضعيف الحديث، وقال أبو حاتم متروك الحديث، وقال أبو داود: وليس بشيء، وضعفه النسائي والدارقطني، وقيل: كان يضع الحديث، ونقل ابن حبان والحاكم أنه متهم بالزندقة. انظر تهذيب التهذيب ٤/٢٩٥، وميزان الاعتدال ٢/٢٥٥، وعلى هذا فسند هذا الأثر ضعيف. لكن ابن عبد البر قال في الاستيعاب (هامش الإصابة) ٣/٢٠١: «وأهل العلم لا يختلفون أن الأسود العنسي الكذاب المتنبي بصنعاء قتل في سنة إحدى عشرة، ومنهم من يقول في خلافة أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ وليس في ذلك عندي بشيء، والصحيح أنه قتل قبل وفاة النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ وأتاه خبره وهو في مرض موته الذي مات منه». اهـ. وانظر تاريخ خليفة بن خياط القسم الأول/ ص ٩٩، والبداية والنهاية ٦/٣١٠، والله أعلم.

فصل

ولمَّا فتح خلفاء النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، عمر وعثمان العراق وخراسان ضربوا الجزية على المجوس(1)، كما ضربوها على النصارى بعد أن دعوهم إلى الإسلام، كما دعاهم رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، وكما ضرب النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ الجزية على اليهود والنصارى والمجوس بعد أن دعاهم إلى الله ـ عز وجل ـ فإنه ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بعث العلاء بن الحضرمي(2)، إلى

٦ ـ ضربه ـ صلى الله عليه وسلم ـ الجزية على المجوس

(1) المجوس: هم عبدة النيران القائلون بأن للعالم إلّهين اثنين، أحدهما إلّه الخير وهو بالفارسية يزدان، والثاني الظلمة وهو بالفارسية أهرمن، وظهروا في أيام الملك كشتاسب أحد ملوك الفرس على يد زرادشت كما ذكر الشهرستاني، وقد اعتنقها ابنه أردشير، وبني لهم بيت نار، واستولى على بعض مدن فارس. وظهر ماني في أيام سابور بن أردشير حيث ادعى النبوة، وتبعه خلق، ولهم شبهة كتاب ويسن بهم سنة أهل الكتاب في أخذ الجزية منهم كما ثبت في الصحيح عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، ومن معتقداتهم السجود للنار وللشمس، واستحلال نكاح المحرمات، والاغتسال بالنجاسات.

انظر: الملل والنحل ٢/٢٣٦؛ والفصل لابن حزم ١/٣٥؛ وإغاثة اللهفان لابن القيم ٢/٢٤٤؛ وتفسير القرطبي ١٢/٢٣؛ وتاريخ ابن الوردي ١/٦١؛ وأحكام أهل الذمة لابن القيم ١/١ ـ ٢؛ وتلبيس إبليس لابن الجوزي ص ٧٦؛ والبرهان في معرفة عقائد أهل الأديان للسكسكي (رسالة ماجستير) ص ٣٤٦، ٥١٠.

(2) العلاء بن عبد الله بن عماد الحضرمي:

بعثه الرسول ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إلى المنذر ملك البحرين، ثم ولاه على البحرين إذا فتحها الله عليه، وأقره عليها أبو بكر، ثم عمر من بعده، ثم ولاه عمر =

المنذر بن ساوى[1] العبدي صاحب هجر[2] ــ وهي قرية بالبحرين ــ بكتابه ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ يدعوه إلى الإسلام، قال العلاء: فلما دخلت عليه قلت: يا منذر، إنك عظيم العقل في الدنيا، فلا تصغرن عن الآخرة، إن[3] هذه المجوسية شر دين، ليس فيها تكرم العرب ولا علم أهل الكتاب، ينكحون ما يستحى من نكاحه، ويأكلون ما يتكرم[4] عن أكله، ويعبدون في الدنيا ناراً تأكلهم يوم القيامة. ولست بعديم عقل ولا رأي، فانظر هل ينبغي لمن لا يكذب أن تصدقه؟ ولمن لا يخون أن تأمنه؟ ولمن لا يخلف أن تتثق[5] به؟ فإن كان هذا هكذا فهذا هو

= البصرة فمات قبل أن يصل إليها، وذلك سنة ١٤هـ. له مناقب كثيرة منها أنه كان مجاب الدعوة، وغير ذلك.

راجع: الإصابة ٢/٤٩١؛ والاستيعاب، هامش الإصابة ٣/١٤٦؛ وتهذيب التهذيب ٨/١٧٨.

(١) في ك (ساوا) وهو الأقرب أما في سائر النسخ فهو (ساري) وذلك تصحيف.

المنذر بن ساوى بن الأخنس العبدي:

من عبد القيس، التميمي، الداري أمير في الجاهلية، وكان صاحب البحرين. أسلم بعد كتاب الرسول ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ إليه، واستمر في عمله، مات قبل ردة أهل البحرين، ولم يصح خبر وفوده على النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ كما قال ابن حجر ــ رحمه الله ــ.

راجع: الإصابة ٣/٤٣٩ (٨٢١٨)؛ وابن جرير الطبري ٢/٦٤٥؛ والطبقات لابن سعد ١/٢٦٣، ٢٧٠، ٤/٣٦٠؛ والأعلام ٧/٢٩٣.

(٢) هجر: بفتح أوله وثانيه: مدينة هي قاعدة البحرين، وقيل: ناحية البحرين كلها هجر، وهو الصواب. انظر مراصد الاطلاع ٣/١٤٥٢، وقال صاحب الوثائق السياسية ص ١٥٠، هي الاحساء اليوم.

(٣) في ط (فإن).

(٤) في ط (تكرم).

(٥) في س، ك، ط (تثق).

النبـي[١] ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ الأمي الذي والله لا يستطيع ذو عقـل أن يقول: ليت ما أمر[٢] به نهى عنـه، أو[٣] ما نهى عنـه أمر بـه، أو ليته زاد في عفوه، أو نقص من عقابه، إن كل ذلك منه على أمنية أهل العقل وفكر أهل البصر.

فقال المنذر: قد نظرت في هـذا الذي في يـدي، فوجـدته للدنيـا دون الآخرة، ونظرت في دينكم فوجدته للآخرة والدنيـا، فما يمنعني من قبول دين فيه أمنية الحياة وراحة الممات، ولقد عجبت أمس ممن يقبله، وعجبت اليوم ممن يرده، وإن من إعظام من[٤] جاء به أن يعظم رسـوله، وسـأنـظر، ثم أسلم المنـذر وكتب إلى النبـي ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ بالإسلام والتصديق[٥].

وقـال عمـرو[٦] بن عـوف: بعث رسـول الله ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ أبـا عبيـدة إلى البحـرين فـأتى بجـزيتهـا[٧]، وكـان رسـول الله

---

(١) في ط (النبـي رسول الله) وسقطت جملة الدعاء من س، ك.

(٢) في ط (أمره).

(٣) في ط (و) بدون همزة.

(٤) في ط (ما) بدل (من).

(٥) انـظر عيون الأثـر في فنون المغـازي والشمائـل والسير، لابن سيـد الناس ٢/٣٣٩؛ وشـرح المواهب اللدنيـة بالمنـح المحمـديـة للزرقـاني ٣/٤٢٠؛ وأعـلام السـائلين لابن طولون ص ٥٥ ـ ٥٩، وجاء ذكر إرسال العلاء في مسند الإمام أحمـد ٥/٥٢؛ وطبقـات ابن سعـد ١/٢٧٦؛ والـوفا بـأحـوال المصــطفى ٢/٧٤٢، وزاد المعـاد ٣/٦٩٣، والإصـابـة في تمييـز الصحـابـة في تـرجمــة المنـذر ٣/٤٣٩ (٨٢١٨)، والوثائق السياسية لمحمد حميد الله ص ١٥٠.

(٦) عمرو بن عوف الأنصاري، حليف بني عامر بن لؤي، صحابـي، بـدري، ويقال لـه عمر، مات في خلافة عمر. وقد جاء في نسخة ط (عمر).
راجع في ترجمته: تقريب التهذيب ٢/٧٦ (٦٤٦)؛ والإصابة ٣/٩ ـ ١٠.

(٧) في أ (بجزيتهما). وصححناه من سائر النسخ.

ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ هو صالح أهل البحرين وأمر عليهم العلاء بن الحضرمي فقدم أبو عبيدة بمال من البحرين، فسمعت الأنصار بقدوم أبي[1] عبيدة[2] فوافوا صلاة الصبح مع النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فلما صلى بهم الفجر انصرف فتعرضوا له[3]، فتبسم رسول الله[4] ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ حين رآهم وقال[5]: «أظنكم قد سمعتم أن أبا عبيدة قد جاء بشيء، قالوا: أجل يا رسول الله، قال: «فأبشروا وأملوا ما يسركم، فوالله لا الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى عليكم أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم، فتتنافسوها كما تنافسوها، فتهلككم كما أهلكتهم»[6]، أخرجاه في الصحيحين.

وأخرج البخاري عن بجالة بن عبدة[7] أنه قال: أتانا كتاب عمر بن الخطاب قبل موته بسنة: «فرقوا بين كل ذي محرم من المجوس»، ولم يكن عمر أخذ الجزية من المجوس، حتى شهد عبد

(١) في أ، س (أبو).

(٢) في أ (عبيد الله)، وفي س (عبيد). وصححناه من ك، ط، ومن ترجمته وقد سبقت.

(٣) سقطت (له) من أ وزدناها من سائر النسخ ومن صحيح البخاري.

(٤) في ط (النبي).

(٥) في س (فقال).

(٦) رواه البخاري في الجزية، باب الجزية والموادعة مع أهل الذمة والحرب ٤/٦٢ ـ ٦٣. ورواه مسلم في الزهد حديث رقم (٢٩٦١) ٤/٢٢٧٣؛ ورواه الترمذي في صفة القيامة حديث رقم (٢٤٦٢) ٤/٦٤٠؛ ورواه ابن ماجه في الفتن، باب فتنة المال حديث رقم (٣٩٩٧) ٢/١٣٢٤؛ ورواه أحمد من حديث عمرو بن عوف في ٤/١٣٧؛ والشافعي في الرسالة ٤٣٠ ـ ٤٣١ (١١٨٣)، وأبو عبيد في الأموال ١/٧٧.

(٧) بَجَالة بن عَبَدة التميمي، العنبري، البصري وبجالة: بفتح الباء الموحدة والجيم المعجمة، وعبدة: بفتحتين. قال ابن حجر ثقة من الثانية.
انظر: تهذيب التهذيب ١/٤١٧ ـ ٤١٨؛ وتقريب التهذيب ١/٩٣ (٣).

الـرحمن بن عوف أن رسـول الله ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ أخـذهـا من مجوس هجر(١).

وقـال ابن شهـاب: أخـــذ رسـول الله ـ صلَّى الله عليـــه وسلَّم ـ الجـزية من مجـوس هجر، وأخـذ عمر بن الخـطاب الجزيـة من مجوس فارس، وأخذها عثمان بن عفان من البربر(٢).

قـال ابن شهاب: أول من أعـطى الجزيـة من أهـل الكتـاب أهـل نجـران فيما بلغنـا وكانـوا نصـارى، وقبـل رسـول الله ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ الجزية من أهل البحرين وكانوا مجوساً، ثم أدّى أهـل (أيلة)(٣)

---

(١) أخرجه البخاري في الجزية، باب الجزية والموادعة مع أهل الذمة والحرب ٤/٦٢، وأخرجه الترمذي في السير، باب في أخذ الجزيـة من المجوس (١٥٨٦) ٤/١٤٦، ١٤٧، وأخرجه أبو داود وفيه زيادة «اقتلوا كل ساحر. . . إلخ».
في الخـراج، باب في أخـذ الجزيـة من المجـوس حـديث رقم (٣٠٤٣) ٣/٤٣١، ورواه أحمد في المسند ١/١٩٠، ١٩١.

(٢) أخـرجه التـرمذي بسنـده عن الزهـري، عن السائب بن يـزيد، وذكـره إلَّا أنه قـال: وأخذها عثمان من الفرس، ولم يقل البربـر. ثم قال وسـألت محمداً عن هـذا؟ فقال هو مالك، عن الزهري، عن النبـي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قلت: وسنده حسن.
انـظر: سنن الترمـذي، كتاب السيـر، باب مـا جاء في أخـذ الجـزيـة من المجـوس ٤/١٤٧ (١٥٨٨).
وروى الإمام مالك في الموطـأ (١/٢٧٨، كتاب الـزكاة، بـاب جزيـة أهل الكتـاب والمجوس، روى بسنده عن ابن شهاب قال: بلغني أن رسـول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أخذ الجزية من مجوس البحرين.

(٣) أيلة: مدينة على سـاحر بحـر القلزم ـ البحر الأحمـر الآن ـ مما يلي الشـام. قيل: هي آخر الحجاز، وأول الشام. وهي مدينة كان بها اليهود الذين اعتدوا في السبت، وإليها يجتاز حجاج مصر.
انظر مراصد الاطلاع ١/١٣٨.

وأهـل (أذرح)[١] إلى رسول الله ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ الجـزيـة في غزوة تبوك، وبعث خالد بن الوليد إلى أهـل دومة الجنـدل[٢] * فأسـروا رئيسهم أكيدر *[٣][*] فبايعوه على الجزية[٤].

---

(١) أذرح: بالفتح، ثم السكون، وضم الراء، والحاء المهملة: جمع ذرح: اسم بلد في أطراف الشام، من نواحي بلقاء وعمان.
انظر مراصد الاطلاع ١/٤٧.

(٢) دومة الجندل: بالضم في دومة، وبالفتح. من أعمال المدينة، تقع بينها وبين دمشق، وهي على سبع مراحل من دمشق. ودومة من القريات، وعليها سور يتحصن به، وفي داخله حصن منيع يقال له مارد، وهو حصن أكيدر بن عبد الملك الذي صالحه النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ثم أجلاه عمر إلى الحيرة.
انظر مراصد الاطلاع ٢/٥٤٢ ـ ٥٤٣.

(٣) سقط ما بين النجمتين من أ، وألحقناه من سائر النسخ.

(*) أكيدر بن عبد الملك الكندي: ملك دومة الجندل في الجاهلية. كان شجاعاً، له حصن وثيق، وجه له النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ خالد بن الوليد في ٤٢٠ فارساً فأحاطوا به وهو يصيد وأسروه، وذهبوا به إلى المدينة بعد أن فتحوا الحصن صلحاً. وكتب له الرسول كتاباً ورده فنقض العهد بعد موت الرسول ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فأرسل أبو بكر خالداً إليه، فقتله وفتح دومة الجندل.
راجع: تهذيب الأسماء واللغات ١/١٢٤ (٦٤)، وقد نفى فيه النووي أن يكون أكيدر قد أسلم، وقال من قال أنه أسلم فقد أخطأ.
وانظر: اللباب ١/٥٥٤؛ والأعلام للزركلي ٢/٦.

(٤) أخرجه أبو عبيد في الأموال ص ٣٣ بسنده، قال: حدثنا سعيد بن عفير، عن يحيى بن أيوب ـ الغافقي ـ عن يونس ـ بن يزيد الأيلي ـ عن ابن شهاب الزهري ـ قال: أول من أعطى الجزية... وذكره بتمامه.
قلت: سبقت ترجمة رجال السند، وفيه يحيى بن أيوب «صدوق ربما أخطأ» ويونس بن يزيد الأيلي، «في روايته عن الزهري وهم قليل» وفي روايته عن غيره خطأ، كما قال العلماء بالجرح والتعديل.
وقال الإمام الشوكاني رحمه الله في نيل الأوطار ٨/٦٨: (حديث ابن شهاب هذا مرسل).

قال أبو عبيد: الجزية مأخوذة من أهل الكتاب بالتنزيل، ومن المجوس والبربر وغيرهم بالسنّة[1].

• • •

(1) انظر كتابه الأموال ص ٣٣، وقد ذكر نحواً من أربعة عشر حديثاً في ذلك. وراجع تعليقنا السابق.

فصـل

٧ ـ أدلـة الكتاب والسُّنَّة على عموم رسـالته ـ صلى الله عليه وسلم ـ

وأخـرج مسلم عن أنس: أن النبـي[١] ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ كتب إلى كسرى وقيصر والنجـاشي وإلى كل جبـار، يـدعـوهم إلى الله ـ عز وجل ـ وليس بالنجاشي الذي نعاه لأصحابه في اليـوم الذي مـات فيه وخرج بهم إلى المصلى فصف وصلّى عليه ـ بل نجاشي آخر تملك بعده[٢].

وأخـرج مسلم عن أبـي هريـرة[٣] أن رسول الله ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ قـال: «فضلت على الأنبيـاء بست: أعـطيت جـوامـع الكلم، ونصـرت بـالـرعب، وأحلت لي الغنـائم، وجعلت لي الأرض مسجـداً وطهوراً، وأرسلت إلى الناس كافة، وختم بـي النبيون»[٤].

---

(١) في س (نبـي الله)، وفي، ك ط (رسول الله).

(٢) رواه مسلم عن أنس بلفظ: «أن نبي الله ـ صلى الله عليه وسلَّم ـ كتب إلى كسرى، وإلى قيصـر، وإلى النجاشي، وإلى كـل جبار، يـدعوهم إلى الله ـ تعـالى ـ وليس بالنجاشي الذي صلّى عليه النبـي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ».
أخـرجـه مسلم في الجهـاد، بـاب كتب النبـي ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ إلى ملوك الكفار يدعوهم إلى الله ـ عز وجل ـ ، حديث رقم (١٧٧٤) ٣/١٣٩٧.
ورواه الترمـذي في كتـاب الاستئـذان، بـاب في مكـاتبـة المشـركين، حـديث رقم (٢٧١٦) ٥/٦٨ وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.

(٣) في س(رضي الله عنه).

(٤) رواه مسلم في كتـاب المساجـد ومـواضـع الصـلاة، حـديث رقم (٥٢٣) ١/٣٧١؛ ورواه الترمذي في كتـاب السير، بـاب ما جـاء في الغنيمـة، حـديث رقم (١٥٥٣) ٤/١٢٣ وقال: هذا حديث حسن صحيح. ورواه الإمام أحمد في المسند ٢/٤١٢، =

وقال ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : «كان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة»[1].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ . . .﴾[2].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا . . .﴾[3].

وفي القرآن من دعوة أهل الكتاب من اليهود والنصارى، ومن دعوة المشركين وعباد الأوثان، وجميع الإنس والجن ما لا يحصى إلَّا بكلفة،

= وفيه زيادة «مثلي ومثل الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ كمثل رجل بنى قصراً فأكمل بناءه، وأحسن بنيانه إلَّا موضع لبنة. فنظر الناس إلى القصر، فقالوا: ما أحسن بنيان هذا القصر، لو تمت هذه اللبنة! ألا فكنت أنا اللبنة، ألا فكنت أنا اللبنة».

وأخرجه أبو عوانة في مسنده ١/٣٩٥؛ والحميدي في مسنده ٢/٤٢١ (٩٤٥).

(١) هذا قطعة من حديث رواه الإمام البخاري في كتاب التيمم ١/٨٦ ـ أوله ـ ولفظه: عن جابر ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قال: «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي، نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة». ورواه في كتاب الصلاة ١/١١٣، وفيه تقديم وتأخير، ورواه مسلم في المساجد ومواضع الصلاة ١/٣٧٠، وفيه «وبعثت إلى كل أحمر وأسود»، ورواه النسائي في الغسل والتيمم، باب التيمم بالصعيد ١/٢٠٩ ـ ١١١، ورواه الدارمي في باب الأرض كلها طهور ما خلا المقبرة والحمام ١/٣٢٢، ٣٢٣، ورواه أبو عوانة في مسنده ١/٣٩٦. والله أعلم.

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٥٨. (٣) سورة سبأ: الآية ٢٨.

وهـذا كله معلوم بـالاضـطرار من دين الإسـلام[1]، فكيف يقـال: إنـه لم يذكر أنه بعث إلَّا إلى العرب خاصة وهذه دعوته ورسله وجهاده لليهود والنصـارى والمجـوس بعـد المشـركين وهـذه سيـرتـه ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ فيهم؟

وأيضاً فالكتاب المتواتر عنه ـ وهو القرآن ـ يذكر فيه دعاءه لأهـل الكتـاب إلى الإيمان بـه في مواضـع كثيرة جـداً، بل يـذكر الله ـ تبـارك وتعالى ـ فيه كفر من كفر من اليهود والنصارى، ويأمر فيه بقتالهم كقـوله ـ تعالى ـ:

﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[2].

وقوله في هذه السورة أيضاً:

﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّآ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ

---

(١) في أ، ك زيادة (كله).

(٢) سورة المائدة: الآية ١٧.

ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾(1).

وقال ـ تعالى ـ في سورة النساء:

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡتَنكَفُواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿١٧٣﴾﴾(2).

وقال ـ تعالى ـ :

﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾(3).

---

(1) سورة المائدة: الآية ٧٢ ـ ٧٧.

(2) سورة النساء: الآية ١٧١ ـ ١٧٣.

(3) سورة التوبة: الآية ٢٩.

وقال ــ تعالى ــ :

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾[1].

• • •

---

(١) سورة التوبة: الآية ٣٠ ــ ٣٢.

فصل

٨ ـ ابتداع اليهود والنّصارى في دينهم

فهذه الدلائل وأضعافها مما تبين أنه نفسه ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أخبر أنه رسول الله إلى النصارى وغيرهم من أهل الكتاب، وأنه دعاهم وجاهدهم وأمر بدعوتهم وجهادهم، وليس هذا مما فعلته أمته بعده بدعة ابتدعوها، كما فعلت النصارى بعد المسيح ـ عليه السلام ـ فإن المسلمين لا يجوزون لأحد بعد محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أن يغيروا[1] شيئاً من شريعته، فلا يحلل ما حرم، ولا يحرم ما حلل، ولا يوجب ما أسقط، ولا يسقط ما أوجب، بل الحلال عندهم ما حلله الله ورسوله، والحرام ما حرم الله ورسوله، والدين ما شرعه الله ورسوله، بخلاف النصارى الذين ابتدعوا بعد المسيح بدعاً لم يشرعها المسيح ـ عليه السلام ـ ولا نطق بها شيء[2] من الأناجيل ولا كتب الأنبياء المتقدمة، وزعموا أن ما شرعه أكابرهم من الدين فإن المسيح يمضيه لهم، وهذا موضع تنازع فيه الملل[3] الثلاث: المسلمون، واليهود، والنصارى، كما تنازعوا في المسيح ـ عليه السلام ـ وغير ذلك.

---

(١) في ك، ط (يغير) وهو الأولى.

(٢) في أ (شيئاً) وهو خطأ صححناه من النسخ الثلاث.

(٣) الشيخ ـ رحمه الله ـ يعني أصحاب الملل الثلاث، وإلاَّ فإنه لا نزاع بين ملة الإسلام، واليهودية الحقة، والنصرانية الحقة، فالمنازعة بين المسلمين، وما ابتدعه اليهود والنصارى من عند أنفسهم لأنفسهم، وزعموه وحياً تنزل على يدي موسى وعيسى ـ عليهما السلام ـ وهو ما لم يأذن به الله.

فاليهود: لا يجوِّزون لله ـ سبحانه وتعالى ـ أن ينسخ شيئاً شرعه.

والنصارى: يجوِّزون لأكابرهم أن ينسخوا شرع الله بآرائهم.

وأما المسلمون: فعندهم أن الله له الخلق والأمر، لا شرع[1] إلَّا ما شرع الله على ألسنة رسله، وله أن ينسخ ما شاء كما نسخ بالمسيح ما كان شرعه للأنبياء قبله.

فالنصارى تضع لهم عقائدهم وشرائعهم أكابرهم بعد المسيح كما وضع لهم الثلاث مائة وثمانية عشر الذين كانوا في زمن قسطنطين[2] الملك الأمانة التي اتفقوا عليها ولعنوا من خالفها من الأريوسية وغيرهم، وفيها أمور لم ينزل الله بها كتاباً، بل تخالف ما أنزله الله من الكتب مع مخالفتها للعقل الصريح، فقالوا فيها: «نؤمن بإله واحد، آب ضابط الكل، خالق السموات والأرض، كل[3] ما يرى وما لا يرى، وبرب واحد

---

(١) في أ، ك (يشرع).

(٢) قسطنطين بن قسطنديوس كلورس: ولد في نيش من أعمال يوغسلافية حوالي السنة ٢٨٠ بعد الميلاد، ونشأ في حاشية الإمبراطور الروماني، والتحق بالجيش في سن ١٥ من عمره، ثم أصبح قائداً وعمره ١٨ سنة، ثم استقل بالسلطة بعد صراع عسكري عنيف سنة ٣٢٤م، واعتنق النصرانية بتأثير والدته عليه، ثم عقد مجمع نيقية في عهده وانتهى الأمر فيه بتأليه المسيح.

مات سنة ٣٣٧م بالحمى، ودفن في إحدى الكنائس، واتخذ له تمثال نصب فوق عمود من الرخام وعبده الشعب الوثني.

انظر ترجمته: في ابن الوردي ٨٧/١، الإمبراطورية البيزنطية للدكتور عبد القادر أحمد يوسف ص ١٢، والروم في سياستهم وحضارتهم للدكتور أسد رستم ٥١/١ ـ ٧٣، والإمبراطورية البيزنطية ـ تاريخها، وحضارتها وعلاقتها بالإسلام. تأليف نورمان منير ص ٤٠.

(٣) نص الأرثوذكس في كتاب (خلاصة الأصول الإيمانية) ليس فيه كلمة (كل).

يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الأب قبل كل الدهور نور من نور[1]، إله حق من إله حق مولود غير مخلوق مساوي الأب[2] في الجوهر الذي به كان كل شيء الذي من أجلنا نحن البشر، ومن أجل خلاصنا نزل من السماء، وتجسد من روح القدس، ومن مريم العذراء وتأنس[3] وصلب على عهد بيلاطس البنطي[4] وتألم وقبر، وقام[5] في اليوم الثالث كما في الكتب وصعد إلى السماء، وجلس عن يمين الأب[6]، وأيضاً فسيأتي بمجده ليدين الأحياء والأموات الذي لا فناء لملكه[7]، وبروح القدس الرب المحيي المنبثق من الأب مع الأب

---

(١) في ط (من نور الله)، وليس لفظ الجلالة في سائر النسخ ولا في النص كما ورد في كتاب خلاصة الأصول الإيمانية.

(٢) في خلاصة الأصول الإيمانية (مساوٍ للأب).

(٣) تأنس، أي: صار إنسياً.

(٤) أحد ولاة الرومان على اليهود. كان والياً من قبل الإمبراطور الروماني (طيباريوس) الذي تولى سنة ١٤م. وقد دامت ولاية (البنطي) عشرين سنة. ذكر عنه المؤرخون أنه كان قاسياً، وفظاً غليظاً، ومتغطرساً. ذبح عدداً كبيراً، وفرض الضرائب.
راجع حديثاً طويلاً عنه في كتاب «اليهود: نشأتهم، وعقيدتهم، ومجتمعهم من واقع نصوص التوراة»، للمحامي زكي شنودة ص ٢٠٣ ـ ٢٠٦؛ وكتاب تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، لمحمد عزة دروزة ص ٣٥٢ ـ ٣٥٣.
وإنجيل لوقا: في مواضع كثيرة منه. ومنها الإصحاح: ٢٣.

(٥) في كتاب خلاصة الأصول الإيمانية: (وقام من الأموات. . .).

(٦) في كتاب خلاصة الأصول الإيمانية (وجلس على يمين أبيه).

(٧) في كتاب خلاصة الأصول الإيمانية: (الذي ليس لملكه انقضاء).
وإلى هذا الموضع ينتهي النص في مجمع (نيقية). الذي انعقد سنة ٣٢٥ ميلادية. وهو المجمع المسكوني (العالمي) الأول. ومن قوله: (وبروح القدس إلى آخر النص، زيادة مجمع القسطنطينية الثاني، الذي عقده النصارى سنة ٣٨١م حيث زاد على النص السابق بما ذكره المؤلف ـ رحمه الله ـ.

والابن مسجود له وبمجد الناطق في الأنبياء، وبكنيسة[1] واحدة جامعة مقدسة رسولية، واعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا، ونترجى[2] قيامة الموتى وحياة الدهر الآتي آمين»[3].

ووضعوا لهم من القوانين والناموس ما لم يوجد في كتب الأنبياء ولا تدل عليه، بل يوجد بعضه في كتب الأنبياء، وزاد أكابرهم أشياء من عندهم لا توجد في كتب الأنبياء وغيروا كثيراً مما شرعه الأنبياء، فما عند النصارى من القوانين والنواميس التي هي شرائع دينهم، وبعضه عن الحواريين، وكثير منه من ابتداع أكابرهم مع مخالفته لشرع الأنبياء، فدينهم من جنس دين اليهود، قد لبسوا الحق بالباطل(*).

وكان المسيح ـ عليه السلام ـ بعث بدين الله الذي بعث به الأنبياء قبله، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، والنهي عن عبادة كل ما سواه، وأحل لهم بعض ما حرم[4] الله في التوراة، فنسخ بعض شرع التوراة.

---

(١) في أ، س، ك (كنيسة) بدون واو، وحرف جر وفي ط (واعتقد بكنيسة)، وما أثبتناه من كتاب (خلاصة الأصول الإيمانية في معتقدات الكنيسة القبطية).

(٢) في جميع النسخ (آرجا)، وصححناه من الكتاب السابق.

(٣) هذا نص الأرثوذكس كما ورد في كتاب «خلاصة الأصول الإيمانية في معتقدات الكنيسة القبطية الأرثوذكسية» ص ٩٩ ـ ١٠١.
وأما نص الكاثوليك فانظره في كتاب (إيماني أو قضايا المسيحية الكبرى للقس الياس مقار ص ٦٥ ـ ٦٦، وهو يختلف عن نص الأرثوذكس.
وانظر: كتاب الدكتور أحمد السقا (أقانيم النصارى ص ٥٩ ـ ٦٠.

(*) ناقش الدكتور السقا في كتابه أقانيم النصارى «قانون الأمانة».
واستشهد بما تقوم به الحجة عليهم من كتبهم، ويثبت به اختراع هذا القانون من أكابرهم الذين يضعون لهم، ويشرعون، بما لم يرد به نص في كتب الأنبياء السابقين ولا يدل عليه دليل. انظر ص ٥٩ ـ ٦٧.

(٤) في س، ك، ط (حرمه الله).

وكان الروم واليونان[1] وغيرهم مشركين يعبدون الهياكل العلوية والأصنام الأرضية فبعث المسيح ــ عليه السلام ــ رسله يدعونهم إلى دين الله ــ تعالى ــ، فذهب بعضهم في حياته في الأرض، وبعضهم بعد رفعه إلى السماء، فدعوهم[2] إلى دين الله ــ تعالى ــ، فدخل من دخل في دين الله، وأقاموا على ذلك مدة، ثم زيَّن الشيطان[3] لمن زيَّن له أن يغير دين المسيح، فابتدعوا ديناً مركباً من دين الله ورسله: دين[4] المسيح ــ عليه السلام ــ، ومن دين المشركين.

وكان المشركون يعبدون الأصنام المجسدة التي لها ظل، وهذا كان دين الروم واليونان، وهو دين الفلاسفة أهل مقدونية[5] وأثينة[6]

---

(١) اليونان: جيل معروف، وهم من رجل اسمه (اللن)، ولد سنة أربع وسبعين لمولد موسى ــ عليه السلام ــ وهم من ولد يافث، وقيل: من جملة الروم.
وهم فرقتان: فرقة يقال لهم (الإغريقيون)، وفرقة يقال لهم (اللطينيون). وقد ظهر منهم فلاسفة ذكرهم الشهرستاني في الملل والنحل منهم بقراط، وسقراط، وأفلاطون، وأرسطوطاليس، وغيرهم.
انظر الملل والنحل للشهرستاني ١١٩/٢؛ وابن الوردي ١١٨/١؛ وتاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء ــ عليهم الصلاة والسلام ــ، لحمزة بن الحسن الأصفهاني ص ٦٤، ٦٥.

(٢) في ط (فدعاهم) وهو خطأ.

(٣) في س (الشياطين).

(٤) في أ (ورسوله المسيح).

(٥) مقذونية: بفتح أوله وثانيه، وضم الذال المعجمة، وسكون الواو وكسر النون وياء خفيفة. اسم مصر باليونانية القديمة، وجاء ذكر حدودها في المعاجم.
انظر مراصد الاطلاع ١٢٩٧/٣.

(٦) أثينة: هي اليوم عاصمة اليونان إحدى دول أوروبا، بنيت قديماً ويرجع تاريخ بنائها إلى سنة ١٥٨٢ قبل الميلاد، وكانت منبع الفلسفة وبها إلى الآن آثار وتماثيل كثيرة، ولها موان ثلاثة بيرية، ومونيسي، وظير، وهذه المواني متصلة بالمدينة بحائط طويل.
انظر دائرة معارف القرن العشرين ٤٩/١.

كأرسطو[1] وأمثاله من الفلاسفة المشائين[2] وغيرهم، وكان أرسطو قبل المسيح بنحو ثلاثمائة سنة وهو وزير الإسكندر بن فيلبس اليوناني المقدوني[3] التي[4] تؤرخ له التاريخ الرومي من اليهود والنصارى، وهذا كان مشركاً يعبد هو وقومه الأصنام، ولم يكن يسمى ذا القرنين، ولا هو ذا القرنين[5] المذكور في القرآن، ولا وصل هذا المقدوني إلى أرض

---

(١) أرسطو بن نيقوماخس الفيثاغوري: تتلمذ على أفلاطون، ثم صار بعده أستاذاً انتهت إليه فلسفة اليونان، فكان هو خاتمهم وكان مشركاً يعبد الأصنام، وهو الذي جعل المنطق آلة العلوم النظرية، وكان معلماً للإسكندر الذي ستأتي ترجمته، وقد عنى فلاسفة المسلمين بفلسفة أرسطو، وسموه معلمهم الأول، وله كتاب في الحيوان تسع عشرة مقالة، نقله ابن البطريق إلى العربية.

راجع: تاريخ الحكماء ٢٧ ــ ٥٣؛ وفهرس ابن النديم ٣٥٩، وإغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لابن القيم ٢/٢٥٩؛ والفرق بين الفرق ص ٣٠٧ ــ ٣٠٨.

(٢) سمو مشائين لأنهم كانوا في بعض الأحيان يتلقون العلم وهم سائرون في الطريق.

(٣) هو الإسكندر بن فيلبس بن مصريم المقدوني، اليوناني، المصري، باني الإسكندرية، وأحد ملوك اليونان. ملك مقدونية، وكان في عهده أرسطوطاليس من حكماء اليونان، وهو معلمه حتى قيل: إنه سار على آدابه وعمل بها في سياسة ــ رعيته، وسيرة ملكه. قال ابن كثير: وكان الإسكندر متأخراً عن ذي القرنين المذكور في القرآن بدهر طويل.

انظر: أخبار العلماء ص ٢٢ (مطبعة السعادة بمصر)، وتاريخ الحكماء المختصر من كتاب أخبار العلماء ص ٣٩؛ والبداية والنهاية ٢/١٠٥؛ وتاريخ ابن جرير الطبري ١/٥٧٣، ٥٧٧؛ وخطط المقريزي ١/١٥٠.

(٤) الأولى (الذي) بدل (التي).

(٥) ذو القرنين الذي ورد ذكره في القرآن اختلف في اسمه. فقيل: عبد الله بن الضحاك، وينتهي نسبه إلى زيد بن كهلان بن سبأ بن قحطان، وكان من حمير.

وقيل: اسمه مرزبان بن مرزبة، وقيل: الصعب بن ذي مرائد، وهو أول التبابعة.

وقيل: لأنه بلغ قرني الشمس غرباً وشرقاً، وملك ما بينهما من الأرض. قال الحافظ ابن كثير: «وهذا أشبه من غيره». ثم قال والصحيح إنه كان ملكاً من الملوك العادلين. وقيل: كان نبياً رسولاً. وأغرب من قال ملكاً من الملائكة. =

الترك ولا بنى السد، وإنما وصل إلى بلاد الفرس.

ومن ظن أن أرسطو كان وزير ذي القرنين المذكور في القرآن، فقد غلط غلطاً يتبيَّن أنه ليس بعارف بأديان هؤلاء القوم ولا بأزمانهم.

(أ) ابتداء ظهور البدع في دين النصارى

فلما ظهر دين المسيح ــ عليه السلام ــ بعد أرسطو بنحو ثلاثمائة سنة في بلاد الروم واليونان، كانوا على التوحيد إلى أن ظهرت فيهم البدع، فصوروا الصور المرقومة في الحيطان، جعلوا هذه الصور عوضاً عن تلك الصور.

وكان أولئك يسجدون للشمس والقمر والكواكب، فصار هؤلاء يسجدون إليها إلى جهة الشرق[1] التي تظهر منها الشمس والقمر والكواكب، وجعلوا السجود إليها بدلاً عن السجود لها؛ ولهذا جاء خاتم الرسل ــ صلوات الله عليه وسلامه ــ الذي ختم الله به الرسالة، وأظهر به من كمال[2] التوحيد ما لم يظهر بمن[3] قبله، فأمر ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ أن لا يتحرّى أحد بصلاته طلوع الشمس ولا غروبها[4]؛ لأن

= انظر: ترجمة طويلة له في البداية والنهاية ٢/١٠٢ ــ ١٠٥؛ والخطط المقريزية ١/١٥٣.

(١) في ط (المشرق).

(٢) في س (كلام).

(٣) في ط (ما لم يظهره من) وفي س (ما لم يظهر من).

(٤) روى البخاري من حديث ابن عمر ــ رضي الله عنهما ــ قال: قال رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ : «لا تحروا بصلاتكم طلوع الشمس ولا غروبها». في كتاب مواقيت الصلاة، باب لا يتحرى الصلاة قبل الغروب ١/١٤٥.
ورواه مسلم في صحيحه في كتاب صلاة المسافرين، باب الأوقات المنهي عنها.
انظر مسلم بشرح النووي ٦/١١١ المجلد الثالث. وقد ورد في حديث بعده زيادة قوله: (فإنها تطلع بقرني شيطان).

المشـــركين يسجـدون لهـــا تلك السـاعــة، فـإذا صلّى المــوحـدون لله ــ عز وجل ــ في تلك الساعة، صـار في ذلك نـوع مشابهـة لهم، فيتخذ ذريعـة إلى السجود لهـا، وكان من أعـظم أسباب عبـادة الأصنام تصـوير الصور وتعظيم القبور.

ففي صحيـح مسلـم وغيره عن أبـي الهيـاج الأسدي قـال: قال لي علي بن أبـي طـــالب: «ألا أبعثـــك على مـــا بعثني عـليـــه رســـول الله ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ ، فأمـرني أن لا أدع قبراً مشـرفاً إلَّا سـويتـه، ولا تمثالاً إلَّا طمسته»[1].

وفي الصحيحين أنـــه ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ قـــال في مـرض موته: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيـائهم مساجـد»[2] يحذر ما فعلوا.

---

(١) رواه مسلم في الجنـائـز، بـاب الأمـر بتسـويـة القبـر ٦٦٦/٢ (٩٦٩)، وأبو داود في الجنـائز، بـاب في تسويـة القبر ٥٤٨/٣ (٣٢١٨)، والتـرمذي في الجنـائز ٣٦٦/٣ (١٠٤٩)، والنسائي في باب تسوية القبور إذا رفعت ٨٨/٤ ــ ٨٩، وأحمد ٩٦/١، ١٢٩ وفي ١٤٥/١ من حـديث حنش بن المعتمـر أن عليـاً ــ رضي الله عنـه ــ بعث صاحب شرطة فقال: أبعثـك. . . وذكره. ورواه الحـاكم في المستدرك ٣٦٩/١ من طريق حبيب بن أبـي ثابت، عن أبـي الهيـاج الأسدي، أخـرجه في كتـاب الجنائـز، وقال على شرطهما ووافقه الذهبـي.

(٢) رواه البخاري من حديث عائشة في الصلاة، باب هـل تنبش قبور مشـركي الجاهليـة ويتخذ مكانها مساجد ١١٠/١، وفي الجنائز، باب ما يكره من اتخاذ المساجـد على القبـور ٩٠/٢ ــ ٩١، وفي ص ١٠٦ باب مـا جـاء في قبـر النبـي ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ وأبـي بكر وعمر. وفي الأنبياء، باب مـا ذكر عن بني إسـرائيل، من حـديث عائشة وابن عبـاس بلفظ قالا: لمـا نزل بـرسول الله ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ طفق يـطرح خميصته على وجهـه فإذا اغتم كشفهـا عن وجهـه فقـال. . . وذكـر الحـديث ١٤٤/٤، ورواه في المغـازي ١٤٠/٥، وأخرجـه مسلم في المساجـد، بـاب النهي عن بناء المساجد على القبور ٣٧٦/١ (٥٢٩)، وفيه قالت عـائشة: «فلولا ذاك أبـرز =

وفي الصحيحين أنه قال قبل موته بخمس ليالٍ: «إن من كان قبلكم كانوا يتخذون[1] القبور مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، وإني أنهاكم عن ذلك»[2].

ولما ذكروا[3] الكنيسة بأرض الحبشة وذكروا من حسنها وتصاوير فيها، فقال: «إن أولئك كانوا إذا مات فيهم الرجل الصالح، بنوا على قبره مسجداً وصوروا تلك التصاوير، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة»[4].

= قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً»، وأخرجه من حديث عائشة وابن عباس في ١/٣٧٧ (٥٣١)، وأخرجه أبو داود في الجنائز، باب في البناء على القبر من حديث أبي هريرة ٤/٥٥٣ (٣٢٢٧) بلفظ: «قاتل الله اليهود والنصارى... الحديث. ورواه النسائي في المساجد ٢/٤٠؛ والدارمي في الصلاة ١/٣٢٦؛ وأحمد في المسند ١/٢١٨؛ وفي ٦/٣٤، ٨٠.

(١) في أ، س (يتخذوا) وهو خطأ.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في المساجد، باب النهي عن بناء المساجد على القبور ١/٣٧٧ ـ ٣٧٨ (٥٣٢) من حديث جندب ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: «إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإن الله ـ تعالى ـ قد اتخذني خليلاً، كما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً، لاتخذت أبا بكر خليلاً. ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد. إني أنهاكم عن ذلك.
ولم أجده في البخاري.

(٣) في س، ك (ذكروا له كنيسة)، وفي ط (ذكروا له الكنيسة).

(٤) رواه البخاري في الصلاة، باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية، ويتخذ مكانها مساجد ١/١١٠ من حديث عائشة أن أم حبيبة، وأم سلمة، ذكرتا كنيسة... الحديث وفي ص ١١٢، باب الصلاة في البيعة، ورواه في الجنائز، باب بناء المساجد على القبر ٢/٩٣، وفي مناقب الأنصار، باب هجرة الحبشة ٤/٢٤٥؛ ورواه مسلم في المساجد، باب النهي عن بناء المساجد على القبور ١/٣٧٥ =

ونهى أن يستقبل الرجل القبر في الصلاة حتى لا يتشبه بالمشركين الذين يسجدون للقبور، ففي الصحيح أنه قال: «لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها»[1]. إلى أمثال ذلك مما فيه تجريد التوحيد لله رب العالمين، الذي أنزل الله به كتبه وأرسل به رسله.

فأين هذا ممن يصور صور المخلوقين في الكنائس ويعظمها ويستشفع بمن صورت على صورته؟ وهل كان أصل عبادة الأصنام في بني آدم من عهد نوح ــ عليه السلام ــ إلاَّ هذا؟ والصلاة[2] إلى الشمس والقمر والكواكب والسجود إليها ذريعة إلى السجود لها، ولم يأمر أحد من الأنبياء باتخاذ الصور والاستشفاع بأصحابها، ولا بالسجود إلى الشمس والقمر والكواكب، وإن كان يذكر عن بعض الأنبياء تصوير صورة لمصلحة[3]، فإن هذا من الأمور التي قد تتنوع فيها الشرائع

= (٥٢٨)؛ والنسائي في المساجد، باب النهي عن اتخاذ القبور مساجد ٢/٤١، ٤٢؛ وأحمد في المسند ٦/٥١ ــ ٥٢؛ وأبو عوانة في صحيحه ١/٤٠٠ ــ ٤٠١.

(١) رواه مسلم في الجنائز، باب النهي عن الجلوس على القبر من حديث أبي مرثد الغنوي بهذا اللفظ ٢/٦٦٨ (٩٧٢)، ورواه بلفظ آخر من حديث أبي مرثد أيضاً قال: سمعت رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ يقول: «لا تصلوا إلى القبور، ولا تجلسوا عليها».

ورواه أبو داود في الجنائز، باب في كراهية القعود على القبر ٣/٥٥٤ (٣٢٢٩)؛ والترمذي في الجنائز، باب ما جاء في كراهية المشي على القبور. . . ٣/٣٦٧ (١٠٥٠)؛ وأحمد في المسند ٤/١٣٥.

(٢) في أ، س (ويصلي)، وفي ك (ولا يصلي)، وما أثبتناه من ط أولى.

(٣) روى الحاكم بسنده عن أبي أمامة الباهلي، عن هشام بن العاص الأموي، أنه خرج هو ورجل معه إلى هرقل ملك الروم فذكر قصة طويلة، ومنها أنه أراهم صور الأنبياء على حرائر بيض، فسألوه من أين لك هذه الصور؟ فقال: إن آدم ــ عليه السلام ــ سأل ربه أن يريه الأنبياء من ولده، فأنزل عليه صورهم فكانت في خزانة آدم ــ عليه السلام ــ عند مغرب الشمس فاستخرجها ذو القرنين من مغرب الشمس فدفعها إلى =

بخلاف السجود لها والاستشفاع بأصحابها، فإن هذا لم يشرعه نبي من الأنبياء، ولا أمر قط أحد من الأنبياء أن يدعى غير الله ــ عز وجل ــ لا عند قبره ولا في مغيبه، ولا يشفع به في مغيبه بعد موته بخلاف الاستشفاع بالنبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ في حياته ويوم القيامة، وبالتوسل به[1] بدعائه والإيمان به، فهذا من شرع الأنبياء ــ عليهم السلام ــ ولهذا قال ــ تعالى ــ :

﴿ وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾[2].

وقال ــ تعالى ــ :

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾[3].

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ . . . ﴾[4].

= دانيال. . . وذكره في قصة طويلة.

وأورده الحافظ أبو بكر البيهقي في دلائل النبوة ١/٢٨٧ ــ ٢٩٢، باب ما وجد من صورة نبينا ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ مقرونة بصور الأنبياء صلوات الله عليهم عن شيخه الحاكم إجازة وذكره، قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٢/٢٥٣ آية ١٥٧: سورة الأعراف) بعد ذكره له «وإسناده لا بأس به».

قلت: لعل المؤلف ــ رحمه الله ــ يقصد هذا الذي ورد، وقد أشار إليه بصيغة التمريض (يذكر) فإن صح هذا فقد أجاب عليه بقوله: (إن هذا من الأمور التي قد تتنوع فيها الشرائع). . . إلخ ما قال والله أعلم.

(١) سقطت (به) من س.

(٢) سورة الزخرف: الآية ٤٥.

(٣) سورة الأنبياء: الآية ٢٥.

(٤) سورة النحل: الآية ٣٦.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[1].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾[2].

وذلك أن المشركين من جميع الأمم لم يكن أحد منهم يقول: إن للمخلوقات خالقين منفصلين متماثلين في الصفات، فإن هذا لم يقله[3] طائفة معروفة من بني آدم ولكن الثنوية من المجوس ونحوهم يقولون: إن العالم صادر عن أصلين: النور والظلمة، والنور عندهم: هو إلٰه الخير المحمود، والظلمة: هي الإلٰه[4] الشرير المذموم.

وبعضهم يقول: أن الظلمة هي الشيطان، وهذا ليجعلوا ما في العالم من الشر صادراً[5] عن الظلمة.

---

(١) سورة يونس: الآية ١٨.

(٢) سورة الزمر: الآيات ١ ـ ٤.

(٣) انفردت ط بكتابتها (تقله) بالمثناة الفوقية.

(٤) في أ (إلاه) وما أثبتناه من سائر النسخ أولى.

(٥) في أ، س (صادر) وصححناه من ك، ط.

ومنهم من قال: إن الظلمة قديمة أزلية مع أنها مذمومة عندهم ليست مماثلة للنور.

ومنهم من قال: بل هي حادثة، وأن النور فكر[1] فكرة رديئة فحدثت الظلمة عن تلك الفكرة الرديئة.

فقال لهم أهل التوحيد: أنتم بزعمكم كرهتم أن تضيفوا إلى الرب ــ سبحانه وتعالى ــ خلق ما في العالم من الشر، وجعلتموه خالقاً لأصل الشر، وهؤلاء مع إثباتهم اثنين وتسمية الناس لهم بالثنوية، فهم لا يقولون: إن الشرير[2] مماثل للخيّر.

وكذلك الدهرية دهرية الفلاسفة وغيرهم، منهم من ينكر الصانع للعالم، كالقول الذي أظهره فرعون ــ لعنه الله ــ ومنهم من يقر بعلة يتحرك[3] الفلك للتشبه بها كأرسطو[4] وأتباعه، ومنهم من يقول بالموجب بالذات المستلزم للفلك كابن سينا[5] ــــــــــــ

---

(١) سقطت (فكر) من ط.

(٢) في ط (الشر) وكلاهما صحيح، فالشرير في مقابل الخيّر أو الشر في مقابل الخير.

(٣) في ط (بتحرك) بالباء الموحدة وهؤلاء يرون الفلك يتحرك بحركة محركة كما يتحرك الخاتم في الأصبع.

(٤) سبقت ترجمته.

(٥) هوأبوعلي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا، البلخي، ثم البخاري، يلقب بالشيخ الرئيس، فيلسوف، طبيب، شاعر، ولد سنة ٣٧٠هـ كان هو وأبوه من أهل دعوة الحاكم العبيدي من القرامطة الذين لا يؤمنون بمبدأ ولا بمعاد، ولا رب ولا رسول، وقد حكى ابن القيم ــ رحمه الله ــ جملاً كثيرة من ضلالاته وأباطيله. له تصانيف منها الإشارات في جزءين، والقانون في الطب وتقاسيم الحكمة وغيرها. مات سنة ٤٢٨هـ.

انظر: وفيات الأعيان ٢/١٥٧ ــ ١٦٢، والعبر في خبر من غبر ٣/١٦٥، وشذرات الذهب ٣/٢٣٤، وإغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ٢/٤٠١، ومعجم المؤلفين عمر رضا كحالة ٤/٢٠.

والسهروردي[1] المقتول بحلب وأمثالهما من متفلسفة الملل.

وأما مشركو العرب وأمثالهم فكانوا مقرين بالصانع، وبأنه خلق السموات والأرض، فكانت عقيدة مشركي العرب خيراً من عقيدة هؤلاء الفلاسفة الدهرية؛ إذ كانوا مقرين بأن هذه السموات مخلوقة لله حادثة بعد أن لم تكن، وهذا مذهب جماهير أهل الأرض ومن أهل الملل الثلاثة: المسلمون[2]، واليهود، والنصارى، ومن المجوس والمشركين وهؤلاء الدهرية من الفلاسفة وغيرهم يزعمون أن السموات أزلية قديمة لم تزل، وكان[3] مشركو العرب يقرون بأن الله قادر يفعل بمشيئته ويجيب دعاء الداعي إذا دعاه، وهؤلاء المتفلسفة الدهرية عندهم أن الله لا يفعل شيئاً بمشيئته، ولا يجيب دعاء الداعي، بل ولا يعلم الجزئيات، ولا[4] يعرف هذا الداعي من هذا الداعي، ولا يعرف إبراهيم من موسى من محمد وغيرهم بأعيانهم من رسله، بل منهم من ينكر علمه مطلقاً كأرسطو وأتباعه، ومنهم من يقول: إنما يعلم الكليات كابن سينا وأمثاله.

---

(١) هو يحيى بن محمد بن حبش بن أميرك، أبو الفتوح شهاب الدين السهروردي فيلسوف متصوف، ولد سنة ٥٤٩هـ في سهرورد، بالضم ثم السكون، وفتح الراء والواو، وسكون الراء الأخرى، من قرى زنجان ونشأ بمراغه، وسافر إلى حلب فنسب إلى انحلال العقيدة فأفتى العلماء بإباحة دمه، فسجنه الملك الظاهر غازي، وخنقه في سجنه بقلعة حلب سنة ٥٨٧هـ من مؤلفاته التلويحات مخطوط وهياكل النور مطبوع ومقامات الصوفية. . .
انظر وفيات الأعيان ٦/٢٦٨ ـ ٢٧٤؛ والعبر ٤/٢٦٣ ـ ٢٦٤؛ وشذرات الذهب ٤/٢٩٠؛ ولسان الميزان ٣/١٥٦؛ والأعلام ٨/١٤٠.

(٢) في ط (المسلمين).

(٣) في أ، س، ك (وكانوا) وهي صحيحة على لغة (يتعاقبون فيكم ملائكة)، ولكن الأصح ما أثبتناه من ط.

(٤) في س، ك (فلا).

ومعلوم: أن كل موجود في الخارج فهو جزء معين، فإن لم يعلم إلا الكليات لم يعلم شيئاً من الموجودات المعينة لا الأفلاك ولا الأملاك ولا غير ذلك من الموجودات بأعيانها، والدعاء عندهم: هو تصرف النفس القوية في هيولى[1] العالم كما ذكر ذلك ابن سينا وأمثاله، وزعموا أن اللوح المحفوظ: هو النفس الفلكية، وأن حوادث الأرض كلها إنما تحدث عن حركة الفلك، كما قد بسط الرد عليهم في غير هذا الموضع[2].

والمقصود هنا: أن المشركين لم يكونوا يثبتون مع الله إلٰهاً آخر مساوياً له في الصفات والأفعال، بل ولا كانوا يقولون: إن الكواكب والشمس والقمر خلقت العالم، ولا أن الأصنام تخلق شيئاً من العالم، ومن ظن أن قوم إبراهيم الخليل كانوا يعتقدون أن النجم أو الشمس أو القمر رب[3] العالمين، أو أن الخليل ــ عليه السلام ــ لما قال: «هَـٰذَاْ رَبِّـي» أراد به رب العالمين[4] فقد غلط غلطاً بيناً، بل قوم إبراهيم كانوا مقرين بالصانع، وكانوا يشركون بعبادته كأمثالهم من المشركين.

---

(١) في ط (هيول)، وما أثبتناه هو الصحيح.
والهيولى: تقال عند الفلاسفة على مراتب:
فمنها (الهيولى الأولى) وهي غير الصورة ــ عندهم، ومنها ما هي ذوات صور، والصورة تقال على أوجه: فمنها صورة الأجسام البسائط، وهي غير آلية، ومنها صورة الأجسام الآلية وهي النفوس، وغير ذلك. . .
انظر كتاب: لباب العقول في الرد على الفلاسفة في علم الأصول لأبي الحجاج يوسف المكلاتي المتوفي سنة ٦٢٦هـ ص ٥٥.

(٢) تناول الفلاسفة بالرد في مواضع كثيرة من كتبه ومنها بغية المرتاد في الرد على الفلاسفة، والرد على المنطقيين، وغيرهما.

(٣) في س وهامش ك (هو رب).

(٤) في ط (العالم).

قال[1] ــ تعالى ــ عن الخليل:

﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾[2].

فأخبر ــ تعالى ــ عن الخليل أنه عدو لكل ما يعبدونه إلا لرب العالمين، وأخبر أنهم[3] يقولون يوم القيامة:

﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[4].

---

(١) في ط(قال الله تعالى).

(٢) سورة الشعراء: الآيات ٦٩ ــ ٩٩ وورد ذكر الثلاث الآيات التي بعدها في ك في الهامش وفي نسخة ط.

(٣) في ط (وأخبر عنهم أنهم).

(٤) في ط (إذ نسويكم ــ يعني آلهتهم ــ)، والآيات من سورة الشعراء: الآيتان ٩٧، ٩٨.

كما قال ـ تعالى ـ في الموضع الآخر[1] :

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴾[1][2] .

وقال[3] :

﴿ وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[4] .

ولم يقل: من المعطلين، فإن قومه كانوا يشركون ولم يكونوا معطلين كفرعون اللعين، فلم يكونوا جاحدين للصانع، بل عدلوا به وجعلوا له أنداداً في العبادة والمحبة والدعاء، وهذا كما قال ـ تعالى ـ :

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾[5] .

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ . . . ﴾[6] .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ . . . ﴾[7] .

---

(١) وردت هنا في ط جملة (فلم يكونوا جاحدين للصانع بل عدلوا به. . .) إلخ. وانفردت بذلك عن سائر النسخ وقد جاءت هذه الجملة كاملة بعد ستة أسطر في جميع النسخ.

(٢) سورة الزخرف: الآيتان ٢٦، ٢٧.

(٣) في ط (ولهذا قال).

(٤) سورة الأنعام: الآية ٧٩.

(٥) سورة الأنعام: الآية ١.

(٦) سورة البقرة: الآية ١٦٥.

(٧) سورة الفرقان: الآية ٦٨.

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴾ [1].

وقال[2] :

﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴾ [3].

وقال ـ تعالى ـ فيما حكاه عن قوم نوح :

﴿ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ﴾ [4].

قال ابن عباس وغيره من العلماء: هؤلاء كانوا قوماً صالحين في قوم نوح، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم ثم عبدوها[5].

---

(١) سورة الشعراء: الآية ٢١٣.

(٢) في ط (وقال تعالى).

(٣) سورة الإسراء: الآية ٢٢.

(٤) سورة نوح: الآيتان ٢٣، ٢٤.

(٥) روى البخاري في صحيحه عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد. أما ود فكانت لكلب بدومة الجندل، وأما سواع فكانت لهذيل، وأما يغوث فكانت لمراد ثم لبني غطيف بالجوف عند سبأ، وأما يعوق فكانت لهمدان، وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع. أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً وسموها بأسمائهم، ففعلوا فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك، وتنسخ العلم، عبدت. انظر صحيح البخاري كتاب التفسير، سورة إنا أرسلنا ٦/٧٣.

وانظر فتح الباري لابن حجر ٨/٥١١ ـ ٥١٣.

قال ابن كثير في التفسير ٤/٤٢٦: وكذا روى عن عكرمة، والضحاك، وقتادة وابن إسحاق نحو هذا. وقد عزاه السيوطي في الدر المنثور ٦/٢٦٩ إلى البخاري، وابن المنذر، وابن مردويه عن ابن عباس.

وهكذا عند النصارى عن المسيح ـ عليه السلام ـ في كتاب سر بطرس[1] ـ الذي يسمى بشمعون، وسمعان[2]، والصفا، وبطرس، والأربعة لمسمى واحد عندهم ـ عنه كتاب عن المسيح فيه أسرار العلوم، وهذا فيه عندهم[3] عن المسيح.

فالذي تفعله النصارى أصل عبادة الأوثان، وهكذا قال عالمهم الكبير الذي يسمونه فم الذهب[4] ـ وهو من أكبر علمائهم ـ لما ذكر

---

(١) بطرس: أحد تلامذة المسيح ـ عليه السلام ـ أو من حوارييه، بناء على ما ورد في عدة مواضع من العهد الجديد وفي ـ رسالتيه: الرسالة الأولى، والرسالة الثانية، ففيها النص «بطرس رسول يسوع المسيح» الإصحاح الأول من الرسالة الأولى ص ٣٧٥ (مطبعة دار الكتاب المقدس) ص ٣٢٥ (مطبعة دار العالم العربي القاهرة)، واسمه أيضاً سمعان بالسين المهملة فقد ورد في الإصحاح الأول من الرسالة الثانية لبطرس «سمعان بطرس عبد يسوع المسيح ورسوله...» ص ٣٨١ (مطبعة دار الكتاب المقدس)، وورد اسمه شمعون بن الحمام في إنجيل متى الإصحاح السادس عشر/ فقرة ١٧ «طوبى لك يا شمعون بن الحمام».
وجاء في كتاب الدين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لعلي بن رتين الطبري ما نصه: «هو سمعان بن يونا، كان صياد سمك فدعاه المسيح وسماه كيفا أو الصخرة»، قال في قاموس الكتاب المقدس: صفا باليونانية كيفاس، علم مأخوذ عن الآرامية كيفا أي: صخرة أو حجر... وهو اسم أعطاه يسوع المسيح لسمعان، ويقابله باليونانية بطرس وهو الاسم المعروف به الآن.

(٢) في أ، س، ك (شمعان) بالشين المعجمة، وصححته من ط، ومن ترجمته.

(٣) سقطت (عندهم) من أ، س، ك.

(٤) فم الذهب: ذكر ابن البطريق في تاريخه نظم الجوهر ص ١٥١ ـ ١٥٤: أن اسمه يوحنا، وأنه أصبح بطريركاً على القسطنطينية في سنة سبع عشرة من تاريخ تملك الملك ثاوذوسيوس، الذي ظهر في عهده الفتية أهل الكهف.
وقد أقام البطريرك يوحنا ـ فم الذهب ـ على هذا المنصب خمس سنين وستة أشهر، ثم نفي، ومات في النفي. وقد وصفه ابن البطريق المسيحي بأنه عالم كبير. ثم ذكر أن سبب تسميته «فم الذهب»، أن امرأة ندبته عند موته فقالت: يا يوحنا يا فم الذهب، فسمي فم الذهب.

=

تولد الذنوب الكبار عن الصغار. قال: وهكذا هجمت عبادة الأصنام فيما سلف لما أكرم[1] الناس أشخاصاً يعظم بعضهم بعضاً فوق المقدار الذي ينبغي، الأحياء منهم والأموات.

وقد[2] قال ـ تعالى ـ :

﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾[3].

قال[4] طائفة من العلماء: كان أقوام يدعون الملائكة والأنبياء كالعزير والمسيح وغيرهما، فبين الله ـ تبارك وتعالى ـ : أن هؤلاء عباده كما أنتم عباده، يرجون رحمته كما ترجون رحمته، ويخافون عذابه، كما تخافون عذابه، ويتقربون إليه كما تتقربون إليه، وقال ـ تعالى ـ :

﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[5].

فبين[6] ـ تعالى ـ : أن من اتخذ الملائكة والنبيين أرباباً فهو كافر مع اعتقاده أنهم مخلوقون[7]، فإنه لم يقل أحد قط: أن جميع الملائكة

= وانظر ترجمة له في كتاب أنطاكية العظمى للدكتور أسد رستم الجزء الأول ص ٢٥٩.

(١) في س (أكبر).
(٢) في ط (وقال) بدون (قد).
(٣) سورة الإسراء: الآيتان ٥٦، ٥٧.
(٤) في ط (قالت).
(٥) سورة آل عمران: الآيتان ٧٩، ٨٠.
(٦) في ط (فتبين الله تعالى).
(٧) في س (مخلوقين) وهو خطأ.

والنبيين[1] مشاركون لله ــ سبحانه[2] ــ في خلق العالم، وقد قال ــ تعالى ــ :

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾[3].

قال ابن عباس ومجاهد[4] وغيرهما: تسألهم من خلق السموات والأرض؟ يقولون. الله، وهم يعبدون غيره، وقد قال ــ تعالى ــ :

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ . . .﴾[5].

في غير موضع فأخبر ــ تعالى ــ عن المشركين أنهم كانوا يقرون بأن خالق العالم واحد مع اتخاذهم آلهة يعبدونهم من دونه ــ سبحانه ــ يتخذونهم شفعاء إليه[6] ويتقربون بهم إليه.

• • •

---

(١) في س، ك (والأنبياء).

(٢) في ط (سبحانه وتعالى).

(٣) سورة يوسف: الآية ١٠٦.

(٤) لم أقف على هذا الأثر عن ابن عباس ومجاهد، وذلك بعد بحث طويل في مظانه كتفسير ابن عباس، وكتب التفسير عموماً مثل تفسير ابن جرير الطبري، وتفسير السيوطي: الدر المنثور، وغيرها، وقد وقف الشيخ ــ رحمه الله ــ كما قال عن نفسه على مائة وعشرين تفسيراً يستخلص منها الصحيح، فأين هذا من الموجود لدينا الآن؟

(٥) سورة لقمان: الآية ٢٥.

(٦) في س، ك، ط (أو).

فصل

وكذلك تعظيمهم للصليب، واستحلالهم لحم الخنزير وتعبدهم بالرهبانية، وامتناعهم من الختان، وتركهم طهارة الحدث والخبث، فلا يوجبون غسل جنابة ولا وضوءاً[1]، ولا يوجبون اجتناب شيء من الخبائث في صلاتهم لا عذرة ولا بولاً ولا غير ذلك من الخبائث إلى غير ذلك.

كلها شرائع أحدثوها وابتدعوها بعد المسيح ـ عليه السلام ـ ، ودان بها أئمتهم وجمهورهم، ولعنوا من خالفهم فيها، حتى صار المتمسك فيهم بدين المسيح المحض مغلوباً مقموعاً[2] قبل أن يبعث الله محمداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، وأكثر ما هم عليه من الشرائع والدين لا يوجد منصوصاً عن المسيح ـ عليه السلام ـ .

(ب) اجتماع المسلمين بإجماعهم، وتفرُّق النَّصارى بابتداعهم

وأما المسلمون: فكل ما أجمعوا عليه إجماعاً ظاهراً يعرفه العامة والخاصة فهو منقول عن نبيهم ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لم يحدث ذلك أحد لا باجتهاده ولا بغير اجتهاده، بل ما قطعنا بإجماع أمة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، فإنه يوجد مأخوذاً عن نبيهم.

وأما ما يظن فيه إجماعهم ولا يقطع به:

---

(١) في ط (وضوء).

(٢) في س (ومقموعاً). وقمعه ضربه. وأقمعه قهره وأذله فانقمع.
انظر مختار الصحاح ص ٥٥١.

فمنه ما يكون ذلك[1] الظن خطأ ويكون بينهم فيه نزاع، ثم قد يكون نص[2] الرسول ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ مع هذا القول، وقد يكون مع هذا القول.

ومنه ما يكون ظن[3] الإجماع عليه صواباً، ويكون فيه عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أثر خفيت دلالته أو معرفته[4] على بعض الناس.

وذلك أن الله ـ تبارك وتعالى ـ أكمل الدين بمحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ خاتم النبيين، وبيَّنه وبلَّغه البلاغ المبين، فلا تحتاج أمته إلى أحد بعده يغير شيئاً من دينه، وإنما تحتاج[5] إلى معرفة دينه الذي بعث به فقط، وأمته لا تجتمع على ضلالة، بل لا يزال في أمته طائفة قائمة بالحق حتى تقوم الساعة، فإن الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، فأظهره بالحجة والبيان، وأظهره باليد والسنان. ولا يزال في أمته أمة ظاهرة بهذا وهذا حتى تقوم الساعة.

والمقصود هنا: أن ما أجمعت عليه الأمة إجماعاً ظاهراً تعرفه العامة والخاصة، فهو منقول عن نبيهم ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ونحن لا نشهد بالعصمة إلَّا لمجموع الأمة، وأما كثير من طوائف الأمة، ففيهم بدع مخالفة للرسول، وبعضها من جنس بدع اليهود والنصارى، وفيهم فجور ومعاصي، لكن[6] رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بريء من ذلك، كما قال ـ تعالى ـ له:

---

(١) سقطت ذلك من أ، س، ك وزدناها من ط.
(٢) في أ (ثم قد نقول يكون).
(٣) في أ، س، ك (الظن).
(٤) في س، ك (معرفته أو دلالته).
(٥) في أ (يحتاج) بالمثناة التحتية.
(٦) في ط (ولكن).

﴿ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[1].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍۚ . . . ﴾[2].

وقال ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : «من رغب عن سنتي فليس مني»[3] وذلك مثل إجماعهم على أن محمداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أرسل إلى جميع الأمم ـ أهل الكتاب وغير أهل الكتاب ـ فإن هذا تلقوه عن نبيهم ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، وهو منقول عندهم نقلاً متواتراً يعلمونه بالضرورة.

وكذلك إجماعهم على استقبال الكعبة البيت الحرام في صلاتهم، فإن هذا الإجماع منهم على ذلك مستند[4] إلى النقل المتواتر عن نبيهم وهو مذكور في كتابهم.

وكذلك الإجماع على وجوب الصلوات الخمس، وصوم شهر رمضان، وحج البيت العتيق الذي بناه إبراهيم خليل الرحمن، ودعا الناس إلى حجه وحجته الأنبياء حتى حجه موسى بن عمران ويونس بن

---

(١) سورة الشعراء: الآية ٢١٦.

(٢) سورة الأنعام: الآية ١٥٩.

(٣) هذا قطعة من حديث طويل أخرجه البخاري، في أول النكاح، باب الترغيب في النكاح ٦/١١٦ من حديث أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ ، ورواه مسلم من حديث أنس بنحوه في النكاح، باب استحبابه لمن تاقت إليه نفسه ٢/١٠٢٠ (١٤٠١)، وأحمد من حديث أنس في المسند ٣/٢٤١، ٢٥٩، ٢٨٥، ورواه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص في ٢/١٥٨.

(٤) في أ، س، ك (مستنداً) وصححناه من ط.

متى[1] وغيرهما، وإجماعهم[2] على وجوب الاغتسال من الجنابة، وتحريم الخبائث، وإيجاب الطهارة للصلاة، فإن هذا كله مما تلقوه[3] عن نبيهم، وهو منقول عنه ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ نقلاً متوتراً، وهو مذكور في القرآن.

وأما النصارى، فليست الصلوات التي يصلونها منقولة عن المسيح ـ عليه السلام ـ ولا الصوم الذي يصومونه منقولاً عن المسيح، بل جعل أولهم[4] الصوم أربعين يوماً ثم زادوا فيه عشرة أيام ونقلوه إلى الربيع، وليس هذا منقولاً عندهم عن المسيح ـ عليه السلام ـ.

وكذلك حجهم للقمامة[5]، وبيت لحم[6]، وكنيسة ـــــــ

---

(1) يونس بن متى: اشتهر بأمه متى. كما اشتهر عيسى ـ عليه السلام ـ بأمه مريم. وهو من أنبياء بني إسرائيل، بعث إلى أهل نينوى فنهاهم عن الأصنام، وأوعدهم بالعذاب في يوم معلوم إن لم يتوبوا، وضمن ذلك عن ربه ـ عز وجل ـ فلما أظلهم العذاب آمنوا فكشفه الله عنهم، وجاء يونس لذلك اليوم فلم يرَ العذاب حل، ولا علم بإيمانهم فذهب مغاضباً، قال ـ تعالى ـ: ﴿وذا النون إذ ذهب مغاضباً...﴾ الآية من سورة الأنبياء. ثم دخل السفينة بدجلة فوقفت السفينة، فقال رئيسها: فيكم من له ذنب، وتساهموا على من يلقونه في البحر، فوقعت المساهمة على يونس فرموه، فالتقمه الحوت، وسار به، وكان من شأنه ما ذكره الله في كتابه.
انظر: تاريخ الطبري ٢/١١ ـ ١٧؛ وابن الوردي ١/٤٧؛ والبداية والنهاية ١/٢٣١.

(2) في أ (وإجماعهما) وصححته من سائر النسخ.

(3) في ط (نقلوه).

(4) في أ، س، ك (أولوهم) وصححناه من ط.

(5) في ط (لقمامه) وقمامه: بالضم، كنيسة للنصارى ببيت المقدس في وسط البلد، فيها قبة، تحتها قبر. يزعمون: أن المسيح دفن فيه، ومنه قام. ولذلك تسميها النصارى القيامة.
انظر: معجم البلدان ٤/٣٩٦؛ ومراصد الاطلاع ٣/١١٢١.

(6) بيت لحم، بالفتح، وسكون الحاء المهملة: بليدة قرب بيت المقدس المشهور أن =

صيدنـايا[1]، ليس شيء من ذلك منقولاً عن المسيـح ـ عليه السـلام ـ ، بل وكذلك عامة أعيادهم مثل عيد القلندس[2]، وعيد الميلاد[3]، وعيد الغطاس[4] ـ وهو القداس ـ وعيـد الخميس[5]، ــــــــــــــــــــــــــــ

= عيسى ـ عليه السلام ـ ولد به، وقيل: (لخم) بالخاء المعجمة. وقيل: لغتان.
انظر: معجم البلدان ١/٥٢١، ومراصد الاطلاع ١/٢٣٨.

(١) صيدنايا. بعد الـدال المهملة نون، وبعـد الألف ياء: بلد من أعمـال دمشق مشهورة بكثرة الكروم. وهي من مزارات النصارى.
انظر: مراصد الاطلاع ٢/٨٥٩.

(٢) عيد القلندس: جـاء في مخطوط جـواب الأنصاري الـدمشقي على رسالـة بولص أن هذا العيد يعني الختان، وقد ذكر أنه مما كان في إنجيل الصبوة أن المسيـح لم يكن له آلة النسـل بل كـان أمسحاً، قـال: وقد عملوا القلنـدس الذي معنـاه الختان لئـلا ينسب إلى ناسوتـه نقص خلق، ولأن الإنجيلات شـاهدة بـأن أم المسيح ختنتـه ثامن يوم ولادته. انظر ورقة ٦٩، السطر الثاني من المخطوط السابق، ويـوجد صـورة منه لدى زميلنا الأخ الدكتور عبد العزيـز العسكر حيث قـام بتصويـره من جامعـة يورخنـا بهولندا برقم (١٤٤٩)، وتقع في (١٠٨) ورقات.

(٣) عيد الميلاد: هو اليوم الذي ولد فيه المسيح ـ عليـه السلام ـ والنصـارى تتخذ ليلة يوم الميلاد عيداً، وتعمله قبط مصر في التاسع والعشـرين من كيهك ومـا برح لأهـل مصر به اعتناء.
قال المقريزي: «وكان من رسـوم الدولـة الفاطميـة فيه تفـرق الجـامات المملوءة من الحلاوات القاهرية. . . وغيرها».
انـظر: الخطط المقـريزيـة ١/٤٩٤؛ وكتاب نخبـة الدهـر في عجـائب البـر والبحـر لشمس الـدين الأنصـاري ص ٢٨١، وفيـه من أعيـاد النصـــارى الكبـار؛ وتــاريـخ ابن الوردي ١/١٢٨.

(٤) عيد الغطاس: من مواسم النصارى بمصر عمل الغـطاس، ولهذه الليلة ـ عنـدهم ـ شأن عظيم، لا ينام الناس فيها، وسميت الغطاس لأنهم يغطسون في المـاء في تلك الليلة ويزعمون أن ذلك أمان من المرض.
انظر: الخطط المقريزية ١/٤٩٤؛ ونخبة الدهر في عجائب البر والبحر ص ٢٨١.

(٥) عيد الخميس: اسمه خميس العهد. قال المقريزي: «ويسميه أهل مصـر من العامـة خميس العدس، ويعمله نصارى مصر قبل الفصح بثلاثة أيام، ويتهـادون فيه، وكـان =

وعيد الصليب[1] الذي جعلوه في وقت ظهور الصليب، لما أظهرته هيلانة الحرانية[2] الفندقانية أم قسطنطين بعد المسيح ـ عليه السلام ـ[3] بمائتين من السنين. وعيد الخميس والجمعة والسبت التي

= من جملة رسوم الفاطمية ضرب خمسمائة دينار ذهباً، وتفرقتها على جميع أرباب الرسوم فيه».
انظر: الخطط المقريزية ١/٤٩٥؛ ونخبة الدهر في عجائب البر والبحر ص ٢٨٠ ـ ٢٨١.

(١) عيد الصليب: تعيد الكنيسة القبطية للصليب المقدس مرتين. الأولى في ١٠ برمهات، والأخرى في ١٧ توت، يقول الأب متى المسكين: «أما العيد الرسمي في كنيستنا حسب التقليد فهو الواقع في ١٠ برمهات، ولكن الكنائس الأخرى في الشرق حددت ١٤ سبتمبر كتذكار دائم لتمجيد الصليب، والتعييد لظهوره، ويوافق الآن بعد التعديل ٢٧ سبتمبر».
انظر: كتاب «الصليب المقدس» للأب متى المسكين ص ٤؛ ونخبة الدهر في عجائب البر والبحر ص ٢٨٢.
وقد ذكر صاحب (نخبة الدهر) أربعة عشر عيداً للنصارى سبعة كبار وسبعة صغار، ولم أقف من بينها على عيد القلندس.

(٢) هيلانة: هي والدة الإمبراطور قسطنطين، قيل: أنها أناضولية بلقانية، وقيل: سورية، وهي قديسة كما يقول الأب متى المسكين: تكبدت أتعاب السفر إلى أورشليم، وهي بالغة من العمر أكثر من سبعين سنة، وذلك لتكشف القبر المقدس، وتبني كنيسة هناك. وقد بنت كنيستين إحداهما: على القبر، وعرفت بكنيسة القيامة. والأخرى: في بيت لحم.
قال ابن كثير: ويعنون بالقيامة: التي يقوم جسد المسيح منها، ثم أمرت بأن توضع القمامة على الصخرة التي هي قبلة اليهود، فلم يزل كذلك حتى فتح عمر بيت المقدس، فكنس عنها القمامة... ووضع المسجد أمامها حيث صلّى رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ ليلة الإسراء بالأنبياء وهو بالأقصى.
انظر: البداية والنهاية ٢/٩٦؛ والصليب المقدس للأب متى المسكين ص ٥؛ وتتمة المختصر لابن الوردي ١/٨٧.

(٣) سقطت جملة (المسيح عليه السلام) من أ، س، ك. وقد وردت العبارة في النسخ الثلاث هكذا (بعد المائتين) وكلاهما صحيح، ولكن الزيادة توضيح أكثر.

في آخر صومهم، وغير ذلك من أعيادهم التي رتبوها على أحوال المسيح، والأعياد التي ابتدعوها لكبرائهم، فإن ذلك كله من بدعهم التي ابتدعوها بلا كتاب نزل من الله ــ تعالى ــ ، بل هم يبنون الكنائس على اسم بعض من يعظمونه، كما في السنن[1] عن النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ :«أنهم إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك التصاوير أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة»[2]، وهذا بخلاف المساجد التي تبنى لله ــ عز وجل ــ كما قال ــ تعالى ــ :

﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾[3].

وقال[4]: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ . . .﴾[5].

وقال ــ تعالى ــ :

﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[6].

وقال ــ تعالى ــ :

﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾[7].

والنصارى كأشباههم من المشركين يخشون غير الله، ويدعون غير الله.

● ● ●

(١) في س، وهامش ك، ط (الصحيحين).

(٢) سبق تخريجه . . . والحديث في البخاري، ومسلم، والنسائي، ومسند أحمد، وأبي عوانة، والبيهقي.

(٣) سورة الجن: الآية ١٨.

(٤) في ط (وقال ــ تعالى ــ).

(٥) سورة النور: الآية ٣٦.

(٦) سورة الأعراف: الآية ٢٩.

(٧) سورة التوبة: الآية ١٨.

فصل

والمقصود هنا: أن الذي يدين به المسلمون من أن محمداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ رسول[1] إلى الثقلين: الإنس والجن، أهل الكتاب وغيرهم، وأن من لم يؤمن به فهو كافر مستحق لعذاب الله مستحق للجهاد، وهو[2] مما أجمع أهل الإيمان بالله ورسوله عليه؛ لأن الرسول ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ هو الذي جاء بذلك وذكره الله في كتابه وبينه الرسول أيضاً في الحكمة المنزلة عليه من غير الكتاب، فإنه ـ تعالى ـ أنزل عليه الكتاب والحكمة، ولم يبتدع المسلمون شيئاً من ذلك من تلقاء أنفسهم، كما ابتدعت النصارى كثيراً من دينهم، بل أكثر دينهم.

وبدلوا دين المسيح وغيروه؛ ولهذا كان كفر النصارى لما بعث محمد[3] ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ مثل كفر اليهود لما بعث المسيح ـ عليه السلام ـ ؛ فإن اليهود كانوا قد بدلوا شرع التوراة قبل مجيء المسيح فكفروا بذلك، ولما بعث المسيح إليهم[4] كذبوه فصاروا كفاراً بتبديل معاني الكتاب الأول وأحكامه، وبتكذيب الكتاب الثاني.

وكذلك النصارى كانوا[5] بدلوا دين المسيح قبل أن يبعث محمد[6] ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فابتدعوا من التثليث والاتحاد وتغيير شرائع الإنجيل أشياء لم يبعث بها المسيح ـ عليه السلام ـ ، بل

---

(١) في س وهامش ك، ط (بعث رسولاً).
(٢) في أ (كما) وهو تصحيف.
(٣) في س، ك (محمداً) بالنصب.
(٤) سقطت (إليهم) من أ.
(٥) في ط (كانوا قد بدلوا).
(٦) في س (محمداً).

تخالف ما بعث به، وافترقوا في ذلك فرقاً متعددة وكفر فيها بعضهم بعضاً، فلما بعث محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ كذبوه، فصاروا كفاراً بتبديل معاني الكتاب الأول وأحكامه، وتكذيب الكتاب الثاني، كما يقول علماء المسلمين: إن دينهم مبدل منسوخ، وإن كان قليل من النصارى كانوا[1] عند مبعث محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ متمسكين بدين المسيح، كما كان الذين لم يبدلوا دين المسيح كله على الحق، فهذا كما أن من كان متبعاً شرع التوراة عند مبعث المسيح، كان متمسكاً بالحق كسائر من اتبع موسى، فلما بعث المسيح صار كل من لم يؤمن به كافراً، وكذلك لما بعث محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ صار كل من لم يؤمن به كافراً.

والمقصود في هذا المقام: بيان ما بعث به محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ من عموم رسالته، وأنه[2] نفسه الذي أخبر أن الله ـ تعالى ـ أرسله إلى أهل الكتاب وغيرهم، وأنه نفسه ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ دعا أهل الكتاب وجاهدهم وأمر بجهادهم، فمن قال بعد هذا من أهل الكتاب ـ اليهود[3] والنصارى ـ: أنه لم يبعث إلينا بمعنى أنه لم يقل: إنه مبعوث إلينا، كان مكابراً جاحداً للضرورة مفتريا على الرسول فرية ظاهرة تعرفها الخاصة والعامة.

وكان جحده لهذا[4] كما لو جحد أنه جاء بالقرآن، أو شرع الصلوات الخمس، وصوم رمضان، وحج البيت الحرام، وجَحْدُ محمدٍ ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وما تواتر عنه أعظم من جحد أتباع الحواريين

(١) في س (كانوا على عند) و (على)، زائدة لا مكان لها.
(٢) في س، ك، ط (وأنه هو).
(٣) في ط (واليهود).
(٤) في ط (لها).

المسيح[1] ـ عليه السلام ـ، وإرساله لهم إلى الأمم، ومجيئه بالإنجيل، وجحد[2] مجيء موسى ـ عليه السلام ـ بالتوراة، وجحد أنه كان يسبت؛ فإن النقل عن محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ مدته[3] قريبة، والناقلون عنه أضعاف أضعاف من نقل دين المسيح عنه، وأضعاف أضعاف أضعاف من اتصل به نقل دين موسى ـ عليه السلام ـ فإن أمة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ما زالوا كثيرين منتشرين في مشارق الأرض ومغاربها، وما زال فيهم من هو ظاهر بالدين منصور على الأعداء، بخلاف بني إسرائيل، فإنهم زال ملكهم في أثناء الأمر[4] لما خرب بيت المقدس[5] الخراب الأول بعد داود ـ عليه السلام ـ، ونقص عدد من نقل دينهم حتى قد قيل: إنه لم يبقَ من يحفظ التوراة إلَّا واحد.

والمسيح ـ عليه السلام ـ لم ينقل دينه عنه إلَّا عدد قليل، لكن[6] النصارى يزعمون أنهم رسل الله معصمون مثل: إبراهيم وموسى، وسيأتي الكلام على هذا ـ إن شاء الله تعالى ـ إذا وصلنا إليه، إذ المقصود هنا بيان من زعم أن محمداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ كان يقول: إنه لم يبعث إلَّا إلى مشركي العرب، فإنه في غاية الجهل والضلال أو غاية المكابرة والمعاندة، فإن هذا أعظم جهلاً وعناداً ممن ينكر أنه كان يأمر بالطهارة والغسل من الجنابة، ويحرم الخمر والخنزير، وأعظم جهلاً وعناداً ممن ينكر ما تواتر من أمر المسيح وموسى ـ عليهما السلام ـ، وقد ظهر بهذا بطلان قولهم: علمنا أنه لم يأت إلينا بل إلى جاهلية العرب.

• • •

(1) في س، ك، ط (للمسيح).
(2) سقطت (جحد) من أ، س، ك.
(3) في س، ك (مدة).
(4) في ط (المدة).
(5) في ط (القدس).
(6) في ط (ولكن).

فصل

شبهات النّصارى على رسالة محمّد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وردّها

فإذا عرف هذا[١] فاحتجاج هؤلاء بالآيات التي ظنوا دلالتها على أن[٢] نبوته خاصة بالعرب، تدل على أنهم ليسوا ممن يجوز لهم الاستدلال بكلام أحد على مقصوده ومراده، وأنهم ممن قيل فيه:

﴿... فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾[٣].

فليسوا أهلاً أن يحتجوا بالتوراة والإنجيل والزبور على مراد الأنبياء[٤]، وسائر الكلام المنقول عن الأنبياء على مراد الأنبياء ـ عليهم السلام ـ بل ولا يحتجون بكلام الأطباء، والفلاسفة، والنحاة، وعلم أهل الحساب، والهيئة، على مقاصدهم.

فإن الناس كلهم متفقون على أن لغة العرب من أفصح[٥] لغات الآدميين وأوضحها[٦]، ومتفقون على أن القرآن في أعلا درجات البيان، والبلاغة، والفصاحة، وفي القرآن من الدلالات الكثيرة على مقصود الرسول ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ التي يذكر فيها: أن الله ـ تعالى ـ أرسله إلى أهل الكتاب وغيرهم ما لا يحصى إلَّا بكلفة ثم مع ذلك من

(١) سقطت (هذا) من أ، وألحقناها من سائر النسخ.
(٢) سقطت (إن) من ط.
(٣) سورة النساء: الآية ٧٨.
(٤) في هامش ك (عليهم السلام).
(٥) في ط (أنصح).
(٦) في س، ك (وأفصحها) وهو تكرار، وفي ط (وأصحها).

النقـول المتواتـرة عن سيرتـه ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ في دعـائه لأهـل الكتـاب، وأمره لهم بـالإيمان بـه، وجهاده لهم إذ كفـروا به مـا لا يخفى على من له أدنى خبرة بسيـرته ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ، وهـذا أمـر قد امتلأ العالم به وسمعه القاصي[1] والداني، فإذا كان النـاس ــ المؤمن به وغير المؤمن به ــ يعلمون أنه كان يقول: إنه رسول الله إلى أهل الكتاب وغيـرهم، وأن ظهور مقصـوده بذلـك مما يعلمـه بـالاضـطرار الخـاصـة والعامة، ثم شرعوا يـظنون أنـه كان يقـول: إني لم أبعث إلَّا إلى العرب واستمـر على ذلـك حتى مـات، دل على فسـاد نـظرهم وعقلهم أو على عنادهم ومكابـرتهم، وكان الـواجب ــ إذ[2] لم يكن له معـرفة معـاني[3] هذه الآيات التي استدلوا بها على خصوص رسـالته ــ، أن يعتقـدوا أحد أمرين:

إما أن لها معاني توافق[4] ما كان يقوله. أو أنها من المنسوخ، فقد علمت الخـاصة والعـامـة[5] أن محمـداً ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ كـان يصلي بعـد هجـرتـه إلى بيت المقـدس نحـو سنـة ونصف[6]، ثم أمـر بالصلاة إلى الكعبـة البيت الحرام، والنصـارى يوافقـون على أن شرائـع

---

(١) في ط (القاضي)، وهو تصحيف.

(٢) في ط (إذا) منفردة عن سائر النسخ.

(٣) في ط (بمعاني).

(٤) في أ (موافق) وصححناه من س، وهامش ك، ط.

(٥) في س، ك (العامة والخاصة).

(٦) أخـرجه البخـاري في كتاب الصـلاة، باب التـوجه نحـو القبلة ١/١٠٤، وفي أخبار الآحـاد ٨/١٣٤، ومسلم في المساجـد، بـاب تحـويـل القبلة ١/٣٧٤(٥٢٥)، والتـرمـذي في التفسيـر رقم (٢٩٦٢) ٥/٢٠٧، والنسـائي، بـاب فـرض القبلة ١/٢٤٢، وابن مـاجـه في الصـلاة، بـاب القبلة ١/٣٢٢، وأحـمـد ٤/٣٠٤، وأبو عوانة، باب أول مسجد وضع في الأرض ١/٣٩٣.

الأنبياء فيها ناسخ ومنسوخ، مع أن ما ذكروه من الآيات ليس منسوخاً، ولكن المقصود: أن المعلوم من حال الرسول ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ علماً ضرورياً يقينياً متواتراً لا يجوز دفعه فإن العلم بأنه كان يقول: إنه رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ[١] إلى جميع الخلق معلوم لكل من عرف أخباره ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ سواء صدقه أو كذبه، والعلم بأنه كان يقول: إنه رسول الله إلى جميع الناس ممكن قبل أن يعلم أنه نبي أو ليس بنبي، كما أن العلم بنبوته وصدقه ممكن قبل [أن][٢] يعلم عموم رسالته، فليس العلم بأحدهما موقوفاً على الآخر، ولهذا كان كثير ممن يكذبه يعلم أنه كان يقول: إنه رسول الله إلى جميع الخلق، وطائفة ممن تقر[٣] بنبوته وصدقه لا تقر[٤] بأنه رسول إلى جميع الخلق.

والمقصود هنا: الكلام مع هؤلاء بأن العلم بعموم دعوته لجميع[٥] الخلق ـ أهل الكتاب وغيرهم ـ هو متواتر معلوم بالاضطرار، كالعلم بنفس مبعثه، ودعائه الخلق إلى الإيمان به وطاعته، وكالعلم بهجرته من مكة إلى المدينة، ومجيئه بهذا القرآن، والصلوات الخمس، وصوم شهر رمضان، وحج البيت العتيق، وإيجاب الصدق والعدل، وتحريم الظلم والفواحش، وغير ذلك مما جاء به محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ.

وإن[٦] قيل: بل في القرآن ما يقتضي أن رسالته خاصة وفيه ما يقتضي أن رسالته عامة وهذا تناقض.

---

(١) سقطت جملة الدعاء من س، ك.
(٢) سقطت (أن) من جميع النسخ، وزدناها ليستقيم الكلام.
(٣) في ط (يقر) بالمثناة التحتية.
(٤) في ك (يقر) بالمثناة التحتية.
(٥) في س (بجميع).
(٦) في ك، ط (فإن).

قيل: هذا باطل[1] ويعلم بطلانه قبل العلم بنبوته؛ فإنه من المعلوم لكل أحد آمن به أو كذبه، أنه كان من أعظم الناس عقلاً وسياسة وخبرة، وكان مقصوده: دعوة الخلق إلى طاعته واتباعه، وكان يقرأ القرآن[2] على جميع الناس، ويأمر بتبليغه إلى جميع[3] الأمم، وكان من طلب منه أنه يؤمنه حتى يقرأ عليه القرآن من الكفار وجب عليه أن يجيبه ولو كان مشركاً، فكيف إذا كان كتابياً كما قال ـ تعالى ـ:

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾[4].

وكان قد أظهر أنه مبعوث إلى أهل الكتاب وسائر الخلق، وأنه رسول[5] إلى الثقلين[6]: الجن والإنس، فيمتنع مع هذا أن يظهر ما يدل على أنه لم يبعث إليهم؛ فإن هذا لا يفعله من له أدنى عقل لمناقضته لمراده، فكيف يفعله من اتفقت[7] عقلاء الأمم على أنه أعقل الخلق وأحسنهم سياسة وشريعة؟.

وأيضاً فكان أصحابه والمقاتلون معه بعد ذلك[8] ينفرون عنه، وقد كان عادتهم أن يستشكلوا ما هو دون هذا، وهذا لم يستشكله أحد، ثم بعد هذا[9] فلو قدر أن في القرآن ما يدل على أنه لم يبعث إلاَّ إلى

---

(١) في ط (هذا يعلم بطلانه)، وسقطت منها (باطل و).
(٢) في س، هامش ك (وهذا القرآن).
(٣) في ك (لجميع).
(٤) سورة التوبة: الآية ٦.
(٥) في ط (رسول الله).
(٦) في ط (المثقلين).
(٧) في س، وهامش ك (مثل من اتفقت)، وفي ط (مثل هذا الذي اتفقت).
(٨) في س، ك، ط (لعدوه) بدل (بعد ذلك).
(٩) سقطت جملة (ثم بعد هذا) من س.

العرب وفيه ما يدل على أنه بعث إلى سائر الخلق، كان هذا دليلاً على أنه أرسل إلى غيرهم بعد أن لم يرسل إلاَّ إليهم، وأن الله عمَّ بدعوته بعد أن كانت خاصة فلا مناقضة بين هذا وهذا، فكيف وليس في القرآن آية واحدة تدل على اختصاص رسالته بالعرب؟ وإنما فيه إثبات رسالته إليهم، كما أن فيه إثبات رسالته إلى قريش، وليس هذا مناقضاً لهذا، وفيه إثبات رسالته إلى أهل الكتاب، كقوله ــ تعالى ــ:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا . . .﴾[1].

كما فيه إثبات رسالته إلى بني إسرائيل كقوله:

﴿يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ . . .﴾[2]

وليس[3] هذا التخصص لليهود[4] منافياً لذلك التعميم وفي رسالته خطاب لليهود تارة وللنصارى تارة، وليس خطابه[5] لإحدى الطائفتين ودعوته لها مناقضاً[6] لخطابه للأخرى ودعوته لها، وفي كتابه خطاب للذين آمنوا من أمته في دعوته لهم إلى شرائع دينه، وليس في ذلك مناقضة بأن يخاطب أهل الكتاب ويدعوهم وفي كتابه أمر بقتال أهل الكتاب النصارى حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون.

قال ــ تعالى ــ:

---

(١) سورة النساء: الآية ٤٧، وأخطأ النساخ في هذه الآية في جميع النسخ فكتبت: ﴿**يا أهل الكتاب آمنوا بما أنزلنا**﴾، وجاءت في ط أيضاً كما في النسخ المخطوطة.

(٢) سورة البقرة: الآية ٤٠، والآية ٤٧، والآية ١٢٢؛ وسورة طه: الآية ٨٠.

(٣) في ط (ليس) بدون واو.

(٤) سقطت كلمة (لليهود) من س، وشطب عليها في نسخة: ك.

(٥) في ط (خطاب).

(٦) في أ، س (مناقض)، وصححناه من ك، ط.

﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾[1].

ثم لم يكن هذا مانعاً أن يأمر بقتال غيرهم من اليهود والمجوس حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، بل هذا الحكم ثابت في المجوس بسنته واتفاق أمته[2].

وإن قيل إنهم ليسوا من أهل الكتاب، فهذا كله مما يعلم بالاضطرار من دينه قبل العلم بنبوته، فكيف ونحن نتكلم على تقدير نبوته والنبي لا يتناقض قوله؟ وإذا كان العلم بعموم دعوته ورسالته معلوماً بالاضطرار قبل العلم بنبوته وبعد العلم بنبوته، فالعلم الضروري اليقيني لا يعارضه شيء، ولكن هذا شأن الذين في قلوبهم زيغ من أهل البدع: النصارى وغيرهم يتبعون المتشابه ويدعون المحكم[3]؟ وبسبب مناظرة النصارى للنبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بالمتشابه وعدولهم عن المحكم أنزل الله ـ تبارك وتعالى ـ فيهم:

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[4].

---

(١) سورة التوبة: الآية ٢٩.

(٢) تقدم توضيح ذلك في الحديث عن الجزية.

(٣) سبق التعريف بالمتشابه والمحكم في أول الكتاب.

(٤) سورة آل عمران: الآية ٧، وسبقت الإشارة إلى سبب نزول هذه الآية وما قبلها من صدر سورة آل عمران.

فالتأويل[1]: يراد به تفسير القرآن، ومعرفة معانيه، وهذا يعلمه الراسخون ويراد به ما استأثر الرب ـ سبحانه وتعالى ـ[2] بعلمه من معرفة كنهه وكنه[3] ما وعد به ووقت الساعة، ونحو ذلك مما لا يعلمه إلاَّ الله.

---

(١) في ت (والتأويل).
والتأويل: لغة مأخوذ من الأول، وهو الرجوع إلى الأصل، يقال: آل إليه أولاً، ومآلاً، رجع. ويقال: أول الكلام، تأويلاً، تأوله: دبره وقدره.
وتأويل الكلام له معنيان:
١ ـ تأويل الكلام بمعنى: ما أوله إليه المتكلم، أو ما يؤول إليه الكلام، ويرجع. والكلام إنما يرجع إلى حقيقته التي هي عين المقصود. والكلام إنشاء وإخبار، ومن الإنشاء: الأمر، وتأويل الأمر: فعل المأمور به، وتأويل الإخبار: هو عين المخبر به إذا وقع.
٢ ـ تأويل الكلام: تفسيره، وبيان معناه، وهذا ما عناه ابن جرير في تفسيره بقوله: القول في تأويل قوله ـ تعالى ـ كذا وكذا.. وهذا هو معنى التأويل عند السلف.
أما في عرف المتأخرين فهو: صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به، وهذا الاصطلاح غير متفق مع ما يراد بلفظ التأويل في القرآن عند السلف.
وملخص ما مضى أن التأويل يستعمل في ثلاثة معانٍ:
الأول: الحقيقة التي يؤول إليها الكلام.
الثاني: بمعنى التفسير، وهذا هو الغالب على اصطلاح المفسرين.
الثالث: اصطلاح كثير من المتأخرين من المتكلمين والأصوليين وهو صرف اللفظ... إلخ ما ذكرناه سابقاً.
راجع: البرهان للزركشي ١٤٦/٢ فما بعدها، ومباحث في علوم القرآن ٣٢٥، والتحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية ١٦٤/١، ولشيخ الإسلام رسالة بعنوان الإكليل في المتشابه والتأويل ضمن مجموعة الرسائل الكبرى في ج ٢ من ص ١ ـ ص ٣٧.
(٢) سقطت جملة (سبحانه وتعالى) من س، ك، ط.
(٣) في ط (معرفة وكنه معرفة).

والضُّلال: يذكرون آيات تشتبه عليهم معرفة معانيها، فيتبعون تأويلها ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويلها، وليسوا من الراسخين في العلم الذين يعلمون تأويلها، مع أن هؤلاء[1] الآيات[2] من أوضح الآيات.

وهذا الذي سلكوه في القرآن هو نظير ما سلكوه في الكتب المتقدمة وكلام الأنبياء من التوراة والإنجيل والزبور وغيرها، فإن فيها من النصوص الكثيرة الصريحة بتوحيد الله وعبودية المسيح ما لا يحصى إلَّا بكلفة، وفيها كلمات قليلة فيها اشتباه فتمسكوا بالقليل المتشابه الخفي المشكل من الكتب المتقدمة، وتركوا الكثير المحكم المبين[3] الواضح فهم سلكوا في القرآن ما سلكوه في الكتب المتقدمة، لكن تلك الكتب يقرون بنبوة أصحابها ومحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ هم فيه مضطربون متناقضون، فأي قول قالوه فيه، ظهر فساده وكذبهم فيه إذا لم يؤمنوا بجميع ما أنزل إليه.

وإن قالوا: كلامه متناقض ونحن نحتج بما يوافق قولنا، إذ[4] مقصودنا بيان تناقضه.

الردّ على النّصارى في دعواهم أنّ كلام الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ متناقض

قيل لهم[5] عن هذا أجوبة:

أحدها: أنه في الكتب المتقدمة مما يظن أنه متعارض أضعاف ما في القرآن وأقرب إلى التناقض، فإذا كانت تلك الكتب متفقة لا تناقض فيها، وإنما يظن تناقضها من يجهل معانيها ومراد الرسل فيكون كما قيل:

---

(١) في ط (هذه).
(٢) جاء بعدها في س، ك (التي ذكروها).
(٣) في س، ك (البين).
(٤) في ط (إذا).
(٥) في س، ك (كان) بدل (قيل لهم).

وكم من عائب قولاً صحيحاً... وآفته من الفهم السقيم[1] فكيف القرآن الذي هو أفضل الكتب؟

الثاني: أنهم متمسكون بالمتشابه في تلك الكتب ومخالفون المحكم منها كما فعلوه بالقرآن وأبلغ.

الثالث: أنه إذا[2] كان ما جاء به متناقضاً لم يكن رسول الله، فإن ما جاء به من عند الله لا يكون مختلفاً متناقضاً، وأنما يتناقض ما جاء من عند[3] غير الله، قال ـ تعالى ـ:

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا﴾[4]

فكل كتاب ليس من عند الله لا بد أن يكون فيه تناقض، وما كان من عند الله لا يتناقض، وحينئذٍ فإن كان[5] متناقضاً لم يجز لهم الاحتجاج بشيء منه، فإنه ليس من عند الله، وإن لم يكن متناقضاً ثبت أن ما فيه من عموم رسالته، وأنه رسول إليهم فليس فيه شيء يناقضه، فإن ما جاء من عند الله لا يتناقض.

الرابع: أنا نبين أن ما فيه من عموم رسالته لا ينافي ما فيه من أنه أرسل إلى العرب، كما أن ما فيه من إنذار عشيرته الأقربين، وأمر قريش لا ينافي ما فيه من دعوة سائر العرب؛ فإن تخصيص بعض العام بالذكر

---

(١) بيت من البحر الوافر لأبي الطيب المتنبي من قصيدة مطلعها:

إذا غامرت في شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم

شرح ديوان المتنبي ٤/٢٤٥، ٢٤٦ لعبد الرحمن البرقوقي، نشر دار الكتاب العربي ـ بيروت.

(٢) في س، ك (من) بدل (إذا). (٤) سورة النساء: الآية ٨٢.

(٣) في ط (ما جاء به من غير الله). (٥) في ط (كل) بدل (كان)، وهو خطأ ظاهر.

إذا كان له سبب يقتضي التخصيص لم يدل على أن ما سوى المذكور مخالفة، وهذا الذي يسمى مفهوم المخالفة ودليل الخطاب[1].

والناس كلهم متفقون على أن التخصيص بالذكر متى كان له سبب يوجب الذكر غير الاختصاص بالحكم لم يكن للاسم[2] اللقب مفهوم بل ولا للصفة، كقوله ـ تعالى ـ:

﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ . . .﴾[3].

---

(١) يقسم علماء الأصول دلالة غير المنظوم إلى أربعة أقسام:

١ ـ دلالة الاقتضاء. وهي ما كان المدلول فيه مضمراً إما لضرورة صدق المتكلم، أو لصحة الملفوظ به عليه.

٢ ـ دلالة التنبيه والإيماء. وهي في القياس.

٣ ـ دلالة الإشارة. ومثالها: دلالة قوله ـ تعالى ـ: ﴿**وحمله وفصاله ثلاثون شهراً**﴾ على أن أقل مدة الحمل ستة أشهر.

٤ ـ دلالة المفهوم، وينقسم إلى قسمين:

(أ) مفهوم موافقة.

(ب) ومفهوم مخالفة.

أما مفهوم الموافقة: فما يكون مدلول اللفظ في محل السكوت موافقاً لمدلوله في محل الظن، ويسمى أيضاً: فحوى الخطاب، ولحن الخطاب. والمراد به معنى الخطاب، وهذا مما اتفق على صحة الاحتجاج به. إلَّا ما نقل عن داود الظاهري أنه قال ليس بحجة.

أما مفهوم المخالفة: فهو ما يكون مدلول اللفظ في محل السكوت مخالفاً لمدلوله في محل النطق، ويسمى دليل الخطاب أيضاً. وهو عند القائلين به منقسم إلى عشرة أصناف متفاوتة في القوة والضعف. وقد ذكروا لمفهوم المخالفة شروطاً كثيرة منها ما يرجع للمسكوت، ومنها ما يرجع للمنطوق.

راجع في ذلك: الإحكام في أصول الأحكام للآمدي ٣/٦٤ ـ ٧١، وشرح الكوكب المنير ٢٤٣، وأصول مذهب الإمام أحمد ١٢٥، ١٢٨.

(٢) في ط (الاسم).

(٣) سورة الإسراء: الآية ٣١.

فإنه نهاهم عن ذلك؛ لأنه هو الذي كانوا يفعلونه، وقد حرم في موضع آخر[1] قتل النفس بغير حق، سواء كان ولداً أو غيره، ولم يكن ذلك مناقضاً لتخصيص الولد بالذكر.

الخامس: أنه في ذلك أسوة بالمسيح[2] ـ عليه السلام ـ فإن المسيح خص أولاً بالدعوة، ثم عم[3]، كما قيل في الإنجيل: «ما بعثت وأرسلت إلاَّ لبني إسرائيل»[3]. وقال أيضاً في الإنجيل: «ما بعثت إلاَّ

---

(١) في ط (مواضع أخر).

(٢) في أ، س، ك (بالمسيح)، وما أثبتناه من ط.

(٣) في إنجيل متى، الإصحاح الخامس عشر، فقرة ٢٤ «فأجاب، وقال: لم أرسل إلاَّ إلى خراف بيت إسرائيل الضالة».

قلت: لعل الشيخ ـ رحمه الله ـ يقصد بالعموم هنا: العموم المقيد ببني إسرائيل، فإن المسيح ـ عليه السلام ـ في أول الأمر خاطب الحواريين التلاميذ ثم أمرهم بعد ذلك أن يدعوا بني إسرائيل وحدهم. وليس في الأناجيل ما يدل على عموم رسالة عيسى ـ عليه السلام ـ إلى الناس كافة بل إن فيها ما يدل على الخصوصية ببني إسرائيل، وهذا واضح من قوله: «ما بعثت وأرسلت إلاَّ لبني إسرائيل»، وقوله: «إلاَّ لهذا الشعب الخبيث». عدا ما ورد في إنجيل متى، الإصحاح الثامن والعشرون: «وتلمذوا جميع الأمم». وقد أجيب عنها بأجوبة، منها:

١ ـ إن هذه الوصية لم ترد عنه قبل رفعه، ولم يسمعها منه تلاميذه، لذلك فهي إن زعم صدورها منه بعد رفعه ـ فتكون من قبل الرؤى والأحلام أو الأوهام، مما يدعو إلى الشك فيها.

٢ ـ تتضمن عبارات التثليث: الأب، الابن، الروح القدس؛ فكيف يستقيم ذلك مع أن التثليث، وألوهية المسيح لم تتقرر إلاَّ في مجمع نيقية سنة ٣٢٥م، وألوهية الروح القدس في مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١م.

مما يقطع بأن هذه الفقرات مصطنعة ألفت وأضيفت بعد ذلك إلى الإنجيل المذكور.

وهناك أجوبة أخرى ساقها محمد عزت الطهطاوي في كتابه القيم «النصرانية والإسلام»، وأثبت فيه بأدلة كثيرة خصوصية دعوة عيسى ـ عليه السلام ـ من الأناجيل نفسها، ثم بيَّن أن أول من قال بعالمية المسيحية بولس في رسائله، وأثبت ذلك بأقوال علمائهم نفسهم. فانظر الكتاب المذكور ص ٢٨٩ ـ ٣٠٢. =

لهـذا الشعب الخبيث»[١] ثم عمَّ فقال لتـلامذتـه[٢] حين أرسلهم[٣] كما في الإنجيـل: «كمـا بعثني أبـي أبعث بكم فمن قبلكم فقـد قبلني»[٤]. وقال: «أرسلني أبـي وأنا أرسلكم»[٥]. وقال: «كما أفعل أنا بكم كذلك افعلوا أنتم بعبـاد الله، فسيـروا في البـلاد، وعمـدوا النـاس بـاسم الأب والابن والروح[٦] القدس، ولا يكون لأحدكم ثوبان، ولا يحمل معه فضة ولا ذهباً، ولا عصا ولا حرابة»[٧]. ونحو ذلك ممـا هو في الأنـاجيل التي بين أيديهم من تخصيص الدعوة ثم تعميمها، وهو صادق في ذلـك كله، فكيف يسوغ لهم إنكار ما في الإنجيل[٨] عن المسيح نظيره؟

ثم يقـال في بيـان الحـال: إن الله ـ تعـالى ـ بعـث محمـداً

= وانظر المسيحية نشأتها وتطورها/ شارل جنيبر ص ١٣٦؛ وانظر كتاب: المسيح إنسان أم إلـه، للدكتـور محمد مجـدي مرجـان ص ١٢٥، ١٢٧ فما بعـدها، ولـه في هذه المسألة كلام جيد.

(١) في إنجيـل متى، الإصحاح العـاشر/ فقـرة ٦ «بل اذهبـوا بالحـري إلى خـراف بيت إسرائيل الضالة».

(٢) في ط (لتلاميذه).

(٣) في س (أرسلتم).

(٤) في إنجيل يوحنا، الإصحاح العشرون/ فقرة ٢١ «فقال لهم يسوع أيضـاً سلام لكم، كما أرسلني الآب أرسلكم أنا».

(٥) إنجيـل يـوحنـا، الإصحـاح العشـرون/ فقـرة ٢١. وقـد جـاءت في ط (قـد أرسلني... إلخ).

(٦) في ط (وروح).

(٧) النص في إنجيل متى، الإصحاح الثامن والعشرون/ فقـرات ١٦ ـ ٢٠ «وأما الأحـد عشر تلميذاً فانطلقوا إلى الجليل، إلى الجبل، حيث أمرهم يسوع، ولما رأوه سجدوا لـه، ولكن بعضهم شكوا، فتقـدم يسوع، وكلمهم قـائلاً. دُفِـعَ إليَّ كـل سلطان في السماء وعلى الأرض، فاذهبوا، وتلمذوا جميع الأمم، وعمدوهم بـاسم الآب والابن والـروح القدس، وعلمـوهم أن يحفظوا جميـع ما أوصيتكم بـه. وها أنـا معكم كـل الأيام إلى انقضاء الدهر آمين.

(٨) سقطت (عن المسيح) من أ.

ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، كما بعث المسيح وغيره، وإن كانت رسالته أكمل وأشمل كما نذكر[1] في موضعه، فأمره بتبليغ رسالته بحسب الإمكان إلى طائفة بعد طائفة، وأمر بتبليغ الأقرب منه مكاناً ونسباً، ثم بتبليغ طائفة بعد طائفة حتى تبلغ النذارة إلى جميع أهل الأرض، كما قال ـ تعالى ـ:

﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ . . .﴾[2].

أي: من بلغه القرآن ـ فكل من بلغه القرآن فقد أنذره محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ.

ونبين[3] هنا أن النذارة ليست مختصة بمن شافههم بالخطاب، بل ينذرهم به، وينذر من بلغهم القرآن، فأمره الله ـ تبارك وتعالى ـ أولاً بإنذار عشيرته الأقربين وهم قريش، فقال ـ تعالى ـ:

﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[4].

ولما أنزل الله عليه هذه الآية انطلق ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إلى مكان عال فعلا عليه، ثم جعل ينادي «يا بني عبد مناف: إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد. إنما مثلي ومثلكم كمثل رجل رأى العدو فانطلق يريد أهله فخشي أن يسبقوه، فجعل يهتف: يا صباحاه يا صباحاه»[5].

---

(١) في ط (يذكر) بالمثناة التحتية، وسيذكر ذلك بالتفصيل في الجزء الرابع من الجواب الصحيح.

(٢) سورة الأنعام: الآية ١٩.

(٣) في أ، س (ويبين) بالمثناة التحتية.

(٤) سورة الشعراء: الآية ٢١٤.

(٥) أخرجه مسلم بنحوه من حديث قبيصة بن المخارق، وزهير بن عمرو في كتاب الإيمان، باب في قوله ـ تعالى ـ ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ ١/١٩٣(٣٥٣)، =

وهذه القصة رواها ابن عباس وأبو هريرة وعائشة وغيرهم[1] في الصحيحين وغيرهما من كتب السنن[2] والمسانيد والتفسير.

قال ابن عباس: لما نزلت هذه الآية:

﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[3].

ورهطك منهم المخلصين[4] خرج رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ حتى صعد الصفا، فجعل ينادي: «يا بني فهر، يا بني عدي، لبطون قريش حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج

= وأحمد في المسند ٣/٤٧٦، ٥/٦٠، وأبو عوانة في مسنده ١/٩٣.
وسيأتي زيادة تخريج للقصة من طرق متعددة.

(١) في ط (رضي الله عنهم).
(٢) في ط (السنة).
(٣) سورة الشعراء: الآية ٢١٤.
(٤) جملة (ورهطك منهم المخلصين) وقعت عند البخاري في سورة تبت، وليست في آية الشعراء. وقد تعقب الحافظ ابن حجر، الإمام النووي حين قال أن البخاري لم يخرجها اعتماداً على ما في هذه السورة، ورد عليه بأن البخاري أخرجها في سورة تبت.
انظر فتح الباري ٨/٣٨٥ (باب وأنذر عشيرتك الأقربين).
وانظر الزيادة من رواية أبي أسامة قال: حدثنا الأعمش، حدثنا عمرو بن مرة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ وذكره انظر صحيح البخاري ٦/٩٤ تفسير سورة تبت يدا أبي لهب وتب. قال القرطبي في تفسيره: ١٣/١٤٣ (مجلد ٧): «وظاهر هذا أنه كان قرآناً يتلى، وأنه نسخ، إذ لم يثبت نقله في المصحف، ولا تواتر» ثم استشكل ذلك بأن المراد إنذار الكفار، والمخلص صفة المؤمن. وقد أجاب الحافظ ابن حجر على هذا بقوله: «لا يمتنع عطف الخاص على العام، فقوله: «وأنذر عشيرتك» عام فيمن آمن منهم ومن لم يؤمن، ثم عطف عليه الرهط المخلصين تنويهاً بهم، وتأكيداً». اهـ.
انظر فتح الباري ٨/٣٨٥.

أرسل رسولاً لينظر ما هو؟ فاجتمعوا إليه[1] فقال: أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟ قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقاً، ما جربنا عليك كذباً. قال: فإني نذير لكم[2] بين يدي عذاب شديد[3]».

وقال أبو هريرة: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾.

دعا رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قريشاً فاجتمعوا، فعم وخص، فقال: «يا بني كعب بن[4] لؤي: أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني مرة بن كعب: أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد شمس: أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد مناف: أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني هاشم: أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد المطلب: أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة بنت محمد[5]: أنقذي نفسك من النار.

---

(١) في البخاري «فجاء أبو لهب وقريش».

(٢) سقطت (لكم) من أ، س، ك وهي في ط والبخاري.

(٣) أخرجه الإمام البخاري في التفسير (سورة الشعراء)، باب قوله (وأنذر عشيرتك الأقربين) ٦/١٦ ـ ١٧ وفيه تتمة هذا نصها: «فقال أبو لهب: تباً لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا؟ فنزلت: تبت يدا أبي لهب وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب». اهـ.
وأخرجه من رواية أبي أسامة عن الأعمش بسنده في سورة تبت يدا أبي لهب وتب، بنحوه انظر صحيح البخاري ٦/٩٤.
وأخرجه أيضاً في تفسير سورة سبأ، باب «إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد» ٦/٢٩. ورواه مسلم في الإيمان، باب في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ ١/١٩٤ (٣٥٥)، والترمذي في التفسير، سورة المسد ٥/٤٥١ (٣٣٦٣) قال: هذا حديث حسن صحيح. وأحمد في المسند ١/٢٨١، ٣٠٧، وأبو عوانة في مسنده ١/٩٢ باب أنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة.

(٤) في ط (ابن).

(٥) قوله (بنت محمد) ليست في صحيح مسلم.

فإني لا أملك لكم من الله شيئاً غير أن لكم رحماً سأبلها ببلالها[1]».

وقالت عائشة ــ رضي الله عنها ــ لما نزلت هذه الآية:

﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾.

قام رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ على الصفا فقال: «يا فاطمة بنت محمد، يا صفية[2] عمة رسول الله، يا عباس[3] عم رسول الله: لا أملك لكم من الله شيئاً[4]».

وقال ابن إسحاق: لما نزلت هذه الآية جعل النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ينادي: «يا بني عبد المطلب، يا بني عبد مناف، يا بني زهرة ــ حتى عدد الأفخاذ من قريش ــ ثم قال: إن الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين، وإني لا أملك لكم من الله شيئاً، إلا أن تقولوا لا إله إلا الله». فقال أبو لهب: ألهذا جمعتنا؟.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب في قوله **﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾**. ١٩٢/١ (٣٤٨)، والبخاري من حديث أبي هريرة بألفاظ مختلفة والمعنى واحد. في سورة الشعراء ١٧/٦، والدارمي في باب **﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾**. ٣٠٥/٢. وأبو عوانة ٩٥/١ من ثلاث طرق.

ومعنى قوله: «سأبلها ببلالها» قال العلماء: بفتح الباء وكسرها، في كلمة (بلالها) وهما وجهان مشهوران. والبلال: الماء، ومعنى الحديث، سأصلها. شبهت قطيعة الرحم بالحرارة، ووصلها بإطفاء الحرارة ببرودة. ومنه: بلوا أرحامكم. أي: صلوها.

(٢) في صحيح مسلم (يا صفية بنت عبد المطلب).

(٣) في صحيح مسلم (يا بني عبد المطلب) وليس فيه من رواية عائشة (يا عباس عم رسول الله). وإنما وقع في مسلم: من رواية أبي هريرة (يا عباس بن عبد المطلب).

(٤) أخرجه مسلم في الإيمان، باب في قوله ــ تعالى ــ: **﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾**. ١٩٢/١ (٣٥٠). وله تتمة وهي «سلوني من مالي ما شئتم».
وأخرجه أبو عوانة في مسنده ٩٥/١.

تبا لك سائر اليوم، فأنزل الله:

﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾[1].

ودعا قريشاً إلى الله وأمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له[2]، وأنزل[3] ــ تعالى ــ:

﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ۝١ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ۝٣ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾[4].

وقد أنزل الله عليه في غير موضع أمر جميع الخلق بعبادته، كقوله ــ تعالى ــ:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[5].

وقوله: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[6].

وقريش هم قومه الذين كذبه جمهورهم أولاً كما قال ــ تعالى ــ:

﴿ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ ... ﴾[7].

---

(١) سورة المسد كلها.

(٢) انظر سيرة ابن هشام ٢٣٧/١؛ تاريخ ابن جرير الطبري ٣١٨/٢، ٣١٩.
وانظر تفسير ابن جرير الطبري ٧٢/١٩ ــ ٧٥ (مجلد ٨)؛ وتفسير القرطبي ١٤٣/١٣ (مجلد ٧)؛ وتفسير ابن كثير ٣٤٩/٣؛ وفتح القدير للشوكاني ١٢٢/٤.
وغيرها من كتب التفاسير.

(٣) في ك، ط (وأنزل الله تعالى).

(٤) سورة قريش: الآيات ١ ــ ٣.

(٥) سورة البقرة: الآية ٢١.

(٦) سورة الذاريات: الآية ٥٦.

(٧) سورة الأنعام: الآية ٦٦.

كما أن جمهور بني إسرائيل وهم قوم المسيح كذبوه أولاً.

ثم أمره الله ــ تعالى ــ أن يدعو سائر العرب، فكان يخرج بنفسه ومعه[1] أبو بكر صديقه إلى قبائل العرب قبيلة قبيلة، وكانت العرب لم تزل تحج البيت من عهد إبراهيم الخليل ــ عليه السلام ــ فكان ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ يأتيهم في منازلهم بمنى[2] وعكاظ[3] ومجنة[4] وذي المجاز[5]، فلا يجد أحداً إلا دعاه إلى الله ويقول: «يا أيها الناس إني رسول الله[6] آمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وأن تخلعوا ما يعبد من دونه من هذه الأنداد، وأن تؤمنوا بي وتصدقوني وتمنعوني حتى أبين عن الله ما بعثني به، يا أيها الناس إن قريشاً منعوني أن أبلغ كلام ربي. فمن يمنعني أن أبلغ[7] كلام ربي إلا رجل[8]

(١) سقطت (معه) من ك.

(٢) (منى) بالكسر، وبنون. في درج الوادي الذي ينزله الحاج، ويرمي فيه الجمار من الحرم. سمي بذلك لما يمنى فيه من الدماء، أي: يراق. وحدُّه من مهبط العقبة إلى محسر. . . ، ومسجدها مسجد الخيف، وبينها وبين مكة فرسخ.
انظر مراصد الاطلاع ١٣١٢/٣ ــ ١٣١٣.

(٣) عكاظ: بضم أوله، آخرها ظاء معجمة، وهو نخل في واد بينه وبين الطائف ليلة، وبينه وبين مكة ثلاث ليال ــ كانت تقام سوق العرب بموضع منه يقال له: الأثيداء، وهو أعظم أسواق الجاهلية. انظر معجم البلدان ١٤٢/٤؛ ومراصد الاطلاع ٩٥٣/٢.

(٤) مجنة: بالفتح، وتشديد النون: اسم سوق للعرب كانت في الجاهلية، قيل: بمر الظهران قرب جبل يقال له الأصفر. كانت تقوم العشر الأواخر من ذي القعدة، وقبلها من أوله عكاظ. وقيل بلد على أميال من مكة. . .
انظر: معجم البلدان ٥٨/٥؛ ومراصد الاطلاع ١٢٣١/٣.

(٥) ذي المجاز: من أسواق العرب في الجاهلية، ويقع خلف عرفة. وكانت تقيم بعكاظ شهر شوال إذا حجت، ثم تنتقل إلى سوق مجنة فتقيم به عشرين يوماً من ذي القعدة، ثم تنتقل إلى سوق ذي المجاز فتقيم فيه إلى أيام الحج.
انظر: معجم البلدان ٥٥/٥؛ ومراصد الاطلاع ٩٥٣/٢.

(٦) في س (إليكم جميعاً) وفي ط (إليكم).

(٧) في س، ك (لأبلغ).

(٨) في ط (رجلًا) وهو خطأ.

يحملني إلى قومه فإن قريشاً منعوني أن أبلغ كلام ربي[1]، يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا، وتملكوا بها العرب، وتذل لكم بها العجم، فيقولون: يا محمد أتريد أن تجعل الآلهة إلهاً واحداً؟ إن أمرك هذا لعجب»[2].

وما زال رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يعلن دعوته، ويظهر رسالته، ويدعو الخلق إليها: وهم يؤذونه ويجادلونه ويكلمونه ويردون عليه بأقبح الرد وهو صابر على أذاهم، ويقول: «اللهم لك الحمد[3] لو شئت لم يكونوا هكذا»[4].

فلما اشتد عليه أمر قريش خرج إلى الطائف ـ وهي مدينة معروفة

---

(١) اتفقت النسخ جميعها على تكرار هذه الجملة. «فإن قريشاً منعوني أن أبلغ كلام ربي».

(٢) رواه أحمد من حديث عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه قال: رأيت رجلاً يقال له: ربيعة بن عباد الديلي قال: رأيت رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وهو يمر في فجاج ذي المجاز، وساقه مختصراً في المسند ٤٩٢/٣؛ ورواه من طريق آخر عن ربيعة بن عباد في ٤٩٢/٣؛ ورواه مختصراً في ٦٣/٤ من حديث شيخ من بني مالك بن كنانة، وفي ص ٣٤١ من حديث ربيعة.
قال محقق زاد المعاد بعد أن ساقه من طريق عبد الرحمن بن أبي الزناد (سنده حسن) وله شاهد عند ابن حبان (١٦٨٣) من حديث طارق بن عبد الله المحاربي. اهـ. قلت: هو في موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان للهيثمي ص ٤٠٦ ـ ٤٠٧ رقم (١٦٨٣) كتاب المغازي والسير، باب دعاء النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ الناس إلى الإسلام وما لقيه.
وأورده ابن سعد في الطبقات بلفظ مقارب ٢١٦/١، ٢١٧ من طريق الواقدي، وهو مجمع على أنه واه.
وانظر زاد المعاد بتحقيق شعيب الأرناؤوط، وعبد القادر الأرناؤوط. . . ٤٣/٣ ـ ٤٤.

(٣) سقطت (الحمد) من ك.

(٤) هو قطعة من الخبر السابق. وسبق تخريجه.

شرقي مكة بينهما نحو ليلتين ـ ومعه زيد بن حارثة[١] ومكث بها عشرة أيام، لا يدع أحداً من أشرافهم إلا جاءه في منزله وكلمه ودعاه إلى التوحيد: فلم يجبه أحد منهم، وخافوه على أحداثهم وأغروا[٢] به[٣] سفهاءهم فجعلوا يرمونه بالحجارة إذا مشى، حتى أن رجليه لتدميان وزيد مولاه يقيه بنفسه، حتى ألجأوا إلى ظل كرمة في حائط لعتبة وشيبة ابني[٤] ربيعة فرجع عنه[٥] ما كان تبعه[٦] من سفهائهم، فدعا فقال: «اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين[٧]، أنت رب المستضعفين، وأنت[٨] ربي، إلى من تكلني، إلى بعيد يتجهمني، أم إلى عدو ملكته أمري، إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، من أن ينزل بي غضبك، أو يحلّ عليّ سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك».

فلما رأى ابنا ربيعة ما صنع به رثيا له وقالا لغلام لهما يقال له[٩]

---

(١) سبقت ترجمته.

(٢) في ك، ط (فأغروا).

(٣) سقطت (به) من ط.

(٤) في س (ابنا) وعتبة، وشيبة، ابنا ربيعة بن عبد شمس، من زعماء قريش في الجاهلية ومن ساداتهم، شهدا بدراً مع المشركين وقتلا سنة ٢ للهجرة.
انظر ترجمتها في الأعلام للزركلي: عتبة في ٤/٢٠٠؛ وشيبة في ٣/١٨١.

(٥) في ك (من).

(٦) سقطت (تبعه) من ط.

(٧) في أ (الناس).

(٨) في أ (فأنت).

(٩) سقطت (له) من أ، س.

عداس[١] ـ وكان نصرانياً ـ : خذ قطفاً من عنب ثم اجعله في طبق ثم اذهب إلى ذلك الرجل يأكله، ففعل عداس وأقبل به حتى وضعه بين يدي رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فلما وضع رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم[٢] ـ يده قال: «بسم الله» ثم أكل فنظر عداس إلى وجهه ثم قال له: والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلدة، فقال له رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : «من أي البلاد أنت وما دينك؟» فقال عداس: أنا نصراني، وأنا رجل من أهل نينوى[٣]. فقال له رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ[٤]: «أمن قرية الرجل الصالح يونس بن متى؟»[٥] فقال له عداس: وما يدريك ما يونس بن متى؟ والله لقد خرجت من نينوى وما فيها عشرة يعرفون متى، من أين عرفت أنت متى وأنت أميّ وفي أمة أمية؟ فقال رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : «هو أخي، كان نبياً وأنا نبي» فأكب عداس على رسول الله ـ صلَّى الله

---

(١) عداس: مولى شيبة بن ربيعة. كان نصرانياً من أهل نينوى قرية من قرى الموصل، ولقي النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ كما ورد.
جاء في الإصابة نقلاً عن الواقدي أنه خرج مع سيديه إلى بدر فقتل بها، وقيل: أنه لم يقتل بها بل رجع فمات. والله أعلم.
انظر الإصابة لابن حجر ٢/٤٥٩ ـ ٤٦٠ (٥٤٧٠)؛ وسيرة ابن هشام ٢/٤٨؛ ومغازي الواقدي ١/٣٣، وقد ذكر في ١/٣٥ «أن عداساً عندما سئل (وأن محمداً رسول الله)؟ انتفض واقشعر جلده، ثم بكى وقال: أي والله، إنه لرسول الله إلى الناس كافة».
(٢) سقطت جملة (صلَّى الله عليه وسلَّم) من س، ك.
(٣) نينوى: بالكسر، ثم بالسكون وفتح النون والواو. قرية يونس بن متى ـ عليه السلام ـ بالموصل، تقابلهما من الجانب الشرقي.
انظر مراصد الاطلاع ٣/١٤١٤.
(٤) سقطت جملة (صلَّى الله عليه وسلَّم) من س، ك.
(٥) سبقت ترجمته ـ عليه السلام ـ.

عليـه وسلَّم ــ يقبل رأسـه ويديـه ورجليه، فلمـا رجع عـداس فقالا[1]: ويلك يا عداس[2]، مالك تقبل رأس هذا الرجل ويـديه ورجليـه؟ فقال: يا سيدي ما في الأرض خير[3] من هـذا الرجـل[4]، لقد خبـرني[5] بأمـر لا يعلمه إلا نبـي.

ثم انصرف رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ من الطائف راجعاً إلى مكة وهو محزون، إذ[6] لم يستجب له رجـل واحد ولا امـرأة. فقال لـه زيد بن حـارثة: كيف تـدخل عليهم يـا رسول الله وقـد فعلوا وفعلوا؟ فقـال: «يا زيـد إن الله ــ عز وجـل ــ جاعـل لما تـرى فرجـاً ومخرجـاً، وإن الله ناصر دينه ومظهر نبيه»[7].

---

(1) في س، ك، ط (فقالا له).
(2) في أ (يا عدو) وفي ط (ومالك).
(3) في ك (خيراً) وهو خطأ.
(4) سقطت (الرجل) من س، ك.
(5) في ك (أخبرني).
(6) سقطت (إذ) من أ.
(7) أخـرج القصة ابن هشـام، عن ابن إسحاق عن يـزيد بن زيـاد، عن محمـد بن كعب القرظي مرسلاً، ورجاله ثقات. وابن إسحاق قد صرح بالتحديث.
انظر سيرة ابن هشام ٢/٤٧ ــ ٤٩.
وتـاريخ ابن جـرير الـطبري ٢/٣٤٤ ــ ٣٤٦ من طـريق ابن إسحـاق، قـال حـدثني يزيد بن زياد المدني عن محمد بن كعب القرظي وذكره.
وانظر دلائل النبـوة للبيهقي ٢/١٥٨ ــ ١٦٠؛ والبدايـة والنهايـة لابن كثير ٣/١٣٥؛ فصل في ذهابه ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ إلى أهل الطائف يدعوهم إلى دين الله.
وانـظر: السيرة النبـوية للذهبـي ١٨٥ ــ ١٨٧؛ وزاد المعـاد لابن القيم ٣/٣١ فصل في نقض الصحيفة.
وقد ساق الإمام السيوطي الدعاء في الجامع الصغير ١/٢٢١، وقال أخرجه الطبراني في الكبير عن عبد الله بن جعفر. ثم قال السيوطي: «حديث حسن».
كذلك أورده الهيثمي في مجمع الزوائـد ٦/٣٥ من حديث عبـد الله بن جعفر وعـزاه للطبراني. ثم قال الهيثمي: وفيه ابن إسحاق، وبقية رجاله ثقات.

ثم ذكر ابن إسحاق دخوله إلى مكة. وكان رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لما لقي من أهل مكة والطائف ما لقي[1]، و[2] دعا بالدعاء المتقدم نزل عليه جبريل ومعه ملك الجبال ـ كما في صحيح البخاري ـ : أن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت للنبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : هل أتى عليك يوم كان[3] أشد من يوم[4] أحد؟ فقال[5]: «لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل[6] بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلا وأنا بقرن[7] الثعالب، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد[8] أظلتني فنظرت، فإذا فيها

---

(١) في ط (لما لقي) وهو خطأ.

(٢) سقطت (الواو) من أ.

(٣) سقطت (كان) من ط.

(٤) سقطت (يوم) من ط.

(٥) في أ (فقد) وهو خطأ.

(٦) (عبد ياليل): بتحتانية، وبعد الألف لام مكسورة، ثم تحتانية ساكنة ثم لام (ابن كلال) بضم الكاف، وتخفيف اللام، وآخره لام، قال ابن حجر: «واسمه كنانة... وقيل مسعود... وكان من أكابر أهل الطائف من ثقيف رجل من القريتين عظيم» والآخر عتبة بن ربيعة، وقيل غيرهما؛ وقد وفد مع وفد الطائف سنة عشر فأسلموا قاله ابن حجر نقلاً عن موسى بن عقبة وابن إسحاق قال وذكره ابن عبد البر في الصحابة لذلك، لكن ذكر المديني ـ كما قال ابن حجر ـ أن الوفد أسلموا إلا كنانة فخرج إلى الروم، ومات بها بعد ذلك والله أعلم.

انظر فتح الباري ٦/٢٢٤؛ والاستيعاب لابن عبد البر ـ هامش الإصابة ٣/٣٠١ (كنانة).

(٧) في ط (بقرب) وانفردت عن سائر النسخ وهو خطأ.

وقرن الثعالب: هو قرن المنازل، ميقات أهل نجد، تلقاء مكة على يوم وليلة والقرن جبل صغير منقطع من جبل كبير. انظر: مراصد الاطلاع ٣/١٠٨٢؛ وفتح الباري ٦/٢٢٥.

(٨) في أ (وقد) وليست الواو في سائر النسخ ولا في البخاري.

جبريل فناداني[1]: إن الله قد سمع قول قومك وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم قال: فناداني ملك الجبال وسلم علي ثم قال يا محمد: إن الله قد سمع قول قومك لك وأنا ملك الجبال، قد[2] بعثني ربك[3] إليك لتأمرني بأمرك إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين[4]. فقال النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا شريك له[5]»[6].

وأخرج مسلم في صحيحه عن أبي هريرة: أنه قيل للنبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ادع الله على المشركين. فقال: «إني لم أبعث لعاناً وإنما بعثت رحمة»[7].

وفي الصحيحين عن خباب بن الأرت[8] أنه قال: لما اشتد البلاء

---

(١) في صحيح البخاري (فناداني: فقال...). (٢) في ط (وقد).

(٣) في ك، ط (ربي) وجملة (قد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك) ليست في صحيح البخاري ووقعت هذه الجملة في صحيح مسلم.

(٤) الأخشبان: هما جبلا مكة، قعيقعان، وأبو قبيس، سميا بذلك لعظمهما وخشونتهما. انظر تفسير غريب الحديث ص ١٠؛ وفتح الباري ٦/٢٢٥. وشرح مسلم للنووي ١١/١٥٥ (مجلد ٦).

(٥) في البخاري ومسلم (يشرك به شيئاً).

(٦) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين ٤/٨٣، وأخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ من أذى المشركين والمنافقين ٣/١٤٢٠ (١٧٩٥)؛ ورواه البيهقي في دلائل النبوة ٢/١٦٠.

(٧) رواه مسلم في كتاب البر والصلة، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها ٤/٢٠٠٧ (٢٥٩٩). وهو في شرح النووي ١٦/١٥٠ (مجلد ٨).

(٨) خباب: بموحدتين: الأولى مثقلة، ابن الأرت، بفتح أوله وثانيه وتشديد التاء، التميمي أبو عبد الله، من السابقين إلى الإسلام، وكان يعذب في الله، شهد بدراً والمشاهد كلها. مات رضي الله عنه بالكوفة سنة ٣٧هـ.
انظر: الرياض المستطابة ص ٦٤؛ وتقريب التهذيب ١/٢٢١ (١٠٦)؛ والإصابة ١/١٤٦ (٢٢١٠).

علينا من المشركين أتينا النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فقلنا: ألا تدعو الله لنا؟ ألا[1] تستنصر الله لنا؟ فقال: «لقد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض، ثم يجاء بالمنشار فيجعل فوق رأسه حتى يجعل فرقتين، ما يصرفه ذلك عن دينه ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه، وليتمّنّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخشى إلا الله، ولكنكم تستعجلون[2]».

وذكر ما لقي النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ من قومه من الأذى والاستهزاء والإغراء وهو صابر محتسب، مظهر لأمر الله بتبليغ[3] رسالته لا تأخذه في الله لومة لائم، مواجه[4] لقومه بما يكرهون من عيب دينهم وآلهتهم، وتضليل آبائهم، وتسفيه أحلامهم، وإظهار عداوته[5] وقتاله إياهم ما بلغ مبلغ القطع.

---

(١) في س (أن لا) وهو خطأ.

(٢) رواه البخاري في المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام ٤/١٨٠ وفيه (فيشق باثنتين) بدل (حتى يجعل فرقتين). ورواه في مناقب الأنصار، باب ما لقي النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وأصحابه من المشركين بمكة) ٤/٢٣٨، ٢٣٩.
ورواه في كتاب الإكراه، باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر ٨/٥٦.
وفيه (فيجعل نصفين)، ورواه أبو داود في الجهاد، باب في الأسير يكره على الكفر وفيه (فيجعل فرقتين) ٣/١٠٨ (٢٦٤٩)؛ ورواه أحمد في المسند ٥/١١١، ٦/٣٩٥ بنحوه وفي الروايتين (حتى يسير الراكب من المدينة إلى حضرموت لا يخشى إلا الله ـ عز وجل ـ والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون). اهـ.
ولم أقف عليه في صحيح مسلم بعد البحث الطويل.

(٣) في ك (مبلغ).

(٤) في ط (مواجهة).

(٥) في س، ك (عداوتهم) وفي ط (عداوته).

قـال عكرمـة عن ابن عباس: ولمـا رجع النبـي ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ إلى مكـة فلما[1] حضـر الموسم حـج نفر من الأنصـار، فانتهى النبـي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إلى فريق منهم، فقرأ عليهم[2] القرآن، ودعاهم إلى الله[3]، وأخبرهم بالذي آتاه الله فأيقنوا واطمأنت قلوبهم إلى دعوته، وعرفوا ما كانوا يسمعون من أهل الكتاب من ذكرهم إيـاه بصفته، ومـا يدعـوهم إليه فصـدقوه وآمنـوا بـه، وكـان من أسبـاب الخيـر الـذي ساق الله للأنصار[4] إلى ما كانوا[5] يسمعون من الأخبار في صفتـه، فلما رجعوا إلى قومهم جعلوا يدعونهم سـراً ويخبرونهم بـأقوال[6] رسـول الله ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ ، والـذي[7] بعثـه الله بـه من النـور والهـدى والقـرآن، فأسلمـوا حتى قل أن يـوجد [8] دار من دورهم إلا أسلم فيهـا ناس[9] لا محالة.

وقد[10] ذكر الله ذلـك في القـرآن وأخبـر أن أهـل الكتـاب كـانـوا يخبرون العرب به ويستفتحـون به عليهم، فكـان أهل الكتـاب مقرين بنبوته مخبـرين بها مبشـرين بها قبـل أن يبعث فقال ـ تعالى ـ فيـمـا يخاطب[11] به أهل الكتاب:

(١) سقطت (فلما) من س، ك.

(٢) في ط (عليه).

(٣) في س (عز وجل).

(٤) في أ (وكان الخير الذي ساق الله به الأنصار).

(٥) في س (وما كانوا) بدون (إلى) وسقطت (إلى) من أ، ك.

(٦) في ك (بأحوال).

(٧) في س (الذي) بدون واو.

(٨) في س، ك (حتى قل دار من دورهم) وفي ط (حتى قل دور من دورهم).

(٩) في ك (أناس).

(١٠) في ك (قال وقد).

(١١) في ك (خاطب).

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[1] (*).

فقد أخبر ـ تعالى ـ أن أهل الكتاب كانوا يستفتحون على العرب بمحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قبل أن يبعث، أي يستنصرون به، وكانوا هم والعرب يقتتلون فيغلبهم[2] العرب، فيقولون: سوف يبعث

---

(١) سورة البقرة: الآيات ٨٧ ـ ٩١.

(*) قصة إسلام هؤلاء النفر من الأنصار وردت مفصلة في كتب السيرة: سيرة ابن هشام ٢/٥٤؛ وطبقات ابن سعد ١/٢١٧؛ وتاريخ الطبري ٢/٣٥٣؛ والوفا بأحوال المصطفى ١/٢١٦؛ ودلائل النبوة للبيهقي ١/١٧٠ ـ ١٧١؛ ودلائل النبوة لأبي نعيم ص ٢٥٣؛ واتحاف الورى بأخبار أم القرى ١/٣١٥ ـ ٣١٦؛ والسيرة النبوية لابن حزم ص ٥٥؛ والبداية والنهاية ٣/١٤٨؛ والسيرة النبوية للذهبي ص ١٩٣؛ وتفسير ابن جرير ١/٣٢٥ (مجلد ١)؛ وتفسير ابن كثير ١/١٢٤، الآية ٨٩ من سورة البقرة، وغيرها من كتب السير والتفاسير.

ولم أقف عليها من طريق عكرمة عن ابن عباس، وقد رجعت لمظنة ذلك في معجم الطبراني (جزء ١١)، وفي تفسير ابن جرير: وتاريخه وفي جامع الأصول، وفي تنوير المقباس وغيرها ولم أقف على ذلك والله ـ تعالى ـ أعلم.

(٢) في س، ط (فتغلبهم) بالمثناة الفوقية.

النبي الأمي من ولد إسماعيل فنتبعه ونقتلكم معه شر قتلة، وكانوا ينعتونه[1] بنعوته.

وأخبارهم بذلك كثيرة متواترة، وكما قال ـ تعالى ـ :

﴿ . . . فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[2].

وأخبر بما كانت عليه اليهود من أنه كلما جاءهم رسول الله بما لا تهوى أنفسهم كذبوا بعضهم وقتلوا بعضهم، وأخبر أنهم باءوا بغضب على غضب، فإنهم ما زالوا يفعلون ما يغضب الله عليهم، فأما أن يراد بالتثنية تأكيد[3] غضب الله عليهم، وأما أن يراد به مرتان والغضب[4] الأول: تكذيبهم[5] المسيح والإنجيل. والغضب الثاني: لمحمد والقرآن.

• • •

(١) في ط (ينعتوته).

(٢) سورة البقرة: الآية ٨٩.

وانظر تفسير ابن جرير الطبري ١/٣٢٥ (مجلد ١)؛ وتفسير ابن كثير ١/١٢٤؛ وأسباب النزول للواحدي ص ١٨؛ ولباب النقول للسيوطي وعزاه لابن أبي حاتم من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس ص ١١.

(٣) سقطت (تأكيد) من أ، س، ك.

(٤) في ط (فالغضب).

(٥) في ط (بتكذيبهم).

فصل

وكان يأتيهم بالآيات الدالة على نبوته ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ومعجزاته[1] تزيد على ألف معجزة، مثل انشقاق القمر وغيره من الآيات، ومثل القرآن المعجز، ومثل أخبار أهل الكتاب قبله، وبشارة

معجزات محمَّد ـ صلى الله عليه وسلم ـ

---

(١) معجزات النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قسمان:

الأول: حسية. وهي ثلاثة أنواع:

١ ـ خارجة عن ذاته ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وهي المعجزات التي أجراها الله على يديه.

٢ ـ في ذاته ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ كخاتم النبوة الذي بين كتفيه، وما شوهد من خلقته وصورته الدالة على نبوته.

٣ ـ في صفاته ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ كصدقه، وأمانته، وشجاعته... إلخ.

الثاني: عقلية. وهي ستة أنواع:

١ ـ أنه من قبيلة ليست من أهل العلم، ولم يرحل إلَّا إلى الشام مرتين.

فلا يتهم والحالة هذه بأنه ادعى النبوة من عنده.

٢ ـ انقضى من عمره أربعون سنة، ولم يخض في ذلك، والشباب هو سن الحماس والاندفاع لمثل هذه الأمور.

٣ ـ تحمله في أداء الرسالة أنواع المشاق، وصنوف المتاعب.

٤ ـ كان ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ مجاب الدعوة فما دعا الله في شيء إلَّا وأجاب دعوته.

٥ ـ جاءت البشارة به في الكتب السابقة، والنصوص في ذلك كثيرة وموجودة.

٦ ـ أخبر عليه السلام ـ عن الغيوب بما يشهد أنه نبي من عند الله، وإلَّا فمن أخبره بذلك؟

انظر: إيثار الحق على الخلق لابن المرتضى اليماني من ص ٧٩ ـ ٨٥؛ وتنقيح الأبحاث للملل الثلاث لابن كمونة ص ١٣٠.

الأنبياء به، ومثل أخبار الكهان والهواتف به، ومثل قصة الفيل[1] التي جعلها الله آية عام مولده، وما جرى عام مولده من العجائب الدالة على نبوته، ومثل امتلاء السماء ورميها بالشهب التي ترجم بها الشياطين، بخلاف ما كانت العادة عليه قبل مبعثه وبعد مبعثه، ومثل أخباره بالغيوب التي لا يعلمها أحد إلاَّ[2] بتعليم الله ــ عز وجل ــ، من[3] غير أن يعلمه إياها بشر.

فأخبرهم بالماضي مثل قصة آدم ونوح وإبراهيم وموسى والمسيح وهود وشعيب وصالح وغيرهم، وبالمستقبلات[4] وكان قومه يعلمون أنه لم يتعلم من أهل الكتاب ولا غيرهم، ولم يكن بمكة أحد من علماء أهل الكتاب ممن يتعلم هو منه، بل ولا كان يجتمع بأحد منهم يعرف اللسان العربي، ولا كان هو يحسن لساناً غير العربي، ولا كان يكتب كتاباً، ولا يقرأ كتاباً مكتوباً.

ولا سافر قبل نبوته إلاَّ سفرتين سفرة وهو صغير مع عمه أبي طالب[5]

---

(١) لعل الشيخ يقصد بذكره قصة الفيل وهو يتحدث عن المعجزات أنه يعني بها خوارق العادات التي أجراها الله ــ تعالى ــ لمحمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ والعلماء يقولون أن ما قبل البعثة يسمى إرهاصاً وليس معجزة، أما المعجزة فهي مقرونة بالنبوة.

(٢) سقطت (إلَّا) من ط.

(٣) في ط (ومن).

(٤) في ط بالمستقبلات بدون واو.

(٥) أخرج القصة الإمام الترمذي في جامعه، كتاب المناقب، باب ما جاء في بدء نبوة النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ٥/٥٩٠ ــ ٥٩١، ثم قال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلَّا من هذا الوجه، وذكره ابن إسحاق بدون ذكر السند.
انظر: سيرة ابن هشام ١/١٦٥؛ وأخرجه ابن جرير الطبري بسنده، قال: حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني محمد بن إسحاق، عن عبد الله بن =

لم يفارقه، ولا اجتمع بأحد من أهل الكتاب ولا غيرهم، وسفرة أخرى وهو كبير مع ركب من قريش[1] لم يفارقهم، ولا اجتمع بأحد من أهل الكتاب.

وأخبر من كان معه بأخبار أهل الكتاب بنبوته مثل إخبار بحيرى[2] الراهب بنبوته، وما ظهر لهم منه[3] مما دلهم على نبوته، ولهذا تزوجت

= أبي بكر. وساق القصة في التاريخ ٢/٢٧٧.

وانظر: طبقات ابن سعد ١/١١٩؛ ودلائل النبوة للبيهقي ١/٣٠٧؛ وتلقيح فهوم أهل الأثر لابن الجوزي ص ١٣؛ والوفا بأحوال المصطفى ١/١٣١؛ والبداية والنهاية ٢/٢٨٥، وقال: رواه غير واحد من الحفاظ من حديث أبي نوح (قراد)، وهو من الثقات الذين أخرج لهم البخاري ووثقه جماعة من الأئمة والحفاظ، ولم أرَ أحداً جرحه، ومع هذا في حديثه هذا غرابة، وساق من غرائبه أنه من مرسلات الصحابة، فإن أبا موسى الأشعري إنما قدم في سنة خيبر سنة سبع من الهجرة... ثم قال: وعلى كل تقدير فإن هذه القصة كانت ولرسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ من العمر فيما ذكره بعضهم اثنتا عشرة سنة، ولعل أبا موسى تلقاه من النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فيكون أبلغ، أو من بعض كبار الصحابة ــ رضي الله عنهم ــ أو كان هذا مشهوراً مذكوراً أخذه من طريق الاستفاضة...

ثم ساق ــ رحمه الله ــ للقصة غرائب أخرى في تاريخه ٢/٢٨٥.

(١) قصة خروجه من قبل خديجة رضي الله عنها مشهورة في كتب السيرة.

انظر: سيرة ابن هشام ١/١٧٢؛ وابن جرير الطبري ٢/٢٨٠؛ والوفا بأحوال المصطفى لابن الجوزي ١/١٤٣؛ وطبقات ابن سعد ١/١٢٩؛ ودلائل النبوة للبيهقي ١/٣٣٧؛ والبداية والنهاية ٢/٢٩٣.

(٢) كان حبراً من أحبار اليهود قال ابن كثير: والذي يظهر من سياق القصة أنه كان راهباً نصرانياً، ثم نقل عن المسعودي أنه كان من عبد القيس، وكان اسمه جرجس، انظر: البداية والنهاية ٢/٢٨٦. وقد ذكر المؤرخون أن الراهب في القصة الأولى اسمه بحيرى، وفي القصة الثانية اسمه نسطوراً (جرجيس).

وانظر: دائرة المعارف الإسلامية ٥/٢١٧؛ وابن الوردي ١/١٥٧؛ والمراجع السابقة التي أشرنا إليهاآنفاً.

(٣) في أ (ما).

به خديجة[1] قبل نبوته لما أخبرت به من أحواله.

وهذه الأمور مبسوطة في موضع آخر، ولكن المقصود[2] هنا التنبيه بأن محمداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ له معجزات كثيرة، مثل نبع الماء من بين أصابعه غير مرة، ومثل تكثير الطعام القليل حتى أكل منه الخلق العظيم، وتكثير الماء القليل حتى شرب منه الخلق الكثير.

وهذا قد جرى غير مرة له[3]. ولأمته من الآيات ما يطول وصفه، فكان بعض أتباعه يحيي الله له[4] الموتى من الناس والدواب[5]، وبعض أتباعه يمشي بالعسكر الكثير على البحر حتى يعبروا إلى الناحية الأخرى[6]،

---

(١) في هامش ك، ط (بنت خويلد). (٢) في ط (المقصور) وهو خطأ واضح.

(٣) في أ، س، ك (مرة وله لأمته)، وصححناه من ط.

(٤) سقطت له من س، وهي ثابتة في سائر النسخ.

(٥) ساق المؤلف ـ رحمه الله ـ في كتابه الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان أموراً كثيرة في هذا الشأن، وذكر قصة صلة بن أشيم التابعي أحد زهاد البصرة وعبادهم، قتل بكابل في ولاية الحجاج سنة ٧٥هـ وقصته أنه مات فرسه وهو بالغزو فدعا الله ـ عز وجل ـ فأحيا له فرسه، وذكر قصة رجل من النخع كان له حمار فمات في الطريق، فدعا الله فأحيا له حماره.
قلت: فإن صحت أسانيد هذه الأخبار فتلك كرامة من الله ـ عز وجل ـ، وهذا ليس من الأحوال الشيطانية، وليس بعيداً أن يحصل هذا وأكبر منه فالله ـ تعالى ـ على كل شيء قدير.
وانظر: كتاب الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان... لابن تيمية مطبعة المكتب الإسلامي ص ١٣٠ فما بعدها.

(٦) يشير ـ رحمه الله ـ إلى قصة الجيش الإسلامي بقيادة سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ الذين عبروا بأمره نهر دجلة، وساروا بخيولهم على الماء، فهرب منهم الفرس، وفتحوا البلاد، بنصر الله ووعده للمؤمنين.
أخرج القصة أبو نعيم في دلائل النبوة ص ٥٠٢.
وانظر: البداية والنهاية لابن كثير ٧/ ٦٤.

ومنهم من ألقي في[1] النار فصارت عليه برداً وسلاماً[2]، وأمثال ذلك كثير[3].

ولكن المقصود هنا ذكر بعض ما في القرآن من أنه كان يخبرهم بالأمور الماضية خبراً مفصلاً لا يعلمه أحد إلَّا أن يكون نبياً أو من أخبره نبي، وقومه يعلمون أنه لم يخبره بذلك أحد من البشر، وهذا مما قامت به الحجة عليهم، وهم مع قوة عداوتهم[4] له وحصرهم على ما يطعنون به عليه لم يمكنهم أن يطعنوا طعناً يقبل منهم، وكان علم سائر الأمم بأن قومه المعادين له، المجتهدين في الطعن عليه، لم[5] يمكنهم أن يقولوا: إن هذه الغيوب علمها إياه[6] بشر، فوجب[7] على[8] جميع الخلق أن هذا لم يعلمه إياها بشر؛ ولهذا قال ـ تعالى ـ :

﴿ تِلْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَـٰذَا ۖ . . . ﴾[9].

فأخبر أنه لم يكن يعلم ذلك هو ولا قومه. وقومه تقر بذلك ولم يتعلم من أحد غير قومه، ولهذا زعم بعضهم أنه تعلم من بشر ظهر

(١) سقطت (في) من ط .
(٢) يشير إلى قصة أبي مسلم الخولاني ـ رضي الله عنه ـ وفي ثبوت ذلك نظر كما سيأتي زيادة إيضاح لذلك إن شاء الله.
(٣) في ط (كثيرة).
(٤) في ط (عدواتهم).
(٥) في ط (وهم) وفي س (وهم لم).
(٦) في س، ك، ط (علمه إياها) وكلا الأمرين صحيح.
(٧) في ط (يوجب).
(٨) في ط (على علم جميع).
(٩) سورة هود: الآية ٤٩.

كذبه لكل أحد كما قال ــ تعالى ــ :

﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ ۙ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴾[1].

فكان[2] بمكة رجل أعجمي[3] مملوك لبعض قريش، فادعى بعض الناس أن محمداً كان يتعلم من ذلك الأعجمي[4]، فبين الله أن هذا كذب ظاهر، فإن ذلك رجل أعجمي لا يمكنه أن يتكلم بكلمة من هذا القرآن العربي، ومحمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ عربي لا يعرف شيئاً من ألسنة العجم، فمن كلمه بغير العربية لا يفقه كلامه، فلا ذلك

---

(١) سورة النحل: الآيات ٩٨ ــ ١٠٣.

(٢) في س، ط (وكان).

(٣) ذكر المفسرون أقوالاً متعددة في اسم هذا الغلام الأعجمي. فقيل: اسمه بلعام، وكان قيناً نصرانياً، وقيل: اسمه يعيش، وكان غلاماً لبني المغيرة وقيل غير ذلك.
وقد ذكروا سبب نزول هذه الآية كما أشار إليه المؤلف ــ رحمه الله ــ ذكره ابن جرير الطبري في التفسير ١١٩/١٤ (مجلد ٧)، وقد عزاه السيوطي في لباب النقول إلى ابن جرير وقال: (سنده ضعيف)، ص ١٣٤؛ ثم ساقه من تفسير ابن أبي حاتم بلفظ آخر ولم يتكلم عليه ص ١٣٥، ولم أجده في أسباب النزول للواحدي ولا في الصحيح المسند من أسباب النزول للوادعي.
وانظر: تفسير ابن كثير ٥٨٦/٢؛ وفتح القدير للشوكاني ١٩٧/٣.

(٤) في هامش ك، وفي ط (الرجل الأعمى).

الـرجل يحسن التكلم بـالعربيـة، ولا محمـد ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ يفهم كلاماً بغير العربية، فلهذا قال تعالى:

﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ﴾[1].

أي[2] يميلون إليه ويضيفون إليه أنه علم محمـداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم[3] ـ :

﴿أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾[4].

وكذلك قال بعض الناس عن القرآن:

﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ . . .﴾[5].

قال ـ تعالى ـ :

﴿... فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[6].

فبين سبحـانه أن قـول هذا من الكـذب الظاهـر المعلوم لأعـدائـه فضـلاً عن أوليائـه فإنهم يعلمـون أنه ليس عنـده أحد يعينـه على ذلـك،

---

(١) سورة النحل: الآية ١٠٣.

(٢) سقطت (أي) من س.

(٣) أضفنا الجملة الدعائية من (ط).

(٤) سورة النحل: الآية ١٠٣.

(٥) سورة الفرقان: الآية ٤.

(٦) سورة الفرقان: الآيات ٤ ـ ٦.

وانظر تفسير ابن جرير الطبري ١٨/١٣٧ (مجلد ٨)، وفيه بسنده عن مجـاهد: أنهم كانوا يقولون إنما يعلم محمداً هذا الذي يجيئنا به اليهود. فذلك قوله: «وَأَعَانَـهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُوْنَ».

وليس * في قومه ولا في بلده *[1] من يحسن ذلك ليعينه عليه فلهذا قال ــ تعالى ــ : ﴿فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا﴾ .

فإن جميع أهل بلده وقومه المعادين له يعلمون أن هذا ظلم له وزور؛ ولهذا لم يقل هذا أحد من عقلائهم المعروفين، وكذلك قولهم أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً، فإن قومه المكذبين له[2] يعلمون أنه ليس عنده من يملي عليه كتاباً وقد بيَّن ما يظهر كذبهم بقوله ﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ .

فإن في القرآن من الأسرار ما لا يعلمه بشر إلاَّ بإعلام الله إياه، فإن الله يعلم السر في السموات والأرض، ثم لما تبيَّن بطلان قولهم هذا، ذكر ما قدحوا به في نبوته فقال ــ تعالى[3] ــ :

﴿وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ۝٧ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾[4] .

فهذا كلام المعارضين له الذين أنكروا أكله ومشيه في الأسواق التي يباع فيها ما يؤكل وما يلبس، وقالوا هلا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً أو يستغني عن ذلك بكنز ينفق منه أو جنة يأكل منها، وقال الظالمون: إن تتبعون إلاَّ رجلاً مسحوراً.

---

(١) ما بين النجمتين أثبتناه من س، ك، ط، وقد جاءت الجملة مرتبكة في أ، هكذا (وليس ولا في بلده في قومه).

(٢) في ط (المعادين).

(٣) سقطت (تعالى) من س، ك، ط .

(٤) سورة الفرقان: الآيتان ٧، ٨.

قال[1] ـ تعالى ـ :

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَـٰلَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾[2].

يقول مثلوك بالكاذب والمسحور والناقل عن غيره، وكل من[3] هذه الأقوال يظهر كذبه[4] لكل من عرفك؛ ولهذا قال ـ تعالى ـ :

﴿. . . فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾.

والضال الجاهل العادل عن الطريق فلا يستطيع الطريق الموصلة إلى المقصود، بل ظهر عجزهم وانقطاعهم في المناظرة.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾[5].

* فإنه أتاهم بجلية ما في الصحف الأولى *[6] كالتوراة والإنجيل مع علمهم بأنه لم يأخذ عن أهل الكتاب شيئاً. فإذا أخبرهم بالغيوب التي لا يعلمها إلاَّ نبي أو من أخبره نبي، وهم يعلمون أنه لم يعلم ذلك بخبر أحد من الأنبياء تبين لهم أنه نبي وتبين ذلك لسائر الأمم؛ فإنه إذا

---

(١) في س (وقال تعالى).
(٢) سورة الفرقان: الآية ٩.
(٣) في ط (وكل من قال هذه).
(٤) في س (كذبها).
(٥) سورة طه: الآية ١٣٣.
(٦) سقط ما بين النجمتين من أ.

كان قومه المعادون[1] وغير المعادين لـه مقرين[2] بـأنه لم يجتمـع بأحـد يعلمـه ذلك صـار هذا منقـولاً بالتـواتر، وكـان مما أقـر به مخـالفـوه مـع حرصهم على الطعـن لو أمكن.

فهذه الأخبار بالغيوب المتقدمة قامت بها الحجـة على قومـه وعلى جميع من بلغه خبر ذلك، وقـد أخبر بـالغيوب المستقبلة وهـذه تقوم بهـا الحجة على من عرف تصديق ذلك الخبر كما قال ــ تعالى ــ :

﴿ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ. . . ﴾[3].

ثم قال:

﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ . . . ﴾[4].

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝٢٣ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ. . . ﴾[5].

فأخبر أنهم لن[6] يفعلوا ذلك في المستقبل، وكان كما أخبر.

وقال ــ تعالى ــ :

---

(١) في أ، س، ك (المعادين) وهو خطأ صححناه من ط.

(٢) في ط (مقربين) وهو خطأ لا يتفق مع السياق.

(٣) في س (ألم. . . الآيات).

(٤) سورة الروم: الآيات ٢ ــ ٥.

(٥) سورة البقرة: الآيتان ٢٣، ٢٤.

(٦) في أ (لم) وصححناه من سائر النسخ.

﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[1].

فأخبر أنه لا يقدر الإنس والجن إلى يوم القيامة أن يأتوا بمثل هذا القرآن، وهذا الخبر قد مضى له أكثر من سبعمائة سنة، ولم يقدر أحد من الإنس والجن أن يأتوا بمثل هذا القرآن، وقال عن الكفار وهو بمكة:

﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾[2].

وظهر تصديق ذلك يوم بدر وغيره[3]، وبعد ذلك بسنين كثيرة.

وقال ـ تعالى ـ:

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ... ﴾[4].

وكان الأمر كما وعده وظهر تصديق ذلك بعد سنين كثيرة، وكذلك قوله[5]: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾[6].

فأظهر الله ما بعثه به بالآيات والبرهان واليد والسنان.

وقال ـ تعالى ـ:

﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾[7].

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٨٨.
(٢) سورة القمر: الآية ٤٥.
(٣) سقطت الواو من س، ط.
(٤) سورة النور: الآية ٥٥.
(٥) في ط (قوله تعالى).
(٦) سورة الفتح: الآية ٢٨.
(٧) سورة آل عمران: الآية ١٢.

فكان كما أخبرهم غلبوا في الدنيا كما شاهده الناس، وهذا يصدق الخبر الأخير[1] وهو أنهم يحشرون إلى جهنم وبئس المهاد.

وقد أيده تأييداً لا يؤيد به[2] إلاَّ الأنبياء بل لم يؤيد أحد من الأنبياء، كما أيد به[3] كما أنه بعث بأفضل الكتب إلى أفضل الأمم بأفضل الشرائع، وجعله سيد ولد آدم ـ صلَّى الله عليه وسلَّم[4] ـ فلا يعرف قط أحد ادعى النبوة وهو كاذب إلاَّ قطع الله دابره وأذله وأظهر كذبه وفجوره.

وكل من أيده الله من المدعين للنبوة لم يكن إلاَّ صادقاً كما أيد نوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى وداود وسليمان، بل وأيد شعيباً وهوداً وصالحاً. فإن سنَّة الله أن[5] ينصر رسله والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد وهذا هو الواقع، فمن كان لا يعلم ما يفعله الله إلاَّ بالعادة فهذه عادة الله وسنته يعرف[6] بها ما يصنع ومن كان يعلم ذلك بمقتضى حكمته فإنه يعلم أنه لا[7] يؤيد من ادعى النبوة وكذب عليه

---

(١) في س، ك، ط (الآخر).

(٢) سقطت (به) من ط وفيها (يؤيده).

(٣) في س (أيد) بدون (به) وفي هامش ك (كما أيد)، وفي ط (كما أيده).

(٤) في سنن الترمذي عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وبيدي لواء الحمد، ولا فخر. وما من نبي يومئذٍ آدم فمن سواه إلاَّ تحت لوائي، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر». قال الترمذي: حديث حسن صحيح أخرجه في المناقب، باب في فضل النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ٥/٥٨٧ (٣٦١٥).
ورواه ابن ماجه في الزهد ٢/١٤٤٠ (٤٣٠٨)؛ ومسلم من حديث أبي هريرة بنحوه في المناقب ٤/١٧٨٢ (٢٢٧٨)؛ وأبو داود في السنة ٥/٥٤ (٤٦٧٣).
وانظر جامع الأصول ٨/٥٢٨؛ والنهاية في الفتن والملاحم لابن كثير ١/٣٦٥.

(٥) في س، ك (أنه).

(٦) في ك، ط (تعرف) بالمثناة الفوقية.

(٧) سقطت (لا) من س وهو خطأ واضح.

تأييداً لا يمكن أحداً معارضته، وهكذا أخبرت الأنبياء قبله أن الكذاب لا يتم الله أمره ولا ينصره ولا[1] يؤيده فصار هذا معلوماً من هذه الجهات ولهذا أمر ـ سبحانه ـ أن نعتبر[2] بما فعله في الأمم الماضية من جعل العاقبة للأنبياء وأتباعهم، وانتقامه ممن كذبهم وعصاهم.

قال[3] ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ﴾[4].

وقال ـ تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ﴾[5].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَـٰدَلُوا۟ بِٱلْبَـٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾[6].

وقال[7] ـ تعالى ـ: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَـٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَـٰفِرِينَ

---

(١) سقطت (لا) من س، ك، ط.
(٢) في أ، س (يعتبر) بالمثناة التحتية.
(٣) في ط (وقال).
(٤) سورة غافر: الآية ٥١.
(٥) سورة الصافات: الآيات ١٧١ ـ ١٧٣.
(٦) سورة غافر: الآية ٥.
(٧) سقطت الواو من ط.

ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾[1].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَىٰ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٠﴾ ﴾[2].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ ﴿٤﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِن بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾[3].

وقال ـ تعالى ـ:

﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾[4].

---

(١) سورة الحج: الآيات ٤٠ ـ ٤٦.

(٢) سورة الروم: الآيتان ٩، ١٠.

(٣) سورة غافر: الآيتان ٤، ٥. (٤) سورة غافر: الآيتان ٢١، ٢٢.

وقال ــ تعالى ــ:

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَاۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِۦۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾(1).

وقال ــ تعالى ــ:

﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴾(2).

وقال ــ تعالى ــ:

﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُواْ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُواْ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾(3).

فأخبر بأن المكذبين له سيأتيهم في المستقبل أخبار القرآن الذي استهزءوا به وبين أن ما أخبرهم به حق بوقوع الخبر مطابقاً للخبر، وكان الأمر كذلك ومثله قوله:

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْءَافَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾(4).

---

(1) سورة غافر: الآيات ٨٢ ــ ٨٥.
(2) سورة ص: الآيات ١٢ ــ ١٤.
(3) سورة الشعراء: الآيتان ٥، ٦.
(4) سورة فصلت: الآية ٥٣.

أخبر أنه سيريهم[1] في أنفسهم وفي الآفاق ما يبين أن القرآن حق، بأن يروا ما أخبر به كما أخبر به، ثم قال:

﴿ . . . أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾[2].

فإنه قد يشهد[1] للقرآن بأنه[3] حق بالآيات[4] البينات والبراهين الدالة على صدقه التي تتبين بشهادة الرب ـ تعالى ـ[5] بأنه حق فلا يحتاج مع الشهادة الحاضرة إلى انتظار الآيات المستقبلة.

وقال ـ تعالى ـ:

﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌۢ بَـٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ﴾[6].

أخبر باقتراب الساعة وانشقاق القمر، وانشقاق القمر قد عاينوه وشاهدوه وتواترت به الأخبار، وكان[7] النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يقرأ هذه السورة في المجامع الكبار مثل الجمع والأعياد؛ ليسمع الناس ما فيها من آيات النبوة ودلائلها والاعتبار وكل الناس يقر ذلك ولا ينكره، فعلم أن انشقاق القمر كان معلوماً عند الناس عامة. ثم ذكر حال الأنبياء ومكذبيهم، فقال:

﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى

---

(١) سورة فصلت: الآية ٥٣.
(٢) في ك (شهد).
(٣) في س (أنه).
(٤) في ك (فالآيات).
(٥) سقطت (تعالي) من س، ك، ط.
(٦) سورة القمر: الآيات ١ ــ ٥.
(٧) سيأتي تخريج ذلك.

ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾[1].

فأخبر أنه أبقى السفن آية على قدرة الرب وعلى ما جرى لنوح مع قومه ثم قال: فكيف كان عذابي لمن كذب ونذري؟ وكذلك ذكر قصة عاد وثمود ولوط وغيرهم، يقول في عقب كل قصة: فكيف كان عذابي ونذر؟ ونذره وإنذاره[2] وهو ما بلغته عنه الرسل من الإنذار وكيف كانت عقوبته للمنذرين.

والإنذار: هو الإعلام بالمخوف، فتبين بذلك صدق ما أخبرت به الرسل من الإنذار وشدة عذابه لمن كذب رسله، وذكر قصة فرعون، فقال:

﴿ وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾[3].

وذكر في قصة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ مع الناس أنواعاً من ذلك فقال:

---

(١) سورة القمر: الآيات ٩ ـ ١٥.

(٢) في س، ك، ط (ونذره إنذاره)، وكلا العبارتين مستقيم ويؤدي المعنى المراد. قال القرطبي ـ رحمه الله ـ: (النذر يجوز أن تكون بمعنى الإنذار ويجوز أن تكون جمع نذير). وقال الشوكاني ـ رحمه الله ـ: (والنذر جمع نذير بمعنى المنذر أو بمعنى الإنذار على أنه مصدر). انظر تفسير القرطبي ١٧/١٢٩ (مجلد ٩)، وفتح القدير ٥/١٢١. وقال في مختار الصحاح ص ٦٥٣ باب (نذر): (الإنذار: الإبلاغ، ولا يكون إلَّا في التخويف والاسم النذر بضمتين، ومنه قوله ـ تعالى ـ: **﴿فكيف كان عذابي ونذر﴾** أي إنذاري. اهـ.

(٣) سورة القمر: الآيات ٤١ ـ ٤٥.

﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾[1].

وقال ــ تعالى ــ:

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾[2].

ومثل هذا كثير في القرآن من ذكر[3] دلائل النبوة، وأعلام الرسالة ليس هذا موضع بسطه[*]، وإنما المقصود هنا التنبيه على جنس[4] ذلك. وما يذكره بعض أهل الكتاب أو غيرهم من أنه نصر فرعون[5] ونمرود[6]

(١) سورة آل عمران: الآية ١٣.
(٢) سورة الحشر: الآيات ٢ ــ ٤.
(٣) سقطت (ذكر) من س.
(*) سيبسط المؤلف ــ رحمه الله ــ الحديث في هذا في الجزء الرابع إلى نهايته من هذا الكتاب النفيس.
(٤) في أ (جزء).
(٥) سبقت ترجمته في أول الكتاب.
(٦) نمرود بن كنعان بن كوس بن سام بن نوح. ملك بابل، وكان أحد ملوك الدنيا. قال الحافظ ابن كثير: «ملك الدنيا فيما ذكروا أربعة: مؤمنان، وكافران.
فالمؤمنان: ذو القرنين، وسليمان. والكافران: النمرود، وبختنصر؛ وذكروا أن نمرود هذا استمر في ملكه أربعمائة سنة، وكان قد طغا، وبغا، وعتا وآثر الحياة الدنيا. وقد سلَّط الله عليه ذباباً من البعوض هو وجيوشه فأكلت لحومهم وتركتهم عظاماً بادية، ودخلت واحدة منها في منخر الملك فعذَّبه الله بها حتى هلك. وقد قصَّ الله =

وسنحاريب وجنكسان[1] وغيرهم من الملوك الكافرين جوابه ظاهر، فإن هؤلاء لم يدَّعِ أحد منهم النبوة، وأن الله أمره أن يدعو إلى عبادة الله[2] وطاعته، ومن أطاعه دخل الجنة، ومن عصاه دخل النار، بخلاف من ادَّعى أن الله أرسله بذلك فإنه لا يكون إلَّا رسولاً صادقاً ينصره الله ويؤيده وينصر أتباعه ويجعل العاقبة لهم، أو يكون كذاباً[3] فينتقم الله منه ويقطع دابره، ويتبين أن ما جاءه به ليست من الآيات والبراهين التي لا تقبل المعارضة، بل هي من جنس مخارق السحرة والكهان والكذابين التي تقبل المعارضة، فإن معجزات الأنبياء من خواصها أنه لا يقدر أحد أن يعارضها ويأتي بمثلها بخلاف غيرها، فإن معارضتها ممكنة فيبطل دلالتها[4].

والمسيح الدجال يدَّعي الإلَـهية[5] ويأتي بخوارق، ولكن نفس دعواه الإلاهية[6] دعوى ممتنعة في نفسها، ويرسل الله عليه المسيح بن مريم فيقتله ويظهر كذبه، ومعه ما يدل على كذبه من وجوه:

منها: أنه مكتوب بين عينيه كافر.

ومنها: أنه أعور والله ليس بأعور[7].

= في سورة البقرة المحاجة التي دارت بينه وبين أبينا إبراهيم ـ عليه السلام ـ وكيف بهت فيها وانتصر الحق على باطله.

انظر البداية والنهاية ١/١٤٨ ـ ١٤٩، وتاريخ الأمم والملوك ١/٢٣٣ ـ ٢٣٤.

(١) سبقت ترجمته في أول الكتاب.

(٢) في ط (عبادته).

(٣) في أ (كذاب)، وصححته من سائر النسخ.

(٤) في ط (فتبطل بدلالتها).

(٥) في ط (الألوهية).

(٦) في ط (الألوهية).

(٧) سيأتي تخريج الأحاديث المتعلقة بالمسيح الدجال في آخر الجزء الأول من الكتاب.

ومنها: أن أحداً لن يرى ربه حتى يموت، ويريد أن يقتل الذي قتله أولاً فيعجز عن قتله.

فمعه من الدلائل الدالة على كذبه ما يبين أن ما معه ليس آية على صدقه، بخلاف معجزات الأنبياء[1]، فإنه لا يمكن أحد من الإنس والجن أن يأتي بنظيرها ولا يبطلها مثل قلب العصا حية لموسى، وإخراج ناقة لصالح من الأرض، وإحياء الموتى للمسيح، وانشقاق القمر وإنزال القرآن وغير ذلك لمحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، فإن المشركين لما سألوا النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ آية واقترحوا عليه انشقاق القمر فأراهم ذلك.

وقد أخبر الله ـ تعالى ـ بذلك في القرآن، فقال ـ تعالى ـ:

﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ۝٣ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الْأَنبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۝٤ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ۝٥ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ۝٦ خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴾[2].

ثم ذكر ـ تعالى ـ ما جرى قبله للمكذبين فذكر قصة قوم نوح وهود وصالح ولوط ثم فرعون وهذه السورة كان النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يقرأ بها في أعظم اجتماعات الناس عنده وهي الأعياد، والناس كلهم يسمعون ما يذكره من انشقاق القمر. وقول المكذبين أنه سحر

(١) سيتحدث المؤلف عن هذا بالتفصيل في الجزء الرابع من الجواب الصحيح.
(٢) سورة القمر: الآيات ١ ـ ٧، وفي ط بزيادة الآية ٨: ﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ ۖ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾.

والناس كلهم المؤمن به، والمنافق، والكافر، يقرون على هذا، لم يقل أحد منهم أن القمر لم ينشق ولا أنكره أحد.

وفي صحيح مسلم، أن عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ[1]، سأل أبا واقد الليثي ما يقرأ به رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ في الأضحى والفطر، فقال: «كان يقرأ فيهما بقاف والقرآن المجيد. واقتربت الساعة وانشق القمر»[2].

ومعلوم بالضرورة في مطرد العادة أنه لو لم يكن انشق لأسرع الناس المؤمنون به إلى تكذيب ذلك فضلاً عن أعدائه من الكفار والمنافقين، لا سيما وهو يقرأ عليهم ذلك في أعظم مجامعهم.

وأيضاً فمعلوم أن محمداً ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ كان من أحرص الخلق على تصديق الناس له واتباعهم إياه مع أنه كان أخبر الناس بسياسة الخلق، فلو لم يكن القمر انشق لما كان يخبر بهذا ويقرأه[3] على جميع الخلق ويستدل به ويجعله آية له، فإن من يكون من أقل الناس خبرة بالسياسة لا يتعمد إلى ما يعلم جميع الناس أنه كاذب به فيجعله من أعظم آياته الدالة على صدقه ويقرأه على الناس في أعظم المجاميع.

---

(١) سقطت (رضي الله عنه) من جميع النسخ ما عدا س.

(٢) رواه مسلم في كتاب صلاة العيدين، باب ما يقرأ به في صلاة العيدين حديث رقم (٨٩١)٢/٦٠٧، وأبو داود في الصلاة، باب ما يقرأ في الأضحى والفطر ١/٦٨٣(١١٥٤)، والترمذي في الصلاة، باب ما جاء في قراءة العيدين ٢/٤١٥(٥٣٤) وقال: حديث حسن صحيح، والنسائي في كتاب صلاة العيدين، باب القراءة في العيدين بقاف واقتربت ٣/١٨٣، ١٨٤، وابن ماجه في الصلاة، باب ما جاء في القراءة في صلاة العيدين ١/٤٠٨(١٢٨٢)، ورواه مالك في الموطأ، كتاب العيدين، باب ما جاء في التكبير والقراءة في صلاة العيدين ١/١٨٠.

(٣) في ط (ويقرأ).

وقال[1] اقتربت الساعة وانشق القمر بصيغة الفعل الماضي، ولم يقل قامت الساعة ولا ستقوم[2] بل قال[3] اقتربت ـ أي دنت ـ وقربت[4] وانشق القمر الذي هو دليل على نبوة محمد وعلى إمكان انحراق الفلك الذي هو[5] قيام القيامة، وهو سبحانه ـ قرن بين خبره باقتراب الساعة وخبره بانشقاق القمر، فإن مبعث محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ هو من أشراط الساعة وهو دليل على قربها، كما قال[6] ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في الحديث الصحيح «بعثت أنا والساعة كهاتين وجمع بين أصبعيه السبابة والوسطى[7][8] وقد قال ـ تعالى ـ:

﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾[9].

وعلم الساعة أخفاها الله عن جميع خلقه، كما يذكر ذلك عن

---

(١) في س، ط (وهي) بدل (وقال).

(٢) في ط (تقوم).

(٣) سقطت (قال) من ط.

(٤) في ك، ط (اقتربت).

(٥) سقطت (هو) من أ، وألحقناها من سائر النسخ.

(٦) في س (كما قال النبي).

(٧) في ط (والواسطي)، وهو خطأ.

(٨) رواه البخاري من ثلاث طرق في كتاب الرقاق، باب قول النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «بعثت أنا والساعة كهاتين. . .» ٧/١٩٠ من حديث أبي هريرة، وسهل بن سعد، وأنس بن مالك بألفاظ متقاربة، ومسلم من حديث سهل، ومن حديث أنس في الفتن وأشراط الساعة، باب قرب الساعة ٤/٢٢٦٨، ٢٢٦٩. وابن ماجه من حديث أبي هريرة في الفتن، باب أشراط الساعة ٢/١٣٤١(٤٠٤٠)، والترمذي من حديث أنس. ثم قال: هذا حديث حسن صحيح في الفتن، باب ما جاء في قول النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «بعث أنا والساعة كهاتين. . .» ٤/٤٩٦(٢٢١٤)، وأحمد من حديث أنس ٣/١٣٠، ١٣١. وكلها بألفاظ متقاربة.

(٩) سورة محمد: الآية ١٨.

المسيح في الإنجيل أنه لما سئل عنها فقال: «إنها لا يعلمها أحد من الناس ولا الملائكة ولا الابن وإنما يعلمها الآب وحده»[1]. وهذا مما يدل على أنه ليس هو رب العالم وكذلك محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أخبر بذلك لما سئل عنها.

قال ـ تعالى ـ:

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ ﴾.

أي: خفيت على أهل السموات والأرض:

﴿ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[2].

وفي الصحيح عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أنه[3] قال: «تسألوني عن الساعة وإنما علمها عند الله»[4]، فانشقاق القمر كان آية

---

(١) جاء في إنجيل متى، إصحاح ٢٤: فقرة ٣٦ ما نصه: «وأما ذلك اليوم وتلك الساعة، فلا يعلم بهما أحد ولا ملائكة السماوات إلَّا أبي وحده».

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٨٧.

(٣) سقطت (أنه) من ط.

(٤) رواه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب قوله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «لا تأتي مائة سنة وعلى الأرض نفس منفوسة اليوم»، ٤/١٩٦٦(٢٥٣٨).
ونص الحديث عن جابر ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يقول ـ قبل أن يموت بشهر ـ: «تسألوني عن الساعة، وإنما علمها عند الله، وأقسم بالله ما على ظهر الأرض من نفس منفوسة تأتي عليها مائة سنة».
وقد ساق الإمام الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ أحاديث كثيرة في تفسيره عند آية الأعراف السابقة: الآية ١٨٧ في الجزء الثاني ص ٢٧٢. وأجاب عن الإشكال حيث ورد قوله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «إن يعش هذا فعسى أن لا يدركه الهرم حتى =

على شيئين: على صدق الرسول، وعلى مجيء الساعة وإمكان انشقاق الفلك؛ فإن[1] المنكرين لقيام القيامة الكبرى قيام الناس من قبورهم لرب العالمين وانشقاق السموات وانفطارها سواء أقروا بالقيامة الصغرى وأن الأرواح بعد الموت تنعم[2] أو تعذب، كما هو قول الفلاسفة اللاإلٓهيين[3]، أو أنكروا المعاد مطلقاً كما أنكر ذلك من أنكره من مشركي العرب والفلاسفة الطبيعيين[4]، وغيرهم ينكرون انشقاق السموات

= تقوم الساعة»، فقال ابن كثير: (وهذا محمول على التقييد بساعتكم كما ورد في حديث عائشة الآخر: «إن يعش هذا لم يدركه الهرم حتى قامت عليكم ساعتكم». اهـ. قلت: والمقصود بساعتكم كما بيَّن شراح الحديث: موتكم). ومعناه: يموت ذلك القرن أو أولئك المخاطبون. والله أعلم.

وعلم الساعة استأثر الله به فلم يطلع عليه ملكاً مقرباً، ولا نبياً مرسلاً، وإنما أخبر الكتاب والسنة بأشراطها وهي علاماتها. قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى ٣٤٢/٤: «ومن تكلم في وقتها المعين مثل الذي صنف كتاباً سماه (الدر المنظم في معرفة الأعظم)، وذكر فيه عشر دلالات بيَّن منها وقتها، والذين تكلموا على ذلك من (حروف المعجم)، والذي تكلم في (عنقاء مغرب) وأمثال هؤلاء. فإنهم وإن كان لهم صورة عظيمة عند أتباعهم فغالبهم كاذبون مفترون، وقد تبين لهم من وجوه كثيرة أنهم يتكلمون بغير علم، وإن ادعوا في ذلك الكشف ومعرفة الأسرار».

(١) في س (وإن).

(٢) في ك، ط (تتنعم) بتاءين.

(٣) في س (الإلٓهين)، ولعل لما أثبتناه وجهته لدى الشيخ، فقد أراد أن يبين أن هؤلاء تكلموا في الألوهية بنقيض ما ينبغي أن يتكلم به في الألوهية.

(٤) بسط الشيخ ـ رحمه الله ـ الكلام في المعاد في فصل مستقل من هذا الكتاب النفيس في الجزء الرابع، وذكر أقوال الناس عامة فيه. وملخص ذلك أنهم على أربعة أقوال:

١ ـ قول جمهور المسلمين بمعاد الأرواح والأبدان.

٢ ـ قول كثير من المتكلمين من الجهمية والمعتزلة بأن المعاد على الأبدان فقط.

٣ ـ قول بعض الفلاسفة بأن المعاد للأرواح فقط.

٤ ـ إنكار المعادين جميعاً. كما هو قول أهل الكفر من العرب، واليونان، والهند، والترك، وغيرهم.

ويزعم هؤلاء الدهرية[1] أن الأفلاك لا يجوز عليها الانشقاق، كما ذكر ذلك أرسطو وأتباعه وزعموا أن الانشقاق يقتضي حركة مستقيمة وهي ممتنعة بزعمهم في الفلك المحدد إذ[2] لا خلاء وراءه عندهم، وهذا لو دل فإنما يدل على ذلك في الفلك الأطلس لا فيما دونه فكيف وهو باطل، فإن الحركة المستقيمة هناك بمنزلة جعل الأفلاك ابتداء في هذه الأحياز[3] التي هي فيها سواء سمي خلاء أو لم يسمّ كما هو مذكور في غير هذا الموضع[4].

---

(١) الدهرية: سموا دهرية نسبة إلى الدهر، حيث ينسبون النوازل إليه، والفلاسفة الدهرية، ومشركوا العرب، والفلاسفة الإلٓهيون، يتفقون جميعاً على إنكار المعاد كما ذكر المؤلف ــ رحمه الله ــ والدهرية ينكرون ابتداء العالم، وينكرون وجود الله، وينفون الرسالة والأمر والنهي، ويجعلونها من الأمور المستحيلة في العقول، ثم هم بعد ذلك ينكرون الثواب، والعقاب، ولا يفرقون بين الحلال والحرام، وينفون أن يكون في العالم دليل على صانع ومصنوع، وخالق ومخلوق. وقد ذكر ابن القيم أن الدهرية فرقتان:

١ ــ فرقة قالت: ان الخالق ــ سبحانه ــ لما خلق الأفلاك متحركة أعظم حركة دارت عليه فأحرقته، ولم يقدر على ضبطها، وإمساك حركاتها.

٢ ــ وفرقة قالت: إن الأشياء ليس لها أول ألبتة، وإنما تخرج من القوة إلى الفعل، فإذا خرج ما كان بالقوة إلى الفعل تكونت الأشياء مركباتها، وبسائطها من ذاتها لا من شيء آخر، وقالوا إن العالم دائم لم يزل، ولا يتغير ولا يضمحل. اهـ.

راجع إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ٢/٢٥٥، وانظر في الدهرية الملل والنحل للشهرستاني ٣/٢٣٧، والأصول والفروع لابن حزم ص ٣٢، وتفسير ابن كثير ٤/١٥٠، ومجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ١١/٢٢٧، وقد ناقش ــ رحمه الله ــ الفلاسفة الدهرية في كتابه العظيم (درء تعارض العقل والنقل)، فانظر ٩/٢٥٥، ٢٥٦؛ ٨/٩٤، ١٠٣، ١٠٤ وغيرها.

(٢) سقطت (إذ) من س.

(٣) في س (الأخبار)، وهو خطأ.

(٤) راجع كتابه النفيس (درء تعارض العقل والنقل) ١/٢٢٢، ٢٢٣؛ ٢/٣٧٦ ــ ٣٧٧، بتحقيق الدكتور محمد رشاد سالم.

والمقصود هنا أنه ـ تعالى ـ أخبر بانشقاق القمر مع اقتراب الساعة؛ لأنه دليل على إمكان انشقاق الأفلاك وانفطارها الذي هو قيام الساعة الكبرى، وهو آية على نبوة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ الذي هو من أشراط الساعة والله ـ تعالى ـ في كتابه يجمع بين ذكر القيامة الكبرى والصغرى كما في سورة الواقعة ذكر في أولها القيامة الكبرى وفي آخرها القيامة الصغرى، وذلك كثير في سور القرآن مثل سورة قٓ، وسورة القيامة، وسورة التكاثر، وسورة الفجر، وغير ذلك.

وقد استفاضت الأحاديث بانشقاق القمر ففي الصحيحين عن ابن مسعود أنه قال: انشق القمر[1] على عهد رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فرقتين: فرقة فوق الجبل، وفرقة دونه، فقال رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «اشهدوا»[2] وفي لفظ: «ونحن معه بمنى»[3]، فقال كفار قريش: سحركم ابن أبي كبشة، فقال رجل منهم: إن محمداً إن كان سحر[4] القمر فإنه لا يبلغ من سحره أن يسحر الأرض كلها، فاسألوا من يأتيكم من بلد آخر هل رأوا هذا؟ فأتوا فسألوهم فأخبروهم أنهم رأوا مثل ذلك[5].

---

(١) سقطت (القمر) من أ، وأثبتناها من سائر النسخ، ومن نص الحديث.

(٢) رواه البخاري في التفسير، تفسير سورة اقتربت الساعة، باب ﴿وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟﴾ ٦/٥٢، ورواه مسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب انشقاق القمر بنحوه ٤/٢١٥٨، ٢١٥٩(٢٨٠٠).

وقد ساقه من طرق متعددة كلها عن ابن مسعود، ورواه الترمذي في التفسير، ثم قال حديث حسن صحيح: ٥/٣٩٧(٣٢٨٥)، وأحمد في المسند ١/٤٤٧، وابن جرير الطبري في التفسير ٢٧/٥٠ تفسير سورة القمر.

(٣) في ط (بمعنى)، وهو تصحيف ظاهر. (٤) في س، ك، ط (ساحر).

(٥) هذا اللفظ ورد في تفسير ابن جرير الطبري ٢٧/٥٠ ـ ٥١ وليس فيه «ونحن معه بمنى» وهذه الجملة وردت في صحيح مسلم ٤/٢١٥٨ في الحديث رقم (٤٤) من أحاديث الباب. وليس فيه (فقال كفار قريش. . . إلخ).

وعن أنس بن مالك أنه قال: (سأل أهل مكة النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ أن يريهم آية، فأراهم انشقاق القمر فرقتين حتى رأوا حراء بينهما، فنزلت:

﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ۝ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾[1](*).

وهذا حديث صحيح مستفيض، رواه ابن مسعود وأنس بن مالك وابن عباس، وهو أيضاً معروف، عن حذيفة[2] قال: أبو الفرج بن[3] الجوزي: والروايات في الصحيح بانشقاق القمر، عن ابن[4] عمر وابن مسعود وابن عباس وأنس ـ رضي الله عنهم[5] ـ .

---

(1) الآيتان ١، ٢ من سورة القمر.

(*) والحديث برواية أنس. رواه البخاري في التفسير ٥٣/٦، ومسلم في صفات المنافقين، باب انشقاق القمر، رقم (٣٨٠٢) ٢١٥٩/٤ من عدة طرق، ورواه الترمذي في التفسير ٣٩٧/٥(٣٢٨٦)، وابن جرير الطبري في تفسيره ٥١/٢٧.

(٢) انظر: تفسير ابن جرير الطبري ٥١/٢٧، وقد ورد الحديث من رواية الصحابة الذين أشار إليهم المؤلف ومن رواية ابن عمر. فانظر المراجع السابقة التي أشرنا إليها.
قال القاضي عياض ـ رحمه الله ـ : «انشقاق القمر من أمهات معجزات نبينا ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ »، وقد رواها عدة من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ مع ظاهر الآية الكريمة وسياقها.
انظر: صحيح مسلم بشرح النووي ١٤٣/١٧ (مجلد ٩)، ط دار الفكر.

(٣) سقطت (ابن) من أ، س، ك، وأثبتناها من ط .

(٤) سقطت (ابن) من ط .

(٥) ساقها أبو الفرج بن الجوزي ـ رحمه الله ـ كلها في كتابه الوفا بأحوال المصطفى ٢٧٢/١ ـ ٢٧٣، ط دار المعرفة بيروت. بتحقيق مصطفى عبد الواحد.
وانظر: أسباب النزول ٢٩٩؛ ولباب النقول للسيوطي ٢٠٧ ـ ٢٠٨.
وانظر: تفسير ابن الجوزي (زاد المسير) ٨٨/٨ أول سورة القمر، ط المكتب الإسلامي، قال ـ رحمه الله ـ : «وقد روى حديث الانشقاق جماعة منهم =

ولما زعموا أن هذا القرآن هو ألفه:

قال الله ـ تعالى ـ:

﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ﴾[1].

ثم تحداهم بعشر سور فقال ـ تعالى ـ:

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[2].

ثم تحداهم بسورة واحدة فقال:

﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟...﴾[3].

وقال ـ تعالى ـ أيضاً:

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ...﴾[4].

فعجز جميع الخلق أن يعارضوا ما جاء به ثم سجل[5] على جميع الخلق العجز إلى يوم القيامة بقوله:

= عبد الله بن عمر، وحذيفة، وجبير بن مطعم، وابن عباس، وأنس بن مالك، وعلى هذا جمع المفسرين، إلّا أن قوما شذوا. فقالوا: سينشق يوم القيامة، وقد روى عثمان بن عطاء، عن أبيه نحو ذلك، وهذا القول الشاذ لا يقاوم الإجماع».

(١) سورة الطور: الآيتان ٣٣، ٣٤.

(٢) سورة هود: الآيتان ١٣، ١٤.

(٣) سورة البقرة: الآيتان ٢٣، ٢٤.

(٤) سورة يونس: الآية ٣٨.

(٥) في أ، س، ك (أسجل)، وصححناه من ط.

﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا﴾[1].

فأخبر من ذلك الزمان أن الإنس والجن إذا اجتمعوا لا يقدرون على معارضة القرآن بمثله، فعجز لفظه ومعناه ومعارفه وعلومه أكمل معجزة وأعظم شأناً والأمر كذلك فإنه لم يقدر أحد من العرب وغيرهم مع قوة عداوتهم[2] وحرصهم[3] على إبطال أمره بكل طريق وقدرتهم على أنواع الكلام أن يأتوا بمثله، وأنزل الله إذ ذاك آيات بيَّن فيها أنه رسول[4] إليهم ولم يذكر فيها أنه لم يرسل إلى غيرهم.

فقال ـ تعالى ـ في سورة القصص:

﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ ٱلۡأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلۡغَرۡبِيِّ إِذۡ قَضَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلۡأَمۡرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأۡنَا قُرُونٗا فَتَطَاوَلَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡعُمُرُۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيٗا فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ تَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذۡ نَادَيۡنَا وَلَٰكِن رَّحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوۡلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولٗا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[5] (*).

---

(1) سورة الإسراء: الآية ٨٨.

(2) في ط (عدواتهم) وهو خطأ.

(3) في ط (وحصرهم) وهو خطأ.

(4) في ط (رسول الله إليهم).

(5) سورة القصص: الآيات ٤٣ ـ ٤٧.

(*) قال ابن سعدي ـ رحمه الله ـ في تفسيره: «والمقصود أن المجريات، التي جرت =

وقال في سورة السجدة:

﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾[1].

وقال في سورة يس[2]:

﴿ يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٤ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٥ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴾[3].

ذكر ـ تعالى[4] ـ في هذه الآيات الثلاث[5] نعمته على هؤلاء وحجته عليهم بإرساله، وذكر بعض حكمته في إرساله، وذلك لا يقتضي أنه لم يرسل إلاَّ لهذا بل مثل هذا كثير معروف في لسان العرب وغيرهم.

= لموسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ، في هذه الأماكن، فقصصتها كما هي، من غير زيادة ولا نقص، لا يخلو من أحد أمرين:

إما أن تكون حضرتها وشاهدتها، أو ذهبت إلى محالها فتعلمتها من أهلها. فحينئذٍ قد لا يدل ذلك على أنك رسول الله، إذ الأمور التي يخبر بها عن شهادة ودراسة، من الأمور المشتركة غير المختصة بالأنبياء، ولكن هذا قد علم وتيقّن أنه ما كان وما صار. فأولياؤك وأعداؤك يعلمون عدم ذلك.

فتعين الأمر الثاني وهو: أن هذا جاءك من قبل الله ووحيه وإرساله. فثبت بالدليل القطعي صحة رسالتك، ورحمة الله بك للعباد ولهذا قال: ﴿... ولكن رحمة من ربك...﴾ الآية... قال ـ رحمه الله ـ: «وإنذاره للعرب لا ينفي أن يكون مرسلاً لغيرهم، فإنه عربي، والقرآن الذي نزل عليه عربي، وأول من باشر بدعوته العرب. فكانت رسالة لهم أصلاً، ولغيرهم تبعاً...».

انظر: تفسيره المسمى (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٦/٢٩، ٣٠).

(١) سورة السجدة: الآية ٣.

(٢) سقطت (يس) من أ وهي في سائر النسخ.

(٣) سورة يس: الآيات ١ ـ ٦.

(٤) في ط (الله تعالى).

(٥) في جميع النسخ (الثلاثة)، وهو خطأ.

قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[1].

ومعلوم أن في هذه الدواب منافع غير الركوب، وقال ـ تعالى ـ :

﴿ يُلْقِي ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ . . . ﴾[2].

فقد أخبر أنه ينزل الملائكة بالوحي على الأنبياء لينذروا يوم القيامة وذلك لا يمنع أن يكونوا نزلوا بالبشارة للمؤمنين والأمر والنهي بالشرائع.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴾[3].

فأخبر ـ تعالى ـ أنه خلق العالم العلوي والسفلي ليعلم العباد قدرته وعلمه. ومع هذا ففي خلق ذلك له من الحكمة أمور أخرى غير علم العباد ومثل ذلك قوله ـ تعالى ـ :

﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾[4].

ومعلوم أن في جعل الكعبة قياماً للناس والهدى والقلائد حكماً ومنافع أخرى.

---

(١) سورة النحل: الآية ٨.

(٢) سورة غافر: الآيتان ١٥، ١٦.

(٣) سورة الطلاق: الآية ١٢.

(٤) سورة المائدة: الآية ٩٧.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى ﴾[1].

ومعلوم أن في ملك الله حكماً أخرى غير جزاء المحسن والمسيء، وكذلك قوله:

﴿ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾[2].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ . . . ﴾ إلى قوله:

﴿ . . . رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ . . . ﴾[3].

ومعلوم أن في إرسال الرسل سعادة[4] من آمن بهم، وغيرها حكم[5] أخرى غير دفع حجة الخلق على الله، وكذلك قوله ـ تعالى ـ :

﴿ . . . كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ . . . ﴾[6].

ومعلوم أن في تسخيرها حكماً ومنافع غير التكبير، وقوله:

﴿ . . . وَلِتُكْمِلُواْ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ . . . ﴾[7].

---

(١) سورة النجم: الآية ٣١.
(٢) سورة الجاثية: الآية ٢٢.
(٣) سورة النساء: الآيات ١٦٣ ـ ١٦٥.
(٤) في س، ك (من سعادة).
(٥) في أ، س، ك (حكمة).
(٦) سورة الحج: الآية ٣٧.
(٧) سورة البقرة: الآية ١٨٥.

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾[1].

ومعلوم أن لله حكماً في خلق الشمس والقمر، والليل والنهار، غير انتفاع بني آدم وكذلك قوله:

﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ . . . ﴾[2].

وقوله:

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾[3].

وفيها حكم أخرى.

وقال[4]:

﴿ ... وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِۚ . . ﴾[5].

وفي إنزال الكتاب من هدى من اهتدى به واتعاظه وغير ذلك مقاصد غير الحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه.

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا

(١) سورة إبراهيم: الآيات ٣٢ ــ ٣٤.
(٢) سورة يونس: الآية ٦٧.
(٣) سورة الفرقان: الآية ٦٢.
(٤) في ط (وقال تعالى).
(٥) سورة البقرة: الآية ٢١٣.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰذِبِينَ﴾[1].

ومعلوم أن في مبعث[2] الخلق يوم القيامة مقاصد غير بيان المختلف في علم هؤلاء، ومما يبين ذلك أنه قال في الآية التي احتجوا بها: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ . . .﴾[3].

ومعلوم أنه لم يبعث لمجرد الإنذار، بل وليبشر من آمن به، ولأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وتحليل الطيبات، وتحريم الخبائث، وغير ذلك من مقاصد الرسل كما قال ـ تعالى ـ:

﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ . . .﴾[4].

وقوله: ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ . . .﴾[5].

لا ينافي كونه لم يصفهم في موضع آخر إلاَّ بالإنذار، وقد قال:

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾[6].

وكان المسلمون مرة صلوا صلاة العيد بحضرة حصار النصارى فقام[7] خطيبهم فخطب بهذه الآية، ولما قرأ قوله:

---

(١) سورة النحل: الآيتان ٣٨، ٣٩.

(٢) في ك، ط (بعث).

(٣) سورة يس: الآية ٦.

(٤) سورة النساء: الآية ١٦٥.

(٥) سورة الأنعام: الآية ٤٨، وسورة الكهف: الآية ٥٦.

(٦) سورة الكهف: الآيات ١ ـ ٥.

(٧) في س (قام)، وفي ط (فلقم).

﴿ . . . وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ . . . ﴾[1].

أشار إلى جند الإيمان، ولما قرأ قوله:

﴿ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴾[2].

أشار إلى جند الصلبان.

وقال ــ تعالى ــ:

﴿ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ . . . ﴾[3].

وفي إنزال الكتاب والميزان حكم أخرى من البشارة والإنذار وغير ذلك، وكذلك قوله عن أهل الكهف:

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴾[4].

وفي بعثهم حكم أخرى بدليل قوله:

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ . . . ﴾[5].

وقال ــ تعالى ــ:

﴿ . . . فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ . . . ﴾[6].

ومعلوم أن في ذلك مقاصد أخرى من[7] هداية الخلق، وقيام

---

(1) سورة الكهف: الآية ٢.

(2) سورة الكهف: الآية ٤.

(3) سورة الحديد: الآية ٢٥.

(4) سورة الكهف: الآية ١٢.

(5) سورة الكهف: الآية ٢١.

(6) سورة الجن: الآيتان ٢٧، ٢٨.

(7) في أ (بين).

الحجة على من بلغهم وغير ذلك. وقوله:

﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[1].

وفيه حكم أخرى من قيام الحجة على الخلق وضلال من ضل به، ومثله قوله:

﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[2].

ومعلوم أن في ذلك مقاصد أخرى من البشارة والأمر والنهي وغير ذلك، وكذلك قوله:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٢٨ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ﴾[3].

ومعلوم أن في جزاء المؤمنين مقاصد أخرى غير علم أهل الكتاب وما معه. وقال ـ تعالى ـ:

﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ...﴾[4].

ومعلوم أن فيه حكماً[5] أخرى مثل تبشير من آمن به، والأمر، والنهي، وإنذار غير[6] هؤلاء من العرب.

---

(١) سورة ص: الآية ٢٩.
(٢) سورة إبراهيم: الآية ٥٢.
(٣) سورة الحديد: الآية ٢٨، ٢٩.
(٤) سورة الأنعام: الآية ٩٢.
(٥) في س، ك (إن فيه حكمة)، وفي أ (إن الله حكمة).
(٦) سقطت (غير) من ط.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ۝٦٩ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[1].

ومعلوم أن فيه حكمة أخرى غير الإنذار.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾[2].

ومعلوم أن فيه حكمة أخرى من إنذار الخلق كلهم، وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، وتبشير المؤمنين، فقال ـ تعالى ـ :

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ۝٧ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ...﴾[3].

ومعلوم أن في أخذ الميثاق حكماً[4] أخرى.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾[5].

---

(١) سورة يس: الآيتان ٦٩، ٧٠.

(٢) سورة الأحقاف: الآية ١٢.

(٣) سورة الأحزاب: الآيتان ٧، ٨.

(٤) في أ، س، ك (حكم) وهو خطأ صوابه ما أثبتناه من ط (حكماً) اسم ان مؤخر.

(٥) سورة الفتح: الآيتان ١، ٢.

وقوله:

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا . . . ﴾.

إلى قوله: ﴿ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ . . . ﴾[1].

وقوله: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ . . . ﴾.

إلى قوله:

﴿ لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ . . . ﴾[2].

وكذلك قوله:

﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ . . . ﴾[3].

وفي ذلك كله حكم أخرى، وكذلك قوله:

﴿ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا . . . ﴾[4].

وإن كانت هذه[5] لام العاقبة، فليست العاقبة منحصرة في ذلك، بل في ذلك من الإحسان إلى موسى وتربيته وغير ذلك حكم أخرى، ومثل قوله:

﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ . . . ﴾[6] الآية.

---

(١) سورة الإسراء: الآية ١.

(٢) سورة الإسراء: الآية ١٢.

(٣) سورة يونس: الآية ٥.

(٤) سورة القصص: الآية ٨.

(٥) سقطت كلمة (هذه) من ك، وفي ط زيادة (اللام) بعد كلمة (هذه).

(٦) سورة الأنعام: الآية ١٣٧.

وقال[1] ــ تعالى ــ :

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ . . .﴾[2] .

وفي إرساله حكم أخرى، وكذلك قوله:

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ...﴾[3] .

وفي إنزاله تبشير وإنذار وأمر ونهي، ووعد ووعيد، وكذلك قوله في عيسى بن مريم:

﴿هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾[4] .

وكذلك قوله:

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ . . .﴾[5] .

وفيه حكم أخرى، كما قال[6] في الآية الأخرى:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا . . .﴾[7] .

وقال[8] :

﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[9] .

---

(١) في س (وقوله).
(٢) سورة الصف: الآية ٩.
(٣) سورة النساء: الآية ١٠٥.
(٤) سورة مريم: الآية ٢١.
(٥) سورة الجاثية: الآية ١٢.
(٦) في س، ط (قال تعالى).
(٧) سورة النحل: الآية ١٤.
(٨) في ط (قال تعالى).
(٩) سورة فاطر الآية ١٢.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ . . . ﴾[1].

إلى قوله:

﴿ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴾[2].

وكذلك قوله[3]:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ ﴾[4].

وفي كونهم وسطاً حكم[5] أخرى.

وقوله[6]: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ . . . ﴾[7].

وفيهما حكم أخرى، وكذلك قوله:

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾[8].

وفي ذلك حكم أخرى من البشارة والأمر والنهي.

---

(١) سقطت (ولو شاء ربك) من س، ك، ، ط.
(٢) سورة الأنعام: الآيتان ١١٢، ١١٣.
(٣) في ط (قوله تعالى).
(٤) سورة البقرة: الآية ١٤٣.
(٥) في س، ك (حكماً) وهو خطأ. وقد صححه أيضاً في هامش ك.
(٦) في هامش س، وهامش ك، ط (وكذلك قوله).
(٧) سورة الملك: الآية ٢.
(٨) سورة الفرقان: الآية ١.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ﴾.

إلى قوله: ﴿ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ . . . ﴾[1].

وفي ذلك حكم أخرى، ومثل ذلك كثير في كلام الله ـ عز وجل ـ وغير كلام الله إذا ذكر حكمة للفعل لم يلزم أن لا تكون له حكمة أخرى، لكن لا بد لتخصيص تلك الحكمة بالذكر في ذلك الموضع من مناسبته[2]، وهذا كالمناسبة في قوله:

﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ . . . ﴾[3].

فإن هؤلاء كانوا أول المنذرين، وأحقهم بالإنذار، فكان في تخصيصهم بالذكر فائدة لا أنه خصهم لانتفاء إنذار من سواهم.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾[4].

ومعلوم أنه نزل به ليكون بشيراً، وليأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويحل الطيبات، ويحرم الخبائث، ويضع الآصار والأغلال ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ .

● ● ●

(١) سورة آل عمران: الآيتان ١٤٠، ١٤١.

(٢) في ط (مناسبة).

(٣) سورة يس: الآية ٦.

(٤) سورة الشعراء: الآيات ١٩٣ ـ ١٩٥.

فصل

ردّ احتجاجهم ببعض الآيات على خصوصيّة الرسالة

وأما احتجاجهم بقوله ـ تعالى ـ :

﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا . . . ﴾[1].

وقوله ـ تعالى ـ :

﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ . . . ﴾[2].

فهذا كقوله ـ تعالى ـ :

﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[3].

وهذا في عمومه نزاع، فإنه إما أن يكون خطاباً لجميع الناس، ويكون المراد إنا بعثنا إليكم رسولاً من البشر، إذ كنتم لا تطيقون أن تأخذوا عن ملك من الملائكة، فمنَّ الله عليكم بأن أرسل إليكم رسولاً بشرياً.

قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾[4].

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٥١.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٦٤.

(٣) سورة التوبة: الآية ١٢٨.

(٤) سورة الأنعام: الآيتان ٨، ٩.

وإما أن يكون الخطاب للعرب، وعلى التقديرين، فإن ما تضمن ذكر أنعامه على المخاطبين بإرساله رسولاً من جنسهم، وليس في هذا ما يمنع أن يكون مرسلاً إلى غيرهم، فإنه إن كان خطاباً للإنس كلهم، فهو أيضاً مرسل إلى الجن، وليس من جنسهم، فكيف يمتنع إذا كان خطاباً[1] للعرب بما امتن به عليهم، أن يكون قد امتن على غيرهم بذلك، فالعجم أقرب إلى العرب من الجن إلى الإنس، وقد أخبر في الكتاب العزيز أن الجن لما سمعوا القرآن آمنوا به.

قال ــ تعالى ــ:

﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ... ﴾[2].

وقال:

بسم الله الرحمن الرحيم[3]

﴿ قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ

---

(١) في ط (إذا كان الخطاب خطاباً).

(٢) سورة الأحقاف: الآيات ٢٩ ــ ٣٢.

(٣) سقطت التسمية من نسخة (س).

ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴾ [1].

ونظير هذا قوله:

﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴾ [2].

وقومه قريش، ولا يمنع أنه ذكر[3] لسائر العرب بل لسائر الناس،

---

(١) سورة الجن كلها.

(٢) سورة الزخرف: الآية ٤٤.

(٣) في س، ك، ط (ولا يمنع أن يكون ذكراً).

كما قال ــ تعالى ــ :

﴿ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ (1) .

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ (2) .

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴾ (3) .

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (4) .

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ . . . وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ (5) .

وهذا على أصح القولين، وأن المراد بقوله:

﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ ﴾ .

---

(1) سورة القلم: الآيتان ٥١، ٥٢.

(2) سورة الفرقان: الآية ١.

(3) سورة ص: الآيات ٨٦ ــ ٨٨.

(4) سورة التكوير: الآيات ١٩ ــ ٢٩.

(5) سورة النساء: الآية ٧٩.

أنه ذكر لهم[1] يذكرونه فيهتدون به.

وقيل: أن المراد أنه شرف لهم وليس بشيء، فإن القرآن هو شرف لمن آمن به من قومه وغيرهم وليس شرفاً لجميع قومه، بل من كذب به منهم كان أحق بالذم كما قال ـ تعالى ـ ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾[2].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ. . .﴾[3].

بخلاف كونه تذكرة وذكرى فإنه تذكرة لهم ولغيرهم، كما قال ـ تعالى ـ:

﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ. . .﴾[4].

فعم العالمين جميعهم، فقال:

﴿وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[5].

● ● ●

(1) سقطت (لهم) من س، ك.
(2) سورة المسد: الآية ١.
(3) سورة الأنعام: الآية ٦٦.
(4) سورة الأنعام: الآية ٩٠.
(5) سورة يوسف: الآية ١٠٤.

فصل

هذا الكلام على الوجه الأول، وهو قول من يقول أنه لم يقل أنه أرسل إلا إلى العرب.

وأما **الوجه الثاني**: وهو أن نقول: هو ذكر أنه رسول إلى الناس كافة كما نطق به القرآن في غير موضع، كقوله[1] ـ تعالى ـ

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا . . .﴾[2].

وقوله:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾[3].

وقد صرح فيه بدعوة أهل الكتاب وبدعوة الجن في غير موضع فإذا سلموا أنه ذكر ذلك ولكن كذبوه في ذلك:

فإما أن يقروا برسالته إلى العرب، أو لا يقروا.

فإن أقروا بأنه رسول أرسله الله لم يمكن[4] مع ذلك، تكذيبه كما تقدم، بل يجب الإقرار برسالته إلى جميع الخلق كما أخبر بذلك، كما تقدم أن من ذكر أنه رسول الله لا يكون إلا من أفضل الخلق وأصدقهم، أو من شر الخلق وأكذبهم، فإنه إن كان صادقاً فهو من أفضلهم وإن كان

---

(١) في أ (لقوله).

(٢) سورة سبأ: الآية ٢٨.

(٣) سورة الأعراف: الآية ١٥٨.

(٤) في ط (يكن).

كاذباً فهو من شرهم، وإذا كان الله قد أرسله ــ ولو إلى قرية[1] كما أرسل يونس بن متى إلى أهل نينوى، كان من أفضل الخلق، وكان صادقاً لا يكذب على الله، ولا يقول عليه إلا الحق، ولو كذب على الله ولو في كلمة واحدة، لكان من الكاذبين، لم يكن من رسل الله الصادقين؛ فإن الكاذب لا يكذب في كل شيء، بل في البعض فمن كذب على الله في كلمة واحدة، فقد افترى على الله الكذب، وكان من القسم الكاذبين في دعوى الرسالة لا من الصادقين.

وأيضاً فإن مقصود الرسالة تبليغ رسالات الله على وجهها، فإذا خلط الكذب بالصدق لم يحصل مقصود الرسالة.

وأيضاً فإذا علم أنه كذب في بعضها لم يتميز ما صدق فيه مما كذب فيه إلا بدليل آخر غير رسالته، فلا يحصل المقصود برسالته.

ولهذا أجمع أهل الملل قاطبة على أن الرسل معصومون فيما يبلغونه عن الله ــ تبارك وتعالى ــ لم يقل أحد قط أن من أرسله الله يكذب عليه، وقد قال ــ تعالى ــ ما يبين أنه لا يقر كاذباً عليه قال[2] ــ تعالى ــ :

﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴾[3].

---

(١) في أ (قومه).

(٢) في ط (بقوله).

(٣) سورة الحاقة: الآيات ٤٤ ــ ٤٧.

عقد أبو الحجاج يوسف محمد المكلاتي المتوفى سنة ٦٢٦هـ فصلاً في وجوب =

وقال ـ تعالى ـ :

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ . . . ﴾[1].

ثم قال ـ تعالى ـ : ﴿وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ ۚ . . . ﴾[2].

فقوله ـ تعالى ـ : ﴿وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ﴾.

كلام مستأنف ليس داخلاً [3] في جواب[4] الشرط، فإنه لو كان معطوفاً على جواب الشرط لقال: ويحق الحق بالكسر لالتقاء الساكنين، كما في قوله:

﴿قُمِ اللَّيْلَ﴾.

فلما قال: ويحق الحق، بالضم دل على أنه جملة مستأنفة أخبر فيها أنه ـ تعالى ـ يمحو الباطل كباطل الكاذبين عليه، ويحق الحق كحق الصادقين عليه، فمحو الباطل نظير إحقاق الحق ليس مما علق بالمشيئة بل لا بد منه، بخلاف الختم على قلبه، فإنه معلق بالمشيئة ولا يجوز أن يعلق بالمشيئة محو الباطل كتعليق الختم، بل يقذف بالحق على الباطل فيدمغه.

= عصمة الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ في كتابه (لباب العقول في الرد على الفلاسفة في علم الأصول) وذلك في ص ٣٧٢ ـ ٣٧٥ (تحقيق الدكتورة فوقية حسين. ط الأولى دار الأنصار القاهرة، وانظر كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد للجويني ص ٣٥٦، وكتاب شرح الفقه الأكبر لأبي حنيفة شرحه الملا على القارىء ص ٨٨، وشرح العقيدة الطحاوية، وألف الرازي كتاباً سماه «عصمة الأنبياء» نشرته دار الكتب العلمية بيروت، ويقع في ١٤٤ صفحة.

(١) سورة الشورى: الآية ٢٤.

(٢) سورة الشورى: الآية ٢٤. والآية: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِباً فَإِنْ يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ ويُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾.

(٣) في أ (داخل) وصححناه من سائر النسخ.

(٤) في أ (جزاء) وما أثبتناه من سائر النسخ.

وقال ـ تعالى ـ : في صيانته وإحكامه لما تبلغه رسله :

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[1] .

وأيضاً: فإذا لم يكن أرسل إلا إلى العرب وقد دعا اليهود والنصارى إلى الإيمان به، وكفرهم إذا لم يؤمنوا به، وجاهدهم وقتل مقاتلهم، وسبى ذرياتهم[2] كان ذلك ظلماً لا يفعله إلا من هو من أظلم الناس، ومن كان نبياً قد أرسله الله فهو منزه عن هذا وهذا.

فالإقرار برسالته إلى العرب دون غيرهم ـ مع ما ظهر من عموم دعوته للخلق كلهم ـ قول متناقض ظاهر الفساد، وكل ما دل عليه أنه رسول فإنه يستلزم رسالته إلى جميع الخلق، وكل من اعترف بأنه رسول لزمه الاعتراف بأنه رسول إلى جميع الخلق، وإلا لزم أن يكون الله أرسل رسولاً يفتري عليه الكذب، ويقول للناس: إن الله أمركم باتباعي وأمرني

---

(١) سورة الحج: الآيات ٥٢ ـ ٥٤.

(٢) في ط (ذراريهم).
والذرية فعلية من الذروهم الصغار وتكون الذرية واحداً وجمعاً وفيها ثلاث لغات أفصحها ضم الذال والثانية كسرها والثالثة فتح الذال مع تخفيف الراء قال في المصباح المنير ٢٨٢/١: «وتجمع على ذريات وقد تجمع على الذراري، وقد أطلقت الذرية على الآباء أيضاً مجازاً. وانظر مختار الصحاح ص ٢٢٠ باب ذرأ.

بجهادكم إذا لم تفعلوا وهو كـاذب في ذلك، ومعلوم أن كـل ما دل على أن الله أرسله فإنه يدل على أنه صـادق في الرسـالة وإلا فـلا، فالـرسول الكـاذب لا يحصل بـه مقصود الـرسـالـة بـل يكـون من جملة المفتـرين على الله الكـذب، وأولئك ليسـوا من رسل الله، ولا يجـوز تصديقهم في قولهم: إن الله أرسلهم.

• • •

انتهى المجلد الأول

ويليه المجلد الثاني وأوّله:

فصل: [وأما أن لا يقروا برسالته]

فهرس الجزء الأول

القسم الثاني : التحقيق

• • •